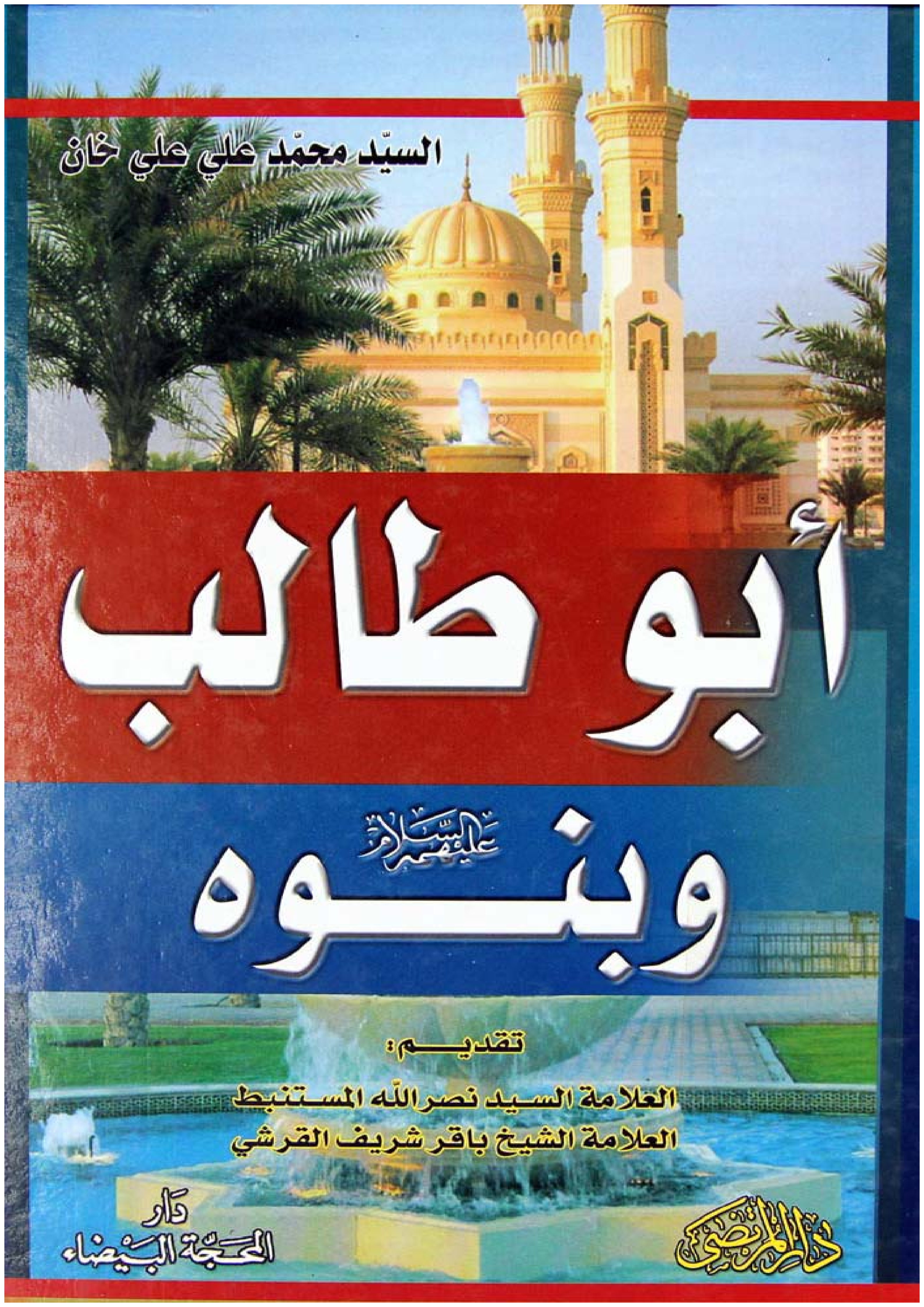

السيّد محمّد علي علي خان
أبو طالب
وبنوه
عليهم السلام
تقديم:
العلامة السيد نصر الله المستنبط
العلامة الشيخ باقر شريف القرشي
دار المحجة البيضاء
دار المرتضى





أبو طالب

وبنوه



السيد محمد علي آل السيد علي خان

أبو طالب وبنوه

تقديم

الحجتين السيد نصر الله المستنبط
الشيخ باقر شريف القرشي

الجزء الأول

الطبعة الأولى

مطبعة الآداب في النجف الأشرف

١٠٠٠ م / ٧ / ١٩٦٩



تقديم

تفضل به سماحة آية الله السيد نصر الله الموسوي المستنبط دام ظله ننشره شاكرين .

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين واللعن على اعدائهم اجمعين وبعد فلا يزال في التاريخ الاسلامي فجوات كثيرة تحتاج الى كثير من الجهد ممن له علم وعناية بالموضوع فان التاريخ الاسلامي في اطواره المختلفة قد خضع لعوامل ومؤثرات خطيرة جعلته يسير في ركب الحكومات التي كانت تتوالى على الحكم فأفقده صفة الموضوعية والحياد في الولاء والعداء والجرح والتعديل ومن هنا قد اهمل ذكر كثير من الرجال اللامعين على امتداد العصور الاسلامية ولم ينصف كثيرا من الرجال الذين بذلوا حياتهم ونفوسهم في خدمة الرسالة ومن هؤلاء شيخ الاباطح سيدنا ابو طالب عليه السلام فقد تنكر له التاريخ الاسلامي ولم ينصفه رغم انه وقف حياته في سبيل الاسلام وجمد كل امكاناته ومكانته في قريش لاسناد النبي العظيم صلى الله عليه وآله ولم يتنكر له ذلك جهلا بل لأمر ما قد اكنته الصدور لايخفى على ذوي البصائر والفكر ، وقد تفرغ فضيلة العلامة الحجة السيد محمد علي السيد علي خان دامت بركاته لدراسة حياة ابي طالب وبنيه ومواقفه من رسول الله (ص) حينما كان (ص) مستضعفا بين قومه وعشيرته في مكة وقد كان للمؤلف دامت بركاته التوفيق فيما قرأت من كتابه القيم في عرض الجوانب المشرقة من حياة ابي طالب ومناقشة الاحاديث التي اختلقتها الايدي المدسوسة للحط من كرامته ومحاسبة التشكيكات التي اوردوها في اسلامه وسوف يجد القارىء في هذا الكتاب القيم عرضاً ادبياً رائعاً ومنهجاً متماسكاً جديداً ولا غرو فقد كان فضيلة المؤلف ممن درس وتخرج من جامعة النجف الاشرف وعد من فضلائها المرموقين والله اسأل ان يجعل هذا الأثر العظيم طليعة لآثار يتحف بها المكتبة الاسلامية والله الموفق .

نصر الله الموسوي المستنبط



بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على خير النبيين وسيد المرسلين والبشر اجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كانت فكرة التأليف في حياة ابي طالب وبنيه عليهم السلام تراودني وتشدني اليها منذ عهد بعيد .

وما إن سنحت الفرصة وحالفني التوفيق حتى بادرت الى الفكر أستوحيه والى التاريخ الذي تضمن احداث هذه الفترة من عمر الزمن لأحكم له او عليه فكان هذا المؤلف الذي يضم أجزاءاً ثلاثة .

يختص الجزء الاول منها بحياة ابي طالب عليه السلام ، والثاني في أحوال عقيل وجعفر واحفاد ابي طالب من اولاده الثلاثة ، اما الثالث فيتضمن حياة أمير المؤمنين علي عايه السلام فحسب .

وكلي أمل في ان يمدني الله سبحانه بالرعاية والتأييد ، وينال هذا المؤلف الذي اهديه لساحة قدس علي أمير المؤمنين عليه السلام : من الله تعالى شأنه ومنهم عليهم السلام : الرضا والقبول .

المؤلف

المؤمن الأول

كان الناس ـ ومنهم الأمة العربيــة ـ تتبعها الاسر القرشية من قبل أن يطل الاسلام على العالم الفسيح، ومن قبل ان تشرق انواره على البسيطة المترامية الأطراف ، ومن قبل أن يمن الله القدير على المجموعة الانسانيـة ببعثة الرسول المنقذ محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

كان الناس من قبــل على نزعات متباينـة واهواء شتى ، كما كانوا في مجتمع تسوده الوحشية وتهيمن على أخبيته الخرافات والأساطير، وتعشش في أذهان افراده الأباطيل وكل ما ينافي الانسانية والخلق الرصين : من وأد البنات وهن احياء ، وقتـل الأولاد خشية الإملاق ، وانتشار الخمـور ، وتعاطي الفجور ، وغزو القوي للضعيف . . كما كانوا متفككين متفرقين يخافون ان يتخطفهم الشيطان من حولهم وهم لا يشعرون ، يعبدون أحجاراً عملوها بأيديهم : يهللون لها ويكبرون ، يسجدون لها ويركعون ، ويسبحون بحمدها آناء الليـل واطراف النهار ، كما يقربون لها القرابين ، ويسألونها بإلحاح الحاجات في الشدائد والملمات . .

وعلى سبيل المثال نذكر جملة من تلك الأوثان والأصنام المعبودة في تلك الأدوار المظلمة والعهود السوداء :

مناة ، أساف ، نائلة : معبودات قبيلة غسان والأوس والخزرج .

ود : معبود بني هذيل .

نسر : معبود قبيلة حمير .

سواع : معبود بني كلب ، محله حومة الجندل .

يغوث : معبود قبيلة ثقيف ، موقعه الطائف .

العزى : معبود كنانة وبعض بني سليم وبعض من قريش .

هبل : معبود اكثرية قريش ، موقعه الكعبة المشرفة .

وفي ذاك العصر الذي كان للاصنام والأوثان سوقها الرائج ومكانتها العظمى ومنزلتها الرفيعة ، كان ايضاً أناس يعبدون الله عز وجل ويوحدونه وينفون عنه كل شريك ونظير : منهم قس بن ساعدة الأيادي ، وزيد بن عمر بن نفيل ، وبنو هاشم بصورة عامة ، وفي طليعة بني هاشم الزعيم عبد المطلب وابنه ابو طالب عبد مناف . . فكانا ينحوان منحى هذا البيت .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالـة زائل

وقد عد أهل السير أن جد الرسول العظيم عبد المطلب من المتألهين ، كما ذكروا أن دوره كان دور إيمان بالله ودور اعتزاز بخدمة بيت الله ، وبها تميز وتطاول على الغير وتفوق على الناس ـ كل الناس ـ كما انفرد بالخلق الفاضل الجميل وتحلى بكافة المفاخر والمآثر .

وقد ذكر المؤرخون في ترجمته رضوان الله عليه : انه كان مشتهراً بعبادة الله والتجائه اليه ، لذا كان الناس يقصدونه في الأمور الصعاب وفي الشدائد والأهوال ، وكلما دعتهم الحاجة فما يجدونه الا ملبياً حاضراً لكل المتطلبات بكل رحابة ، يقصدونه للاستسقاء عنـد حبس الأرض بركاتها والسماء درها ، فيخرج مستصحراً فلا يأتي على آخر دعائه إلا ويستجيب الله دعاءه ، فيرحم الناس بالمطر ويغيثهم من القحط والشدة . . وبدعوته ودعائه خلص الله الكعبة ومن بفنائها من الناس من شرور ابرهة الحبشي واتباعـه الذين أرادوا نقض الكعبة ونسفها من الأساس ، فكان عبد المطلب في اكثر اوقاته آخذاً بعضادتي باب الكعبة وهو يردد :

يارب ان المرء يمنع رحله فامنــع رحــالك
لا يغلبــن صليبهــم ومحالهـم عدواً محالك

* * *

يارب لا ارجوهم سواكا يا رب فامنع عنهم حماكا

وهكذا ظل جد النبي متوسلا الى الله سبحانه ومتضرعاً اليه راجياً منه تعالى أن يقي البيت الحرام ويدفع عن الناس مكائد الأحباش ومناوءتهم العدوانية ، الى ان ثأر الله عز وجــل لبيته وخلقه فأرسل على الأحباش الأوباش الطير الأبابيل ، فدمرتهم تدميراً ومزقتهم شر ممزق ، وذهبوا الى لعنة الله وناره « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وارسل عليهم طيراً أبابيــل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول » .

يحدثنا المسعودي في مروج الذهب ٣٩٠/١ في ترجمـــة الزعيم الهاشمي شيبة الحمد عبد المطلب فيقول : وكان عبد المطلب مقراً بالتوحيد ، مثبتاً للوعيد ، تاركاً للتقليد ـ الى أن يقول : وكان اول من اقام الرفادة والسقاية وهو اول من جعل باب الكعبة ذهباً خالصاً مطعماً بالأحجار الكريمة على حسابه الشخصي ، كما كان يفتخر بذلك ، وهذا قوله :

اعطي بلاشح ولا مشاحح سقياً على رغم العدو الكاشح
بعد كنوز الحلي والصفائح حلياً لبيت الله ذي المسارح

ويقول المسعودي في نفس الصفحة والجزء : ولما جاء ابرهة بالأحباش لهدم الكعبة وقلعها من الجذور وعسكر في القرب من مكة المكرمة واخرج الفيلة ليرهب الناس ويبعث الوجل والاضطراب في النفوس ، ثم صار جيشه الى نهب مراشي قريش وإبلهـا ، وكان من جمـلة ما انتهبوه إبلا للزعـيم عبد المطلب ، الأمر الذي أدى الى الرغبة بزيارة ابرهة في معسكره ومخيمه

ليستنقذ اموال الناس وحيواناتهم وضمناً إبله الخاصة ، ولما وصل اليه رحب به وعظمه واحترمه واكرمه وقال له : ألك حاجة فأقضيها ؟ وكان يحسب انه جاء لغايــة تخليص الكعبة من الهدم والنقض ، فما استشعر إلا ان إبله نهبت مع ما نهبه الجيش من مواشي الناس ، وعندها قال له القائد : حسبتك ترجو مني ما هو اسمى واجــل عندكم من الابل والأموال ، حسبتك انك تأمل العفو عن كعبتكم ومعبدكم المعظم . فقال عبد المطلب : ايهــا القائد أما انا فرب الابل ، وأما البيت فله رب يحميه ويمنعه من اي اعتداء واساءة ثم نهض للخروج ، فأمر ابرهة برد الابل وجميع ما اخذه الجيش من قريش كرامة لرئيس مكة ، وبعد ان عاد عبد المطلب الى مكة نادى بأهلهــا واعلمهم بمنويات القائد الحبشي من الإبادة والتدمير ثم القضاء على البيت الحرام مهما كانت الموانع والحواجز ، الأمر الذي يحتم عليهم الفرار بأرواحهم وذراريهم من الموت المرتقب في عشية وضحاها واللحوق ببطون الأوديـة ورؤوس الجبال ، أما انا فأبقى مرابطاً في البيت حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا . فخرج القوم من الوطن مرغمين خائفين تاركين وراءهم رئيسهم المحبوب وزعيمهم الكريم ، وظلوا يرقبون الأخبار ويتطلعون عن كثب الى ما سيصنعه الله بالأحباش المجرمين . أما عبد المطلب فكان على عادته يأخذ كل يوم بعضادتي باب الكعبة ويدعو الله عز وجل ويستدر رحمته وعطفه ولطفه بالناس وانتقامه من الظالمين الذين يريدون الوقيعة والسوء ببيته المعظم الى ان انتقم الله لبيته وخلقه وارجع كيد الأحباش الى نحورهم وصدورهم فرح عبد المطلب فرحاً كثيراً وكتب الى قريش يعلمهم بتعجيل الله على الكفر ونزول عذابه عليهم واهلاكهم عن آخرهم ، فعادوا مستبشرين الى وطنهم واماكنهم ، كمــا عادت اليهم حياتهم الطبيعية ، وبالمناسبة انشأ عبد المطلب :

حمدت الله اذ عاينت طيراً — حصيب حجارة تلقي علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل — كأن له على الحبشان دينا

وله ايضاً :

ايها الداعي لقد أسمعتني — ثم ما بي عن نداكم من صمم
ان للبيت لرباً مانعاً — من يرده بأثام يصطلم
فانثنى عنه وفي اوداجه — جارح أمسك منه بالكظم
قلت والأشرم يرمي حيلة — ان ذا الأشرم عز بالحرم
فجزاك الله فيما قد مضى — لم يزل ذاك على عهد إبرهم
نحن دمرنا ثموداً عنوة — ثم عاداً قبلها ذات الأرم
نعبد الله وفينا سنة — صلة القربى وايفاء الذمم
لم تزل لله فينا حجة — يدفع الله بها عنا النقم

وقال المسعودي في مروج الذهب ٣١٣/١ : وكان عبد المطلب يوصي ولده اباطالب بصلة الرحم واطعام الطعام وتصور البعث والمعاد ، وجعل اليه سدانة البيت الحرام وسقاية الحاج ورفادتهم .

واكثر من الوصايا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك قوله :

اوصيت من كنيته بطالب — بابن الذي قد غاب غير آيب

وقوله :

اوصيك يا عبد مناف بعدي — بواحد بعد أبيه فرد

* * *

وقد ألهم جد الرسول الكريم أن ينقب عن زمزم ، وقد عثر عليها مؤخراً فنظفها ونقاها من الأدران ، وجعلها صالحة للاستعمال .

وزمزم هذه هي العين التي أنبعها الله تعالى للنبي إسماعيل عليه السلام حين كان رضيعاً ، وحين جاء به أبوه ابراهيم مع أمه هاجر واسكنها بفناء

الكعبة ، فأدار عليها الحجارة وانصرف عنها بعد ان استودعها الله الرؤف الرحيم بقوله كما حكاه القرآن الكريم : « ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

فبقيت هاجر وطفلها في حماية الله وكنفه ، في حين لا شيء هناك ، لا ماء ولا كلاء سوى البر الأقفر والفضاء الوحش ، ويجف اللبن من هاجر ويعطش إسماعيل ويشرف على الموت من العطش ، فترتبك الأم للحادث وراحت تركض الى حيث لا تدري ثم تعود فتنظر طفلها يفحص بيديه ورجليه ، وهكذا الى ان عادت في المرة الأخيرة فوجدت رحمة الله وصنعه فوجدت عين ماء صافيسة باردة تنبع من تحت قدمي الرضيع ، ففرحت واستبشرت وهي تقول منذهلة : زم الماء ، زم الماء . فسميت زمزم .

وهي التي احياها واعادها عبد المطلب ، وعلى اثر هـذا الاصلاح والإحياء ثارت ثائرة قريش ، وتعالى وتعاظم حسدها وحقدها للزعيم الهاشمي على ما آتاه الله من فضله ، واخيراً نازعوه العين زاعمين انها تعود للقرشيين بصورة عامة باعتبار أنها موروثة من الجد الأعلى إسماعيل فهم فيها شركاء ، فلا وجه اذاً لاختصاص السيد الزعيم عبد المطلب بها وانطوائه على خيراتها .

وتوسعت الخصومة واشتدت ، واخيراً اجبروا عبد المطلب على المحاكمة عند الكاهنة ، فوافق مضطراً حفظاً على بني هاشم وحرصاً على سيادة الأمن والسلام ، فساروا جميعاً لحضور المحاكمة ، وبيناهم في اثناء الطريق كان الوقت شديد الحر ، فعطش القوم وأضرّبهم ، فكانوا من الموت كقاب قوسين او أدنى ، فماوسعهم إلا ان يلوذوا بالملاذ العظيم والكهف الحصين جد الرسول ، فاستجاروا به من العطش ، فما كان منه رضوان الله عليه

إلا ان يسأل الله عز وجل ان يسقي القوم ويمنّ عليهم بالحيـــاة المهددة ، فلم يستتم دعاءه الا وانبع الله المـاء من تحت حافر فرس عبد المطلب ، ففرح القوم وشربوا الماء وعادت اليهم حياتهم الاعتيادية ، وحين شاهدوا هذه الكرامة لجد النبي قرّ رأيهم بالاجماع ان يتنازلوا له عن زمزم ويعدلوا عن فكرتهم ، واخيراً صارحوه بمانووا وكروا راجعين الى الوطن .

اقول : وما اجراء مثل هذه الكرامات والفضائل من الله تعالى على يدي الزعيم عبد المطلب رضوان الله عليه إلا من جهة وطيد اتصاله ووثيق علاقته بالله عز وجل ، ومتين اعتماده عليـــه سبحانه ، والا لكان من اول المستحيلات ان يجري الله الخير والكرامة على يدي من لاعلاقة لـــه به ، او على يدي جاحديه والمشركين به .

* * *

ومن كرامة الله واحسانه على عبد المطلب ان صار أميناً مخلصاً على النبي ، وكافلا حنوناً عليه صلى الله عليه وآله ، وذلك على اثر موت ابيه وامه ، فكفله اجمل كفالة وافضلها ، وقام بتربيته وادارة شؤونه خير قيام فكان المقدم عنده والمقرب لديه والمتفوق حتى على اولاده ، يوليه الكثير من عنايته والوفير من رعايته وحنانه ، يتحرى خدمته بنفسه ويتصدى للوازمه بشخصه ، يحرص الحرص كله ان يدني منه كل مفرح ويبعد عن ساحتـه كل مؤذ ومكدر ، وربما توسم من محيـــاه النير وجبينه الوضاء شارات العظمة والسمو وعلامات المجد والسؤدد وآيات النبوة والكرامة ، فيضيف ذلك الى ما لديه من معلومات قديمـة واخبار متوارثة : من ان النبي الذي يظهر في آخر الزمان هو من صلبه يكاد يعتقده في محمد .

ومن هنا وهنالك أراد المزيد من التأكد والاطمئنان ، قصد به صلى الله عليه وآله الى الكهنة وقدامى العلماء . ولا يعرضه على واحد منهم إلا ويجد

منه التأييد لفكرته ، والتسليم لنبوءتـه ، والإيصاء بالاحتياط والحفاظ عليه من مكائد الدهر وحوادث الزمن ، فيرجعه والفرح والغبطة ملء جوانحـه وجوانبه ، وكيف لا يكون كذلك والنبوة والرسالة لحفيده المحبب محمد ؟!

وكم كان رضوان الله عليه يتمنى ان يفسح الله له في اجله ويمد في عمره لا لشيء سوى ان يدرك الزمن الذي تتحقق فيه بعثة محمد ورسالتـه ، ثم ليقضي الله أمراً كان مفعولا . ولكن الأجل لا يستأخر ولا يستقدم ، فتصدر ارادة السماء بانتقاله الى الفردوس الأعلى ، حيث المؤمنون والأولياء وحسن اولئك رفيقاً . وعليه لابد من الرضوخ للقدر والتسليم ، والرضا بأمر الله ، فيعهد بوصاياه ومهامه الى ولده المؤتمن وثقته المفضل ابي طالب ولده الأكبر ، فيستعد ابو طالب لكل متطلبات الوالد الراحل ، وانشأ على الفور :

لا توصني بلازم وواجب إني سمعت اعجب العجائب
من كل حبر عالم وكاتب حديثه رويتـه عن راهب

ثم ينتقل جد الرسول الى الدار الآخرة وجوار الرب الكريم ، فيلتزم ابو طالب بكل الوصايا والعهـود ، ولا سيما فيما يخص رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم .

ابو طالب يتمتع بكل صفات الخير

كان رضوان الله عليه ينعم بشخصية فذة وزعامة عامة ، كما كان يتصف بكريم الخصال وعظيم المفاخر وجميل الفعال والمآثر .

وكان عالماً كبيراً ، له دراية في فقه الأوائل والحديث ، وهو شاعر بليغ ، له ديوان مطبوع يحتوي على الشعر الرائق والنظم البديع ، وما حفظته الكتب من شعره اكثر مما احتواه الديوان المطبوع .

وكان فيلسوفاً مهماً ، تلمذ على يديه كثير من متكلمي العرب وفلاسفتهم ، وربما تجرنا المناسبة الى التعرض لهم انشاء الله تعالى .

وكان اديباً محاقاً ، ذكر المؤرخون له كثيراً من الخطب والمقالات الفصيحة .

وكان مجاهداً في سبيل الله ، يعمل الخير من أجل الخير ، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويسعى دائباً الى قمع جذور الضلال وقلع اسس الفساد ، بعد أن كان قد حرم على نفسه واسرته شرب الخمور وتعاطي الفجور ولعب القمار ، والتزم بمحاربة الرذائل بكل ألوانها واشكالها التي منها عبادة الأوثان والأصنام السائدة حينذاك ، وهو الذي قرر أن تكون دية المقتول إما ألف دينار وإما ان تكون مائة رأس من الابل ، يهدف من وراء هذا التثقيل في الدية الى ان تنخفض نسبة القتل المتكثرة في ذلك العصر ، وقد اقرها الاسلام ولم يزل معمولا بها حتى اليوم والى يوم يبعثون

* * *

اما بنو هاشم بصورة عامة فهم يكبرون أبا طالب ويقدرونه ويحترمونه ويعظمونه، كما لا يقطعون بأمر دونه، فهم يأتمرون بأمره وينزجرون بزواجره، ولم يشذ منهم أحد ابداً، حتى ابي لهب فانه لا يستطيع إلا أن يمتثل امره وان كان مخالفاً له في العقيدة مبايناً له في المبدأ والدين.

يحدثنا النسائي في خصائصه عن عفيف الكندي انه قال: قصدت مكة المكرمة لاشغال عرضت لي، وكان بعضها يتعلق بالعباس بن عبد المطلب، وكان عطاراً يبيع العطر في محل مقابل للبيت الحرام، ولما وصلته استطال بي الجلوس حتى صار الظهر او قارب، إذ أنظر شاباً بهي المنظر جميل الطلعة يمشي على استحياء، له هيبة ووقار، نظره الى الأرض اكثر من نظره الى السماء، فأتبعته بصري، فاذا هو يقف عند باب المسجد الأعظم فيرمق السماء بطرفه، ثم دخل البيت فوجه وجهه الى جهة من جهات البيت، ثم اقبل غلام يشبهه في الهيئة والهيبة فاقتدى به، ثم جاءت امرأة فوقفت خلفهما، وصار الجميع يركعون ويسجدون مع الغلام المتقدم، الأمر الذي استفزني وجلب انتباهي، فلم امتلك اعصابي دون أن استفهمت العباس عن هؤلاء وعما يعملون. فقلت: ياعباس انه لمنظر رائع وحدث عظيم.

العباس: انه حقاً لأمر خطير وجليل، أتدري من الشاب المتقدم؟

عفيف: لا اعرفه ولا اعرف عنه شيئاً ولم اره قبل اليوم.

العباس: هو محمد بن عبد الله ابن أخي، والغلام هو علي بن ابي طالب اخي، والمرأة هي خديجة بنت خويلد زوجة محمد، وقد اخبرني محمد أن ربه رب السماء هو الذي قد أمره بهذا الدين.

عفيف: أيوجد من هو على هذا الدين غيرهم؟

العباس: لا والله ما على وجه الأرض غير هؤلاء الثلاثة.

عفيف: ما تقولون انتم يا بني هاشم؟

العباس : ننتظر رأي الشيخ ابي طالب ، فانه بعد لم يعرف رأيه ، فنحن في ترقب ، ومتى ما استظهرنا رأيـــه تابعناه ، وما كان لأي منا ان يتخلف ابداً .

* * *

اقول : العباس هو ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فهو اخ لأبي طالب رضوان الله عليهما ، وللعباس وزنه واهميته ومكانتـه المثلى في الأوساط المكية والهاشمية ، كما وانه شخصية لامعة في دنيا التجارة والثروة ، كما وان له جميع مؤهلات الزعامة والرياسة لولا ابو طالب . ومع هذا كله لا يقطـع بأمر ولا ينفرد برأي من دون استشارة اخيـــه الزعيم ابي طالب رضي الله عنه .

وهكذا نجد شخصية عم الرسول العظيم (ص) محاطة بهالة من الإعظام والإكبار والاحترام والتقدير ، فعن دسته تصدر الأوامر ، ومن ناديه تنبعث الزواجر والنواهي وكافة التعاليم والارشادات .

ومن هنا نجدأن بني هاشم على العموم حين تحققوا إلتفات ابي طالب نحو رسول الله وتظاهره بمؤازرته ومعاضدتـه اجمعوا على الذب عن النبي ، وحمايته من الأيدي الغاشمـــة الكافرة ، الا أبا لهب فانه ساير قريشاً وانظم الى قوافلهم .

ابو طالب يكفل النبي ويؤازره

يقوم زعيم الهاشميين بكل وصايا أبيـــه الراحل على افضل ما قام به ولد بار لأبيه العظيم ، فيوقف نفسه لخدمة الكعبة وحمايـة المسجد الأعظم وادارته ، ووفادة الحاج وضيافتهم وسقايتهم ، الى غير ذلك من تعظيم وتبجيل.

ثم قام بخدمة النبي الكريم (ص) ، فالتزمه التزاماً قلّ نظيره ، وأحاطه احاطة قلما تتحقق لأحد من الناس . . فنجده يقدمـه على نفسه وولده ، حتى اصبح لا يأنس الا به ، ولا يرتاح الا إليه ، ولا تحلو له مجالسة غيره. فهو صحيبه في سفره وحضره ، وسميره في حله وترحاله ، يفرح اذا فرح ، ويحزن اذا حزن ، يرضى لرضاه ويغضب لغضبه. وهكذا تمر الأعوام على رسول الله وهو في كنف عمه وتحت ظله الوارف آمناً وادعاً مرتاحاً ، ينعم بالكرامة والهدوء .

وربما اذا خلا بنفسه تعترضه الذكريات ، وتمر على صفحات ذهنـه الشريف بعض الفكر ، فيلوح له ما قد فقـــده من حنان الأبوين وشفقتهما وعطف الوالدين ورأفتهما ، فيستشعر مخلفات اليتم ورواسبه المؤلمـة ، فيتعكر عليه صفوه ويكثر عليه قلقه ، ثم تنطوي عنده هـذه الصفحة ، وسرعان ماتنقلب عنده الحال ، فتعرض نعم الله عليه وما هيأه له من حضور عمـه الزعيم لخدمته ومداراته ؛ وحضور زوجة عمه فاطمة بنت أسد ايضاً كذلك فتهون عليه صلى الله عليه وآلـــه مصيبته بأبويه الكريمين ، فيعاود التسليم

لقضاء الله وقدره ، وينصرف الى حمد الله تعالى والازدياد من شكره على نعمائه وآلائه .

* * *

وكلما يزداد النبي نمواً وارتقاءً في السن يزداد ويتعالى ولاؤه وحبه في نفس عمه واعماقه .

وكان رضوان الله عليه كأبيه يقرأ من ملامح النبي وأسارير وجهه الكريم علامات النبوة ودلائل البعثة ، بالاضافة الى ما ورثه من سلفه الصالح من المعلومات . وصار هو أيضاً يدور بابن اخيه على العراف والكهنة ليتبين مدى توسمه وتكهنه ، ومدى اثر صحة ما وصل اليه بطريق الوراثة من انقال واحاديث ، واخيراً يحصل على تأييدهم اجمعين ويستفيد منهم واقعية الأمر وانه كائن لمحمد لا محالة ، وكلهم يوصونه بالاحتفاظ بمحمد وحمايته والسهر على حياته ، ويحذرونه من اليهود الآثمين .

وظل ابو طالب يرقب ذلك اليوم الأغر ، اليوم المبارك الذي يبعث الله فيه محمداً رسولا للناس ورحمة للعالمين ، ثم المجد والعزة والكرامة والعظمة للعرب بصورة عامة ولبني هاشم بصورة خاصة .

وما ان يشيع نبأ تكهن ابي طالب والعراف في مكة وضواحيها حتى غمرت الناس اللهفة وعمتهم الفرحة ، ورجوا ببركة هذا الحدث ان يتخلصوا من هوة الجاهلية ، واوضار الوثنية المقيتة ، وتحكم اهل النفوذ والقوة .

واعطى الناس لقب الصادق الأمين لرسول الله ، فكان محمد الصادق الأمين

وهكذا قدر للرسول صلى الله عليه وآله ان يكون مهوى الأفئدة ، ومهبط الإكبار والتمجيد ، ومحل المدح والثناء من قبل كافة المتألهين والموحدين ، بل من قبل عامة الناس ، إلا ما كان من الجبابرة والطواغيت والمشركين واليهود القذرين الذين اقض مضجعهم وحز في نفوسهم تنبؤ محمد وتحقق بعثته

يحدثنا المتقي الحنفي في كنز العمال ٣٠٥/١ فيقول : جاء رجل من بني عامر فجلس بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فصار يسأله متأدباً . فارتاح اليه النبي وآنسه حديثه ، ولما انتهى العامري من مسألته اخذ النبي يقص عليه قضية ولادته المباركة وما جرى له اثناء الولادة ، فاستأنس الرجل وقال : بأبي انت وامي يارسول الله ما ألذ حديثك ، واجمل كلامك ، تفضل حدثني جعلت فداك .

فقال صلى الله عليه وسلم : إعلم يا اخا بني عامر لما بنى ابي بأمي وحملت بي رأت فيما يرى النائم ان نوراً شع من بطنها وانتشر في الفضاء ، فجعلت تتبعه بصرها ، فرأته وقد ملأ الأرض والسماء ، فقصت رؤياها هذه على حكيم من حكماء العرب ، فقال لها : يا آمنة ستلدين غلاماً يعلو ذكره بين السماء والأرض . . وكان أهل حي بني سعد بن هوازن ينتابون نساء أهل مكة لحضانة اولادهم واطفالهم ليعيشوا على خيرهم واجرة إرضاعهم ، وصادف ان ولدتني أمي في ايام حضورهم بمكة ، وكان قد مات أبي وتبعته امي ، فكنت يتيماً قد كفلني عمي ابو طالب ، ولما سمعت النساء بقصتي تباعدن عني ورفضن حضانتي وارضاعي نظراً لفقري ويتمي ، وصرن يرددن : ضرع صغير ويتيم فقير ، فما عسانا ان ننتفع به من خير .

وكانت من بين النساء امرأة يقال لها ام كبشة بنت الحارث ، فقالت لجماعتها : اني لا ارجع لبلدي خائبة أبداً ، فقصدتني فحملتني وألقتني على صدرها ، فدر لبنها فحضنتني وحضرت لارضاعي وتربيتي ، ولما بلغ عمي اباطالب الخبر فرح بذلك فرحاً ماله من مزيد ، فأقطع الحاضنة إبلا وثياباً ثم صار يواصلها ويسعفها ما دمت عندها .

اقول : الحكيم الذي نوهت عنه آمنة بنت وهب والذي قصت عليه رؤياها هو جد الرسول صلى الله عليه وآله الزعيم عبد المطلب رضوان الله

عليه ، فانه كان على يقين من امر حفيده ، وانه سيصبح اعظم انسان واجل شخصية يخضع له العالم كل العالم ، وتنحني له إجلالا واعظاماً كافة الرؤساء والعظماء ، كما سيعلو دينه على كافة الأديان وان كره الكافرون .

وأما المرأة التي حضنت النبي صلى الله عليه وآلـه والتي فازت بتلك الكرامة التي لاتضاهيها كرامة ، والتي حازت على اسعاف زعيم بني هاشم ابي طالب هي حليمة بنت أبي ذويب ، حليمة التي ألقى الله في روعها حب محمد رسول الله وولاءه ومودته ، فانصاعت صادقة مخلصة الى خدمته وتيسير كل ما يحقق راحته وهـدوءه واطمئنانه . . فهنيئالك يا حليمة ، وبخ بخ لك يا مرضعة محمد العظيم ، فقد فزت والله فوزاً عظيماً ، ونلت من الشرف وعلو المقام ما يغبطك عليه جميع نساء العالمين ، وبشراك يا حليمة حيث صح عنه صلى الله عليه وآله انه قال : هبط علي جبرئيل يبلغني عن الله عز وجل انه يقول لي : يا محمد إني مشفعك يوم القيامة في ستة نفر :

بطن حملك : آمنة بنت وهب .

وصلب حملك : عبد الله بن عبد المطلب .

وحجر كفلك : عمك ابو طالب .

وبيت آواك : جدك عبد المطلب .

وثدي ارضعك : حليمة السعدية .

واخ لك : كان في الجاهلية .

فهنيئالك وألف هنيئا ياحاضنة النبي ، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته

وهكذا يقدر لرسول الله صلى الله عايه وآله أن يكون مقدراً مهاباً محترم الجانب عند حليمة واسرة حليمة ، الكل يعزونه ويكبرونه ويسهرون على راحته وارتياحه ويحرصون على دفع الأذى والمكاره عنه : أولا لمـا لمسوه من توفر الخيرات وتضاعف البركات عليهم بوجوده بين ظهرانيهم ،

وثانياً من حيث اغداق ابي طالب الأموال والمعونة عليهم مدة الرضاع .

* * *

وبعد ان استكمل صلى الله عليه وآله مدة الرضاع نقله عمه ابو طالب الى داره ، فنما وترعرع في ظل تلك الأحضان الحنونة والحجور المحبة الحريصة على سلامته وصيانته .

ويبدو لأبي طالب ان يسافر في متجر الى الشام في الرحلة التي اعتاد عليها المكيون ، إلا انه رضي الله عنه صار في ضيق من ناحية النبي ، لأنه لا يستطيع فراقه ، كما لا يأمن عليه من تركه بمكة ، واصطحابه معه لا يخلو من مصاعب واتعاب ، واخيراً قرر استصحابه لأنه اخف الضررين واهون الأمرين ، باعتبار أنه هو الحارس عليه بعد الله تعالى ، فأردفه أمامه وسار مع القافلة ، حتى اذا أراد الجمع الاستراحة والاستجمام ، فأوقفوا حركة القافلة ، وانزلوا الأحمال والأثقال انحاز الناس كل الى جماعته واصحابه ، وانحاز ابو طالب برسول الله الى ظل دير كان هناك ، ففرش له واجلسه ، ثم صار الى تهيئة مالديهم من الطعام ، اذ يطل راهب الدير من بعض النوافذ فيقع بصره على النبي صلى الله عليه وآله ويعقب تلك النظرة بتأمل في ملامحه وأوصافه ومحاسنه وطلعته ، وما كان منه الا أن ترك الدير واقبل مبادراً مسرعاً حتى جثا بين يدي النبي صلى الله عليه وآله ، الأمر الذي أدى بأبي طالب ان يعرض عما هو فيه الى التوجه بكله نحو النبي وترقب حركات الراهب وسكناته .

ولنترك الحديث لابن هشام ، فهو يوضح لنا القصة ، وهو الذي يوقفنا على الواقع والحقيقة ، وقد جاء في سيرته ١/٩٠ ، قال :

إن القافلة حين وصلت الى ارض بصرى قريباً من الشام نزلت بالقرب من دير راهب ، فأطل الراهب على الركب ، وما ان وقع بصره على

رسول الله حتى خف الراهب الى ابي طالب يسأله :

ما يكون هذا الغلام منك يا اباطالب ؟

ابو طالب : هو إبني وولدي .

الراهب : لا يا اباطالب ما هو بابنك ولا ولدك .

ابو طالب : ولماذا وكيف علمت انه لم يكن كذلك ؟

الراهب : انه لا ينبغي ان يكون له والد حي .

ابو طالب : ولماذا وماالغاية من ذلك ؟

الراهب : لأنه على مواصفات تقتضي ان يكون هو نبي هذا الزمن ، وعليه فإحدى علاماته ان يموت ابوه .

ابو طالب : ما الذي تقصده من النبي ؟

الراهب : النبي هو الانسان الذي يأتيه الخبر من السماء فينبيء به أهل الأرض .

ابو طالب : أهل كل نبي يجب ان يموت ابوه ؟

الراهب : نعم حتى لا يكون لأي انسان أمر وسيطرة عليه حتى ولو كان ابوه .

ابو طالب : صدقت ايها الراهب ، ان لنا على تنبوء محمد دلائل ورثناها خلفاً عن سلف ، وهو قد مات ابوه وهو حمل في بطن امه .

الراهب : اذاً ما يكون منك يا شيخ الأبطح ؟

ابو طالب : هو محمد بن عبد الله اخي .

الراهب : صدقت يا ابا طالب ، واني انصحك ان ترجع بابن اخيك من مكانك هذا وإن ادى ذلك الى ذهاب اموالك وخسارتك في تجارتك ، فاني لا آمن عليه من دسائس الشرك ومكائد اليهود ، فانهم ان عرفوا منه الذي عرفته فلا يولون عنه حتى يلحقوا الأذى به ، بل يغتالونه بكل نشاط

وقوة ، ومن دون ما اختشاء أو حذر .

وبالتالي يصمم ابو طالب على العودة بابن اخيه مؤثراً الحفاظ عليه والاحتياط على حياته التي هي أثمن واغلى من كل نفيس على اي منفعة مادية ، واي فائدة يتصور انها تنتج عن تلك السفرة والتجارة . واخيراً اوى عنان راحلته وكر راجعاً الى الوطن .

وقد ذكر ذلك ايضاً الحلبي في سيرته ١/١٤٠ ، وذكره ايضا ابن سعد في طبقاته ، بل تعرض له كافة اهل السير في ترجمة النبي صلى الله عليه وآله وذكروا أيضاً ان ابا طالب حين وصل بالنبي الى مكة لازمه ملازمة منقطعة النظير ، حتى صار ينيمه معه في فراشه ، كل ذلك حرصاً على حياته واحتياطاً على سلامته من شرور المعتدين .

وهكذا يظل عم رسول الله مراقباً له متفقداً احواله ، لا يبارحه ليل نهار ، يقتفي اثره ويتبعه اتباع الظل ، حتى اذا بلغ اشده وقوى ساعده وامتلك القوى الدفاعية قلص ابو طالب تلكم الملازمة ليعتمد على نفسه بعد الله عز وجل ، ومع هذا ما استطاع ابو طالب إلا ان يرقبه عن كثب ويرصده من حيث لا يستشعر مدة غير قليلة الى ان اطمئن رضي الله عنه عليه .

ابو طالب وتجارة النبي

وترجح لأبي طالب ، ان يعرض السفر على رسول الله بتجارة يهيئها له ، فيسافر بها الى الشام مع القافلة ، ليطلع اولاً على عالم أوسع من العالم الذي يعيشه ، وليقف بنفسه على عادات العرب ومآثرهم ، ثم التجارة التي يؤمل ان تعود عليه بالخير الوفير والنعم الجمة . . . فكان منه صلى الله عليه وآله ان وافق على الفكرة ورحب بالسفر ، فصار ابو طالب الى إنجاز الأمر وتوفير أسبابه ولوازمه .

قصد خديجة بنت خويلد ، إذ هي اول مرأة ملية مثرية ، والناس كلهم يتجرون بأموالها وثروتها ، فعرض عليها فكرته وغايته ، فلم يجد منها الا الترحيب الحار والتقدير والإكبار . ثم صبت الأموال بين يديه ، وتركت الخيار له فيأخذ ما يشاء من غير حساب كرامة للزعيم الهاشمي وتقديراً لمحمد العظيم . فتناول قدراً معيناً وشكرها على شعورها الطيب نحوه ونحو ابن اخيه ، ثم خرج من عندها مودعاً بمثل ما استقبلته به من الحفاوة والتكريم ، بعد ان طلبت اليه ان يعلمها بساعة السفر لتجهز خادمها ميسرة ليكون بخدمة النبي مصطحباً اياه ، ليتولى ادارة شوؤنه ذهاباً واياباً .

عند ما تهيأت القافلة واستعدت للسفر اوصى ابو طالب بمحمد الأصدقاء والأحباب ، وارسل الى خديجة بعض غلمانه يشعرونها بتهيؤ القافلة ، فكان ميسرة على اهبة الاستعداد ، فالتحق بالنبي فور اعلامه ، فسايره ومشى الى جنبه ، وحين علمت بنت خويلد بحركة الركب ، إذ تتحفز متسلقة

السلم لتشرف من اعلى السطح على محمد لتلقي عليه نظرة الحنان واللطف التي شعرت بها ساعة مجيء ابي طالب ذاكراً لمحمد ، وبمجرد ان وقع بصرها عليه رأت الغمام يضلله من حرارة الشمس ويقيه لفح الهجير ، فيأخذ الحادث العجيب منها مأخذه ، فتتحقق ان لمحمد شأناً خطيراً ومكانة سامية في السماء فكان موضع اللطف الالهي والعناية الربانية .

وتستمر متوجهة نحوه حتى غاب عن بصرها ، فترجع الى مقرها لتزاول أعمال البيت ، إلا أنها تجد في قرارة نفسها أنها تحب محمداً وتوده وتكبره وتعظمه ، لا شيء غير أنه صفي الله ومهبط فضله وكرامته .

ولم تمض الليالي والأيام حتى بشرت بوصول القافلة ومحمد الى ضواحي البلد، فتعاود السطح لتنعم بنظرة الى محياه الكريم ، ولتستطلع قضية الغمامة ، فتبينت عين المنظر ، وتحققت نفس الحالة الأولى . فحمدت الله تعالى على سلامته ، وشكرته على وصوله موفور العزة والمنعة ، وطلبت اليه عز وجل أن يلهم محمداً رغبة الزواج منها ، لتتوفق لخدمته ويتسنى لها القيام بشؤونه واذا ماتم لها ذلك كانت هي السعادة العظمى والحياة الحرة الكريمة .

وتأتيها البشائر بربح المتجر مائة بالمائة ، وهي لا تزيد على اكثر من ان سلامة محمد هي أثمن من كل نفيس وغال ، واجل من جميع متع الحياة .

ولم تزل مصممة على هذا حتى اذا زارها ابو طالب ليرجع إليها ما أخذه منها والربح الذي تمخض عنه المتجر ، فما وجد منها إلا الإلحاح باهداء الأصل والفرع لمحمد العظيم ، ورجاء تكرر العودة فيما اذا صادف لمحمد مثل هذه السفرة مع فخر واعتزاز ، فلم يسع ابا طالب الا القبول والشكر والدعاء ، وتهيأ للقيام فرأى وقرأ من نفس خديجة شيئاً تحاول اظهاره وايقافه عليه ، لولا ما هناك من مانع الحياء ، فيجعلها تتلكأ في الحديث ، الأمر الذي أدى بأبي طالب ان يستفهمها الحال ويستطلعها عما يخالجها من

فكرة : . وبالتالي رأت أن تصارحه بما يدور في خلدها المتمثل برغبة الزواج من محمد صلى الله عليه وآله ان كانت هناك رغبة مماثلة ، وكل الغاية هي خدمة محمد وتوفير أسباب الراحة والهدوء لقداسته ، فما كان من عم الرسول الكريم إلا ان وعدها خيراً .

وكر راجعاً الى البيت يفكر في الموضوع يؤيده مرة ويفنده تارة اخرى ، فيجد ان المرجحات والمحاذير تتعارض وتتصادم لديه ، اذ تنهزم المحاذير أمامه الا واحداً منها يتأصل ويستحكم ، وهو كل ما يكون تفوق خديجة بالسن على محمد ، وهو من اختصاص محمد فقط وله وحده الاختيار ، فليعرض الأمر عليه اذاً ليبت فيه ويحكم بما يشاء .

وبعد ايقافه على القصة اخذت منه مقداراً من التأمل والتفكير ، واخيراً يرفع رأسه قائلا : يا عم لا ارى لكبر السن مزيداً من الأهمية ان كان الموضوع رائقاً من الجهات الأخرى . فاستشعر ابو طالب الموافقة ، واعتزم اتمام القضية ، وبعث الى خديجة من يبشرها .

ابو طالب يزوج النبي

اتجه ابو طالب نحو تهيئة أسباب الزواج ومعدات الفرح ، واول عمل قام به رضوان الله عليه هو أنَ قصد أهل خديجة واسرتها العربية الكريمة ، فوجد الإعظام والاكبار والتقدير والتوقير ، وما ان استقر به المجلس حتى فاوض الأهل والأقارب فيما يخص خديجة ومحمد رسول الله ، اذيهب الجميع معتزين فخورين بالشرف العظيم الذي سيحصلون عليه بمصاهرة بني هاشم ، ولا سيما بمحمد الصادق الأمين . . . وعندها خطب ابو طالب خطبة العقد ، فقال :

« الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل ، الحمد لله الذي جعلنا خيار الناس ، الحمد لله الذي جعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوجاً وجعلنا الحكام على الناس . ثم إن ابن اخي محمداً من لا يوازن به أحد من قريش إلا رجح عليه براً وفضلا ، عقلا ورأياً ، وانه وان كان في المال مقلا فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة ، وله رغبة في خديجة ، كما لها مثل ذلك ، وما احببتم من صداق فعلي اداؤه ، ولمحمد والله بعد نبأ شايع وخطب جليل » .

ثم قدمت التشريفات وتفرق القوم ، ورجع ابو طالب فصار إلى اعداد المهر ومعدات الوليمة ، حتى اذا ماتم له كل شيء صنع ليلة الزفاف وليمة فخمة ضخمة لم يسبق لها في تاريخ الولائم العربية مثيل ابداً ، وكانت ليلة مباركة عمت الفرحة فيها الجميع ، ولا سيما بني هاشم ، ولاسيما ابا طالب .

يحدثنا الشبلنجي في نور الأبصار ص ٤١ في بيان تعداد أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : اول زوجات النبي اللواتي دخل بهن خديجة بنت خويلد ، وكان تزوجه بها بارشاد من عمه ابي طالب ، وكان صداقها اثني عشر أوقية ونصف الأوقية من الذهب الخالص ، دفعه ابو طالب من خالص أمواله .

اقول : لقد عرفتنا الوقائع وأوقفتنا الأحـداث على ان رسول الله صلى الله عليه وآله عاش مع السيدة الكريمة ام المؤمنين خديجة عيشة هادئة رضية ، كما وجد منها المرأة المحبة الوفية والمخلصة الأمينة ، لقد شاركته في السراء والضراء ، وآثرت راحته على راحتها ، آثرته بثروتها التي جلت عن الإحصاء والتعداد ، آثرته بكل ما تملك حتى صارا ينامان على جلد شاة ، فهو كل الموجود وكلما يدور عليه سور بيتهما الكريم . . كل ذلك ولم يخطر ببالها يوماً ما ان تسأل الرسول عن شيء ابداً ، لعلمها بأنه صلى الله عليه وآلـه صرف تلك الثروات في سبيل الله ومصالح الاسلام ، وكان من جملة موارد الصرف اعاشة بني هاشم سني الحصار والاعتقال . ويقدر لـها ان تلد بعد اليأس للنبي العظيم الطيب والطاهر والزهراء ، ولم تلد احدى زوجات النبي إلاها ، وكان نسله صلى الله عليه وآلـه وسلم منها ، لذا قال : ان ذريـة كل نبي من صلبه إلا أنا فذريتي من ابنتي فاطمة وابن عمي علي بن ابي طالب .

وبالفرحة ابي طالب حين يتبين ارتياح ابن اخيه العائلي وصفاء جوه المنزلي ، ولا سيما حين يطلع على احوال خديجة معه من السهر على المصلحة والتصدي بصدق واخلاص عميقين لجلب بواعث الدعة والاطمئنان والترفيـه والاستقرار ، ما ان كان لها الى ذلك سبيل . فينكفيء الى حمد الله وشكرانه على نعمائه وآلائه .

ابو طالب وبدء الدعوة الاسلامية

تشاء ارادة الله الحكيم الاشاءة التي لاراد لها ولا يمكن ان يقف في طريقها أي ارادة أو اشاءة .. نعم تشاء ارادة الله العظيم ان يجهر رسول الله بنبوته ، ويعلن عن بعثته ورسالته ، ولا سيما بعد ترديد السماء « وانذر عشيرتك الأقربين » . فلم ير صلى الله عليه وآله وسلم بدأً من ان يفاتح عمه الزعيم ابا طالب في الأمر ، ويطلعه على جلية الحـال ، اذ هو رضوان الله عليه فقط موضع ثقته ومحط أسراره ، كما هو اكبر عامل للنهوض به نحوالغاية ، واجل دعامة يمكن أن يرتكز عليها ويعتمد على ما يراه من آراء موفقـة وخطط سديدة .

ففاتحه صلى الله عليه وآله وسلم ، فتأمل قليلا ثم رفع اليه طرفه وقال : بأبي انت وامي يابن أخي ، مر تطع ، واحكم انفذ انشاء الله .

فقـال : اريد فعلا احضار أربعين نفراً وانت منهـم يا عم من الأهل والأسرة .

فأجابه الى ذلك وهو يردد « سعياً على الرأس لا سعياً على القـدم » الآن احضرهم يابن أخي .

فنهض رضوان الله عليه وعاد ومعه القوم ، فقال رسول الله لعلي : احضر الطعام ، فأحضره فأكلوا وشربوا ، والطعام على حاله وكأنه لم تمسسه ايديهم ولم يتناولوا منه لا قليلا ولا كثيراً .

وما ان استشعروا هـذه الكرامة حتى صار بعضهم ينظر إلى بعض

نظر المغشي عليه من الموت، وهبوا جميعاً للخروج ، وبعضهم يقول للآخرين : هيا هيا لنخرج لقد سحرنا محمد . فانفضوا ولم يستفد منهم رسول الله شيئاً ، ولم يفهموا منه معنى .

ولما صار اليوم الثاني أمر النبي علياً ان يجمع له القوم ثانيسة ، فبادر عليه السلام الى احضارهم ، فأحضرهم . وبعد أن اخذ كل واحد منهم مجلسه إبتدرهم رسول الله قائلا : يا قوم ارأيتم ان اخبرتكم ان العدو ممسيكم او مصابحكم اكنتم تصدقوني على ذلك ؟

قالوا : نعم نصدقك وانت فينا الصادق الأمين .

قال : يا قوم إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، اني قد جئتكم بأمر إن اطعتموني عليه دانت لكم العرب والعجم ، تشهدون أن لا اله الا الله واني رسول الله اليكم ، أيكم يؤازرني على هذا الأمر على ان يكون اخي ووزيري وخليفتي من بعدي ؟

وما ان سمع القوم ذلك حتى احجموا واطرقوا برؤوسهم إلى الارض كأنهم يساقون الى الموت .

والى هنا نعطي المجال للتاريخ ليحدثنا عن لسان امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، لأنه شاهد عيان ، فيقول عليه السلام : ردد رسول الله دعوته ثلاث مرات والقوم سكوت كأنما على رؤوسهم الطير ، فقمت أنا وكنت آنذاك اصغرهم سناً واضعفهم جسماً ، فقلت : انا يا رسول الله اؤازرك على دعواك واناصرك على اداء رسالتك . وعند ذلك اخذ برقبتي وقال :

يا قوم هذا علي اخي ووزيري وخليفتي من بعدي فاسمعوا له واطيعوا .

أما ابو طالب فانه حين رأى إحجام القوم ووجومهم قام فتكلم فقال فيما قال :

أي محمد ما احب الينا معاونتك ، واقبلنا لنصيحتك ، واشد تصديقنا

لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وانا واحد منهم ، فلا ازال امنعك واحوطك ، فامض لما امرت به .

فقام ابو لهب فقال : يا قوم هذه هي السوءة ، هذه هي السوءة ، يا قوم خذوا على يديه من قبل ان يأخذ غيركم .

فقام ابو طالب فقال : صه يا ابا لهب ، والله لنمنعنه ما بقينا .

ثم التفت الى النبي وقال : قم يا سيدي ، قم يا محمد ، تكلم بما احببت ، وبلغ رسالة ربك فأنت الصادق الأمين .

سمع القوم هذا فقاموا مغضبين ، تعلوهم الكآبة ، وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت . . كل ذلك من حيث انحياز ابي طالب الى جبهة محمد وحزبه ، والمصارحة باتباعه وتصديقه . واقل نتائج ذلك الاتباع والانحياز ، هدر القيم والاطاحة بالكيان ، وبالنهاية القضاء على الآلهة والمعبودات .

ولكن ثمة بصيص من أمل حسبوا أنهم ينفثون منه الى تعكير الجو بين ابي طالب ومحمد من جهة وإلقاح الفتنة بين علي وأبيه من جهة اخرى ، واذا ماتم لهم ذلك جلسوا على التل للفرجة ، وبالتالي يتمكنون من شل حركة محمد وخنقها في مهدها ، ويقضون على محمد وبه ينتهى كل شيء .

أقبلوا على ابي طالب يذرفون دموع التماسيح ، وتسلحوا بالخداع الماكر ، وأظهروا تألمهم لقضية تأمير محمد لعلي مع وجود ابيه البطل والعظيم المفضل : أما رأيت يا شيخ الابطح كيف امرك محمد ان تسمع لا بنك وتطيعه ، أما ان ذلك هوان لا يمكننا معه الصبر والسكوت ؟

ولكن ابا طالب العظيم لم يكن ليخفى عليه حقد القوم وبغيهم ، كما لا يتصور في حقه أنه يمكن ان تنطلي عليه محاولات الشرك واحابيلهم الهادفة الى خلق الجو المعاكس بينه وبين ابن اخيه او بينه وبين ولده علي ، لذا لم يعر طنطنة الذباب ولا نقيق الضفادع ولا النفثات المحمومة ولا قليلا من

الأهمية ، ما دام محمد صادقاً في دعواه حكيماً لأمره كما لا يخدش في كرامته وزعامته كونه مأموراً لولده الصغير منقاداً اليه ، ما دام ذلك صادراً عن إرادة إلهية وتدبير سماوي كريم .

ولم يحدثنا التاريخ كما لم تنقل لنا كتب السر أن عم النبي الزعيم ابا طالب تأثر للحادث ، او تألم للتأمير آنف الذكر ، أو تعرض للعتاب لا اقل . فكل ذلك لم يكن ، بل الآثار والشعائر تؤيد رضاه بفعل الرسول صلى الله عليه وآله ، واقرار له ولنا من ناصع الأدلة كما سنذكر انشاء الله على امر أبي طالب ولده علياً باتباع النبي ومؤازرته لا يحصى ، فمن ذلك قوله: الزم محمداً مهما استطعت ، فانه لا يدلك إلا على خير ولا يهديك الا سبيل الرشاد .

وتواتر عنه قوله :

ان الوثيقة في لزوم محمد فاشدد بصحبته علي يديكا

ومهما يكن من أمر : إن إنحياز أبي طالب إلى معسكر النبي صلى الله عليه وآله ، أحدث البلبلة والضجة في صفوف الشرك ، كما احدث الاستياء العام في جموع الكفر .

ومن هنا وهنالك صمموا على التكتل والاتحاد ومحالفة اليهود ليكونوا يداً واحدة على أبي طالب كي يقهروه على التنازل ويضطروه الى التخلي عن رسول الله ، او يموتوا جميعاً قرابين للأصنام والأوثان .

وبطبيعة الحال ان هذه التكتلات والتجمعات لاتكاد تخفى على ابي طالب كما لا تعزب عن تفكيره نتائجها السيئة ورواسبها الدنيئة اذا لم تتخذ السبل لتكتل مماثل او اقوى يرهب العدو فيوقفه عند حده ، ولا اقل من تكثير عدد الأعوان والأنصار والحلفاء ، فيبدو لأبي طالب أن يكون اول عمل يقوم به هو الاجتماع بالهاشميين بصورة عامة واحاطتهم بمنويات القوم وما يبيتونه

للمجتمع الهاشمي من الدمـــار والافنـاء ، ولاسيما محمد محبوب الجميع ، وما كان من الهاشميين الا ان يلبوا نداء زعيمهم ورئيسهم مهما كانت التضحيات والخسائر والمخلفات ، وهم طوع اشارته وتوجيهاته .

وصار هو بنفسه ـ اعني ابا طالب ـ الى تحري جركات القوم وترصد ما يدور في النوادي والمجالس من مؤامرات وتصميمات عدائية وخطط جهنمية حتى اذا وقف على خيوطها تتبعها واكتشفها ففضحها ووقف أمامها وقفة الأسد المشبل ، فيصرخ عالياً : اني بالمرصاد لكل من تسولت له نفسه ايذاء محمد ، او يدنو منه بمساءة مادمت حياً وسيفي بيميني ، ثم ليعلم ان ابن اخي محمداً لا يريد أن يفرض مبادئه بالقوة والسيف ، بل هو كالتاجر الدوار بتجارته ، ما ان وجد لها راغباً باعها والا حمد الله على كل حال .

وانطوى على نفسه الى ان يحدث الله له بعد ذلك أمرا ، وبإلقى الله سبحانه وتعالى الذعر والخوف في قلوب المشركين من سطوة أبي طـالب والأسرة الهاشمية ، الأسرة التي ألهبها أبو طالب قوة وحماساً وبأساً وشجاعة وترك كل فرد من أفرادها يتوقد ثورة واقداماً . كما خلق منهم قوماً مستميتين لا يرون الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين الابرماً ، وما ان شاهد الشرك ذلك حتى خافوا نشوب حرب مدمرة تطيح بالأرواح والآلهة ، ثم لاينفعهم اذ يندمون .

وأخيراً وبعد اجتماعات ومداولات قرروا أن لا يعملوا بصورة علنية على مقـــاومة ابي طالب ومحمد وايذائهما ، فالتكتم هو الأولى في الأوقات الحالية ، وانتهاز الفرصة بانفراد محمد واتخاذ طرق الحرب الباردة انفع في صد الاخطار .

وعليه تم التصميم وعقدت النية ، ويلاقي هذا التدبير من الجماعة كل ترحيب وتقدير ، فالتذرع بسحر محمد وشعوذته وجنونه وكهـانته هو اكبر

ذريعة لتحطيم مبادىء محمد وشريعة محمد، وبنفس الوقت نصر للمعبودات وعزة للآلهة . . .

وربما تلاقي هذه الهمسات الحاقدة، والنفثات المحمومة بعض الرواج، ونوعاً من القبول والتصحيح، إلا انها تنهار أمام دعوة الحق وثورة العدل، ولم تفلح بالاستمرار والدوام ما دام هناك قدرة وقوة تعملان في الخفاء، فتنفذان الى المناوي المحاطة بسور من الكتمان المنيع، فتكشفان كل ما هو مبيت ومصور، فتوحيه للزعيم الهاشمي فتمائه استئساداً ونخوة، وتحفزه للأخذ بعضد محمد مطلا به على رؤوس الشيوخ والأبطال في اعظم نواديهم المزدحمة، فينقض عليهم انقضاض الصقر بلاذع الخطاب وقريع المقال :

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقرمنك عيونا
ودعوتني وعلمت انك صادق ولقد صدقت وكنت ثم امينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى او سد في التراب دفينا

فيترك القوم حيارى تتقاذفهم الأمواج فتعود بهم الى الحضيض، وتسير بهم في الطريق الشائك المتعب والسبل الملتوية، وسيسمعهم أبو طالب ماهو أشد عليهم من وقع السيوف، واشق عليهم من لهب النار وضرب الحديد، ما دام ساتراً وراء محمد يسنده ويؤازره، فيلزمهم والحال هذه ان ينكفئوا إلى الآلهة مستجيرين ولا ئذين، يثيرون فيها روح الثأر لعروشها المهددة بالنقض والنسف، فيرجعون وكأنها قد ألهمتهم الصمود، وحببت اليهم مماكرة أبي طالب ومخادعته بكل وسيلة وحيلة .

فيعمر النادى ويجتمعون ويكثر الحديث، واخيراً يرون أن يقدموا على أبي طالب بعمارة بن الوليد . . . عمارة الذي هو أنبل شخصية عربية عندهم واجمل شاب في قريش يجمع كثيراً من صفات الكمال وخصال الخير، فيستبدلونه

بمحمد شاب مكان شاب ، ومتى ما كان لهم ذلك كان الفتح في جانبهم والرشد في صالحهم ، وتفننوا في قتل محمد وتلذذوا بالتمثيل به .

وما ان عرضوا الفكرة على الزعيم الهاشمي حتى انتفض انتفاضة الأسد ، وغضب غضبة الليث ، وقال : والله ما انصفتموني ايها الحمقاء ، تباً لكم أيتها الجماعة ، وسحقاً وتعساً لعقولكم أيها الجبناء الأغبياء ، أتريدون مني ايها الصافون الوقحون ان اعطيكم ولدي وروحي لتقتلوه وتنكلوا به وتعطوني ابنكم أربيه لكم ، فمالكم كيف تحكمون ؟! اترجون مني ان استبدل محمداً بعمارة بن الوليد ، فوالذي نفسي بيده لو أعطيتموني العالم كله لما استبدلته بظفر من رجل محمد ، فإليكم عني ولا تكلموني والاعلوت رؤوسكم بالسيف...

فنهضوا من المجلس مهانين محقرين يودون ان تنخسف بهم الأرض او يأتيهم الموت من مكان سحيق ، باءوا الى اهليهم بالخزي والعار وفشل المحاولة .

* * *

اية فكرة احط قدراً واوطأ درجة من هذه الفكرة ، واي رأى اسخف واقذر من هذا الرأي ؟ ؟ ! .

فكرة ورأي يصدران من أناس يزعمون الثقافة ، ويدعون التفوق في المجالين العلمي والأدبي ، ويتمشدقون بالشمم والسؤدد والرياسة العامة على العرب ـ كل العرب ـ ويفضلونهم نبلا وعقلا سياسة وحزماً . . . وأخيراً تسفر آراؤهم عن مثل تلكم النظرات الحاقدة والنظريات المخبولة التي يترفع عن مثلها صغار الأطفال وضعاف النفوس .

وكيف يا ترى يرضى الأطفال والضعاف لأنفسهم أن يقدموا على مثل أبي طالب الذي يفتدي محمداً بأولاده ونفسه بعمارة بن الوليد ، أوأن حب اولئك للآلهة أو حبهم للزعامة الجاهلية هو الذي أعماهم وأصمهم ، والحب في الغالب يعمي ويصم ، وهو وحده يريهم جمال الأفعال وحسن الآراء ، فينبعثون

نحوما يتخيلونه من حيث يشعرون ولا يشعرون ، غير مكترثين بوخيم العواقب ولا بالنتائج غير المحمودة .

وعلى يد من رجوا ان تنجح مؤامرتهم ويفلح خداعهم ومحاولتهم ؟! على يدي ابي طالب الذي يرى ان الحفاظ على حياة محمد اقدس واجب ألقيت مسؤوليته على عاتقه ، واجل مشروع يفرض عقله عليه حمايته وصيانته ؟! اذاً لتصغر النفس والأولاد والنفائس ، فهي اقل الفداء لمحمد ما دام محمد رسولا لله ومبعوثاً من قبله عز وجل . . .

وجرياً على سيرة النبلاء وطريقة العقلاء فيما اذا لم تلاق أفكارهم القبول والترحيب فانه يتحتم عليهم عدم ارتياد النظائر والأشباه ، وعدم التفكير بالأمثال والمقاربات ، حرصاً على البقية من الكرامة والمكانة . ولكن أنى لهؤلاء أن يركنوا إلى كرامة ويعتنوا بسيرة مستحسنة .

لذا نجدهم وقد عاودوا الكرة وقاربوا الفكرة وكونوا وفداً ليقابل الزعيم المهيب يشكون النبي ويريدون منه ان يحدد صلاحيته ويعرقل سير قافلته وحركة عجلاته ، فيتقدم ابو جهل رئيس الوفد وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو سفيان صخر بن حرب بن أمية ، وابو البحتري بن هاشم ، والعاص ابن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج .

واقحم ابو جهل نفسه بالكلام ، فقال : يا زعيم مكة ان ابن اخيك محمداً قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا الذي نحن عليه ، فإما أن تكفه عنا وعن شعائرنا ومعبوداتنا ، وإما ان تخلي بيننا وبينه .

فما كان من عم النبي العظيم إلا ان قال : سأجتمع بمحمد فأعرض عليه ماتطلبون ، والأمر له والحكم يخصه ، فانتظروا إني معكم من المنتظرين .

فنظر القوم الى بعضهم نظرة اليأس والقنوط ، ونفضوا من حوله وقد اضافوا فشلا جديداً الى قائمة المحاولات السابقة الفاشلة .

ويجتمع ابو طالب بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ليستشعر عزمه وتصميمه، وليتضح موقفه هو شخصياً إن رفض محمد مقررات قريش وطلباتهم ؛ وعندها يجهش صلى الله عليه وآله بالبكاء ويألم للحادث ويقول لعمه : والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك .

فيحدث هذا الانكسار والاستعبار والتصميم الحار في نفس أبي طالب صدمة قوية وانهياراً عميقاً ووخزاً مثل حد الشفار ، الأمر الذي لابد أن يكون معه عرض جميع القوى والطاقات ، واستعراض كل ما لديه من أمكانات وقابليات واسعة النطاق ليهدأ محمد وليفرح بنفس الوقت ؛ وليكون على اطمئنان من ان ابا طالب لا يمكن ان يتركه وشأنه ابداً ، ولا يمكن ان يتخلى عنه ولا لحظة واحدة أبداً ، ويستحيل ان يسلمه عند الوثبة ابداً . . . ولا ولن يقول له « إذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » .

ولا بد ايضاً من تشجيع محمد وبث روح الحماس فيه والاستبسال والمضي قدماً نحو الغاية والهدف الذي كانت بعثته من أجله ، غير هياب لما يعترض طريقه من عقبات ومصاعب ، وهو الناصر والمؤازر له بعد الله تعالى وكفى . . . فينشط رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتقوى عزيمته ، فيسترسل في تبشيره ويواصل دعوته وتبليغه معتمداً على الله العظيم اولا وعلى مساندة عمه الزعيم ثانياً .

* * *

أما القرشيون والأتباع والحلفاء الحاقدون فإنهم كادوا يتميزون من الغيض ، وكادت قلوبهم أن تتقطع حرات وآهات كلما شاهدوا محمداً جاداً في أمره داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد تحدى بواسطة عمه كل الآلهة المقدسات وكل الزعامات والحريات . ومن الممكن بالتالي القضاء النهائي ، وتلك هي الخسارة التي لا تعوض ، وذلك هو الخسران المبين .

فليس لهم اذاً إلا معاودة الآلهة والاستجارة بحضرتها من الشبح المخيف الذي يلاحقهم حتى في فترات الاستراحة واوقات النوم ، الشبح الذي صار بانحيازه الى محمد سبباً - بل من اكبر الأسباب - في تحطيم الكيان الجاهلي وسحق السلطان الوثني ، اللذين عاشتهما الناس قروناً وقروناً .

ويرجعون وهم يحملون بين طياتهم فكرة ضرب الحصار على ابي طالب في شعبه ، ونية اعتقاله في محلته ، وبذلك تحدد صلاحية ابي طالب وتتقلص دعوة محمد ويرقب فيما بعد ماذا تكون النتائج وما سيسفر عنه الاعتقال وفرض الاقامة الجبرية ، فقدر لهم في هذه المرة ان يفلحوا وينجحوا ، فيتم فرض الحصار ويتحقق حكم الإعتقال .

ابو طالب والشعب

وما ان بلغت قضية الحصار إلى اذهان الهاشميين الأفذاذ حتى نفروا أجمعين الى الشعب ، مستأثرين حياة الاعتقال الرهيبة ومرارة الحصار الشائنة مع الزعيم ابي طالب على الحياة المرفهة والعيشة الرضية خارج نطاق الشعب ، الأمر الذي لم يجد من نفس الزعيم نوعاً من الاستحسان ولا قليلا من الرضا بغية تحمل الأعباء بنفسه ليس إلا ، إذ هو كل الغاية وهو وحده المقصود أولا وبالذات ، إلا ان الأبطال الهاشميين ابت وابت بإلحاح إلا المقام معه وربط المصير بالمصير مهما كانت النتائج ، ثم الحياة بحياته والممات بمماته .

ويبدو للزمر المعادية بعد إخضاع اليهود والمجرمين على الانطواء تحت اللواء وتحت شعار العدو المشترك ان يكتبوا صحيفة توقع من الرؤساء واهل النفوذ ، بعد ان تملأ مواد وبنوداً كل سداها ولحمتها التضييق على ابي طالب والتشديد في أمر الحصار ، وان لا يفك إلا بتسليم محمد أو يموت ابو طالب ومن معه ، كما يجب ان تعلق الصحيفة في جوف الكعبة ، فذلك أبعد لها عن التحريف وعبث الأيدي المناوئة .

أما مواد الصحيفة فهي كما يلي :

١ ـ يفرض الحصار على ابي طالب في شعب ابي طالب .

٢ ـ يمنع منعاً باتاً إيصال المواد الغذائية اليهم بكل صورها وألوانها .

٣ ـ يمنع الدخول اليهم والخروج منهم نهائياً .

٤ ـ يحظر التزويج من آل ابي طالب ابداً .

٥ - يحظر التزوج من آل أبي طالب ابداً .

٦ - يمنع ايصال الماء أو كل مايع الى آل ابي طالب منعاً باتاً .

٧ - يحظر التعامل كلية مع آل ابي طالب .

٨ - يمنع بتاتاً إيصال الفرش والغطاء والكساء الى آل ابي طالب .

٩ - لا يفك الحصار عن ابي طالب الا ان يسلم محمداً أو يموتوا كلهم جوعاً وعطشاً .

١٠ - تعلق الصحيفة في جوف الكعبة .

١١ - يعاقب كل من يحاول الإخلال بأي واحد من الشروط .

١٢ - يجب أن يخصص جماعة يرابطون في منافذ الشعب ليمنعوا كل من يحاول التسلل من بني هاشم او اليهم .

١٣ - على قريش تنفيذ كل ما جاء في الصحيفة حرفياً .

التواقيع : ابو جهل المخزومي ، ابو سفيان صخر بن حرب بن أمية ، العاص بن وائل ، ابو البحتري بن هاشم ، شيبة بن ربيعة ، عتبة بن ربيعة ، ابو لهب بن عبد المطلب ، منبه بن الحجاج ، عمرو بن العاص ، سعد بن ابي وقاص ، نبيه بن الحجاج ، عبد الله بن ربيعة ، الحرث بن هاشم المخزومي ، صفوان بن أمية ، سهيل بن عمرو ، حويطب بن عبد العزى ، الوليد بن عقبة .

وهكذا تطوى الصحيفة وتعلق في جوف الكعبة ، وظلوا يرقبون الثمرة والنتيجة المرضية بندم ابي طالب وتسليم محمد ، وهناك تعود الحياة والنصر ، كما تفوز الآلهة بالظفر والحفاظ على الكيان والمعنويات .

* * *

أما ابو طالب والهاشميون فقد وطنوا انفسهم على تحمل أعباء الإعتقال وأثقال الحصار مهما كانت شاقة ومؤلمة ، حتى ولو أدت الى الموت جوعاً وعطشاً . ولا بد في كل ذلك من التسليم لأمر الله وقضائه ما دام يهدف إلى

الحفاظ على حياة رسول الله والاحتياط على وجوده الكريم .

ويطول الإعتقال فيخطر على بال عم النبي الكريم سأم الهاشميين وضجرهم فيندفع تلقائياً الى تخفيف الوضع عليهم وتذكيرهم برعاية الله وعنـايته ، ويلزمهم التصبر الى ان يقضي الله امراً كان مفعولا ، كما يلزمهم بأن لايشعروا رسول الله الاستياء والسأم ، فينضاف الى ما يحسه ويستشعره من أليم الحصار وعذابه الخانق ما يعكر عليه صفوه ويزيد في قلقه وانعدام استقراره .

ويستمر الحصار ثلاث سنين عجاف ، لاقى فيها ابو طالب الأمرين : لاقى فيها الذل والهوان ، لاقى فيها من المصاعب والمصائب ما تطأطيء لهوله الشوامخ وتنحني لفضاعته الجباه . . .

لاقى كل ذلك بصبر وثبات ، لم يكن ليستعين إلا بالله ولا يأمل الفرج الامنه عز وجل ، ومنه وحده يستمد العون والرشاد والتسديد والفلاح .

وبيمن دعائه رضي الله عنه قيض الله لإنعاش الهاشميين في تلك الأزمات الحرجة حكيم بن حزام بن خويلد ابن أخ خديجة بنت خويلد ، فصار يوصل مقداراً من المواد الغذائية الى ابي طالب تحت الخفـاء ، وبنوع من التأثير الخارجي او الارشاء في بعض الأحايين ، ولأموال خديجة كل الأثر في انتشال الهاشميين من الموت المحتم والحرب الباردة .

* * *

ولم يكتف الشرك والكفر بمـا صدر منهم في حق الزعيم الهـاشمي أبي طالب ، بل راحوا يحاولون اغتيال رسول الله ، بل حاولوه فعلا في اكثر من مرة ، لولا أن يلقي الله تعالى في روع ابي طالب ان يغير مجلس الرسول ومكان منامه بين حين وآخر حذر الاختطاف والاغتيال .

وكم من مرة اقام ولده علياً من منامه فأنامه مكان رسول الله صلى الله عليه وآله وانام النبي مكانه ، يستهدف من وراء العملية هذه إخفـاء

مقام النبي ومكانه حتى لا يستبين فيستهدفه العدو .

أما علي بن ابي طالب فإنه فرح بما كان يعمله الوالد الحكيم معه من تعريضه للسيوف والخطر، ما دام كل المبتغى هو الحفاظ على سلامة محمد الحبيب.

قال ابن ابي الحديد : وربما داعب علي أباه على اثر ذلك بما حاصله : مالي اجدك يا ابتاه تعرضني للموت المرة تلو الأخرى، وكأني هين عليك ؟؟ فما كان من عم الرسول إلا أن يجيبه بالحقيقة ويصارحه بالواقع الذي يحمله بين جوانحه ، فأنشأه :

بني اصبر فان الصبر أحجى   كل حي مصيره لشعوب
قد بذلنـاك والبلاء شديد   لفداء الحبيب وابن الحبيب

حقاً انها الحقيقة المكشوفة والواقع الذي لا يحتمل المجاملة والمماراة، انها الحقيقة والواقع وكفى، انها الحقيقة والواقع اللذان يبتني عليهما كيان وجود الزعيم الهاشمي ، الحقيقة والواقع اللذان هما كل الداعي الى الزهد بحياة علي التي هي نسخة طبق الأصل لولا النبوة من حياة محمد العظيم . . .

والحقيقة والواقع هما كانا كل السبب في تحفز علي عليه السلام الى إشعار ابيه الكريم بما يختلج في نفسه من التصميم على وقاية محمد بآخر قطرة من الدم وآخر لحظة من الحياة، ولم يكن ذلك بالشيء الذي يستجده علي ، بل هو أمر عاهد عليه الله عز وجل من أول يوم قد ادعى رسول الله فيه النبوة واظهر فيه البعثة ، ثم انشأ :

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد   ووالله ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني أحببت أن ترى نصرتي   وتعلم اني لم ازل لك طائعا
سأسعى لوجه الله في نصر أحمد   نبي الهدى المحمود طفلا ويافعا

* * *

أقول : إن هذا من عم النبي وكافله لأعظم تضحية عرفتها الدنيا ،

واخطر مفاداة ظهرت على مسرح الحياة ، واجل تفان سجله التاريخ في عالم التفاني ، لذا لم يعرف أحد من لدن آدم وحتى اليوم رجلا يملك كما يمتلك ابو طالب من المكانة والسيادة وولاية الكعبة وسقاية الحاج ووفادة الزائرين ـ الى آخر ما هنالك من صفات الخير وكرائم الخصال ، وهو ابن هاشم الذي أقام الدنيا وأقعدها جوداً وكرماً نفسية وشخصية .

ويزهد بكل ذلك وينصاع الى محمد الصغير ، محمد اليتيم الذي قد تربى في حجره وترعرع في بيته وتحت رعايته وحمايته ، ثم لم يكفه كل ذلك دون ان يفديه بنفسه ثم بولده ونفائسه !! .

لا ، لا يمكن ان يتصور هذا بالنسبة الى من يماثل ابا طالب ابداً . الا اللهم ان يكون ذلك بارادة الله تعالى ، كما هو الحال بالنسبة الى ابي طالب ، والا فالعاطفة والرحم مهما أثر فهما لا يبلغان الى ذلك الحد الذي بلغه ابو طالب رضوان الله عليه .

ولو كان لهما كل الأثر والفعالية لكانا يعملان عملهما بالنسبة الى علي ، فلا يدعان مجالا لتقديم الغير عليه . او جعله فداءً وقرباناً لمحمد ابن عم علي عليه السلام .

إذاً والحالة هذه لا محالة من أن تكون صلة القربى وأواصر الرحم بعض الدواعي ، أما الجزء الأخير المحقق لوجود العلة هو نبوة محمد ورسالته ، وهما خاتمة المطاف ، وهما اللذان ينبعث عنهما ابو طالب مؤيداً لرسول الله وناصراً له . . . وأخيراً يفديه بنفسه وولده ، وهو يرى التقصير ويستشعر الحاجة الى الازدياد من التشمير .

وليس لقائل أن يقول : اذا كان علي يمثل رسول الله الا في النبوة فليس من الانصاف بعلي ان يزهد بحياته لحفظ حياة محمد ، اذ على الفرض لا بد وأن يتحقق محذور الترجيح من دون مرجح عنده ، وهو ممنوع عقلا وينافي

شأن ابي طالب ان يصدر منه ذلك .

لأنا نقول : ان عم النبي الكريم لم يخرج على طريقة العقلاء ، ولم يشهر السلاح في وجه القواعد أبداً ، بل هو على ضوئها يسير وفي فلكها يمشي وعلى رحاها يدور ، وما تقديم محمد على ولده إلا سعياً وراء المثل العقلائية وجرياً على إثر القواعد ، لأهمية محمد لأنه نبي هذه الأمة ، والنبي يجب تفاديه بالنفس والأولاد ، بل بالأمة كلها ان اقتضى المقام ذلك .

وقولهم المأثور « يجب تقديم الأهم على المهم » هو اساس عمل ابي طالب رضوان الله عليه ، وهو الذي كان ينظر من زاويته وواجهته الى التقديم والتأخير فإنه رضي الله عنه لاحظ حياة محمد فوجدها هي الحجر الأس لحياة الأمم والشعوب والأجيال المتعاقبة ، وهي غيرها في ابي طالب وابنه علي ... لذا احتفظ بتلك وفدى هاتين ما دام الجمع غير ممكن والحفاظ على الجميع غير مقدور .

فجزاك الله يا عم رسول الله خير جزاء المحسنين ، وسلام الله عليك ورحمته وبركاته .

وتتكثر النوائب والمصائب على ابي طالب ، ويحاط من جميع جهاته بالآلام والأحزان وأسوار من الهموم والقلق ، لاستطالة مدة الحصار وجحيم الاعتقال ، اذ يفاجئه الرسول صلى الله عليه وآله ببشارة الله عز وجل ، تبدو منها أمارات الخلاص وشارات النجاة والسلامة ، تتمثل البشارة بالوحي الإلهي الناص على انه عزوجل قد أرسل الأرضة على الصحيفة المشؤمة فلحستها عن آخرها إلا ما كان من « باسمك اللهم » ، وحينئذ ينشط ابو طالب ويثب وثبة الأسد ، فيستفهم ثانية ليتأكد النبأ : الله عليك يا بن الأخ أربك اطلعك على ذلك ؟ فيجيبه : نعم يا عم ربي اطلعني على ذلك .

فيتجه حين ذاك الى ملابسه وسيفه ثم يخرج مستأسداً مغضباً وتبعه نفر من اهله وذويه .

ابو طالب يفك الحصار

قويت إرادة عم النبي ، واشتد عزمه وحزمه ، وفك الحصار ، وخرج وقد حف به بعض أشباله .

وكلما مر بملأ من المشركين والمنافقين المجرمين هالهم منظره واستبساله ، حتى اذا دخل البيت الحرام فلم يسع النـاس إلا ان قاموا إجلالا وإعظاماً لهيبته ، ظلوا كذلك حتى انتهى من طوافه واخذ مكـانه الخـاص به من جنب الحجر .

جلس القوم ، واخذ كل مكانه وهم من الاستغراب على اشده ، مستكبرين هذا التحدي السـافر الفضيع ، ولكن من الذي يجرؤ على الاستفهام والتعرف على الدوافع ؟ فليس لهم اذاً إلا إلتزام جـانب السكوت والصمت ، حتى كادت ان تنفطر المرائر وتتمزق القـلوب ، الأمر الـذي استلزم ان يقحم ابو جهل نفسه في الكلام ، فقال والدهشة والرعشة أسقطتا إهابه :

لعلك ايها الرئيس قد آن لك أن ترجع عما انت عليه من التعصب لمحمد وملازمته ، وجئتنا لتفاوضنا في هذا الشأن ؟ ! .

فقال رضي الله عنه : لا ولا كرامة لك ، لا ولن أتخلى عن محمد أبداً ما دمت حياً . نعم كل ما في الأمر أن ابن اخي أخبر عن ربه أنه عز وجل قد سلط الأرضة على صحيفتكم الظالمة ، فأكلت كل ما فيها من كتابة الا ما كان من « باسمك اللهم » ، فـان كان الأمر كما يقول فلا والله لا نسلمكم اياه ولا نتركه حتى نموت عن آخرنا دونه ، وان كان الأمر على خلاف ذلك نرى أمرنا ورأينا في تسليمه إليكم .

فتأخذ القضية بمجامع القلوب ، وتأخذ الوفير من تعاليق القوم وحواشيهم وأخيراً يطالبون من عم النبي أن يسمح لهم بالإنزواء الى بعض جهات الجامع للمشاورة والتداول في الحديث .

ثم انحازوا ، وبعد أخذ ورد وتحبيذ وتفنيد قد استقر رأيهم على إنزال الصحيفة والإطلاع على مدى صحة دعوى ابي طالب عن ابن اخيه ، وعلى الأكثر انهم كانوا غير مؤمنين بصحة الدعوى .

وكيف كان أنزلت الصحيفة العاتية ونشرت امام المجتمع ، فاذا هي كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تماماً ...

الله اكبر ، والعزة لله ورسوله ، الله اكبر .

ولكن صلافة الشرك ووقاحته أبت الا المكابرة والتظاهر بالبطولة والهيمنة على الأعصاب ، فالتجأوا إلى الأقاويل المكرورة من سحر محمد وشعوذته ، وان السحر وحده هو الذي عمل في الصحيفة ما عمل .

قام ابو طالب عن المجتمع مستجيراً ببيت الله من أباطيل الكفر وعناد الشرك ، آملا منه تعالى النجاة والسلامة . وكر راجعاً الى الشعب يحدث الرسول بما جرى ، ويعلمه باصرار القوم على كفرهم وعتوهم .

فما كان منه صلى الله عليه وآله إلا أن يردد « إنا لله وإنا اليه راجعون ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . يا عم لا تكن في ضيق مما يمكرون ، سيجعل الله بعد العسر يسراً . يا عم وما ضاقت الا انفرجت » .

* * *

أما قريش فقد أصروا على ما في الصحيفة الغاشمة ، فأعادوه حرفياً اليها كما علقوها في مكانها من جوف الكعبة .

ولم يمر على الوضع غير أيام قلائل حتى قيض الله عزوجل لأبي طالب جماعة من قريش مثل زهير بن أمية المخزومي ومطعم بن عدي وابي البحتري وزمعة

ابن الأسود بتحريض من هشام بن عمرو بن الحارث ـ لما لهذا الرجل من صداقة وعلاقة مع ابي طالب ـ على أن يجدّوا جميعاً ويجتهدوا في فصم زرد الأعتقال وذلك الحصار عن الهاشميين مهما كلفهم الأمر ومهما كانت المخلفات والنتائج .

وبعد عدة من الاجتماعات السرية أسفرت عن التعاهد والتعاقد والتصميم على الاجتماع صباح اليوم الباكر في الجامع بعد أن يأتوا منفردين متفرقين ، واول عمل يقومون فيه هو تمزيق الصحيفة المشؤومة واعدامها .

فاجتمعوا على الكيفية المقررة ، فتريثوا حتى اذا اكتض الجامع بالناس نهض زهير بن أمية خطيباً ، فشخصت إليه الأبصار وتطاولت اليه الأعناق ، فقال فيما قال :

« أيسركم يا معاشر قريش ويا زعماء العرب انكم في راحة واطمئنان ورفاه وأمان تسرحون وتمرحون ، وهذا أبو طالب زعيم مكة وسيد قريش في ضنك من العيش ونكد الحياة ومرارة الاعتقال ، تمر عليه ثلاثة أعوام لم يتنسم فيها ريح الحرية ولم يستنشق طيب المقام ؟ فلا والله لا أقعد حتى تمزق الصحيفة وتعدم » .

ثم واصل جماعته القيام بنفس اللغة والكلام ، فقام في وجوههم شيخ المجرمين ابو جهل فقال : يستحيل إعدام الصحيفة ، ويستمر الحصار على ابي طالب وأسرته حتى يموتوا اجمعين اويسلمونا محمداً .

فابتدره زمعة بن الاسود فقال : اما يكفيك يا ابا جهل لؤمك وخبثك عن مثل هذه التدخلات الطائشة ، فوالله ما رضينا بصحيفتكم الكريهة أولا وأخيراً .

ثم قفز مطعم بن عدي الى الصحيفة فجرها وأهوى عليها تمزيقاً وتخريقاً فأسقط في يد القوم ولم يسع ابو جهل إلا ان يقول قولته المعروفة : أمر دبّر بليل ، او أمر قضي بليل ... وسكت خوف إتساع الفتنة واتصال الحركة .

وما ان وصل الخبر الى بني هاشم حتى هبوا أجمعين منتصرين للقوم ، إلا أن الحادثة قد انتهت بسلام ورد الله كيد الكافرين الى نحورهم واعدلهم عذاباً أليماً .

ثم صار بنو هاشم الى مزاولة أعمالهم ، كما مارس رسول الله صلى الله عليه وآله نشاطه وتبشيره ، فقويت حركته واتسعت ، كما تكثرت أنصاره وأعوانه.

وهذا ابن سعد في طبقاته ٩٣/١ يحدثنا عن ملخص قضية الشعب فيقول: إن قريشاً لما تكاتبت على بني هاشم ـ حين أبي ابو طالب أن يدفع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فتكاتبوا على أن لا يزوجوهم ولا يتزوجوا منهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم في شيء ولا يكلموهم ، الى كثير من هذه القيود والبنود الثقيلة ، فمكثوا في الشعب محصورين ثلاث سنين ، إلا ما كان من أمر أبي لهب فانه لم يدخل معهم ، ودخل الشعب مع ابي طالب جميع بني هاشم بن عبد مناف ، فلما مضت عليهم ثلاث سنين اطلع الله نبيه على أمر صحيفتهم ، فذكر ذلك لعمه ابي طالب ، فقال ابو طالب : أصحيح ماتقوله يابن اخي ؟ فقال رسول الله : نعم يا عم . فذكر ذلك ابو طالب لاخوته فقالوا له : وما ظنك به ؟ فقال : والله ما كذب ابن أخي قط . فقالوا : وما ترى ؟ قال : أرى ان تلبسوا أحسن ما تجدون من الثياب ثم تخرجون معي الى قريش فنذكر لهم ذلك من قبل ان يصل اليهم الخبر .

ثم قاموا فدخلوا المسجد فصمدوا إلى الحجر ، وكان لا يجلس اليه من الزعماء والرؤساء احد ، فترفعت اليهم الأنظار يترقبون ما سيقوله ابوطالب فقال ابو طالب : انا جئناكم بأمر فأجيبوا بالذي يعرف لكم . فعند ذلك قالت قريش : مرحباً بكم وأهلا ، فعندنا ما يسرك يا ابا طالب .

قال ابو طالب : ان ابن اخي محمداً قد أخبرني ولم يكذبني قط ، ان الله سلط على صحيفتكم الأرضة فلحست كل ما فيها من جور وظلم وقطيعة

رحم ، وبقي فيها كل ما ذكر به الله عز وجل ، فان كان ابن أخي صادقاًنزعتم عن سوء رأيكم ، وان كان كاذباً دفعته اليكم فقتلتموه أو استحييتموه ان شئتم .

فقالت قريش : انصفتنا يا ابا طالب ، فأرسلوا الى الصحيفة ، ولما اتى بها قال اقرأوها ، فلما فتحت اذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد اكلت الأرضة كل ما فيها الاما كان من ذكر الله ، فأسقط في يد القوم كما نكسوا على رؤوسهم .

ثم دخل ابو طالب الى الكعبة فتعلق بها ، فدعا الله عز وجل وسأله النصر والتأييد ، ثم خرجوا من الكعبة ورجعوا الى الشعب ، فأنشأ :

وما ذنب من يدعو الى الله وحده ... ودين قويم أهله غير خيب
وقد جربوا فيما مضى غب أمرهم ... وما عالم أمراً كمن لم يجرب
فلا تحسبونا مسلمين محمداً ... لذي غربة منا ومن متقرب
ستمنعه منا يد هاشمية ... فمركبها في الناس من خير مركب
فلا والذي تحدى اليه قلائص ... لإدراك نسك من منى ومحصب
نفارقه حتى نصرع دونه ... وما بال تكذيب النبي المقرب
فكفوا إليكم من فضول حلومكم ... ولا تذهبوا في رأيكم كل مذهب
يميناً صدقنا الله فيها ولم نكن ... لنحلف كذباً بالعتيق المحجب
فيا قومنا لا تظلمونا فاننا ... متى ما نخف ظلم العشيرة نغضب
وقد كان في أمر الصحفية عبرة ... متى يخبر غائب القوم يعجب
عن الله منها كفرهم وعقوقهم ... وما نقموا من ناطق الحق معرب
فأصبح ما قالوا من الأمر باطلا ... ومن يختلق ما ليس بالحق يكذب
فأمسى ابن عبد الله فينا مصدقا ... على ساخط من قومنا ومعتب

ومن قصيدة له ايضاً بالمناسبة :

فيخبرهم ان الصحيفة مزقت ... وأن الذي لم يرضه الله فاسد

الى أن يقول :

فمن يمش من حضار مكة عزة فعزتنا في بطن مكة أتلد
نشأنا بها والناس فيها قلائل فلم ننفك نزداد خيراً ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم اذا جعلت أيدي المفيضين ترعد
ألا ان خير الناس أماً ووالداً إذا عد سادات البرية أحمد
نبي إلهي والكريم بأصله واخلاقه وهو الرشيد المؤيد
حزيم على جلى الأمور كأنه شهاب بكفي قابس يتوقد
طويل نجاد خارج نصف ساقه على وجهه يسقى الغمام ويسعد
كثير رماد سيد وابن سيد يحض على مقرى الضيوف ويحشد
ويبني لاحياء العشيرة صالحاً إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد

وله ايضاً :

ارقت وقد تصوبت النجوم وبت لاتسالبك الهموم
لظلم عشيرة غدروا وعقوا وغب عقوقهم لهم وخيم
وقالوا خطة جوراً وظلماً وبعض القول أبلج مستقيم
لنخرج هاشماً فتصير منها بلاقع بطن مكة والحطيم
فمهلا قومنا لا تركبونا بمظلمة لها أمر عظيم
فيندم بعضكم ويذل بعض وليس لفاتح فيهم زعيم
ودون محمد منا ندي هم العرنين والعضو الصميم
طوال الدهر حتى تقتلونا ونقتلكم وتجتمع الخصوم
ويصرع حوله منا رجال وتمنعه الخؤولة والعموم
ويعلم معشر ظلموا وعقوا بأنهم هو الخد اللطيم

وله ايضاً :

سيعلم أهل الضغن أيي وأيهم يفوز ويعلو في ليال قلائل

وأيهم مني ومنهم بسيفه يلاقي اذا ما حان وقت التنازل
ومن ذا يمل الحرب مني ومنهم ويحمد في الآفاق في قول قائل
فأصبح منا احمد في ارومة تقصر عنها سورة التطاول
وجدت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكواهل
كأني به فوق الجياد يقودها الى معشر زاغوا إلى كل باطل
ولا شك أن الله رافع أمره ومعليه في الدنيا ويوم التجادل

* * *

اقول : وليس ذكر قضية الشعب مقصورة على خصوص الطبقات ، بل ذكرها كل المؤرخين واهل السير ، إلا اني لم أجد من اختصرها كما في الطبقات . قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ج ٣ : ولأبي طالب في اثناء الشعب هذه الأبيات :

ترجون منا خطة دون نيلها ضراب وطعن بالوشيج المقدم
ترجون أن نسخوا بقتل محمد ولم تنخضب سمر العوالي من الدم
كذبتم وبيت الله حتى يفلقوا جماجم ترمى بالحطيم وزمزم
وتقطع أرحام وتنسى خليلة خليلا ويغشى محرم بعد محرم
على ما مضى من مقتكم وعقوقكم وغشيانكم في أمركم كل مأثم
وظلم نبي جاء يدعو الى الهدى وامر أتى من عند ذي العرش قيم
فلا تحسبونا مسلميه فمثله اذا كان في قوم فليس بمسلم

وقال ايضاً :

توالى علينا موليانا كلاهما اذا سئلا يوماً قالا لغيرنا الأمر
بلى لهما أمر ولكن تراجما كما ارتجمت من رأس ذي القلع الصخر
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا وهما نبذانا مثل ما تنبذ الخمر
كما اغمضا في القوم في اخويهما فقد أصبحت ايديهما منهما صفر

قديمـــاً ابوهم كان عبداً لجدنا بني أمة شهلاء جاش بها البحر
لقد سفهوا أحـــلامهم في محمد فكانوا كجعر بئس ماضفطت جعر

الى كثير من هذا اللون من الشعر الذي يفيض حماساً ويطفح مؤازرة للدين وتصلباً للإسلام وبياناً لمآثر النبي ومفاخره وتصديقاً لنبوته وسفارته، كما يعج باندفاعاته رضوان الله عليه نحوه مستميتاً في سبيل ذلك كله، لا يرى الموت في سبيل الله وسبيل رسوله الاسعادة ورضواناً وحياة وجناناً، الأمر الذي سهل للنبي صلى الله عليه وآله خوض المعركة من جديد والسير بعجالة الشريعة بلا اختشاء ولا مراقبة، غير هياب لأراجيف الكفرة واخاويف الطغاة من المشركين واليهود المجرمين ما دام عمه البطل من ورائه ينصره ويحميه من الأيدي العاتية الاثيمة .

واتفق ذات يوم أن كان رسول الله يصلي مختلياً لنفسه في بعض شعاب مكة ، اذ يظفر به كذلك ابو جهل ، فينتهزهـا فرصة فيبحث عن حجر ثقيل ليضرب بـه النبي ثأراً لنفسه وانتصـاراً لآلهته ومقدساته ، فيعثر على ما يبتغي وينتظر سجوده صلى الله عليه وآله وقد جمع قواه ، فهم أن يرميه فاذا بالحجر يلتصق بيده لصوق المسمار بالوحة السهلة ، فانشغل بيده والحجر وعالج نزعه فلم ينتزع ، ففر هارباً لئلايستبين أمره لأبي طالب فيقيم الدنيا عليه ويقعدها اهانة وفضيحة ، اذ لا لأ وتقريعاً . ومن جهة اخرى ليستر على نفسه المخزية ويكتم عنها العار الذي لا ينمحي ابداً ما دام للتاريخ وجود وأثر ، فأعطى سيقانه للريح ولم يصده صاد الاحيطان داره المشؤومة . وظن أن آية الله عز وجل ووقيعته به ستنكتم عن النـاس ولاسيما عن ابي طالب الليث المخيف ، بعد ان كانت غير معلومة لأحد إلاه ، ولم يصبح عليه الصبح الا والحادثة اظهر من الشمس وابين من الأمس ، تلوكها افواه الأطفال فضلا عن الرجال والنساء ، والكل يردد أبيات الزعيم الهاشمي ابي طالب بالمناسبة :

أفيقوا بني عمنـا وانتهوا | عن الغي بعض ذا المنطق
وإلا فـاني اذاً خـائف | بوائق في دوركم تـلتقي
كما ذاق من كان من قبلكم | ثمود وعـاد ومن ذا بقي
وأعجب من ذاك في امركم | عجائب في الحجر الملصق
فأثبتـه الله في كفـه | على رغمة الخـائن الأحمق

فيألم ويندعم النبي العظيم بكافة قريش وابي جهل بصورة خاصة على إثر هذه القضية المنكرة والأعمال الاجرامية الدنيئة ، الأعمال التي تتقزز منها المشاعر ، وتشمئز منها نفوس الأحرار ، وتترفع عنها حتى الوحوش والضواري، بل حتى اراذل الناس .

كما ويحذرهم مغبة اعمالهم تلك ومخلفاتها من وخيم العواقب والسيء من الرواسب ، فيما اذا اقتضت ارادة الله تعالى أن ينتقم لنبيه ويثأر لدينه ، كما كان ينتقم لأنبيـائه القدامى من الأمم السابقة والشعوب الماضية ، فخسف ببعضهم وبدورهم الأرض ومسخ الآخرين قردة وآخرين خنـازير ، جزاءً بما كانوا يعملون

وهل قضية إلصاق الحجر بكف ابي جهل الا بادرة من بوادر الإنتقام ومقدمة من مقدمات العقاب والمؤاخذة ، وما ذلك من الظالمين ببعيد .

* * *

انى هؤلاء يا زعيم الهاشميين ان ينصاعوا إلى وعظك وارشادك الخيرين وتذكيرك الحق واصلاحاتك العادل . . . أنى لهؤلاء أن تنفع معهم النصـائح والتذكير بأيام الله وانتقامه ، وقد أعماهم الشرك وأصمهم فهم في طغيانهم يعمهون .

فالطينة السوداء من خبثها | هيهـات تبيض سجاياها

ما فتئوا يتربصون بالنبي الدوائر وينتهزون به المواتي من الفرص ووحدته، وعندما لا يسعهم المجال يوحون الى الأطفال فيقفوا له سماطين ، حتى اذا مر

عليهم في طريقه الى الصلاة رموه بالأحجار حتى يدموا ساقيه ويؤلموا رجليه .

واستمروا على ذلك مدة من الزمن وهو صلى الله عليه وآله لا يخبر عمه الكريم حرصاً على عدم إيلامه ومساءته ، حتى استبان ذلك علي بن ابي طالب ذات يوم فصار يتبع رسول الله ليقف على المسببين والفعلة ، فاذا الأطفال على عادتهم مستعدين ، فتقدم احدهم فضرب النبي ، فانتقض عليه أمير المؤمنين فأخذه من اذنه ولم يزل بها حتى فصمها ورمى بها أمام الأطفال ، فارتجفوا وارتعدت فرائصهم وانهزموا هزيمة نكراء ، وما عادوا بعدها لمثل عملهم السابق ، وربما يرون رسول الله وعلياً مقبلين انهزموا ، ونبه بعضهم بعضاً مردداً : جاءكم قاطع الاذن ، جاءكم قاطع الاذن . ولم يكتفوا بالهزيمة بل يدخلون البيوت ويغلقون الأبواب .

ولما رأى الكبار أن المحاولة كأخواتها قد فشلت وتفلشت بدالهم - بعد أن اخبرهم الخبير بأن محمداً يصلي منفرداً في بعض شعاب مكة - فصاروا إلى ناحية مبتغين اساءته وايذاءه ، فوجدوه يصلي لربه ، وكان بالقرب منهم مقدار من الفرث والدم ، فالقاؤه عليه صلى الله عليه وآله اعظم توهين وايذاء ، فانتظروه الى السجود فألقوه على ظهره وولوا هاربين ، وبعد ان لاحظ ذلك كر راجعاً الى المنزل متأثراً مألوماً ، فاستظهر عمه منه ذلك واستفهمه الحال ، وبعد إلحاح اطلعه على عمل القوم معه فاستاء هو الآخر ايما استيـــاء ، ثم انتفض رضوان الله عليه انتفاضة الأسد الهصور ، فأخذ بيد النبي وهو مغضب وتبعه بعض اشباله ، حتى اذا حاذى القوم وشاهدوا حالته المستأسدة وغضبه تعوذوا بالآلهة من سطوته وغضبه ، كما ارادوا أن يعطوا سيقانهم للريح ويركنوا إلى الفرار والانهزام ، لولا ان لاحـظ منهم ذلك فيصيح بهم ان يلزموا أماكنهم وان لا يتحركوا بأي حركة والاعرضوا أنفسهم للخطر والموت ، فلا يسعهم والحـال هذه الا الرضوخ والسكون على مضض ، اذلة خاسئين

يتوسلون بالآلهة يسألونها النجاة والسلام .

أما ابو طالب فوقف على رؤوسهم مخاطباً النبي العظيم : يا بن أخي من الذي قرب مناك من هؤلاء بسوء اودنا اليك بمكروه ، ولو قلت لي كلهم آذاني لما تركتهم إلا وانتقمت منهم لك أجمعين ومن دون ما إستثناء .

ولكن الرحمة الالهية واللطف الملكوتي المتمثلين برسول الله صلى الله عليه وآله لم يدعانه أن يشكو إلا من ابن الزبعرى ، اذ هو أشد القوم ايذاءً واكثرهم تحمساً للاجرام والمناكير ، فاستقدمه عم الرسول اليه ، فجاء يتعثر بأذياله هلعاً وخوفاً ، فلطمه ابو طالب لطمات اطاحت بأسنانه وادمت فمه ووجه ، ثم أمره ان ينصرف مخزياً يتخبط بالشنأ والعار الى شحمة اذنيه .

ثم أمر فتيان بني هاشم ان يحضروا له الفرث والدم فوراً ، فأحضروه له كذلك ، فأمرهم ان يخضبوا بها لحى القوم ويلطخوا بها جباههم ووجوهم ولم يتركوا منهم احداً ، وبعد الفراغ التفت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول : أيرضيك هذا يا محمد ؟ فاذاً بالجواب : نعم يا عم جزاك الله خير جزاء المحسنين . فقال ابو طالب : ان كان هذا قد كفاك فلا يكفيني أنا .

ثم انشأ على رؤوس القوم ما هو أقتل عليهم من الفرث والدم ، واعظم عليهم من لهيب النار :

انـت الـنبي محمد	قرم اغر مسـود
لمسوديـن اكـارم	طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة اصلهـا	عمرو الحطيم الأوحد
هشم الربيكة في الجفان	وعيش مكـة انكـد
فجرت بـذلك سنة	فيهـا الخبزة تثرد
ولنا السقاية للحجيج	بهـا يمـاث العسجد
والمازمان وما حوت	عرفـاتهـا والمسجد

أنى تضـــام ولم امت وانا الشجـــاع العربد
وبطـاح مكة لا يرى فيهـــا نجيع أسود
وبنو ابيـك كـــأنهم أسـد العرين توقدوا
ولقد عهدتك صادقاً بـــالـقول لا تتزيد
مازلت تنطق بالصواب وأنـت طفـــل امرد

واخذ بعضد النبي وجاء به الى المنزل ، مرتفع الرأس ، موفور الكرامة ، ظافراً بالثأر ، منتصراً على الظالمين .

أما القوم فلم يرفعوا رؤوسهم حتى غاب عنهم ابوطالب ، فعند ذلك تنسموا ريح الحياة واستنشقوا نسمات الحرية فحمد والآلهة والمعبودات على السلامة والنجاة.

وما كان هذا الموقف الخطير - الموقف العظيم الرهيب - ليتحقق لولا أبو طالب ، فهو وحده الذي يمكنه ذلك ، وهو وحده الذي يتسع له أن يطوح بكيان العظماء والزعماء ويهدد عروش الأصنام والطغيان ويستهين بكل ما هنالك من شخصيات منافسين مثل ابي جهل وابي سفيان وشيبة وعتبة وابي البختري ومن شاكلهم . فهو وحده الذي يستطيع الأخذ بظلامة رسول الله صلى الله عليه وآله ويعلن صارخاً باتبـاعه دين الله ينصره ويؤازره ، ثم التعريف بما عليه رسول الله من الشرف والمنعة والعظمة والسؤدد ، وما كان عليه آباؤه الميامين من المجد والشمم واسداء المعروف الى اهل مكة في المحن والشدائد وعند البلاء والقحط :

فهاشم جد النبي العظيم هو الـذي هشم الثريد لقومه ، واهـل مكة مسنتون عجاف ، قد أضر بهم الاملاق واضعفهم الجوع واشتدت عليهم المسكنة وباءوا بالويل والثبور والحـاجة الملحة ، لولا اسعـاف عمرو العلى الزعيم هاشم بن عبد مناف ... أفلا يكون هذا محتماً على القوم ان يرعوا هاشماً في حفيده ووليده محمد بن عبد الله ؟ ولا أقل من كف الأذى عنه ، ان لم يكن يتحتم عليهم اعزازه وتقديره ونصره .

ابو طالب يدعو الحمزة الى الاسلام

ذكر ابن ابي الحديد في ترجمة ابي طالب في شرح النهج ٣٠٩/٣ دعوة أبي طالب هذه مصاغة بقالب من الشعر الذي ندت به شفتاه رضي الله عنه :

فصبر أبا يعلى على دين أحمد   وكن يا اخي للدين وفقت صابرا

وحط من اتى بالحق من عندربه   بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا

فقد سرني أن قلت انك مؤمن   فكن لرسول الله في الله ناصرا

ونـــاد قريشاً بالذي قداتيته   جهاراً وقل ما كان أحمد ساحرا

الحمزة عم رسول الله كما هو اخ لأبي طالب ، وهو ابن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، وهو من ابطال الهاشميين وفرسان آل عبد المطلب ، يتمتع بعلي المكانة ورفيع المنزلة وجليل المقام في الأوساط المكية ، مهاب الطلعة جميل المنظر وقور كريم . . .

ومع كل ذلك كان يخضع لزعامة اخيه الكبير ابي طالب ، وقد اجابه حين طلب اليه ان ينصـاع الى دين محمد وشريعته الغراء ، فصدقه وآمن بنبوته ورسالته ، وصار الى الدفاع عنه وحمايته وكف الأذى عنه وتزييف الدعايات المغرضة التي ينمقها المشركون ، ويثيرها ويروجها اليهود الآثمون ، كما صار يدعو الى دين الله ويرشد الى شريعة رسول الله ، لا تأخذه في سبيل ذلك لومة لائم ولا قوة ذوي القوة ولا إرهاب المرهبين .

وما ان يبلغه نبأ يفيد الاساءة الى رسول الله او ايذاءه فلم يهدأ حتى يستعلم الفاعل ، فلا يولي عنه حتى يأخذ ظلامة رسول الله ويثأر له : فيستبين

ذات مرة أن ابا جهل قد تعرض للنبي واساء اليه ، فيترصده ويبحث عنه حتى اذا عثر عليه في الندوة بين لمة من الرؤساء والشيوخ ، فلم يبرح عنه دون ان اقامه فلطمه على وجهه وجبهته لطامات اخزته أمام الجماهير وفي الأوساط المكية ، فتحملها ولم يرفع اليه رأسه ابداً حذر الصواعق والسيف.

وعلى هذا استمرت سيرة عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واسد الله ورسوله حتى قتل في واقعة أحد ومعركتها الرهيبة ومثلوا به افضع واشنع تمثيل ، الأمر الذي أودى بالنبي صلى الله عليه وآله حين وقف عليه أن يقول : ما وقفت موقفاً اغيض علي من هذا الموقف ، والله لان مكنني الله من قريش لأمثلن بسبعين من قريش .

إلا انه صلى الله عليه وآله قد انصرف عن هذه الفكرة : بعد أن هبط عليه جبرئيل عن الله عزوجل بقوله تعالى « وان تعفوا اقرب للتقوى » ، فعندها قال : اشهد يا جبرئيل اني قد عفوت .

وهكذا قدر لعم النبي ان تكون خاتمته الشهادة في سبيل الله قتيلا بين يدي رسول الله مضحياً نفسه لدين الله ، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً .

وما كان للحمزة من الجهاد والتزام النبي وخدمته واخيراً الشهادة دونه الابركة نصيحة اخيه ابي طالب وارشاده .

وقد فرح ابو طالب ايما فرح وسر سروراً ماله من نظير ، حيث اثرت موعظته ونصيحته بأخيه البطل ، وهو يشاهده وقد انظم الى قافلة النبي صلى الله عليه وآله وساير الركب الاسلامي المجيد ، بل صار من دعاته وناشريه مقتفياً اثر رسول الله مؤازراً له في كل حركة وقضية .

* * *

يبدو لأبي طالب مرة اخرى ان يشجع ولديه علياً وجعفراً على نصرة

النبي ومعاضدته والذب عنه ، فيصور ذلك بأبياته التي ذكرها ابن ابي الحديد في ترجمة ابي طالب كما جاء في شرح النهج ٣١٠/٣ :

إن عليــاً وجعفراً ثقتي عند ملمّ الزمــان والنوب
لاتخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي
والله لا اخــذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب

فكان له من الولدين البارين ما يبهجه ويسره ويمليه حيوية وطمأنينة وثقة تامة بحضورهما لكل المتطلبات واللوازم مهما كانت النتائج وان ادت الى باهض الفداء وغالي الثمن .

وقد نبه رضي الله عنه ولديه الكريمين ـ ولاسيا ببيتيه الثاني والثالث ـ على ما هناك من بواعث مهمة واسباب ضخمة ،كل واحد منها اذا ما قيس منفرداً كان من اقوى الدوافع المحتمة والحاكمة بوجوب نصرة النبي والمحاماة عنه دائماً وابداً : اولا هو ابن شقيق ابي طالب ، ولم يكن له من اخوته كذلك : ثانياً انه نبي هذا الزمن ، والنبي لا بد من ان يلاقي في ابان دعوته الصعاب والأهوال . ثالثاً ان النبي يجب في سبيل الحفاظ عليه والإبقاء على حياته بذل الغالي والنفيس ، بل حتى الدماء والأرواح .

وذكر ابن ابي الحديد في ترجمة أبي طالب هذه الأبيات ايضاً :

فلا تسفهوا أحلامكم في محمد ولا تتبعوا أمر الغواة الأثائم
تمنيتم ان تقتلوه وانمــا أحاديثكم هذي كأحلام نائم
زعمتم بأنــا مسلمون محمداً ولما نقــاذف دونه ونراجم
من القوم مفضال اتى على العدى تمكن في الفرعين من آل هاشم
امين حبيب في العباد تسومه بخاتم رب قاهر في الخواتم

وكانت الأسباب الداعية الى انشائها مؤامرة دبرت بليل وحيكت خيوطها في ظلامه الدامس ، كل سداها ولحمتها هو قتل ابي طالب باغتيال رسول الله

وقتله لدى خروجه لصـــلاة الفجر ، ثم ليقضوا تفثهـم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالآلهة الفاشلين . ولكن اشاءة الله العظيم وعينه الساهرة على رسوله حركت أبا طالب وبعثته بحماس وقوة ان يخرج متطلعاً خفايا الشرك وخباياهم ، فأوصله الاستطلاع الى خارج مكة ، اذ يسمع نبرات وهمسات ، فأنصت ملياً فيعرف القوم تماماً ويقف على نيتهم الدنيئة من ابتغاء اغتيال الرسول لدى صلاة الفجر وعند خروجه للجامع ، فينكفيء راجعاً الى المنزل ، فينام عند رأس النبي صلى الله عليه وآله واقياً له وحارساً حتى مطلع الفجر ، فنهض النبي على عادته ليتهيأ للصلاة والخروج للمسجد ، اذ يمنعه عمه البر الحنون عن الخروج محبذاً له أن تكون صلاته في البيت ، ولما كان صلى الله عليه وآله واثقـاً من عمه اذاً لا بد وان يكون منعه لمصلحة وغـاية مقبولة ومعقولة ، فصار الى صلاته داخل المنزل .

أما المشركون الحاقدون ومن لف لفهم من اليهود القذرين الذين كان لهم الضلع الأكبر في ترويج المؤامرة وتدبيرها ـ قاتلهم الله انى يؤفكون ـ فهم حضروا قريباً من الجامع عند طلوع الفجر ، وانزووا الى زاوية مظلمة ، وظلوا يرقبون وينتظرون فلم يمر عليهم محمد ، وأوشك النور ان يفضحهم ويفشي أسرارهم ، فتعين عليهم التفرق ورجوع كل منهم الى بيته لئلا يطلع على مؤامرتهم احد فيخبر ابا طالب فينقض عليهم بمقوله الصارم البتار ، فما راعهم الا والأبيات تطالعهم فاضحة وكاشفة .

واوحوا إلى شياطينهم ان يحفظوا الأبيات ليقفوا على مفادها ومعطياتها ولعلهم يستظهرون من مضامينها الجاسوس والخبر الذي حرك ابا طالب واثار شعوره وعواطفه ، فلم يجدوا منفذاً لذلك الا ابا طالب نفسه ، ومن الذي يقدر على مساءته والدنو منه بمكروه ؟! .

* * *

أقول : وقد ذكر ابن ابي الحديد بالمناسبة محاورة جليلة ومساجلة علمية نبيلة تدور رحاها بين استاذ وتلميذ ، فكان الأستاذ هو ابو جعفر النقيب الاسكافي شيخ المعتزلة ورئيس علمائهم ، أما التلميذ فهو عبد الحميد بن ابي الحديد المعتزلي، وقد ذكرها حرفياً في شرحه على النهج ٣٩/٣ ، ولكنا نلخصها ونوجزها مع المحافظة على جميع محتوياتها وبنودها .

والحاصل : ان ابن ابي الحديد قد اظهر لأستاذه النقيب كبير العجب وكثيره من تنازل ابي طالب وخضوعه للنبي صلى الله عليه وآله في حال انه شيخ كبير يتمتع بغر الصفات وعظيم المآثر وجليل المفاخر والمكارم ، بالاضافة الى انه رئيس مكة وسادن الكعبة وساقي الحاج ، مع العلم ان محمداً يتيمه ومكفوله والحاني عايه ومربيه . ولم يكتف بكل ذلك بل صار لمدحه بشعر ونثره ، كما يمتدح الأدنى الأعلى ، وكما يمتدح العبد سيده ومولاه .

أما ملخص الجواب فحاصله : اعلم يا عبد الحميد ان قضية تصاغر الشيخ ابي طالب وقصة تنازله للنبي مع ما ذكرت من مكانته ومنزلته ، ومع كونه معهد الفضائل ومجموعة مفاخر وكمالات وإضبارة ادب ومعارف ، ومع كونه صاحب اليد البيضاء على رسول الله وهو كفيله وحاميه من شرور دولة الكفر والشرك والأوثان ، وقد رأيته وقد تنازل لمحمد وتصاغر له لا بصفة محمد الشخصية فحسب بل بصفته نبي مرسل وسفير عن الله عز وجل مبعوث من قبله تعالى ، وهو العليم بما للنبي من جلي المكانة وفضلى القداسة وكبير الأثر في نفوس المؤمنين ، وهذا المعنى وحده كل المحرك وكل السبب لتصاغر الشيخ ابي طالب وتواضعه لمحمد ، والنبوة وحدها هي جديرة بالإكبار والإعظام وهي فقط التي تستلزم ان تنحني لها وأمامها كافة الزعامات والكرامات ، وتخضع حولها جميع الكفاءآت ، كما تذوب عندها الشخصيات والمؤهلات .

أو ماترى الى قوله الذي هو نص على تصديقه بالنبوة وتصريحه بالبعثة والرسالة:

لقـــد اكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد

أما ترى يا عبد الحميد الى العباس بن عبـد المطلب وهو الشخصية الكريمة التي انتقلت اليه سدانة الكعبة بعد أخيه ابي طالب وقد تنازل وتصاغر لابن اخيه علي بن ابي طالب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ، وقد جاء وهو يقول : مد يدك ابا يعلك حتى يقال عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله ، مع العلم ان العباس هو العم والأعلى سناً .

أو ما ترى الى ابي سفيان وهو بمنزلة العم لعلي عليه السلام وقد جاءه ليبايعه بعد وفاة النبي الا انه امتنع عن قبول ذلك ، فاذاً القضية قضية نبوة وأمامة ، وهما اكبر من أن تقف في طريقهما الزعامة والرياسة العامة .

ثم قال ابن ابي الحديد : استـــاذي العظيم أترى لو كان من المقدر للحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن ابي طالب رضي الله عنهما ان يعيشا الى ما بعد وفاة رسول الله أهل كانا يبايعان علياً بالخلافة ويقران له بالامامة وولاية العهد للرسول ؟ .

قال الاسكافي : نعم يبايعانه بكل اطمئنان وترحيب ، والمعتقد انهما يسرعان الى ذلك سرعة تمشي النار في يبس العرفج او الحطب اليابس .

قال ابن ابي الحديد : إني ارقب ذلك من جعفر بن أبي طالب ، ولم اكن ارقبه من الحمزة ، لما هو فيه من فتوة البأس وشدة الشكيمة ووفرة اسباب العظمة والشجاعة ، بالأضافة الى انه العم والأعلى سنـاً ، وما اراه إلا انه يدعيها لنفسه .

قال الاسكافي: الأمر في اخلاق الحمزة كما ذكرت ، إلا أنه رضي الله عنه صاحب دين متين وتصديق خالص للرسول العظيم ، وهما يمنعانه من طلب الخلافة والتصدي لمقام رسول الله الكريم ، ولو قدر للحمزة أن يعيش الزمن

الذي عاشه علي مع الرسول صلى الله عليه وآله لرأى من أحوال النبي مع علي ما يكسر نخوته ويطأ طيء هامته ويقدم علياً فيبايعه ويرشحه للامامة والخلافة . ثم اين نفس الحمزة السبعي من خاق علي اللطيف الروحاني ، واين نفس الحمزة الخلو من العلوم من نفس علي القدسية التي أدركت بفطرتها لابالقوة التعليمية ما لاتدركه الفلاسفة واكابر المفكرين ، ولوان الحمزة كان موجوداً حتى يرى من علي ما قدرآه غيره لكان أتبع اليه من ظله واطوع اليه من ابي ذر والمقداد ... واجدك تكرر كبر السن وعلوه ، وقد عرفت - بما لا مزيد عليه - انه والكثير من المحاسن والمكارم تذوب امام العظمة الالهية ، والمقام الرباني الكريم ، أمام النبوة والخلافة .

ولم يكن يستغرب كما لن يستكثر على عم النبي الحمزة ان يتنازل لابن اخيه علي بن ابي طالب فيبايعه وما زالت الأعمام تخدم ابناء الأخوة وتتصاغر لهم وتتبعهم في كافة الأمور :

ألست ترى الى داود بن علي العباسي وعبد الله بن صالح بن علي وعيسى بن علي واسماعيل بن علي وعبد الصمد بن علي خدموا ابن اخيهم السفاح عبد الله بن علي وبايعوه ، وكانوا أمراء جنده وقواد جيشه ، كما كانوا انصاره واعوانه في جميع الحالات .

أما ترى الى الحمزة والعباس ابني عبد المطلب وقد أطاعا ابن اخيهما محمداً واتبعاه وصدقا دعوته ورضيا بزعامته .

ألست تعلم ان ابا طالب كان رئيس بني هاشم وشيخهم المطاع ، وكان محمد رسول الله يتيمه ومكفوله ، وكان جارياً مجرى اولاده عنده ، ثم خضع له واطاعه وصدقه في دعواه ، كما اعترف بزعامته ودان لأمره ، حتى مدحه بشعره كما ذكرت ... انظر الى قوله :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل

تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وان سراً قد اختص الله به محمداً صلى الله عليه وآله حتى اقام اباطالب وحاله معه حالة المادح له لسر عظيم وخاصية شريفة ، وان في هذا المعتبر عبرة ان يكون هذا الانسان الفقير الذي لا أعوان له ولا انصار ، الانسان الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه فضلا عن ان يقهر غيره وتعمل دعوته واقواله في النفوس ما لم تعمله الخمرة في الأبدان المعتدلة المزاج حتى يطيعه اعمامه ويعظمه مربيه وكافله ومن هو الى آخر العمر القيم عليه بنفقته وكسوته ، وهذا في باب المعجزات عند المنصف اعظم من انشقاق القمر وإخبار القوم بما يأكلونه ويدخرونه في البيوت .

* * *

لقد والله انصف النقيب في هذا التصوير الواقعي والتحليل الحقيقي لعم النبي الكريم ، وهو ان اعطى شيئاً او دل على شيء فانما يدل على تفهم الرجل للتاريخ ووقائعه ، ومدى وقوفه على الأحداث الزمنية ، ومدى دراستها الواقعية . لا لشيء غير التاريخ وتفهيم الأجيال بصورته الصحيحة .

وقد استبان من خلال ذلك بما لأبي طالب العظيم من جهاد جبار وخدمات فضلى ومفاداة منقطعة النظير ونضال وكفاح زهاء ثلاثين سنة ، بعد التصديق بالنبوة والانصياع الى الرسالة والبعثة .

كما قد اصاب السيد النقيب فيما قرأه واستوحاه عن نفسية عم الرسول الحمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه ، وفيما استشعره من إيمانه الصادق ودينه الواقعي ، فرآه بعين بصيرته وهو يسرع الى مبايعته علياً سرعة تفشي النار في الحطب اليابس كمن يراه عياناً ومن شاهده حساً ووجداناً . وليس ذلك على المؤمنين بكثير ولا عزيز ، بل المؤمن ينظر بنور الله ، ينظر الى المستقبل المرتقب كما ينظر الى الحاضر .

وينقدح في نفسي إضافة شيء الى قراءة النقيب وتكهنه، والشيء الذي يختلج في الذهن : ان الحمزة البطل لم يكن ليكتفي من نفسه انه يسرع الى بيعة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فحسب، فيضرب على يده او يصفق على يده فقط وينتهي كل شيء، بل المعتقد فيه رضي الله عنه أن يجند نفسه وجميع قواه وطاقاته وامكاناته لاخماد كل حركة تحاول شل الأمر او إبعاد الخلافة عنه عليه السلام ، فأراه يقف بالمرصاد لتحطيم كل دسيسة او مؤامرة تبتغي معارضة علي في زعامته وخلافته، بالرغم من معاطس قوم يحسبون انهم يحسنون صنعاً، وما يخادعون إلا انفسهم ولكن لايشعرون.

وعلي نفسه بما كان يستشف من عمه الحمزة واخيه جعفر نفس القراءة لذا استنجدهما واستصرخهما في بعض الظروف الحرجة، وحين تنمرت عليه الفهود واستأسدت عليه القرود، فكان يردد : واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم، واجعفراه ولا جعفر لي اليوم ...

ابو طالب يستسقي للناس

يحدثنا ابن ابي الحديد في ترجمة أبي طالب في شرح النهج ج ٣ : أن أبا طالب رضوان الله عليه كان يقصده الناس كلما أمسكت السماء قطرها وحبست الأرض بركاتها ، فهو ملاذهم وبه أملهم ورجاؤهم ، واليه فقط مفزعهم ... كل ذلك لما يعلمونه من حاله رضوان الله عليه وما هو عليه من توحيد الله وثقته به واعتماده عليه عز وجل ، كما لايحتملون أن الله تبارك وتعالى يرد له دعوة او يؤخره عن رجاء ، لذا قصده بعض الأعراب المجاورين لمكة المكرمة شاكين اليه ما يلاقونه من جدب الأرض ومنع السماء الدر ، فوعد بالخير ولبي النداء .

ثم خرج مستصحباً معه النبي وهو بعد لم يبلغ الحلم ، فاستند الى حائط الكعبة وجعل بين يديه النبي صلى الله عليه وآله ثم دعا الله سبحانه بدعوات وتوسل اليه بمحمد أن يمطر الناس ويغيثهم مما فيه من البلاء والشدة . ولما يتم دعاؤه حتى هطل المطر وأرسلت السماء عزاليها فملأت القفار والوديان ، حتى مل الناس الكثرة وخافوا الغرق ، فعادوا يهرعون يسألونه إيقاف المطر المهدد بالخطر ، فسأل الله ذلك ، فوقف وأمسك وعاد الصحو على أحسن اوقاته .

وعلى الأثر نظم ابو طالب لاميته الشهيرة والتي تحتوي مائة بيت او تزيد قليلا والتي قد ذكرها جل المؤرخين ، ولكن الغالب لم يذكروها بكاملها ومطلع القصيدة هو :

اعوذ برب البيت من كل طاعن ... علينا او يلوح بباطل

الى ان يقول في اثنائها :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ولعلنا نأتي على آخر القصيدة ان توفقنا ان شاء الله .

قال ابن ابي الحديد : ولأبي طالب أيضاً :

ألا أبلغا عني على ذات بينها لؤياً وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً رسولاً كموسى خط في اول الكتب
وأن عليه في العباد محبة ولاحيف فيمن خصه الله في الكتب
وان الذي لفقتم في كتابكم يكون لكم يوماً كراغبة السقب
أفيقوا أفيقوا قبل ان تحفر الزبى ويصبح من لم يجن ذنباً كذي ذنب
فلا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حرباً عواناً وربما أمرّ على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا وبيت الله نسلم أحمداً لعزاء من عض الزمان ولاكرب
ولما تبن منا ومنكم سوالف وأيد أبيرت بالمهندة الشهب
بمعترك ضنك ترى كرى القنا والضباع العرج تعكف كالشرب
كأن مجال الخيل في حجراته وغمغمة الأبطال معركة الحرب
أليس ابونا هاشم شد أزره واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

انشأ عم النبي العظيم هذه الأبيات تعريضاً بطائفة من لؤي وهم بنو كعب ، والكعبيون هؤلاء من الأسر العربية المرموقة ، لها مكانتها واهميتها في اوساط مكة . وقد بلغ ابا طالب عنهم أنهم ينالون من النبي صلى الله عليه وآله ، كما يخدشون بقداسته وبعثته ثم يعرجون على انتقاص ابي طالب بمالايناسبه ، ولكن كل السبب في التنديد والتعرض هو الثأر لرسول الله فقط ، وإلا لا يهمه همسهم بأنه مسحور من جهة محمد أو مفتون به عاطفياً ، فكل ما في المقام أنه يحاول ويبعد عن الأذهان تلك الهمسات المحمومة والنفثات

المسمومة واعلان ما تنطوي عليه سريرته وتكنه جوانحه وجوارحه من اعتقاده نبوة محمد ورسالته، الأمر الذي يحتم عليه ان يذوب ويفنى في سبيل تحقيقها ونشرهما ... كما ان انبعاثه نحوه لم يكن بالأمر الارتجالي او الفجائي، بل هو أمر مدروس وخطة معاومة ينبعثان عن تباشير العلماء الأقدمين والكتب السماوية، اذاً فاتخرس الألسن الحاقدة ولتكم الأفواه الكافرة الى الأبد.

وقال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣٠٩/٣ : ولأبي طالب ايضاً هذه الأبيات بالمناسبة :

ألا أبلغا عني لؤياً رسالة	بحق وما تغني رسالة مرسل
بني عمنا الأدنين فيما يخصهم	واخواننا من عبد شمس ونوفل
أظاهرتم قوماً علينا سفاهة	وأمراً غوياً من غواة وجهل
يقولون لوأنا قتلنا محمداً	لقرت نواصي هاشم بالتذلل
كذبتم ورب الهدى تدمى نحوره	بمكة والبيت العتيق المقبل
تنالونه او تصطلوا دون نيله	صوارم تفري كل عضو ومفصل
فهلا ولما تنتج الحرب بكرها	بخيل تمام او بآخر معجل
وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً	على ربوة في رأس عنقاء عيطل
وتأوى اليه هاشم إن هاشماً	عرانين كعب آخر بعد اول
فإن كنتم ترجون قتل محمد	فروموا بما جمعتم نقل يذبل
فإنا سنحميه بكل طمرة	وذي ميعة نهد المراكل هيكل
وكل رديني ظماء كعوبه	وعضب كأيماض الغمامة مفصل

أقول : كل من يمعن النظر وينعمه في شعر ابي طالب هذا يجده مفعماً بتعظيم النبي صلى الله عليه وآله، ثم الارشاد الى دينه الحق والحضور للدفاع والذود عنه . وهذا لايكاد يتأتى الا للمؤمن الواقعي، والمسلم الذي يكون الإسلام والايمان جاريين مجرى دمه في عروقه واوردته .

وحقاً ان يكون ابو طالب كذلك كما هو كذلك فعلا ، واقواله وافعاله قد دلت على ذلك ، والمرأ بأصغريه قلبه ولسانه .

قال ابن ابي الحديد بعد ذكره للأبيات المتقدمة: كان صديقنا علي بن يحيي البطريق رحمه الله يقول : لولا خاصة النبوة وسرها لما كان مثل ابي طالب - وهو شيخ قريش ورئيسها وذوشرفها - يمدح ابن اخيه محمداً وهو شاب صغير قد رباه في حجره وهو يتيمه ومكفوله وجارى مجرى اولاده ، فيقول فيه:

وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً على ربوة في رأس عنقاء عيطل

الى كثير من الأمثال والنظائر ، فان هذا الأسلوب من الشعر لايمدح به التابع والذنابى من الناس .

واذا تصورت هذا تصورت انه شعر ابي طالب ذاك الشيخ الوقور المبجل العظيم في محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو شاب مستجير به معتصم بظاه من قريش وطغاة العرب ومجرمي اليهود ، قد رباه في حجره وعلى عاتقه طفلا وبين يديه شاباً ، يأكل من زاده ويأوى الى داره ... علمت خاصية النبوة ومكنون سرها وان أمره كان عظيماً وأن الله تعالى قد أوقع في القلوب محبته وفي الأنفس منزلته .

وقرأت في أمالي الشيخ ابي جعفر محمد بن حبيب : ان ابا طالب رضي الله عنه كان اذا رأى رسول الله احياناً يبكي ، وكان يقول : اذا ما رأيت محمداً تذكرت أخي عبد الله ، ولذا كان يغير مضجعه فلا يدعه بمكان واحد لئلا يعرف مضجعه ، فكان يقيمه ليلا من منامه ويضجع ابنه علياً مكانه .

وذكر ابن ابي الحديد ٣/٤٦٠ بطريقه الى الزبير بن بكار أنه قال : أما ابو طالب فهو كافل رسول الله وحاميه من قريش وناصره والشفوق عليه والرفيق به ، كما هو وصي أبيه عبد المطلب ، وكان سيد بني هاشم في زمانه ، ولم يكن أحد في الجاهلية قد ساد الا بالمال إلا ابو طالب ، كما وهو اول

من سن القسامة في دم عمرو بن عاقمة ، ثم اثبتتها السنة النبوية في الاسلام ، وله ايضاً سقاية الحجيج وسدانه الكعبة ، وكان شاعراً مجيداً .

وذكر ابن ابي الحديد ايضاً : ان ابا طالب قد افتقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم ، وكان شديد الحرص والحذر عليه من شرور المعتدين من العرب واليهود المجرمين ، فخرج يصحبه ولده جعفر يطلبان النبي ويفحصان عنه ، وبعد جهد وعناء وجداه وعلياً يصليان في بعض شعاب مكة ، فلما رآهما التفت الى جعفر وقال : يا بني تقدم صل جناح ابن عمك ، فقام جعفر عن يسار النبي ، فلما كمل الجناحان تقدم رسول الله عليهما وصار إماماً لهما ، فكانت جماعة ، وهي اول صلاة جماعة تكونت في الاسلام . وحين رأى ابو طالب تقدم النبي وتأخر الأخوين بكى رضوان الله عليه ، وقال يخاطب ولديه :

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما   أخي لأمي من بينهم وابي

ثم قال ابن ابي الحديد : وقد اسلم جعفر من ذلك اليوم . كما ذكر ايضاً ٣٠٦/٣ بطريقه الى محمد بن اسحاق انه قال : لما علمت قريش أن ابا طالب قد ابى خذلان رسول الله كما ابى تسليمه اليهم ورأوا إجماعه على مفارقتهم وإصراره على عداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي - وكان اجمل فتى في قريش - فقالوا له : يا ابا طالب هذا عمارة خذه لك فاتخذه ولداً وسلمنا محمداً هذا الذي خالف ديننا ودين آبائنا الأولين وفرق جماعتنا كما احدث البلبلة والضوضاء في صفوفنا ، فانما هو شاب مكان شاب وغلام مكان غلام .

فقال ابو طالب : والله ما انصفتموني ايها القوم ، تعطوني ابنكم اغذيه لكم واعطيكم ابني تقتلونه ، هذا ما لا يكون ابداً .

فقال له مطعم بن عدي بن نوفل - وكانت له صداقة مع ابي طالب

مصافياً له ـ : يا ابا طالب ما اراك تريد ان تقبل شيئاً من قومك ، ولعمري لقد جهدوا في التخلص مما تكرهه ، واراك لاتنصفهم .

قال ابو طالب: والله يا مطعم ما انصفوني كما لم تنصفني انت ، واجدكم وقد اجمعتم على خذلاني ، واراك وقد ظاهرت القوم علي ، فاصنع ما بدى لك ، فالله حسبي وهو ارحم الراحمين .

فعند ذلك تنابذ القوم وصارت الأحقاد تلعب دوراً هاماً ، ونادى بعضهم بعضاً ، وتآمروا فيما بينهم على من في القبائل من المسلمين ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من أعوان محمد وانصاره يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله عز وجل رسوله بعمه الزعيم ابي طالب ، الأمر الذي ادى بأبي طالب ان يكاتب ابا لهب ويراسله نثراً وشعراً استمالة له واستثارة لعواطفه نحو أواصر النسب ووشائج الرحم اللذين هما اقوى الروابط التي تربط بينه وبين ابن اخيه محمد ، ومن جملة تلك المساجلات والمراسلات القطعة الشعرية التي يقول في مطلعها :

حديث عن ابي لهب أتانا وكاتفه على ذاكم رجال

والقطعة التي يقول في مطلعها :

تستعرض الأقوام توسعهم عذراً وما ان قلت من عذر

ثم قال ابن اسحاق: ولم يستجب ابو لهب الى نداء ابي طالب واستعطافه ، ولم يعرف عنه اي عمل من شأنه أن يؤدي الى تقدير ابي طالب او توقيره ، إلا ما يروى من ان أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي لما وثب عليه قومه ليعذبوه ويفتنوه عن اسلامه ودينه هرب منهم فاستجار بأبي طالب ، وكانت أم ابي طالب مخزومية ، كما وهي ام والد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجاره ابو طالب وحماه وكف الأيدي العاتية عنه ، فمشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا : يا ابا طالب هبك منعت عنا ابن اخيك فمالك ولصاحبنا

تمنعه عنا ؟ قال ابو طالب : إنه قد استجار بي وهو ابن اختي ، وانا ان لم أمنع ابن اختي لم امنع ابن اخي .

ثم ارتفعت الاصوات على أبي طالب كما وقد ارتفع صوته ايضاً ، فتهيج ابو لهب وتوترت أعصابه ، ولم يستطع صبراً دون ان قام على قدميه مغضباً محتدماً فقال : يا معشر قريش لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ولا تزالون تتوثبون عليه في جواره من بني قومه لتنتهن او لنقومن معه حتى يبلغ مايريد .

فعندئذ خافت قريش وحذرت من ان يتبع عمله قوله ، لما يعلمون من حاله من أنه اذا قال فعل ، فصاروا الى ارضائه بكل حيلة ووسيلة ، كما خدعوه بتنازلهم واستدرارهم عطفه ولطفه ، وقالوا كلهم بلسان واحد : بل ننصرف عن اي عمل من شأنه ان يسيء اليك يا ابا عتبة . وكأنه قد رضي وهدأ ، وبقي على مسايرته للقوم وموالاته لهم ومظاهرته لهم على اخيه وابن أخيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ابن اسحاق : وحين علم ابو طالب بموقف ابي لهب هذا طمع في استجلابه ، وأمل منه ان يرجع الى صوابه فينحاز الى جهة النبي وقافلته الخيرة ، فوجه اليه رسالة اكثر فيها الارشاد والنصح ، وختمها بأبياته هذه :

وان امرءاً قد كان مثلك عمه لفي معزل من ان يسام المظالما
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة تسب بها ما ان هبطت المواسما
أقول له بل اين منه نصيحتي أبا عتبة ثبت سوادك قائمـا
وول سبيل العجز غيرك منهم فانك لم تخلق على العجز دائما
وحارب فان الحرب نصف ولن ترى اخا الحرب يعطي الخسف حتى يسالما
كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ولما تروا يوماً من الشعب قائما

وله ايضاً بالمناسبة :

عجبت لحلم يابن شيبة عازب واحلام اقوام لديك سخاف

يقولون شايع من اراد محمداً بسوء وقم في أمره بخلاف
أضاميم إما حاسد ذو خيانة وإما غريب عناك غير مضاف
فلا تركبن الدهر مني ذمامة وانت امرؤ من خير عبدمناف
فلا تتركنه ما حييت لمعشر وكن رجلا ذا نجدة وعفاف
يذود العدى عن ذروة هاشمية ايلافهم في الناس خير إلاف
وإن له قربى لديك قريبة وليس بذي حلف ولا بمضاف
ولكنه من هاشم في صميمها الى ابحر فوق البحور طواف
فراجم جميع الناس عنه وكن له وزيراً على الاعداء غير مجاف
وان غضبت منه قريش فقل لها بني عمنا ما قومكم بضعاف
وما بالكم تغشون منا ظلامة وما بال أحقاد هناك خواف
فما قومنا بالقوم يغضون ظلمنا وما نحن فيما ساءهم بخفاف
ولكننا أهل الحفائظ والنهى وعز ببطحاء المشاعر واف

قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣/٣١٥ : إن ابا طالب بيلغه عن ابي جهل شيخ المجرمين أنه قد أسمع النبي كلمات نابية وبذيئة ، مما ادى الى تألم رسول الله وتأثره ، الأمر الذي انشأ على اثره هذين البيتين يخاطب بهما النبي صلى الله عليه وآله أمام الجماهير من قريش :

لا يمنعك من حق تقوم به أيد تصول ولا سلق بأصوات
فإن كفك كفي ان اصبت بها ودون نفسك نفسي في الملمات

فحاول رضي الله عنه من ورائها ارشاد النبي صلى الله عليه وآله الى اتخاذ الطرق التأديبية في حق المجرمين مهما كانوا من العظمة والمهابة ، فان اليد المؤدبة هي مما تقصر الرجال عن ان تدناها او تطاولها ، وان كل يد تمتد اليك فلا محالة من ان تلاقى القطع بالنهاية ، فما عليك إلا ان لا تعتني بمثل كلمات ابي جهل الجوفاء ، فتقعدك عن حقك الذي جعله الله تعالى لك ،

والذي قد ألقيت مسؤوليته على عاتقك ، فامض لما امرت به واصدع بأمرك ، والله من ورائك يسندك ويعضدك ، وهو خير مؤيد ومعين .

ومرة اخرى يستمع الى بعض المشركين وقد همس الى شياطينه بالقدح بمقام النبوة وقداسة الرسالة ، اذ يأخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله ويقف به على رؤوس القوم وهو ينشد :

لقد أكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال ابن ابي الحديد بعد ذكره للبيتين السابقين : وله ايضاً في المناسبة :

يا شاهد الله علي فاشهد اني على دين النبي أحمد
من ضل في الدين فاني مهتدي

* * *

وقال المسعودي في مرج الذهب ١/٣٧٠ : إن قريشاً قد تنازعت فيما بينها على قصة وضع الحجر بعد ترميمات جرت على الكعبة ، واشتد النزاع والخصام بين القبائل ، حتى كانت الحرب من الناس قاب قوسين او أدنى ، لولا أن يهرع العقلاء والمصلحون الى ابي طالب يسألونه التدخل السريع في القضية تفادياً للحرب الطاحنة ، الحرب التي اذا نشبت ربما تتسع حركتها وتمتد الى مالا يحمد عقباه .

ففكر ملياً ثم رفع اليهم راسه وقال : الرأي الصحيح والحل المجدي هو أن تحكموا في أمركم اول طالع عليكم من باب شيبة ، واخيراً صوبوا الرأي واستحسنوا الخطة واتجهوا يرقبون الطالع من باب شيبة ، فاذا هم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد طلع عليهم من الباب التي عناها ابو طالب ، وكأن وجهه فلقة قمر طالع او هو البدر ليلة كماله وتمامه . فاجتمعوا عليه وأجمعوا على تحكيمهم إياه في قضيتهم المتأزمة ، فلم يكن

من النبي إلا ان فرش رداءه وتناول الحجر بيده الكريمة فوضعه في وسط الرداء ، ثم انتخب من الجمع العمدة والزعماء المتناحرة اربعة أنفار أعطى لكل واحد منهم طرفاً من الرداء ليحملوه الى مكانه الأصيل ، ولما وصلوا به تناوله صلى الله عليه وآله وسلم ووضعه في محله ومكانه القديم . واستحسن الجميع هذا الحل الرضي ؛ كما فرحوا بانتهاء الموضوع بسلام ، ورضى جميع الأطراف المتخاصمة .

قال المسعودي : فبينما الناس في فرح وهدوء اذ يسمعون هاتفاً يهتف ويقول : واعجباً لقوم يدعون لأنفسهم الشرف والمنعة والزعامة والسيادة من شيوخ وكهول قد عمدوا إلى اصغرهم سناً وأقلهم مالا فحكموه فيما شجر بينهم وجعلوه رئيساً عليهم ، أما واللات والعزى ليفوقهم سبقاً ، وليقسم بينهم خصوصاً ، وليكون له بعد اليوم شأن عظيم .

ثم قال المسعودي : وقد تنوزع في الهاتف من هو ؟

فمن الناس من رأى أنه ابليس ظهر ذلك اليوم على صورة رجل من قريش كان قد مات ، وان اللات والعزى هما اللذان احيياه لينبه الناس على الخطر الداهم الذي سيجره عليهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن الناس من يرى ان المتكلم هو حكيم من حكماء العرب ، قد استنتج من تحكيم القوم للنبي ومن عمليته تلك تفوقه وسموه ، وأنه سيكون على شأن عظيم .

قال المسعودي : وعلى أثر سماع ابي طالب مقالة الهاتف انشأ :

ان لنا أوله وآخره ... في الحكم العدل الذي لا ننكره
وقد جهدنا جهدنا ليغمره ... وقد عهدنا عهدنا لنحضره

فإن يكن حقاً ففينا اكثره

ابو طالب يدعو ملك الحبشة الى الاسلام

يحدثنا ابن هشام في سيرته ٣٥٧/١ وابن ابي الحديد في شرح النهج ٢٢٤/٣ ان ابا طالب رضي الله عنه قد كرر كتبه لامبراطور الحبشة يدعوه الى الإسلام وكان قد ختم بعض رسائله بمقطوعتين ، من الأولى :

أتعلم ملك الحبش أن محمداً — نبي كموسى والمسيح بن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به — فكل بأمر الله يهدي ويعصم
وانكم تتلونه في كتابكم — بصدق حديث لاحديث الترجم
فلا تجعلوا لله نداً واسلموا — فإن طريق الحق ليس بمظلم

ومن الثانية :

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر — وعمرو وأعداء النبي الأقارب
تعلم أبيت اللعن انك ماجد — كريم فلا يشقى إليك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة — وأسباب خير كلها بك لازب

قال ابن ابي الحديد والطبري وابن سعد في الطبقات: لما كثر اعتداء المشركين واليهود على المسلمين هرب من الاضطهاد المرير كثير من المسلمين ، وفروا بأرواحهم ودينهم الى خارج الحجاز وبعض الى خارج مكة ، وكان من اولئك النازحين جعفر بن ابي طالب وخمسة وثلاثون نفراً من أصحابه قصدوا الحبشة فلاذوا بحماها حفاظاً على نفوسهم ودينهم .

* * *

اقول : مما لا ينكر أن هناك من المسلمين من لاذ بالفرار والنزوح الى البلدان النائية ليسلموا على أرواحهم ودينهم من اذى وتعذيب قريش ، إلا

أن الهرب كذلك غير مقصود ، ولا يمكن أن يكون من المعقول بالنسبة الى ابن ابي طالب الطيار ، لأن قضيته تأبى وتأبى ان تنطبع بطابع الفرار والهزيمة ، بل هي سياسية تبشيرية قلباً وقالباً وروحا وواقعاً .

وكيف لا تكون كذلك وهناك اكثر من مصدر ووثيقة يبرهنان على ان ابن ابي طالب هو الشخصية اللامعة في سماء مكة ، كما هو البطل المهيب في دنيا العرب وقريش ، كما هو ثاني رجل في الاسلام وثاني مصل على الكرة الارضية بعد أخيه علي بن ابي طالب . . . اذاً فكيف يا ترى يمتلىء به استياؤه وتألمه فيحدوان به الى الفرار وان يعاف الرسول صلى الله عليه وآله ويغادر الوطن بغية النجاة والسلامة .

هذا مضافا الى انه ابن ابي طالب الرئيس العام ، وقد تحاشا الشرك ابن اخيه فكيف يكون بالامكان ـ والحالة هذه ـ أن يدنو من ابنه وفلذة كبده.

يؤيد ذلك تفكير قريش بخطر الرحلة وتصميمها على ارسال بعثة مناوئة لتقف في وجه الطيار وجماعته وتصد دعوته وتبشيره ، فكانت إرساليتهم تتألف من الزعماء والسياسيين : مثل عمرو بن العاص ، وعبد الله بن ربيعة المخزومي ، وعمارة بن الوليد ، وغير هؤلاء من رجال الفكر وابطال الدهاء . كما وقد زودوا البعثة بوفير المال وجليل الهدايا ، ليستميلوا بواسطتها اهل النفوذ والوجهاء ، حتى يتمكنوا من غايتهم ويحصلوا على الشيء الذي كانت بعثتهم من أجله .

وفعلا طبقوا كل ذلك ، فوزعوا الأموال المسيلة للعاب ، ونشروا الهدايا من هنا وهناك ، فكسبوا من هذا الطريق قلوب جماعة من أهل الحل والعقد ، وقلوب جماعة ممن يرتبطون بالبلاط الملكي ارتباطاً وثيقاً ، وظنوا أنهم سيحصلون على ما يريدون ، فنفثوا إلى الملك واستطاعوا تشويش ذهنه على ابن ابي طالب وجماعته ، زاعمين له مبينين أنهم قوم مشعوذون قد تنكروا لدينهم ودين

آبائهم الأولين ، وابتدعوا ديناً جديداً لا يعرفونه ولا الملك يعرفه ، وهذا هو الذي جلب عليهم نقمة القوم وسخط عشائرهم ، فاضطروا الى الهجرة والاستجارة بحمى الملك ، متخذين من ذلك وسيلة وذريعة الى بث سمومهم ونشر دعوتهم في البلد الآمن المطمئن ، فيعكرون صفوه ويحدثون البلبلة والغوغاء في ربوعه المجيدة ، واذا ما اتخذت التدابير لقمع حركتهم وتحديد صلاحياتهم أو إبعادهم عن البلاد وبخلاف ذلك ربما يقع ما يكره ، وبالتالي الانقلاب على الحكم القائم والديانة المتأصلة .

فتأخذ المؤامرة مجالا غير قليل من تفكير الملك وقلقه ، فيستمهلهم ريثما يتأمل في الأمر ويفحصه من جميع أطرافه ثم يرى رأيه . فلم يسع القوم حين ذاك إلا الموافقة والسكوت على مضض الى ان يقفوا على النتيجة .

ومن حسن الصدف ان تصل احدى رسائل ابي طالب الى الملك في اليوم نفسه ، وما ان يقرأها ويتفهم معناها حتى يستولي عليه الهدوء والطمأنينة ، ويذهب عنه الهم والحذر .

وكان الكتاب يتضمن جملة من محاسن الاسلام وأحكام الدين المحمدي ، وانه الدين الحق الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه ، كما هو لم يكن بالدين المرتجل الذي خلقته الظروف الآنية ، بل هو أمر مرتقب قد بشرت به الكتب السماوية والعلماء الأقدمون ، كما استطاع ان يركز نفسه ويرسيها على قواعد متينة ودلائل وثيقة وآيات بينات يعجز البشر من الإتيان بما يماثلها ويضاهيها . واول شيء يستهدفه هو توحيد الله عز وجل ونفي الشركاء عنه تعالى ، ثم الأمر بمكارم الأخلاق والتحلي بصفات الخير والمحبة للناس ، والتوادد والتآلف فيما بينهم ، وتفقد الضعفاء ، والحث على صلة الرحم ـ الى غير ذلك من المكارم والمآثر .

ثم لفت نظره في نهاية الرسالة الى ولده جعفر ، وانه فضل حماه

والإنطواء تحت لوائه دون غيره، وما ذلك إلا لما كان يعامه من جميل الفعال وكرم النفسية والخصال، والا فأرض الله واسعة فضاها .

وتدخل المحتويات في نفس الملك، فيمتلئ حدة وغضباً على ابن العاص واصحابه، ويرسل خلف الطيار، فيوسع له ويعتني به فيقدره ويكرمه، وبالتالي أسلم على يدي القائد الاسلامي العظيم جعفر بن ابي طالب، وآب ابن العاص وصحبه فاشلين في مهمتهم خاسرين في رحلتهم .

ولعلنا نأتي على تفصيل الرحلتين والبعثتين في ترجمة أولاد ابي طالب، والمهم الآن هو بيـان ان الطيـار لم تكن سفرته كما يقولون من أنهـا انهزامية بحتة نشأت عن الضغط الكـافر والاضطهاد المشرك، وقد عرفت انها إن دلت على شيء فإنما تدل على أنها سياسية وتبشيرية، وقد تمكنت من التأثير على الامبراطور الحبشي، ثم توسعت الى المجموعة الحبشية، فكانت الحبشة منظمة الى البلاد الاسلامية بالنهـاية . . . كل ذلك ببركة عم النبي وابنه الطيار، كما تدلنـا مراسلات الزعيم الهاشمي على انه رضي الله عنه لم يكن توحيده لله وإيمانه به تقليدياً وتبعياً فقط، بل انما كان فطرياً وغريزياً من جهة، ووراثياً تلقاه عن سلفه الصالح وآبائه الميامين من جهة أخرى .

والحق أن آباء رسول الله الأكرمين كانوا مؤمنين بالله ولا يشركون به طرفة عين ابداً، كانوا يدينون بدين ابراهيم الخليل جدهم الأعلى، ومما لاشك فيـه ان ملة ابراهيم ودينه هما نسخة طبق الأصـل للدين الاسلامي الحنيف « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » [آل عمران] .

« وما جعـل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين » [الحج] .

وهناك آيات اخرى تؤيد أيضاً ان ديانة ابراهيم وملته قريبة من الديانة الاسلامية ان لم تكن هي ، ودين ابراهيم هو الذي كان يرجع اليه آباء النبي كلما تنقرض ديانة او تنسخ ، فهو دين معلوم لديهم محفوظ عندهم يحكمون عملهم عليه ويسيرون على ضوئه ، كي لايكون حالهم حال الأسر الأخرى من العكوف على عبادة الأوثان وارتكاب المحارم والآثام ، لذا حرم ابوطالب على اسرته وآله الملاذ غير المشروعة كالخمور والقمار والفجور ، وكل عمل من شأنه ان يؤدي الى ما لا يرتضيه العقلاء النبلاء ، إلا ما كان من أمر ابي لهب المرفوض ، فإنه قد شذ عن هذه الأسرة الكريمة بكل معاني الشذوذ ، لهذا فقد لفظه بنو هاشم لفظ النواة ، واسقطوه من قائمتهم ، قاتله الله ولعنه وأعدّ له عذاباً أليماً .

ابو طالب يطلب من النبي المعجزة

يحدثنا ابن ابي الحديد في شرح النهج ٢٠٦/٣ عن العباس بن عبد المطلب انه قال : خرجت مع ابن اخي محمد واخي ابي طالب الى خارج مكة لغاية الترفيه عن محمد وقصد تسليته ، فجلسنا على تل كان هناك ، فاسترسلنا في الحديث فخضنا فيه من هنا وهناك ، اذ يطلب ابو طالب من محمد أن يدعو اليه شجرة كانت تبعدعنا قليلا ، فحرك محمد شفتيه فإذا بالشجرة وقد انقلعت من جذورها أقبلت حتى وقفت أمامه قائلة « السلام عليك يا رسول الله وحجته على خلقه » . فقال ابو طالب : مرها يا بن اخي أن تعود الى مكانها وترجع الى محلها . فتكلم محمد بكلمات لم نفهمها ، فاذا الشجرة وقد استدارت واتجهت الى مكانها فثبتت فيه ، ثم قضينا الوقت الذي كنا قد قررنا أن نقضيه وعدنا الى دورنا .

أقول : إن هذا الطلب من الزعيم الهاشمي إنما كان في اوائل البعثة وبدء أزمنة الرسالة ، وان دل على شيء فإنما يدل على أن عم الرسول أراد أن يكون تصديقه بالنبوة والبعثة مرتكزاً على الدليل ومبتنياًعلى براهين واسس واقعية لا تقبل الجدل والنقاش ، مثل تقدم الشجرة وسلامها على رسول الله صلى الله عليه وآله ، كل ذلك مزيداً للأطمئنان والتأكد والوثوق ، نظير ما وقع على تفسير للنبي الخليل حين سأل الله عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى ؟ قال : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي .

هذا أولا ، وأما ثانياً فإنه قد اجتمع عليهم عدة من العرب المجاورين ، فأراد أبو طالب ان يريهم كرامات الرسول صلى الله عليه وآله ومعاجزه لعلهم يهتدون الى دين الله وسراطه المستقيم ، وإلا فهو مؤمن بالله وبما جاء

به محمد من عند الله ، لايزيده تكرر الفضائل وخوارق العادة سوى الفرح بما اعطى الله رسوله من عظيم المقام وجليل المنزلة ، وها هو يقول :

إن ابن آمنــة النبي محمداً   عندي بمثل منازل الأولاد

ويقول ايضاً :

ظهرت دلائل نوره فتزلزلت   منهـا البسيطة وازدهت أيام

وهوت عروش الكفر عند ظهوره   وبسيفـه سيشيـد الاسلام

وأتـاهم أمر عظيم فـادح   وتساقطت من حوله الأصنام

صلى عليه الله خلاق الورى   ما أعقب الصبح المضيء ظلام

ومما لا شك فيه أن البيت الأول هو إقرار صريح واعتراف واضح بنبوة النبي صلى الله عليه وآله ، ثم أبان أنه بمنزلة أولاده عنده من حيث الشفقة والحنان واللطف ، بل زاد عليهم وتقدمهم أشواطاً بعيدة ، فيفقده ذات يوم فلم يحضر الدار على مستمر عادته ، فيضطرب للحادث ويستولي عليه القلق والتشويش ويرتبك للتأخر غير المعتاد ، لعلمه بتلبد الغيوم على رسول الله وتجهم الوضع عليـه والتربص به ، الأمر الذي أدى بإكثـار الرسل ليأتوه بخبره ، فانتشروا في نواحي مكة ثم عادوا ولم يحصلوا على أثر لا قليل ولا كثير ، فيزداد تألماً وامتعاضاً ، ويأمر فتيان بني هاشم بالتسلح الخفي وان يخرجوا إلى النادي الكافر ، فيقف كل واحد منهم على رأس كل رئيس وزعيم من العرب وقريش حتى يعود اليهم ، فإن جاءهم بمحمد فذاك وإلا عمدوا إلى الزعماء والرؤساء فقتلوهم عن آخرهم .

فخرج وخرجوا ، ويقدر له أن يضيف الى أعماله الخالدة وكراماته المتتالية كرامة العثور على رسول الله وفضيلة لقياه ووجدانه ، فيأخذ بيده ويأتي بـه الى الندوة ، فيقف بـه على الجماهير ويشرف به على المجتمع ، فأعلمهم بما بيته لهم إن هو لم يجد محمداً صحيحاً سوياً . ثم اومأ الى فتيانه

أن يخرجوا ما أخفوه تحت الثياب من السيوف ليرهبوا بها عدو الله وعدو رسوله ، فأخرجوها فاذا هي صحائف يقطر منها الموت ، الأمر الذي أهال القوم وارعد فرائصهم ، وبالتالى حمدوا الآلهة على سلامة محمد ، كما حمدوها على سلامتهم ونجاتهم ، ثم انشأ ابو طالب وهو آخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله :

ألا أبلغ قريشاً حيث حلت	وكل سرائر منهـا غرور
فإني والضوابح عـاديات	وما تتلو السفـافرة الشهور
فلست بقاطع رحمي وولدي	ولو جرت مظالمها الجرور
أنا لبني أخي راع حفيظ	وورد الصدر مني والضمير
أيأمر جمعهم ابنـاء فهر	بقتل محمد والقتـل ذور
فلا وأبيك ما ظفرت قريش	ولا أمت رشاداً إذ تشير
لبني أخي ونوط القلب مني	وأبيض مـاؤه غدق كثير
ويشرب بعده الولدان ربآ	واحمـد قد تضمنه القبور
ايابن الأنف انف بني قصي	كأن جبينك القمر المنير

وبعد ان فرغ رجع بالنبي مرفوع الرأس موفور الكرامة فرحاً بما آتاه الله تعالى من فضله .

* * *

وهكذا يقدر لعم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحيى حياة طيبة ، حياة ملؤها البطولة ، ملؤها الجهاد في سبيل الله ، ملؤها المفاداة والذب عن رسول الله ، وقد خدم بيت الله قرابة الستين عاماً ، كما قام بشؤون زواره وحجاجه طول عمره الكريم .

وتشاء له ارادة الله القدير أن يرحل عن هذه الدنيا الفانية ، الدنيا المليئة بالأتعاب والمشاق والنصب والعناء ، ليحل مكانها دار الخلود والراحة ، دار

الفردوس والكرامة ، دار الأنبياء والأولياء والصالحين والأتقياء وحسن أولئك رفيقاً ، ليجزى بما كسب وقدم من خير عميم ، وأعمال صالحة يستمر أثرها الى قيام يوم الدين .

كيف وقد اخذ الله عز وجل على نفسه المقدسة ان لا يضيع عمل عامل من ذكر وأنثى ، كما لا يضيع أجر من احسن عملا ، وانه تعالى لا يضيع اجر المحسنين ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .

اذاً فلتهدأ نفسك ولتقر عينك يا عم رسول الله وناصر دين الله ، بما سيريك الله العظيم من نعيم مقيم ورحمة ابدية ، لا زوال لها ولافناء . ويشيع نبأ مرضه رضوان الله عليه ، فيجتمع عليه للعيادة الأهل والأسرة والمعاريف والأصدقاء ، يصابحونه ويماسونه وكلهم وجلون متصدعون لوعكة زعيمهم وسيدهم العظيم ، ولا سيما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فانه أشد الناس توجعاً واكثرهم تألماً واستياء .

ويستشعر هو رضوان الله عليه بدنو أجله واقتراب وفاته ، فيستعد الى لقاء الله ويتأهب للدار الآخرة ، فيبعث خلف بني هاشم فيحضر كلهم أجمعون ملبين دعوة زعيمهم المفارق ، فيدير عينيه في وجوههم ، ثم اخذ يعظهم ويذكرهم بأيام الله وينصحهم بطاعة الله وملازمة أحكامه وسننه ، واقتفاء اثر رسول الله واتباع شريعته ومبادئه ، فيتعاظم الأنين ويتعالى البكاء والحنين . ثم ارشدهم الى الاعتناء بالبيت الحرام ، وتقديس الكعبة الموقرة ... الى كثير من النصائح والإرشادات .

ابو طالب ينشىء وصيته

ولما سكن نشيج القوم وهدأت زفراتهم وحراتهم أخذ عم النبي العظيم يسلي الهاشميين ويهون عليهم ، وانه ليس لوحده فقط أوجد الموت وخلق الفناء ، بل هو حتم في رقاب العباد لا يمكن ان ينجو منه أحد ابداً :

كل ابن انثى وان طالت سلامته   يوماً على آلة الحدباء محمول

واذا حملت الى القبور جنازة   فاعلم بأنك بعدهـــا محمول

يا معشر بني هاشم ، يا معاشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه ، وانتم قلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدام الشجاع ، الواسع الباع . واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً الا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلكم بنوالكم على الناس الفضيلة ، ولهم به اليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب ، وعلى حربكم ألب .

وإني اوصيكم بتعظيم هـذه البنية ، فإن فيهـا مرضاة الرب ، وقواماً للمعاش ، وثباتاً للوطئة . صلوا أرحامكم ولا تقطعوها ، فان صلة الرحم منسأة للأجل وزيادة في العدد ، واتركوا البغي والعقوق ففيها هلك القرون قبلكم ، وأجيبوا الداعي ، واعطوا السائل ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فان فيها محبة في الخاص ، ومكرمة في العام . واني أوصيكم بمحمد ، فإنه الأمين في قريش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، ولقد جاءنا بأمر قبله الجنان ووعاه القلب .

وأيم الله كأني انظر الى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس ، وقد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره ، فخاض بهم

غمار الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ودورها ضراباً ، واذا بأعظمهم عليه احوجهم إليه ، وأبعدهم عنه احظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها واعطته قيادها ، دونكم يا معشر قريش ، دونكم إبن اخيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة .

فوالله لايسلك أحد سبيل محمد إلا رشد ، ولا يأخذ بهديه الا سعد ؛ ولو كان لنفسي مـــدة وفي أجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ودفعت عنه الدواهي ، غير اني أشهد بشهادته وأعظم مقالته .

اقول : وأيم الله إنها وصية جليلة ومذكرة عظيمة ، ولعمر الحق إنها وصية حازت منتهى السمو واتصفت بمنتهى الجلالة والعظمة ، تزخر بغرر النصائح ودرر الكلم وبليغ المقال وجميل الوعظ والارشاد ، قد مجدها كثير من المؤرخين وقدستها كتب التاريخ والسير ، وكان من اولئك مفتي الشوافع في عصره السيد زيني دحلان في مؤلفه « أسنى المطالب » والحموي في كتابه « ثمرات الأوراق » والسهيلي في « الروض » والسيد علي خان في « درجاته الرفيعة » والمجلسي في « البحار » والسيد البرزنجي الشافعي وابن ابي الحديد في « شرح النهج » ٢/٢١٣ .

واني لأقسم بالله ـ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ـ أن وصية حامي النبي وعمه الكريم هذه لهي وصية ضخمة ، هي بوصايا الأنبياء أشبـــه ، وبنصائح الأئمة والأولياء انسب ، والى تعاليم العلماء والعباقره أقرب . فهي وصية تنم عن مجموعة معارف ، وتعطي اضمامة من دروس قيمة وتعاليم رفيعة وراقية ، كما يستشف منها العلم الجم ، والأدب الوفير ، والبلاغـــة المنقطعة النظير ـ الى غير ذلك مما يضع عم الرسول الكريم بمواضع العباقرة والمفكرين والعلماء اللامعين .

فأول ما استهدفه من معنى ظهر على لسان النبي الكريم أخيراً ، وهو

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله اصطفى إسماعيل من ولد ابراهيم، ثم اصطفى من ولد اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » .

أما قوله رضوان الله عليه « فيكم المقدام الشجاع الواسع الباع » يريد بذلك اسرة رسول الله الكريمة وسلسلته المجيدة ، فهي وحدها التي قد انفردت بطيب المحتد وكريم المآثر وجليل صفات الخير — الى غير ذلك من عناوين الكمال وجميل الخلال والخصال والشجاعة الفذة .

ومما لا يختلف فيه إثنان ولا يرتاب فيه أحد ان آبـاء النبي العظماء كانوا على درجة عليـا من الجود والسخاء والرأفة والحنان والعطف على الضعفاء واللطف بالمعوزين والفقراء .. اغاثوا الملهوف وسعوا جاهدين إلى قضاء حوائج الناس والترفيه عليهم ، مضافاً الى تميزهم بعبادة الله وروحانية خدمة بيته الحرام والقيام بلوازم الزوار والحجاج من وفادة وسقاية — الى غير ذلك من المفاخر مما جعلهم في الأنظار في اعلى مقامات السيادة والزعامة.

ثم يلفت نظر الهاشميين الى العكوف على خدمة الكعبـة ثم تعظيمها وتكريمها خدمة لله عز وجل وقربة اليه تعالى . هذا بالإضافة الى ما تخلفه الخدمة والسدانة من شرف كبير ، وعلى المكانة في النفوس المؤمنة والقلوب المحبة لله سبحانه ، وذلك أمر لا ينبغي التفريط به بأي حال من الأحوال..

وأما قوله رضي الله عنه : « صلوا أرحامكم ولا تقطعوهـا » فهو إرشاد قيم متين ونصح جليل ثمين ، كما هو معنى إنساني كريم يستشف منه الشعور بآمال الأقارب والأرحام وآلامهم ، ثم الترفيه عليهم جهد الامكان وحسب المستطاع ، لما لهم من حقوق فضلى وواجبات مثلى ، يحتمها العقل السليم وتفرضها الانسانية الحقة . أضف الى ذلك النتائج التي تنتج من جراء الصلة المشار اليها من آثار مستحسنة ومفاهيم محببة : منها الزيادة في الرزق

والاطالة في الأعمار ، ثم المودة في نفوس الأقرباء والأرحام . ولله در القائل:

أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الانسان احسان

وقد جاءت هذه النظرة من عم النبي الزعيم أبي طالب موافقة لآداب القرآن وسنن الاسلام . وقد ورد في القرآن الكريم كما في سورة النساء « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » .

فقد جعل الله تعالى لزوم الاتقاء من سخط الأرحام واجتناب عقوقهم مقارناً لمخلفات عقوقه وعصيانه عز وجل ، وما ذلك إلا لأهميتهم عنده وكرامتهم عليه .

وورد أيضاً في سورة محمد صلى الله عليه وآله « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم اولئك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » .

فنظر الله تعالى الى الذين يقطعون أرحامهم ولا يصلونها نظرته الى الذين يعيثون في الأرض الفساد ويسعون فيها بالجرائم والمنكرات ، فقاس الجميع بمقياس واحد ووزنهم بميزان واحد .

وورد ايضاً في سورة الأنفال « وأولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » .

وأما ما ورد في السنة النبوية ـ من فضيلة صلة الرحم والحث عليها ـ فهناك الشيء الكثير . روى آل البيت عن جدهم النبي صلى الله عليه وآله:

صلوا أرحامكم ولا تقطعوها .

صلوا أرحامكم ولو بالسلام .

الرحم مشتقة من الرحمة ، والرحمة من صفات الله عز وجل .

الرحم معنى معلق بين السماء والأرض ينادي « اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني » .

إن صلة الرحم تطيل العمر كما تزيد المال والثراء .

صل رحمك ولو بشربة ماء ، وان افضل ما يوصل به الرحم كف الأذى عنه .

من مشى الى ذي قرابة بنفسه او بماله او بجاهه رعاية لصلة الرحم اعطاه الله عز وجل اجر الشهداء في سبيل الله ، كما اعطاه بكل خطوة يخطوها من الحسنات ما لا يعلم به إلا الله ، ويعطيه ايضاً ثواب عبادة مائة سنة تطوعاً .

صلة الرحم وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار .

وقال الامام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى « الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل » الذي أمر الله به أن يوصل هو رحم رسول الله صلى الله عليه وآله وذوو قرباه ثم رحم الانسان .

وأما قوله رضوان الله عليه « واتركوا البغي والعقوق » فانه درس نافع وفكرة اجتماعية ضخمة ، لأن البغي والاعتداء من دون حق واضرار الناس من دون ما سبب أو مبرر هو الظلم بعينه ، والظلم إن دام دمر .

وكذلك الاستهانة بحقوق الأبوين أو بحقوق الاخوة المؤمنين ، فهو ظلم صريح ، وتحطيم للكرامة التي قدرها الله تعالى للابوين أو للانسان بعضه مع بعض ، وقد تعرض القرآن المجيد للظلم والظالمين وذمهما فقال تعالى:

« فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين » سورة الأعراف .

« ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون » سورة ابراهيم .

« ويوم يعض الظالم على يديه » سورة الكهف .

« لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين » سورة مريم .

« ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين » سورة آل عمران .

وليست هذه الآيات الكريمة فقط هي كل الوارد في هذا الموضوع ،

بل هناك كثير مما تركناه رعاية للاختصار ؛ ولنا في هذا القدر من الكفاية.

أما ما ورد من السنة فنذكر على سبيل المثال ما نقله الشيخ ورام في مجموعته ، بطريقه الى مولى المؤمنين وإمام المتقين علي بن ابي طالب عليه السلام عن ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله عز وجل انه قال : اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيري .

وعنه عليه السلام : اياك وظلم من لم يجد عليك ناصراً إلا الله .

وعنه عليه السلام عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : الويل لظالم أهل بيتي ، عذابهم مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار .

وعنه عليه السلام : لا يكبرن عليك بغي من ظلمك ، فإنه يسعى في مضرة نفسه ونفعك .

وعنه أيضاً : ألا وان الظلم ثلاثة أنواع : ظلم لا يغفره الله ، وظلم لا يتركه الله ، وظلم ربما يغفره الله . أما الظلم الذي لا يغفر فهو الشرك بالله « إن الله لايغفر أن يشرك به » ، وأما الظلم الذي لا يترك فظلم الناس بعضهم لبعض ، وأما الظلم الذي يمكن ان يغفر فهو ظلم الانسان نفسه بزجها في آتون محارم الله وذل معصيته ، فهذا النوع من الظلم يمكن اعفاؤه والتسامح فيه فيما اذا عقب بالتوبة وقرن بالندم على ما صدر والاقلاع عن المماثل في المستقبل .

وعنه عليه السلام : بالظلم هلكت القرون والأمم السالفة .

قوله رضي الله عنه « أجيبوا الداعي واعطوا السائل » أما اجابة الدعوة أو الداعي فتلك من صفات المؤمنين وسمات المتدينين ؛ مضافاً الى انها تورث التآخي والتصافي بين الناس ، كما توجب التآلف والتوادد بين المسلمين.

وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله : لو دعاني داع على كراع لأجبته .

كل ذلك حث وترغيب على إجابة الداعي مهما كان ؛ حتى ولو كان

مثل كراع الرجل الفقير البسيط ، وحتى لو كانت الدعوة بسيطة لا تتعدى كراع الشاة ، وحتى لو كانت تستلزم التعب من جهة بُعد المكان ، مثل كراع الذي هو اسم مكان يبعد مقداراً ما عن البلد .

وثبت عنه صلى الله عليه وآله انه قال : اذا دعيتم فأجيبوا .

أما قصة اعطاء السائل فإنها اضحت من مآثر الاسلام ومختصاته ، وقد ندب اليها القرآن الكريم في اكثر من آية « واما السائل فلا تنهر » ، « واطعموا البائس الفقير » .

وفي الحديث : إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

لو صدق السائل لهلك المسؤول .

من أراد أن ينمو ماله ويطول عمره فليكثر من الصدقة .

وما عسى أن يقول القائلون في وصية عم الرسول العظيم هذه ، فكل قول وثناء وكل تقريض وتفخيم هو دون مستواها ودون شأنيتها ومكانتها ، فأكرم بها من وصية تصقل العقول وتصهر النفوس ببوتقة الخلق الاسلامي النبيل ، كما تطبع الانسانية بطابع الحضارة والمثل العليا التي تضع الانسان بمصاف العباقرة اللامعين والنبلاء الأكارم .

قوله رضي الله عنه : « وعليكم بصدق الحديث » ولا يكاد يخفى ما للصدق من اثر فعال يورث ترابط المجتمع ، ويؤدي الى التفاهم والتقارب بين افراده وجماعاته ، كما يظهرهما بمظهر الكمال والجلال ... ويلحقهما بالمثقفين العظماء والروحانيين من الملائكة المقربين .

وقد ورد في القرآن العزيز تمجيد الصدق والصادقين في كثير من الآيات الكريمة « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » . فهذه الآية المباركة ــ وان كانت واردة في فضل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كما

ذكر ذلك السبط ابن الجوزي في تذكرته وابن ابي الحديد والقندوزي في ينابيعه إلا أنها تخرج عن كونها مدحاً للصادقين وثناء على الصدق .

ومن الآيات « والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم الفائزون ».

أما نظرة القرآن الى الكذب فهي نظرة ساخط ماقت « سيعلمون غداً من الكذاب الأشر » ، « ويل للمكذبين » .

ويكفى في ذم الكذب وقبحه كونه كذباً . وهو من الرذائل والصفات المقيتة ، وبالتالي إنه يورث الإنهيار الخلقي والتفسخ والتحلل في افراد المجتمع ثم الويل والدمار .

قوله رضي الله عنه « وعليكم بأداء الأمانة » هو توجيه فطري وشعور بأهمية الأمانة ولزوم الحفاظ عليها ثم أدائها وتسليمها الى أهلها كاملة غير منقوصة . ويكفي في خلاف ذلك ثبوت الخيانة في حق الأمين او المؤتمن ، والخيانة جرم خطير وعمل حقير يورثان في بني الانسان التباغض والتناحر ثم التقابل المسلح والحرب الطاحنة ، ومن هنا كان القرآن المجيد يصر في اكثر من آية على لزوم اداء الأمانة « فليؤدي الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه » ، « والذينهم لأماناتهم وعهدهم راعون » .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليس مني من غش امتي او خادعهم او خانهم .

قوله رضي الله عنه : « واني أوصيكم بمحمد فانه الأمين في قريش والصديق في العرب » ، فأنه تأكيد بالإيصاء برسول الله ، ولزوم اتباعه ونصرته ، ولزوم احاطته والمحافظة عليه . وسد كل النوافذ والثغور التي يمكن أن يتسرب منها العدو فيتسال الى عرقلة حركته او يحترض سير قافلته .

هذا أولا ، وأما ثانياً فإنه تصديق للبعثة ، واعتراف بالرسالة والنبوة ، وارشاد الى ذلك ، لذا اتبعه بقوله « ولقد جاءنا بأمر قبله الجنان ووعاه

القلب » يعني الاسلام .

ثم أقسم رضي الله عنه فقال : « والله لا يسلك أحد سبيل محمد الاسعد ، ولا يأخذ أحد بهديه إلارشد » ومن الجلي الواضح أن سبيل محمد وهدى محمد هو الدعوة الى الله ثم الى دين الله الحق ، وبهما يتحقق للانسان الهدى والرشاد والسعادة والفلاح .

ثم اخذ يقرأ عليهم عن مستقبل النبي القريب او البعيد ، وما سيكون عليه من التوسع وانتشار الصيت والانتصار على الدول الكافرة والمشركة ، ولا بد من ان تتهافت عليه الناس بعد ذلك خاشعة تأتمر بأمره وتنتهي بنواهيه، أفلا يكون هذا من اجل الدوافع والأسباب المقتضية الى مساندته والالتفاف حوله والأخذ بقوله ، لتكون لهم السيادة والقيادة والامرة والوزارة .

افلا يكون ذلك موجباً لعدم فسح المجال للآخرين الأباعد أن يحيطوا بمحمد ، فيكونوا بهذه الواسطة هم الدعاة والولاة ، في حال ان الآل والأسرة هم أحق بالاحاطة والنصرة ليحصلوا على الأولوية في الوصاية والولاية .

ثم تمنى رضي الله عنه ان يفسح الله في أجله ويمد له في عمره ، لالحب البقاء والخلود في الدنيا ، بل ليكف عن رسول الله المزاهز ، ويدفع عن حضرته الدواهي ، حتى تعلو كلمة الله ويشاهد انتشار ألوية الدين عالية خفاقة ، وحتى يرى الرؤساء والعظماء غادية وجائية ، وهي تعتذر الى ابن اخيه مستشعرة تقصيرها في حقه آملة منه العفو والصفح عما صدر منها من الأذى والاساءة اليه صلى الله عليه وآله ، وهناك فليكن الموت وليقضي الله أمراً كان مفعولا .

* * *

رضي الله عنك وارضاك يوم لا ينفع فيه المال والبنون إلا من أتى الله بقلب سليم من درن الجاهلية وأوضار الوثنية ، مؤمن بالله لم تأخذه فيه

تأخذه فيه لومـــة لائم ، ولا في موالاته لرسول الله ومؤازرته إياه رعـد الفوضويين وابراق المرجفين .

تمنيت أن تعيش الزمن الذي يتم فيه الأمر للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، لتستكثر من صالح الأعمال ، وتتوصل الى خير الزاد ليوم المعـاد ، وتقي الرسول من مكائد الكفر ودسائس الشرك ، او لتموت في سبيل الله ورسوله شـهيداً سعيداً ، وهنالك الفوز المبين والفردوس الأعلى مقر الأنبياء والمؤمنين ، وحيث رحمة رب العالمين .

وما ادري يا عم رسول الله كيف استشعرت التقصير ، فرجوت ان يفسح في أجلك لتحوز على خدمات لله ورسوله اكثر وجهاد أوفر ، وهل تركت شيئاً تكون فيه الخدمة اوتتحقق منه المفاداة إلا وقد صنعته ؟

ألم تحتمل الذل والهوان من حيث توحيدك لله ومن حيث ملازمتك لرسول الله ، تلك الملازمـــة التي اطاحت بقلاع الكفر وهـدمت صروح الأصنام والشرك ، ثم تخضع لرسول الله ذاك الخضوع الذي لم يحدث التاريخ منذ عرف له مثيلا ونظيراً ، وانت عمه ومربيه وكافله ، وانت زعيم مكة وولي الله على بيته الحرام ؟

ألم تحتمـل مرارة الحصار المشين وتبعات الاعتقـال المؤلمـــة طوال ثلاث سنين ؟

ألم تخمد تحرشـات الكفـر ، وتفضح مؤامرات الشرك ، وتأتي على عدوانهم وما يبيتونه من اضاليل واباطيل ، فتنسفه وتنقضه من الأساس ؟

ألم تنذر نفسك وتوقفها على مدح رسول الله ونشر فضائله ومكارمه ومآثره ، فلئت الكتب بنثرك وشعرك ؟

أما يكفيك كل هـذا العمل الخير ، العمل الذي يكون بعضه موجباً لأن تشملك رحمة الله وتستدرجك جنته ورضوانه ، واخيراً ختمت وصيتك

بكلمتك الرائعة « غير اني اشهد بشهادته واعظم مقالته » .

نعم والله يا عم رسول الله ، لقد شهدت بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وأعظمت مقالته من أول يوم أظهر فيه صلى الله عليه وآلـه الشهاده لله عز وجل بالوحدانيـة وله بالرسالة ، ولكنك أيها العظيم أحببت أن تختتم بما ابتدأت به ، لتكون آخر دعواك : أن الحمد لله رب العالمين .

ولا يضر الأســود نبح الكلاب ، كما لا يضر نقيق الضفادع وطنطنة الذباب في عظمة العظماء ومقامات الأبطال ، وسوف ترد ويردون على الله ، كما سيعرض الظالمون على الله ورسوله ، فتسود وجوههم حياءً من رسول الله بمازوروا ولفقوا ، ولا ينفعهم إذ يندمون ، كما لا ينفعهم إذ يعتذرون يوم يعض الظالم على يديه ويقول الكافر بآلائك الجاحد لفضلك : ياليتني كنت تراباً ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

* * *

وتحدث ابن ابي الحـــديد فقال : وان لشيخ الأبطح وصية اخرى شعرية قد اختص بها نفراً من ابطال بني هاشم الأفذاذ ، وهم اربعة العباس ابن عبد المطلب والحمزة بن عبد المطلب وعلي وجعفر ولداه :

أوصي بنصر نبي الخير أربعة ... ابني علياً وعم الخير عباسا

وحمزة الأسد المخشي صولته ... وجعفراً فذودوا دونه الناسا

كونوا فداء لكم أمي وماولدت ... في نصر أحمد دون الناس أتراسا

لله درك ، ولله انت يا كافـل المصطفى وحاميه ، ما اعظمك واكرم نفسك ونفسيتك ، وما اشد تصلبك لدين الله وحرصك على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما أزهدك في دمك وروحك تبذلها بكل سخاء وطمأنينة لا في سبيل الله ورســوله فحسب ، بل لكل مساند لها ومعاضد ، فأنت وفي مثل هذه الظروف الحرجة وهاتيك الساعة الصعبة الرهيبة لم تفتأ توصي

وتلهج بذكر الله عز وجل ، وتشحذ الهمم والعزائم نحو الحفاظ على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله .

فسلام الله عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حياً .

* * *

قال التفتوني في ضياء العالمين والواحدي في اسباب النزول وابن شهر اشوب في المناقب وابن ابي الحديد في شرح النهج : إن لأبي طالب عم النبي العظيم وصية ثالثة خص بها ولده طالب الذي هو اكبر أولاده ، يحثه فيها على التدين بدين رسول الله واتباعه في أقواله وأفعاله ، والذود عنه والذب عن دينه بكل القوى والامكانات ، وفي ذلك الخير العميم والنجاة في الدارين ، ثم أنشأ الوصية بقالب شعري فقال :

أبني طالب إن شيخك ناصح ... فيما يقول مسدد لك واثق
فاضرب بسيفك من أراد مساءة ... أبداً واناك للمنية ذائق
هذا رجائي فيك بعد منيتي ... إني عليك بكل رشد واثق
فاعضد قواه يابني وكن له ... إني بجدك لا محالة لاحق
آهاً اردد حسرة لفراقه ... اذ لم اجده وهو عال باسق
اترى أراه واللواء أمامه ... وعلي بني للواء معانق

ويحدثنا صاحب اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي نقلا عن مقاتل من حديث طويل : إن ابا طالب رضي الله عنه قد جمع اليه بني هاشم في أواخر ايامه وعند استفحال المرض فيه ويأسه من الحياة ، كما ارسل على الزعماء والأحلاف من قريش والعرب ، وعند اجتماعهم من حوله قد استوى جالساً وخطب فيهم خطبة عظيمة اكثر فيها من الإيصاء برسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن جملة ذلك ان قال : يا قوم ان ابن اخي محمداً ـ كما يقول ـ نبي مرسل ، أخبرنا بذلك آباؤنا

وعاماؤنا من قبل ، فهو نبي صادق وامين ناطق .

وفيه ايضاً ٤٠٧/١ بطريقه الى أبي علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن عبد الله بن محمد عن سامة اللؤلؤي عن صادق آل محمد عليه وعليهم السلام أنه قال بمناسبة اسلام ابي ذر الغفاري رضوان الله عليه : وكان الامام الصادق قد سئل عن كيفية اسلام ابي ذر ، فقال : كان ابو ذر يرعى الغنم ؛ فاذا هو يرى ذئباً وقد جاء من جهة يمين الغنم ، فذاده بعصاه ، فصار الذئب الى شمال الغنم فهش عليه بالعصى وقال : ما رأيت ذئباً اخبث منك ولا اشر ، فتكلم الذئب بقدرة الله قائلا : هناك من هو اكثر شراً مني واخبث ، وهم أهل مكة ، بعث الله فيهم نبياً من انفسهم فكذبوه وشتموه ونسبوا له كل شيء . ثم ادار بظهره وولى .

فيأخذ حديث الذئب هذا من قلب أبي ذر مأخذاً عظيماً ، كما يأخذ الوفير من تفكيره واهتمامه ، الأمر الذي حداه أن يعهد بغنمه الى بعض احبابه ويقصد مكة ليقف على جلية الحال وواقع خبر الذئب ، فيصادف دخوله مكة عند الظهر ، وكان الوقت حاراً ، وقد اعياه التعب وامض به العطش ، فاتفق أن مر على زمزم فأدلى دلوه فإذا بـه يخرج محلوا لبناً سائغاً ، فشرب وتفاءل .

ثم قصد جانباً من جوانب الكعبة ، فاذا هو بحاقة من قريش ، فجلس قريباً منهم واذا به يسمع شتم محمد وسبه وانتقاصه ورميه بالسحر والجنون وما اشبه ، فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم شيخ كبير عليه آثار الجلالة والمهابة والعظمة ، وما أن نظروه حتى تواصوا بالكف عن ذكر محمد بسوء فقلبوا الحديث الى شكل آخر . ولما وصل اليهم قام المجتمع إجلالا لـه وإكباراً لمقامه ، فجلس معهم حتى كان آخر النهار قام الشيخ وانصرف الى شأنه . فسألت بعضهم عنه ؟ فقيل لي : هو شيخ الأبطح ابو طالب ،

فلحقته وصرت أماشيه ، فالتفت إلي وقال : ألك حاجة فنقضيها ؟ قلت : حاجتي النبي المبعوث فيكم . قال : وما تريد منه ؟ قلت : أؤمن به واصدقه واطيعه . فدلني على علي ابنه فقال : هو يدلك عليه . فسألت عن علي ابن ابي طالب فوصلت اليـــه ، قال لي : وما حاجتك ؟ قلت : حاجتي النبي المبعوث فيكم . قال : وما تريد منه ؟ قلت : أؤمن به واطيعه . فقام معي الى رسول الله ؛ فسلمت عليه وآمنت به وصدقته ولازمت خدمته .

اقول : إن ذكر هذه القضية من قبل الامام جعفر بن محمد عليه السلام ما هي الا لاثبات أن ابا طالب كان يرشـــد الى رسول الله ويشيد بنبوته وبعثته ، ولا يكثر عليه أن يكون اول داعية الى الله ورسوله واول محام عن رسول الله ودين رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ وبواسطته رضوان الله عليه كثر أعوانه وانصاره .

ابو طالب يصير الى الفردوس الأعلى

وهكذا تنتهي حياة عم رسول الله صلى الله عليه وآلـه وتنطوي صفحتها المشرقة ، كما انطفت شمعتها الوضاءة ، لكنها تركت للأجيال وفيراً من التعاليم الخيرة والدروس القيمة والنصائح الغر ، ما اذا سار الناس على ايحاءآتها ومحتوياتها لكانوا من أرقى الأمم حياة وحضارة ومدنية وثقافة ، ولكانوا أشد الناس تمسكاً بالدين ، واكثرهم تصلباً للمبدأ والعقيدة ، وحباً لله ورسوله ، واستماتة في سبيلهما .

وما إن يشيع نبأ وفاته رضي الله عنه فتزدحم مكة بالنـاس من كل مكان ، كما خيم الوجوم والإنكسار على الجميع : فما ترى إلا باك وباكيـة وناشحاً ونائحة ، حتى اصبحت مكة ضجة واحدة ، فالأسى والحزن يلوحان على الوجوه .

ويبادر امير المؤمنين علي الى رسول الله صلى الله عليه وآله يخـبره بوفاة عمه ، ثم يستوحي الارشاد والتعليم فيما يخص التجهيز والتشييع ، وما أن فهم صلى الله عليه وآله الفاجعة حتى أجهش بالبكاء وانتحب انتحاباً عالياً ، حتى تحادرت دموعه على كريمته المباركة ، ثم رفع رأسه الى علي وقال : امض يا علي جهزه وقم في أمره واعلمني اذا ماتم ذلك .

فرجع علي وأخـذ بتجهيز أبيـه ، فغسله وكفنه ووضعه في سريره ووجه الى النبي من يعلمه بحمل الجثمان الكريم ، فحضر رسول الله صلى الله عليه وآله فانظم الى التشييع مألوماً متوجعاً ، ورفع الجثمان على الرؤوس تتلاقفه

الأيدي تبركاً بجثمان عم النبي العظيم ، حتى اذا جيء به الى مثواه الأخير ومرقده النهائي ، أراد النبي ان ينزله بنفسه الى حفرته إلا ان امير المؤمنين علياً تبرع عنه صلى الله عليه وآله فتكفل انزاله وايداعه في مقره . وفي بعض الروايات أن النبي هو الذي نزل مع عمه الى القبر ، وربما نأتي الى بيان ذلك فيما بعد انشاء الله تعالى .

وكيف كان انزل عم الرسول في حفرته ، وأهالوا عليه التراب ، وصار الى جوار ربه ورحمته .

وبعد اجراء مراسيم الدفن قام رسول الله على القبر الزكي مؤبناً عمه وكافله ، فكان مما قاله صلى الله عليه وآله :

وصلتك رحم يا عم ، جزيت خيراً يا عم ، فلقد ربيت وكفلت صغيراً ، وآزرت ونصرت كبيراً . أما والله ياعم لأستغفرن لك واشفعن فيك شفاعة يعجب منها الثقلان .

* * *

لعمري إنه تأبين عظيم وخطير ، يصدر من عظيم العظماء وسيد الأنبياء والحكماء ، يصدر من رسول رب الأرض والسماء ، فهو تأبين لم يعرف التاريخ له مثيلا ، ولم يسجل له نظيراً على مسرح الدنيا وفي دنيا التاريخ .

الله اكبر ، ياله من تأبين يتكفل فيه النبي الكريم لعمه العظيم ان يشفع له شفاعة يعجب منها الثقلان وعالما الجن والإنس . . . يا لها من شفاعة تتمناها الأنبياء ، وتذوب شوقاً إليها الائمة والأولياء .

فهنيئاً لك ملايين المرات يا عم رسول الله هذه الشفاعة ، الشفاعة التي ستجد آثارها أمامك يوم لا تنفع فيه شفاعة الشافعين ، يوم ينادي فيه الانسان : ربي نفسي ، ربي نفسي لا ولدي ولا أقاربي . . حتى نبي الله الخليل ينادي : ربي نفسي لا ولدي أسماعيل .

فهنيئاً لك يا عم رسول الله ذلك الضمان الضخم ، ومن أولى منه صلى الله عليه وآله بشكران النعمة وعرفان الجميل ، وهو الذي علم الناس وأرشدهم الى مقابلة الإحسان بالإحسان والنعمة بالشكران .

ويحدثنا الحجة الأميني في غديره ٣٩٩/٧ عن ابي الفرج الاصفهاني عن الصحابي الكريم حذيفة اليماني من حديث طويل قد استعرض قضية وفاة عم النبي الزعيم ابي طالب رضوان الله عليه وقصة تشييعه وتوجع الرسول وحزنه عليه ـ الى ان يقول :

وقام العباس وابو بكر بن ابي قحافة ، فأبناه وشهدا على إيمانه وتدينه كما اخذ فقده من النبي مأخذاً عظيماً ، وصادف في السنة التي مات فيها أبو طالب ان ماتت أم المؤمنين خديجة ، وبفقدها تجدد الحزن على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وصار مجمعاً لمصيبتين كبيرتين كل منهما يهدّ القوى ويورث الاستياء الأليم ، لذا سمى رسول الله ذلك العام بعام الحزن ، كما نشطت في تلك الأيام الأعداء والخصوم ، وتحركت عليه علناً وجهراً شراذم اليهود ، وصار الجميع يتفننون في ايذائه ويتفكهون بأنواع الاساءة الى حضرته ، اذ خلالهم الجو وواتتهم الفرصة ، فغاب عنهم المحامي والناصر والكفيل والمؤازر ، فغاب عنهم الليث المصور والأسد المخيف ، فغيب الثرى عم النبي وعضده وبقي محمد لا معين له ولا ذاب عنه سوى نفر من بني هاشم ، وهم يقلون العدو عدداً وعدة ، الأمر الذي ادى برسول الله صلى الله عليه وآله ان يكرر دعاءه ، على الظلمة والظالمين ، ويسأل الله تعالى الخلاص والنجاة من الأيدي الكافرة ، وكان من جملة ادعيته :

اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس . اللهم يا ارحم الراحمين ، انت رب المستضعفين ، وانت ربي الى من تكلني يا الهي ، الى بعيد يتجهمني ، او الى عدو يمتلك أمري ، إن لم يكن يا إلهي

باك غضب علي فلا ابالي ان يحل علي سخطك ، ولك العتبي حتى ترضى ، فلا حول ولا قوة الا باك ياغيات المستغيثين .

* * *

يستشف من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله مدى تجهم الوضع عليه واشتداد البلاء عليه وتنكر الكفر والشرك لـه ولشريعته ، وقد مرت عليه ازمات حرجة وظروف مجهدة ألزمته ان يدعو على القوم ، والا كان يقال له أن يدعو عليهم ، فيقول : لا ، بل يدعو لهم فيقول : اللهم اهد قومي إنهم لا يعلمون .

واخيراً تداركته رحمة الله وعنايته ، فأوحى اليه عز وجل ان اخرج من مكة ، فمالك بها من ناصر بعد أبي طالب .

ويخرج الرسول من الوطن ومسقط الرأس المحبب مكرهاً مضطراً خائفاً يترقب ، وبعد لأي وعناء ومصاعب وأهوال وصل الى المدينة المنورة ، فاستراح صلى الله عليه وآله نوعاً ما من الجهد والبلاء ، وانقذه الله تعالى من مخالب الكفر وأيدي المجرمين .

ثم التحق به امير المؤمنين علي بن ابي طالب يصحب العائلة النبوية ، فبنى له ولعلى دارين الى جانب من جوانب المسجد .

وفي المدينة كثر عدد المسلمين وتوفر الأعوان والأنصار ، ثم صار المسلمون يؤمونها من الخارج يتعاقبون على الخدمة ليل نهار ، يفدونه بالآباء والا نفس والامهات وعظائم الأموال ، إلا انه صلى الله عليه وآله كلما نشطت دعوته وعلت كلمته وظهر أمره وانتشرت رايته وتعالت كرامته تذكر عمه وتذكر مواقفه وخدماته للدين والاسلام ، فيبكي لهفة عليه ثم يصير الى الاستغفار له والترحم عليه .

قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٢١٣/٣ : قصد جماعة من مجاوري

المدينة النبي صلى الله عليه وآله يشكونه توقف المطر وحبس الأرض بركاتها عنهم ، ففقدوا من جراء ذلك كل ضروريات الحيـاة ومقومات المعيشة ؛ ثم قام واحـــد فأنشأ بمحضر من رسول الله مستعرضاً ما نابهم من القحط والجدب ومخلفاتها المؤلمة بأبيات من الشعر :

اتيناك والعذراء تدمى لبانها   وقد شغلت ام الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الصبي استكانـة   من الجوع ضعفاً لايمر ولايحلي
ولا شيء مما يأكل الدهر عندنا   سوى الحنظل العامى والعلهز الفسل
وليس لنـــا إلا اليك فرارنا   واين فرار الناس إلا الى الرسل

فانصدع رسول الله للحالـــة ، وتألم للوضع ، ثم قام الى المنـبر فارتقاه فحمد الله واثنى عليـه ثم قال : اللهـــم اسقنا غيثاً مغيثاً سيحاً طبقاً غير رايث ، تنبت به الزرع وتملأ به الضرع وتحي به الارض .

فلم يستتم دعاؤه صلى الله عليه وآلـــه حتى أبرقت السماء وادلهمت ورعدت ، ثم ارسلت عزاليهـا كأفواه القرب ، واستمر المطر حتى خاف النـاس الغرق ، فجاءوا يهـرعون الى رســـول الله ينادون : الغرق الغرق يارسول الله ، فرمق النبي السماء بطرفه وقال : اللهـم حوالينا ولا علينا . فانجاب السحاب وتقشع الغيم وتوقف المطر وعاد الصحو كما كان ، فتبسم رسول الله فرحاً بكرامة الله ونعمته عليه ، ثم قال : رحم الله عمي اباطالب أو لله در عمي ابي طالب لو كان حياً لقرت عينه ، من الذي ينشدنا من شعره ؟ فابتدره امير المؤمنين علي بن ابي طالب فقال : لعلك يا رسول الله اردت قوله :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال : نعم يا علي ، ما أردت الاذاك ، إستمر يا علي ، فاستمر الى آخر القصيدة والنبي يواصل الترحم والاستغفار لعمه الكريم .

وقال سبط ابن الجوزي في التذكرة وابن ابي الحديد في شرح النهج : دار حديث ابي طالب في منزل النبي صلى الله عليه وآله بعد موت ابي طالب ، وكانت الجلسة عائلية تضم العباس عم النبي وولد ابي طالب عقيلا وجعفراً وعلياً وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، اذ يلتفت العباس الى رسول الله فقال : يابن أخي ما ترجو لعماك أبي طالب في الآخرة ؟ قال صلى الله عليه وآله : ارجو له رحمة ربي ، وارجو له كل خير .

وقالا ايضاً : إن النبي قال لعلي ذات يوم وبمناسبة جرى فيها ذكر عم النبي الراحل : يا علي ليس أحد أحق بمقامي منك لقدمك في الاسلام وقرباك مني ومصاهرتك لي ، فعندك سيدة نساء العالمين ، وقبل ذلك ماكان من حياة ابيك ابي طالب وبلائـه في مناصرتي ، فأنا حريص أن اراعي ذلك في ولده .

ونجده صلى الله عليه وآله مرة أخرى يتحدث الى عقيل بن ابي طالب فيقول له : يا أبا يزيد اني احبك حبين ، حباً لقرابتي منك ، وحباً لما كنت أعلمه من حب عمي ابي طالب لك ، والمرء يحفظ في ولده .

وما ذلك منه صلى الله عليه وآلـه الا تقديراً لعمه المحسن الكريم ، ومكافأة لناصره العظيم .

ومن الواضح الجلي الذي لا يقبل الشك والريب أنه صلى الله عليه وآله لا يود أحـداً إلا أن يوده الله ، ولا يحب الامن يحبه الله ، كما لا يبغض الامن يبغضه وسخط عليه .

ومن هنا وهناك يحصل اليقين والجزم بأن ابا طالب العظيم هـو ممن احبه الله فأحبه رسول الله وقدره وترحم عليه واستغفر له .

قال ابن ابي الحديد : إن ابا عبيدة بن عبد المطلب لما اصيب بحادثة بدر في رجله وجاء به المسلمون يحملونه ومخ ساقه يسيل ، حتى وضعوه

أمام رســول الله على العريش ، فقال له : يا رسول الله صلى الله عليك لو كان عمك ابو طالب حياً لعلم أنه صدق في قوله :

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً ولما نطاعن دونـه ونناضل
وننصره حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فلما سمع صلى الله عليه وآله هذين البيتين بكى حتى سالت دموعه على لحيته الكريمة ، ثم صار الى الترحم عليه والاستغفار له . وبعد أن وضعت الحرب او زارها وانتهت المعركة صار النبي يتفقد القتلى ، وكان بخدمتـه ابو بكر ، اذ ينقدح في ذهنه بيت من قصيدة ابي طالب اللامية ، فأنشده للنبي فقال :

كذبتم وبيت الله إن جد جدنا لنلتبسن أســيافنا بالأماثـل

فوالله يا رسول الله لقد صدق ابو طالب في قولـه « لنلتبسن اسيافنا بالأماثل » . فقال رسول الله : إنا لله وإنا اليه راجعون ، رحم الله عمي أبا طالب ، لو كان حياً لما صرنا الى ما نحن فيه .

نقال ابن ابي الحـديد بطريقـه الى ابن اسحق أنه قال : فلم يزل ابو طالب ثابتاً صابراً مستمراً على نصر رسول الله وحمايته حتى مات في السنة الحادية عشرة من مبعث النبي ، فطمعت في النبي عنـد ذلك قريش ونالت منه ، فخرج من مكة خائفاً يطلب أحياء العرب .

ابو طالب والدليل على ايمانه

التحدث عن الموضوع ذو شجون ، أقل مخلفاته وأدنى لوازمه ورواسبه جروح في قلوب المؤمنين وقروح في جفون الأوفياء من المسلمين ، جروح وقروح لا تندمل ما دام هناك اناس لا يتحرجون عن منكر فعلوه ، ومادام هناك عملاء عبدوا الدينار وسجدوا للدرهم وخضعوا لمن في يده شيء منهما حتى أعماهم ذلك وأصمهم فعمدوا الى قاب الحقائق وتشويه الوقايع ، كما قلبوا للأحداث ظهر المجن وأجهزوا على كل ما من شأنه أن يصان ويوقر ويحترم ويعظم ، فتنكروا لكرامات العظماء واستهانوا بحرمات المجاهدين الأولين .

كما استباحوا من أجل الوصول إلى ملاذهم وشهواتهم ومآربهم اقتحام مراكز الأبطال من رجال رسول الله ومؤازريه ونصرائه ، كاقتحامهم مركز عم النبي وكافله ، ونسبوا له مالا يناسب مقامه الكبير من المماة على غير الاسلام والايمان ، في حال أن الله ورسوله والأطائب من المسلمين يعلمون أنه رضي الله عنه براء من تلك النسبة .

فيا للوقاحة والصلافة ، ويا للمادة المسياة للعاب . كيف لعبت دوراً هاماً ، فغيرت مجرى التاريخ ، وعمدت الى ارتكاب مالا يحل ارتكابه شرعاً وأدبياً في حق عم النبي المحامي وناصر الاسلام ، قد انتحلوا الرواية ونسبوها الى رسول الله مرة والى علي مرة ثانية والى العباس بن عبد المطلب ثالثة والى عبد الله بن عباس رابعة ، في حال أن هؤلاء كلهم اعرف الناس

واعلمهم بما كان عليه ابو طالب من تدين راسخ وقدم ثابت في الاسلام ، ومالاقى في سبيله من المصائب والمحن وهكذا حتى توفاه الله واختار له دار أوليائه وصفوته ، فيستحيل اذاً عليهم ـ ولا سيما بالنسبة الى رسول الله ـ ان يمجد عمه ويستغفر له ثم يذمه ويقول فيه مالا يليق بشأنه وشانه ، واليه صلى الله عليه وآله نسب القول المأثور «من مدح وذم فقد كذب مرتين».

نعوذ بالله من همزات الشياطين ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

ليت هذا البعض من المؤرخين قد اكتفى بالمرور على الموضوع مرّ الكرام ومن دون تعليق وتكبير والتزموا جانب الحياد لالها ولا عليها لكان ذلك خيراً لهم واصلح في رعاية رسول الله وحفظه في عمه الكفيل ، ولكنهم ساروا على سيرة الماضين من الموتورين والحاقدين ، وبنوا على جمسة من اسس وضع حجرها الأول جمع من الإنتهازيين الذين يركضون وراء الدرهم ، والذين يتزلفون الى اهل النفوذ والسلطة ، ولو ببيع الضمائر والدين ، والذين قد اخزاهم عم النبي وفضحهم بنثره وشعره وتأديبه .

أغيره لطم ابا جهل الطاغوت عدة مرات فأطاح بأسنانه ، ومن الذي ضرب ابن الزبعرى وادماه وكسر ثناياه ، ومن الذي لطخ جباه القوم ووجوههم بالفرث والدم ، ومن الذي أهان المعبودات والآلهة ودعا الى الله وحده ، ومن الذي كان يترصد نفثات العدو وحركاته التآمرية فينقض عليها انقضاض الكوكب فلا يرجع حتى يفرقها ويبددها ، ومن الذي قد حمى رسول الله وسانده حتى قال الناس « لا إله الا الله محمد رسول الله » ؟

فبشرف الحق والحقيقة أقسم أن بعض هذا من الزعيم الهاشمي هو اكبر محفز للقوم وابناء القوم ليثأروا للكرامة المهدورة والمقدسات المهانة ، ولكن لما لم يتسن لهم ذلك في حياته رضي الله عنه عمدوا إليه بعد وفاته ، حيث خلالهم الجو وأمنوا العقوبة ، فلفقوا وزوروا ما شاءت لهم نفوسهم

واهواؤهم وميولهم ..

وما ادري أكانوا يشعرون بأن عملهم ذاك هو ليس الا الطعن بقداسة النبوة وصميم الرسالة ، الأمر الذي حتم علينا ان نخوض المعركة ونكشف النقاب عن الحقيقة المضامـــة ، والواقع المهتظم انتصاراً للحقيقة ومعاضدة للواقع ، وهما كل الغاية . والله من وراء القصد .

ولست ادري ولا المؤرخون انفسهم يدرون كيف استساغوا لعم النبي هذه النسبة ، وكيف بنوا عليها وعلقوا عليها ، والحال أن الكثير منهم هم الذين حدثونا وأثبتوا المئآت من الاعترافات والأقارير التي ندت بها شفتا عم الرسول صلى الله عليه وآله ، والتي قد انبثقت عن فمه رضي الله عنه :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً   نبيا كموسى خط في اول الكتب

يا معشر قريش ، يا معشر بني هاشم أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكتفي بأدنى اشارة يستظهر منها الاسلام ويستشف منها قبول الدين ، وعلى ذلك مشت سيرة أوليـاء الأمور بعد الرســول ، فأبو سفيان في عرف اولئك هـو المؤمن الحقيقي والمسلم الواقعي ، في حال أن ابن ابي الحديد وأمثالـــه هم الذين عرفونا حقيقة اسلام ابي سفيان وايمانـه ، وهم الذين اوقفونا على تردده وتلكئه في الشهادتين حين اخافه العباس من بأس الاسلام وشدة وطأته عام الفتح ، وجاء به وقد أردفه خلفه ، وبعد اخذ الرخصة لاجتماعه بالنبي حضر عند رسول الله صلى الله عليه وآله وأمارات الكره وعدم الاختيار باديان على ملامحه ، وما إن نظر اليه النبي حتى أطرق براسه وكأنه لا يريد أن ينظره ، فطلب العباس منه أن يرفع اليه رأسه ويعرض عليه الاسلام ، فكرامة لعمه رفع اليه طرفه وقال : أما آن لك ان تسلم يا ابا سفيان ، فترعوي عن غيك وتثوب الى رشدك ، فتشهدأن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ ! فكان من

محققات اسلامه وتدينـه، لوكان هناك إله غير الله لكان اغنانا يوم بدر ، وأما الشهادة لك بالرسالة ففي النفس منها شيء .

قال ابن ابي الحديد : لمـا رأى العباس من ابي سفيان ذلك وكزه بخاصرته وقال : قلها يا ويلك تسلم على نفسك وعرضك . فقالها متلجلجاً متلعثماً ، فقبلها منه رسول الله على علاتها ، وهكذا كان اسلام ابي سفيان .

وقال ابن ابي الحديد : ثم إن العباس صحب ابا سفيان يوم دخول النبي الى مكة ، فأوقفه في المضيق الذي تمر منه جنود الله وجيوش الاسلام وكتائب النبي الخيرة ليطلعه على العظمة الالهية والكرامة الملكوتية ومقام محمد العظيم ، فصارت تمر عليه الرايات وهو يستفهم العباس متعجباً مندهشاً ، فيقول : يا عباس لمن هذه الكتيبة ولمن هذه ؟ والعباس يقول : هذه كتيبة فلان ، وتلك كتيبة فلان . الى ان دنت منه كتيبة الرسول صلى الله عليه وآله تعلوها هيبة الله وتشع عليها انوار النبوة ، فقال ابو سفيان : لمن هـذه يا ابا الفضل ؟ قال : هي كتيبة رسول الله ، فاذا به بكل صلافة ووقاحة يقول : لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيماً يا عباس . . . الأمر الذي أهاج مشاعر العباس واغضبه فقال بتأثر وحدة : إنها النبوة يا ويلك لا ام لك ، فاضطر الى القول مجاملا : نعم يا ابا الفضل انها النبوة ، انها النبوة .

ويحدثنا ابن ابي الحـديد في بعض المناسبات عن تدين ابي سفيان وإسلامه حين مر على قبر الحمزة بن عبد المطلب ، فلم يمتلك أعصابه دون ان ركل القبر برجله وهو يقول : ايه ابا عمارة ـ او اجاس ابا عمارة ـ وانظر الى الملك الذي كنا نقتتل عليه بالأمس لقد أصبح اليوم وهو كالكرة تتلاعب به ايدي صبياننا .

ولم يكفه ذلك حتى اعقب مقالته هـذه بقوله هذا : فوالذي يحلف به ابو سفيان لا من جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب ، وانما هو الملك .

كل هذا والكثير من امثاله يستعرضه المؤرخون ولم يحرك منهم ساكناً ابداً ولم يثرفيهم لا قليل ولا كثير من التردد في ايمانه ، كما لم يشكك منهم أحـــد في إسلامه ، كما لم يشككوا ولم يترددوا في إسلام معاويـة في حال انهم هم الذين رووا أن معاوية قد تنكر للاسلام واستهان بحرمات المسلمين وكرامة الدين ، وانه كان يمتعض وينفعل عنـد سماعه ذكر النبي صلى الله عليه وآله في الأذان ، فرووا مقالته : ايه ابن ابي كبشة مارضيت لنفسك حتى قرنت إسمك مع اسم الله .

ورووا أيضاً أنـه خطب المسلمين عام الصلح في النخيلة ، فقال فيما قال : أيهـــا الناس ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا واعلم انكم تفعلون ذلك ، وانمـا قاتلتكم لأتأمر عليـــكم ، وقد اعطيت ذلك وانتم له كارهون .

كما رووا أنه قد ألحق زياداً بأبيـه ابي سفيان ، والحال أنه مخالفـــة صريحة للنصوص الاسلامية الدالة على ما لا يقبل الشك من أن الولد للفراش وللعاهر الحجر .

ورووا أيضاً أنه سب امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وعمم السب الى كل قطر قد امتد اليه سلطانه وحكمه ، وهو يعلم يقيناً أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي اكثر من مرة : « يا علي من سباك فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ، ومن سب الله فقد كفر » .

وانه حارب علياً مع علمه بأنـه امام زمانه وحجـة الله في عصره ، وهو يعلم أن النبي قال له : « يا علي حربك حربي وسلمك سلمي » . كما يعلم أن الخارج على امام زمانه كافر ومن اهل النار .

ورووا أنه قتل المسلمين الأبرار مثل حجر بن عدي ، وكانت خاتمة اعماله الخيرة تولية ابنه يزيد امور المسلمين وزعامة الدين ، وتمليكه رقاب

الأمة بغير رضى منها . . .

كل ذلك وهو مؤمن مسلم ، يتحاشى من خدشـــه ومن الاشارة الى مخازيه . أما يزيد بن معاوية الذي رووا عنه انه الخمير السكير اللاعب بالفهود والقرود ، والذي هدم الكعبة واباح المدينة للجند ثلاثة ايام ، وقتل الحسين ابن علي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، والذي كان يردد :

لعبت هاشـــم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فهو من المسلمين الأتقياء ، لم يدن احد من التشكيك في ايمانه واسلامه ، بل لعله عندهم من امراء المؤمنين والخلفاء الراشدين . . . أما ابو طالب عم النبي العظيم وحاميـه الذي قد ملأ الدنيا جهاداً في سبيل الله وذباً عن رسول الله ـ الى غير ذلك من طرق النصرة والتأييـــد والتفاني والتسديد ، فهو قد مات كافراً في عرف هؤلاء . فإنا لله وانا اليه راجعون .

أما ماربما قيل او يقال : ما هي الأسباب ومالدوافع التي دعت البعض من المؤرخين الى أن يغضوا النظر أو يهملوا ما لعم النبي الكريم من المقامات الكثر وجلى الخدمات لله ورسوله ، ثم يرمونه بما يشينه من الموت على غير الايمان والدين ، في حال أنهم وغيرهم من المؤرخين قد احتفظوا بما لا يحصى من محققات تدينه وإيمانه ودلائل تصديقه بالنبوة وإقراره بالبعثة والرسالة ، فلماذا سكتوا عن هذا وعلقوا وبنوا على تلك ؟؟! .

أقول : هنالك دواع ودوافـع أدت الى ذلك ، يمكن أن نستنتج من مجموع الأحـــداث وما جريات الظروف ومـلابسات الأحوال ، مما يمكن حصرها في أمور ثلاثة :

أولا ـ إن عم النبي العظيم قد وتر الأقربين والأباعد في الله ، وحطم الآلهة والزعماء في سبيل الحفاظ على رسول الله والانتصار لشريعته ، وبعضه كاف للنهوض والتحفز للثأر منه . وحيث لايمكنهم ذلك في حياته صاروا إليه بعد

وفاته ، فالمغيرة بن شعبة وأمثاله ـ ممن اطاح ابو طالب بمعنويتهم وكرامتهم كما لطخ وجوههم وجباههم بالدم والفرث ـ هو المدبر الوحيد لهذه الفكرة كما هو مديرها ومروجها . ولعل التاريخ نفسه ربما يشير الى عـــداء المغيرة لبني هاشم ، ولا سيا لزعيم بني هاشم ابي طالب .

ولما كان لايسعه التظاهر في حياته حذر زعامته وسطوته عمد الى تسميم أفكار البسطاء من الناس وتشويش أفكارهم على أبي طالب من بعد مماته ، من انه رضي الله عنه ماانساق الى محمد عقائدياً ودينياً ، بل انما كان هو نتيجة للعاطفة أو من حيث التأثير الساحر . فوافقت هذه النفثات تجاوباً عند تلك الشرذمة من النـاس ، فعلقوا ووسعوا ، وأخيراً يموت أبو طالب على غير الإسلام .

وأما ثانياً ـ الحسد ، والحسد لايكاد يخفى ماله من الفعالية وما يبتني عليه من أسس تعود بالحاسد الى رجاء حيازة كل ماللمحسود من كرامات وفضائل ان امكنه ذلك ، وإلا غير المجرى وقلب الحقائق وتكلم بما شاءت له احقاده وضغائنه ، ولله در القائل :

ان يحسدوك على علاك فإنما متسافل الدرجات يحسد من علا

ومما لاشك فيه أن أبا طالب هو ألمع شخصية واجل انسان في دنيـا مكة وسماء العظماء والزعماء ، بالاضافة الى مايتمتع به من مؤهـــلات علمية وأدبية وثقافية وخلق انساني رفيع ، ثم سدانة الكعبة والقيام بشؤون الحجاج ، وما الى ذلك من الفضائل والمفاخر .

هذا ماكان عليه قبل الإسلام وقبل أن تشع أنوار النبوة على الكرة الأرضية ، أما بعـــد الإسلام فهو السباق لكـــل خير ، كما هو أول من لبى الدعوة الى الله ومحاربة كل ماهنالك من معبودات ومقدسات ، ثم التزام جانب رسول الله صلى الله عليه وآله بكل ماللملازمة من مفاهيم ومعان ،

آمن به وصدق بكل ماجاء به من ربه ، ثم حماه وفداه بنفسه ثم بولده وآله ثم بجميع مايملك . . وأي فضل وأي شرف أجل وأجمل من الجهاد في سبيل الله ثم الحفاظ على حياة رسول الله . وعلى الفضيلتين قد حصل عم النبي الكريم .

وعليه ـ والحالة هذه ـ فهو رضوان الله عليه أقرب الموارد الى أن يحسد على ما آتاه الله من السمو ورفيع المقام والدرجة، فحسدوه أخيراً ونسبوا اليه مالا يناسب مقامه العظيم .

وأما ثالثاً ـ فان أمير المؤمنين علياً عليه السلام قد سلك جادة أبيه ، كما نهج منهجه وسار على ضوء سيرته ، فلازم رسول الله ملازمة منقطعة النظير ، فآزره وناصره ومشى في فلكه ، بل تعدى ما كان عليه ابوه : فخاض غمار الحرب ، وغاص في اوساط المعارك ، فبارز الأبطال ، ونازل الفرسان لايرهب السيوف ولا يهاب الألوف . وقد اشتهر عنه قوله البطولي العظيم « أما والله لو تظاهرت العجم والعرب على قتالي لما وليتهم ظهري وانا ابن ابي طالب » .

فهو قائد الرسول في كل حروبه ، وحامل لوائه في جميع غزواته ، كما قتل الطواغيت من خصوم النبي ومناوئيه مثل طلحة بن ابي طلحة ، وابطال بني عبد الدار ، والوليد بن عقبة خال معاوية ، وحنظلة بن ابي سفيان ، وعتبة وشيبة في وقعة بدر ، كما قتل عمرو بن عبدود في وقعة الخندق ومرحباً يوم خيبر ـ وهكذا حتى ظهر امر الله وعلت كلمته ، وحتى ساد الحق والعدل ، وولت دول الفساد وحكومات الظلم والجور ، وعادت حياة المسلمين هادئة هانئة ، وقد ساد عليها الاستقرار والاطمئنان .

وعند ذلك صارت التقاريض الالهية والمدائح النبوية تتوارد عليه : فمرة ينزل على رسول الله ـ كما في قصة الغدير ـ قوله تعالى « ياأيها الرسول

بلغ ما انزل اليك من ربك » من تخليف علي وجعله أميراً للمسلمين من بعده ، وثانية يهتف جبرئيل بين السماء والأرض « لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » .

أما تقاريض النبي واقواله في حقه، فقد ملأت الخافقين ؛ وما من كتاب أو مؤلف انتحى منحى التراجم والتاريخ أو الأخبار والأحاديث إلا وكان لذكر الكثير منها المجال الواسع ، بل هناك مؤلفات خاصة ترجع الى مناقب علي وفضائله ، الأمر الـــذي أقض مضاجع الموتورين والحاقدين ، وأهاج حفائظ الخصوم والمناوئين ، مما حداهم الى التنقيب من كوة أو ثغرة ينفذون منها الى انتقاص علي والإفتراء عليه ؛ فـــلم يفلحوا وما وجدوا فعزوه الى الدعابة ، حتى قال قائلهم لابن عباس في حديث جرى فيه ذكره « أما والله لو ولي الناس علي بن ابي طالب لحملهم على المحجة البيضاء لولا دعابة فيه » . كما قالوا إن ابا طالب قد مات على غير الإيمان والإسلام ، محاولين من كلا النسبتين التقليـل من أهمية علي وابيه في النفوس ومن معنويتيهما في التاريخ الإسلامي المجيد ، وعندئذ يفرح المبطلون .

* * *

أقول : أما حديث الدعابة فهو امر منتحل وحديث مفتعل لم يكن له في التـــاريـــخ الصحيـــح عين ولا أثر ، كما انـه لم يعرف من مزاج امير المؤمنين علي بن ابي طالب التصدي للمزاح او التقرب من الفكهيات أو قصد الأندية التي تعقد من أجلها في تلك الأدوار ، ولعل كل من خاض في صفاتـه ومزاياه وغاص في مآثره وقضاياه يعرف ذلك بوضوح ويقف على الحقيقة بأجلى مظاهرها ، كما يتحقق ما كان عليه في العهد النبوي الكريم وبعده :

أما هو في عهد النبي صلى الله عليه وآله فيكفيه ملازمته له واحاطته إياه منذ نعومة اظفاره وطفولته ، لايفارقه إلا في ظروف استثنائية ، ولا

ينفصل عنه إلا عند الضرورة ، حتى شب وراهق وخاض المعارك ودخل لهوات الحرب وتعين لبعوث النبي ومهامه . فأين الفرصة ياترى لأن يكون ذا دعابة وفكاهة ؟ .

وأما بعد النبي صلى الله عليه وآله فيكفيه مصابه برسول الله العظيم ، ثم فقده لبضعته وريحـــانته الزهراء ، ثم بما جيء به من اجماع القوم على تأخيره عن المقام الذي جعله الله ورسوله له ، واجتماعهم على قطيعته ومحاربته ثم انشغاله بحروب الناكثين والقاسطين والمـارقين الجمل وصفين والنهروان . فتى كانت تلازمه الدعابة ، أو اذ، امرؤ تلعابة ؟ .

انا لاأدري ولعل القائل نفسه لايدري ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

نعم هناك شيء واحد نص عليه التاريخ ، وهو الوحيد في بابه وكان بطله ومصدره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فروي انه اهدي الى النبي طبق فيه رطب أول نضوجه . فدعا علياً لمشاركته فيه ، فصارا يأكلان سوية ، إلا انـه صار الرسول يضع نواه أمام علي ، وبعـــد الفراغ التفت رسول الله الى علي وقال : ما اكثر النوى أمامك ياعلي ، الذي يظهر انك محب للتمر وراغب فيه ؟ فأجاب عليه السـلام : بأبي انت وامي يارسول الله المحب للتمر الأكول فيـــه من يأكلـــه ونواه . فاستملح النبي الجواب واستلطفه وتبسم .

فتعطينا هذه البـــادرة ان النكتة أو اللطيفة ربما تصدر عن الأنبيـاء والعظماء ، كما صدرت فعلا عن سيد النبيين وخاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وآله مع ابن عمه علي بن ابي طـــالب . اذاً لم يكن عروض النكتة الأدبية واللطيفة المستملحة ضائرة في عظمة العظيم ولا قادحاً في كرامة الانبياء ، فكيف ياترى تكون خصلة يعاب بهـا على الإمام فيما لو طرأت منه ، ام

كيف وقد ثبت صحيحاً عن النبي انه قال : المؤمن لايكون عبوساً سيء الخلق ، أو المؤمن هش بش – الى غير ذلك من الأحاديث المؤدية الى لزوم كون المؤمن منشرحاً مرحاً يحدث بنعم الله وفضله عليه .

أما قضية نسبة المات على الكفر الى ابي طالب ، فربما قد لاقت بعض الرواج ولا سيما في عهد معاوية ، كما نمت وترعرعت في ايامه حيث قد وقف على كل من تاريخي ابيه وأبي طالب ، فرأى الثاني حافلا بالجهاد والمفاخر وعظيم المكارم والمآثر ، ونظر الى الأول فرآه مليئاً بالمساويء والرذائل ، فأدمى قلبه واقرح اجفانه ، فعمل مافي وسعه أن يعمل لإشاعة ممات ابي طالب على الكفر ، بعد أن أخضع للغرض نفسه مثل ابي هريرة من المذبذبين والوصوليين ، فأغدق عليهم الأموال المسياة للعاب ، كما مناهم الإمرة والولاية ، غرق ابو هريرة الى شحمة اذنيه في خدمة البلاط الأموي والتزلف الى معاوية ، وصار يختلق الأحاديث ويفتعل الأقاويل على الرسول الأمين ، وقد بلغت من الكثرة بحيث قد فاقت حتى على محفوظات أزواج الرسول واقاربه الذين لايفارقونه ليل نهار : مثل علي بن ابي طالب وعبد الله بن العباس . وكان اكثرها يهدف الى ذم علي وابيه وعمه العباس ابن عبد المطلب .

فمن ذلك ما رواه عن عائشة انها قالت : كان عندي رسول الله إذ أقبل علينا العباس بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب ، فقال رسول الله : ألا من أراد ان ينظر الى رجلين من اهل النار فلينظر الى هذين المقبلين .

ومما نسبه الى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال له : ياابا هريرة اذا وقع احد جناحي الذبابة في اناء فاغطس الجناح الثاني واشربه ففي الجناح الأول داء وفي الثاني دواء .

أقول : من المستحيل صدور الحديث الأول من النبي في حق عمه

العظيم وابن عمه علي بن ابي طالب ، وهو العليم بما لهما من الأسبقية في الدين والقدم الراسخ في الإسلام · واذا كان العباس وعلي من اهل النار فهل الجنة لأبي هريرة ومعاوية وبطانتهما الأثيمة ؟

ثم انا نحاشي عائشة أن تنسب ذلك الى رسول الله ، وهي التي اجابت على سؤال توجه اليها : مارأيك في علي بن ابي طالب ؟ قالت : علي خير البشر ، ومن شك في ذلك فقد كفر . فكيف ياترى تروي عن النبي أنه من أهل النار ؟ !

وأما الحديث الثاني فهو كالأول من حيث استحالة صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بل هو لايعقل أن يصدر عن أي عاقل فضلاً عن ان يصدر عن حكيم الحكماء وسيد الأنبياء الذي هو مستودع علم الله وخزانة اسراره ، اترى ان العقل البشري قد ادرك اضرار الذباب ومخلفاته القاتلة ومفاسده الفتاكة كما استشعر منه نقله للامراض والجراثيم بفمه ودمه ، حتى خصص الحكماء والعقلاء المبالغ الطائلة لمكافحته وإبادته ، وملأوا الكتب بالنصائح والارشاد الى اعدامه ونسفه من حيز الوجود ، وخفي ذلك على رسول رب العالمين فقال لأبي هريرة ماقال ؟؟ كلا والف كلا ، الحديث مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله ·

ثم مع غض النظر عن نسبة الحديث وعن معطياته : هو مجاف للذوق ومناف للطبايع الانسانية التي جاء الدين ملائماً لها وموافقاً في كافة المجالات والاعتبارات . وهل من المستذوق والمستحسن أن يعمد الانسان الى ان يشرب الماء الذي يكون مجمعاً للذباب والحشرات والأقذار والجراثيم ؟

اللهم الا ان يكون ابو هريرة قد استحسن ذلك ، كما استذوقه ووجد من نفسه المناعة الكافية ضد رواسب الذباب ومخلفاته ، فاختلق الرواية لتعم وتنتشر ، وإنا لله وإنا اليه راجعون . فلتراجع الأضواء على السنة النبوية للشيخ محمود ابو رية .

وعليه فلا يستغرب من ابي هريرة ان ينسب الى ابي طالب الممات على غير الإسلام .

ويكفي في تكذيب النسبة أيضاً ماروواه ابن ابي الحديد والسبط ابن الجوزي في التذكرة من اعتكاف الرسول في بيته أياماً بعد وفاة ابي طالب يترحم على عمه ويستغفر له .

ابو طالب في نظر النبي وعلي

أما رسول الله صلى الله عليه وآله يعتبره الوالد الشفيق ، والعم الحنون المربي ، والكفيل الذي كان موضع ثقته وأسراره ومحل آرائه واستشارته ، كما كان يعظمه ويحترمه ، وقدر له جهاده وجهوده ، وشكر له أعماله ومواقفه ، فاستغفر له واكثر من الترحم عليه .

يحدثنا الشيخ يوسف بن قرغلي الحنفي صاحب تذكرة الخواص عن جده ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المولود في سنة خمسمائة واحدى وثمانين من الهجرة والمتوفى سنة ستمائة واربعة وخمسين يحدث عن عبد الباقي عن محمد الأنصاري عن ابي الحسن الجوهري عن ابي عمرو ومحمد بن العباس ابن حياته عن ابي الحسن أحمد بن معروف عن الحسن بن الفهم عن محمد ابن سعيد عن محمد بن عمرو بن واقد الواقدي عن معمر بن راشد عن محمد ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابيه عن علي بن ابي طالب أنه قال : لما توفي ابو طالب جئت الى النبي صلى الله عليه وآله ، فأخبرته بوفاته فبكى بكاءً شديداً حتى اخضلت كريمته المباركة ، ثم رفع اليه رأسه وقال : اذهب يا علي فغسله وكفنه ثم اعلمني غفره الله ورحمه . فقال العباس ابن عبد المطلب : انك لترجو له . فقال : نعم يا عم ، أي والله اني لأرجو له كل خير . وجعل رسول الله يستغفر له أياماً لا يخرج من البيت .

ويحدثنا أحمد بن حنبل في مسنده ٩٩/١ عن حبة العرني أنه قال : رأيت علياً وقد ضحك من على المنبر ولم اره قد صدر منه قبل ذلك مثل

هذا . ثم قال : اني تذكرت قول ابي طالب وقد ظهر علينا وانا ورسول الله نصلي ببطن نخل كان خارج مكة . فقال يخاطب النبي : ما تصنعان يا بن اخي . فقلت : نصلي لربنا يا أبتاه . ثم دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله الى الاسلام ، فقال ما بالذي تقولانه او ما بالذي تصنعانه من بأس .

أقول : ان قول ابي طالب هذا يدل بمفهومه ومنطوقه على تصويب دعوة النبي وتصديقه ، ثم قبول نصحه وارشاده ، وإلا لأكثر من الرد وخلق المبررات للاعتذار .

وذكر صاحب التذكرة ايضاً بطريقه الى الواقدي عن ابن عباس أنه قال : عارض رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة عمه ابي طالب ، والألم والتوجع يلوحان على وجهه الكريم ، وهو يردد « وصلتك رحم ياعم ، وجزاك الله خيراً يا عم » حتى اذا أودع حفرته وقف عليها رسول الله وقال : رحمك اللّه يا عم ، فقد آويت وكفلت صغيراً وعاضدت ووازرت كبيراً ، فرحمك اللّه وجزاك اللّه جزاء المحسنين ، فواللّه لأشفعن فيك شفاعة يعجب منها الثقلان .

ومن النعم الالهية على عم الرسول العظيم أن كان مورداً لعنايته تعالى ، كما صار مورداً للتعاليم الاسلامية من قبل أن تنتشر ، وقد ثبت عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : اذا مات ابن آدم انقطع أمله الا من ثلاث : صدقة جارية ينتفع بها الناس ، او كتاب علم ينفع بما فيه من علم ، أو ولد صالح يذكر أباه بخير او يذكر بواسطته بخير .

وقد حصل ابو طالب على كل الأمور الثلاثة ، فقد ترك دار ضيافته وقفاً على الوفود والحجاج والمنتفعين من الضعفاء المسلمين ، كما خلف زمزم البئر التي تلقاها عن آبائه الميامين ، فأوقفها كصدقة جارية لإرواء الناس وسد حاجاتهم .

واو لم تكن كذلك لاستغلها اولاده في المصالح الزراعية والنفعية ، ولكانت تدر عليهم الخير الوفير والنعم الجمة ، ولكنهم عرفوا عن أبيهم وقفيتها للمصالح العامة ، فانصرفوا عن فوائدها وأعرضوا عنها ، ولم تزل باقية حتى يومنا هذا ، وقد يحمل الحجاج من مائها للتبرك به والاستشفاء به ، كما ترك للأجيال الصاعدة ثروة أدبية وعلمية كبيرتين .

وهذا ديوانه وما سجلته له كتب الحديث من الخطب والنصائح الغر لأدل دليل على انه رضي الله عنه قد ترك كتاباً ينتفع به ، فديوانه مليء بالدعوة الى الله والإرشاد الى شريعة رسول الله ، ثم بيان محاسن الاسلام ، ثم بيان تمسكه بالدين وتضحيته في سبيله ، ثم توصيفه للرسول الأعظم ذلك التوصيف الرائع الراقي ، ثم حثه قريشاً وبني هاشم على اقتفاء اثر الرسول وتصديقه في الدعوة ـ الى غير ذلك من التوجيه الديني والإيحاء العقائدي .

كما خلف اولاداً قلما ينجب الزمن لهم مثيلا ونظيراً : مثل علي أمير المؤمنين وسيد الأولين والآخرين بعد النبي الأمين ، وجعفر الطيار القائد الاسلامي العظيم ثاني المصلين في الاسلام ، وعقيل بن ابي طالب السيد الجليل محبوب النبي وصفيه ، قاهر النفاق ومحطم الجبابرة الطغاة .

ومما لا شك فيه أن مثل هؤلاء الأولاد كلهم خير للأب كما يذكرونه بخير ، ويذكر الأب بواسطتهم بخير ، ولاسيما امير المؤمنين عليه السلام ، فإنه كان اكثر اخوته براً وخيراً لأبيه ، فانه طوال حياته لم يترك الترحم عليه والاستغفار له ، فكان يستنيب عنه وعن عبد الله والد رسول الله وآمنة والدته اشخاصاً يحجون عنهم ، واوصى ولده الحسن أن يقوم بذلك بعد وفاته ، كما كان عليه السلام يستشعر أن أباه العظيم هو الذي هداه الى الاسلام وعبّد له الطريق لصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن محاربته للأوثان والاصنام زهاء الخمسين عاماً قوي على تكسيرها وتحطيمها

عند امر النبي بذلك حين واتته الفرصة . فعلي يعتبر أن كل ما حصل عليه من مفاخر ومناقب فهو إنما كان ببركة أبيه ومن جهة فسح المجال أمامه لملازمة النبي والركون اليه .

هذا بالاضافة الى كرامة الأبوة وقداستها وفضلها ومكانتها ، لذا كان حزنه عليه عميقاً ووجده لا يكاد يوصف ، وقد رثاه بمرثيات كثيرة نذكر قطعة من بعضها على سبيل المثال :

ابا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونور الظلم
لقد هز فقدك أهل الحفاظ فصلى عليك ولي النعم
ولقاك ربك رضوانه فقد كنت للمصطفى خير عم

فيصور أباه بهذا التصوير الجميل ، التصوير البعيد عن المبالغة والغلو ، وحاشا مقامه الرفيع أن يقرب من طرق المبالغة او يدنو من سبل الغلو ، وهو العليم بمقام أبيه الكبير في الأوساط المكية والعربية .

فأبو طالب في الحقيقة ونفس الأمر ربيع القلوب وغيث المحول وعصمة المستجير وكهف اللاجئين ، كما هو النور الذي يشرق على الأجواء الصاخبة والظلمات الحالكة ، فيبدد الظلام ويدك حصون الفقر بإشعاع نواله الخضل وبحر جوده الفضفاض .

ثم تعرض عليه السلام الى ما خلفه فقد أبيه العظيم من الألم والاستياء الممضين في نفوس أهل النهى والحفاظ ، وخاصة في نفس زعيم أهل النهى والحفاظ الرسول الأمين ، ومن بعده المسلمون الذين صهرهم الاسلام وأنار نفوسهم وعقولهم الدين ، والذين عرفوا لأبي طالب كافل النبي وحاميه مقامه وجهاده وخدماته .

ثم صار عليه السلام الى رجاء الله تعالى أن يلطف بأبيه ، ويسعفه بعفوه ومرضاته وعطفه وغفرانه .

قال الشبلنجي في نور الأبصار ص ١٣ تبعاً لابن هشام والحلبي في سيرتيهما : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أخبر بوفاة عمه أبي طالب بكى واسترجع وعارض جنازته وهو يقول : وصلتك رحم ياعم، وجزاك الله خيراً ياعم. وجعل رسول الله يستغفر له أياماً لايخرج من بيته .

وقال أيضاً « تنبيه » الكفر أربعة انواع : كفر إنكار ، وكفر جحود ، وكفر نفاق ، وكفر عناد . أما كفر الانكار فهو ان لايعرف الله بالقلب ولا يعترف به باللسان ، وأما كفر الجحود فهوان يعترف بالله بالقلب ولا يعترف به بلسانه ككفر إبليس، وأما كفر النفاق فهو أن يعترف بالله باسانه دون قلبه ، وأما كفر العناد فهو أن يعترف بالله بقلبه ولسانه ولكن لايظهر ذلك كما لايكون منقاداً ومطيعاً بحسب الظاهر ككفر ابي طالب .

ثم ذكر الشبانجي أبيات ابي طالب هذه :

ولقد علمت بأن دين محمد	من خير أديان البرية دينا
ودعوتني وعلمت انك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
لولا الملامة أو جذاري سبة	لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ثم قال الشبانجي بعد عرضه الأبيات : واعلم أن جميع أنواع الكفر الأربعة سواء لايغفر الله لأصحابها ، نعوذ بالله منها إذا ماتوا عليها .

أقول : ذهب اللغويون الى أن تحت لفظة الكفر معان ومصاديق متكثرة :

منها ـ الكفر ضد الإيمان بالله ، وهو نكرانه وجحوده .

ومنها ـ الكفر بالنعمة ، وهو عدم شكرانها ، والاستهانة بواجباتها .

ومنها ـ الكفر بمعنى الظلمة ، فيقال لليل « كافر » لكون ظلمته تخفي الأشياء وتسترها .

ومنها ـ الكفر بمعنى التغطية ، فيقال لكل شيء غطى شيئاً « فقد كفره » .

ومنها ـ الكفر بمعنى ستر البذر في الأرض ، فيقال للزارع « كافر »

لستره للبذر في جوف الأرض .

ومن هنا يظهر الغموض والتشويش في تقسيم الشبلنجي وعدم انسجامه مع مانص عليه أهل اللغة ، فاللغويون جعلوا الكفر بمعنى الجحود قسما من الكفر ضد الإيمان لاقسيما له ، فالانكار لوجود الله تعالى مرادف لجحوده ، وعليه فكفر ابي طالب رضي الله عنه لم يكن كذلك باعتراف الشبلنجي نفسه .

أما كونه من قبيل الكفر بالنعمة - بالاضافة الى انه لايريده قطعاً - فالحس والوجدان يشهدان لعم النبي العظيم انه لم يكفر بنعم الله عليه ، بل لعله على العكس ماوجد الا شاكراً مقدراً لفضل الله وآلائه ، ولو أنه كان على خلاف ذلك لما واصلته النعمة ولازمته رحمة الله وكرامته حتّى النفس الأخير من حياته . والمعروف أن كفران النعمة وعدم شكرانها يستلزم زوالها وفنائها .

نعم يمكن أن يكون كفر عم الرسول المزعوم محمولا على المعاني المتبقية ، مثل كفر الليل وكفر الزارع وكفر مغطي الشيء ، إلا أن ذلك لايعطي المعنى الذي يحوم حوله الشبلنجي وأشياخه ، فالذي لايستر البذر والذي لم يغط الشيء وان كان مصراً على الترك لايكون مستحقاً دخول النار ، كما لايكون من الكفار المستوجبين غضب الجبار وأليم عذاب الله ، حتى اذا توقفت ضرورات الحياة العامة على البذر والزرع وقلنا إن ذلك من فصيلة الواجبات النظامية الكفائية ، فالواحد لايجب عليه تعييناً أن يقوم به ، بحيث اذا لم يقم يعد كافراً .

على أن عدم القيام بالواجب حتى العيني منه مالم يكن إنكاراً لضروري من ضرورات الإسلام لايكون موجباً للكفر والجحود ، فغاية مايمكن أن يثبت في حقه الفسق ، بالإضافة الى ان عدم التظاهر بالواجب وعدم وقوف الناس على اتيانه لاينهض دليلا على العصيان وعدم القيام به ، فلا

يكون هناك شيء غير مرضي أبداً حتى الفسق ، والحال كذلك تماماً بالنسبة الى ابي طالب .

ثم ان الأحكام الإسلامية لم تفرض ولم تشرع في عهده ، بل انها إنما فرضت ووجبت بعد الهجرة وبعد وفاة ابي طالب . نعم كل ما كان واجباً في حياته هو توحيد الله ثم الشهادة للنبي صلى الله عليه وآله بالبعثة والرسالة ، وهناك ألف دليل ودليل على إيمانه بالله ونفي الشركاء عنه وتصديقه للنبي ومساندته ، وقد ثبت عنه رضي الله عنه قوله :

مليك الناس ليس له شريك ... هو الجبار والمبدي المعيد
ومن فوق السماء له بحق ... ومن تحت السماء له عبيد

وقوله :

لاتيأسن اذا ماضقت من فرج ... يأتي به الله في الروحان والدلج
فما تجرع كاس الصبر معتصم ... بالله الا سقاه الله بالفرج

على أن البيت الثالث قد استشف منه الشبلنجي ومن نحا منحاه كفر ابي طالب ، فغاية مايفيده الكتمان للتدين والايمان لظروف مقتضية ومناسبات خاصة ، وهو كل مفهومه ومنطوقه ، فليراجع بامعان حيث يتحقق ما نقوله ، مضافاً الى ان البيت ملصق بالأبيات لا أنه منها ، تلك فكرة كثير من المؤرخين الأحرار كما هي الحق والمختار .

مضافاً الى أن نسبة المهات على الكفر تستلزم مخالفة الرسول والإمام علي للنصوص القرآنية الدالة على تحريم الإستغفار والترحم للكافرين والمشركين : فإما أن يقال لم تمر عليهما ولم يعلماها ، وإما أن يكون قد علماها وخبراها وخالفا مضمونها . وكل من التقديرين لايمكن القول به والتزامه ، بل هو طعن بقداسة النبوة وشرف الإمامة .

وهل من الممكن أن الرسول ووصيه لم يقف على مثل قوله عز من

قائل : « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباؤهم أو أبناؤهم أو اخوانهم أو عشيرتهم » ؟ !

أو مثل قوله تعالى : « لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون الله ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء » ؟ .

والمفروض ان رواية استغفار النبي لعمه وترحمه عليه تكـاد تكون اجماعية ، إذاً لابد وأن يكون أبو طالب مؤمنـاً مستكمل الإيمان ، وإلا نسبنا الى الرسول الأعظم وابن عمه علي إما الجهل بالقرآن وإما تعمد مخالفة نصوصه ، والعياذ بالله .

وعن فم أمير المؤمنين قد أخذ المؤرخون وفي الطليعة ابن ابي الحديد أنه قال : والله ماعبد ابي ابو طالب ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم بن عبد مناف وثناً ولا صنما قط ، وإنما كانوا يصلون الى الكعبة على دين الخليل ابراهيم .

ويحدثنا السيد علي خان في درجاته الرفيعة وابن ابي الحديد في شرح النهج وابن هشام في السيرة أن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كان يخطب الناس في الكوفة إذ قام اليه رجل من الحاضرين فقال : انت بالمكان الرفيع الـذي جعلك الله فيه وأبوك ابوطالب يعذب في النـار ؟ فانتفض أمير المؤمنين انتفاضة الأسد المغضب وقال للرجل : صه ياهـذا فض الله فاك ، فوالذى بعث محمداً بالحق لو شفع ابو طالب في كل مذنب لشفعه الله فيه ، ويلك ياهذا أبي يعذب في النار وابنه قسيم الجنة والنـار ، والله إن نور أبي طالب ليطفيء أنوار الخـلائق كلهـا يوم القيامة إلا نور رسول الله صـلى الله عليه وآله ونوري ونور فاطمة والحسن والحسين ، والله مامات أبو طالب حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا .

أقول : ولعمري إنها شهادة كريمة وعظيمة تصدر من ربيب رسول

الله ووصيه في حق أول مؤمن بالله ، وأول معترف بنبوة رسول الله ، وأول متفاني في سبيلهما هو ابو طالب ، وعلي هو سيد آل البيت الذين نزههم القرآن الكريم عن كل شين حيث يقول : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » .

ابوطالب في نظر آل البيت عليهم السلام

فهو عندهم المؤمن حقاً والموحد واقعاً علانية وجهراً ، وهو عندهم المجاهد الوحيد والمكافح الأعظم ، والذي دافع وناضل دفاع ونضال المستميت في سبيل إعلاء كلمة الله وإرساء قواعد دين رسول الله ، ومحاربة كل معبود ومقدس يناهض الله او يقرن معه ، كما حامى رسول الله وعصمه عن الكفر والشرك وصدقه في دعواه وايده في ديانته ، ولم يزل كذلك حتى توفاه الله فذهب الى روحه وريحانه حيث منازل الأنبياء والمرسلين ودرجات الأولياء والمقربين .

ذكر السيد صاحب الدرجات الرفيعة بطريقه الى ريحانة الرسول وسيد شباب أهل الجنة الامام الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام أنه قال : حدثني ابي أمير المؤمنين عن ابيه ابي طالب أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله ذات يوم : بماذا قد بعثت يابن أخي ؟ فقال : يا عم بعثت بصلة الرحم ، وان يعبد الله وحده ، ولا يعبد معه أحد . فقال : وانت يا محمد عندي الصادق الأمين .

لو وضعنا هذا الحديث على طاولة التشريح ومنضدة الفحص والتدقيق وجدناه يفيد أول ما يفيد الإقرار بالبعثة والايمان برسالة النبي الذي لم يكن الاستفهام عنها ابداً ، فكان امر النبوة مفروغ عنه وانه متحقق لامحالة ، بل كل الاستفهام والإستشعار إنما كان عن الشيء الذي بعث من اجله صلى الله عليه وآله ، لذا كان الجواب موافقاً للسؤال « بعثت بصلة الرحم وان يعبد

الله وحده » ، فكانت النتيجة أن قال : وانت عندي الصادق الأمين .

ونقل السيد صاحب الدرجات بطريقه الى الامام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عن ابيه عن جده علي عليه السلام انه قال : كنت جالساً في الرحبة والناس مجتمعون من حولي اذ قام الي رجل فقال : يا أمير المؤمنين انت في المكان الذي انزلك الله فيه وابوك يعذب في النار ؟ فقلت : صه يا هذا فض الله فاك ، فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً لوشفع ابي في كل مذنب لشفعه الله فيه ، أبي يعذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار .

وروى الحديث ايضاً الامام شمس الدين علي بن فخار بن معد الموسوي المتوفى سنة ستمائة وثلاثين هجرية في مؤلفه الحجة على الذاهب الى تكفير ابي طالب ، وقد رواه بطرق عديدة فليراجع الكتاب .

ومؤلَّف السيد هذا من اقدم الكتب واكثرها أهمية ، يحتوي على اكثر من أربعين حديثاً قوية الدلالة والسند تنطق بلسان واحد وتعبر عن معنى واحد ، هو ايمان عم النبي العظيم وتدينه ، وكنموذج نذكر واحداً من تلك الأحاديث فأقول :

قال السيد الموسوي قدس سره : حدثني السيد النقيب ابو جعفر يحيى ابن زيد العلوي الحسيني البصري بمدينة السلام سنة ستمائة واربعة بعد الهجرة ، قال اخبرني والدي محمد بن محمد ابي زيد النقيب البصري ، قال اخبرني تاج الدين والشرف محمد بن محمد ابي الغنائم المعروف بابن السخطة العلوي الحسيني البصري ، قال اخبرني الشريف الامام العالم ابو الحسن علي بن محمد الصوفي العمري النسابة ، قال حدثنا ابو عبد الله الحسين بن أحمد البصري عن ابي الحسن يحيى بن محمد المدني ، قال رأيته بالمدينة المنورة سنة ثمانين بعد الثلاثمائة ، فأخبرني عن ابيه علي بن همام رضي الله عنه ، عن جعفر ابن الضراري ، عن عمران بن معافى ، عن صفوان بن يحيى ، عن عاصم

ابن حميد ، عن ابي بصير ، عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال : مات والله جدنا أبوطالب مؤمناً مسلماً .

وشعره في ديوانه يدل على ايمانه ثم محبته وتربيته ونصرته ومعاداته اعداء الله واعداء رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم موالاته اوليـاء الله واولياء رسول الله ، ثم تصديقه للرسول بكل ما جاء به من ربه ، ثم أمره لولده ان يسلموا ويؤمنوا بما يدعو اليه ، ثم وصفه لرسول الله صلى الله عليه وآله بأنه خير الخلق ، وانه يدعو الى الحق والمنهاج المستقيم ، وانه رسول رب العالمين ، فيثبت هذا القول في نفوس اولاده وقلوبهم حين دعاهم ، فيؤازروا رسول الله وما تلبثوا عما قرره .

* * *

اقول : وكما لا اشكال فيه ولا شبهة تعتريه أن العظة من المتعظ تؤثر اثرها في النفوس وتأخذ مأخذها من مجامع القلوب ، فتستولي على المشاعر وتهيمن على الافكار ، فتنفذ إلى الأعماق ، فتكون مقبولة شهية محبوبة تتجاوب مع الاحساس ، كما كانت موعظة ابي طالب لولده فإنها لما كانت خارجة من القلب ونابعة عن الصميم ومنبعثة عن الواقع اثرت اثراً فعالاً منقطع النظير في نفس علي وجعفر وعقيل ، فأصبحوا من المؤمنين الأقوياء الأشداء على اعداء الله والرسول صلى الله عليه وآله .

وتحدث المجلسي في بحار الأنوار في الجزء التاسع منه فقال : لقد تواترت الأخبار عن الامام علي بن الحسين بن علي عليهما السلام أنه قال رداً على سؤال قد وجه اليه هذا مضمون السؤال والجواب :

السائل : مولاى يا بن رسول الله جعلت فداك أهل كان جدك ابوطالب مؤمناً حقاً ؟

الامام : نعم يا هذا إنه كان والله مؤمناً مسلماً حقاً .

السائل : سيدي ان هنا قوماً يزعمون أنه مات كافراً ؟

الامام : واعجبا أيطعنون على ابي طالب ام على رسول الله ، أماعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد نهاه الله عز وجل ان يقر مؤمنة تحت كافر في غير آية من القرآن الكريم ، ولا يشك أحد أن فاطمة بنت أسد ـ وهي من المؤمنات الصادقات ـ فانها لم تزل تحت ابي طالب الى ان توفي ، أما قرأت يا هذا قوله تعالى « ما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .

اقول : ولعمري ان استدلال الامام هذا على ايمان جده هو أقوى دليل واجل برهان ، يأكل جميع ما يأفكون .. وكيف لا يكون كذلك وقد صدر عن حفيد الرسول ووارث علمه ، وقد استنتجه وحصله من عملية جده رسول الله صلى الله عليه وآله مع ابنته زينب وزوجها ابي العاص ، حيث فرق بينهما وسحب ابنته منه لبقائه على الشرك وإيمان ابنة رسول الله ، فمن سحبه هذه وابقائه تلك ـ اعني فاطمة بنت اسد تحت ابي طالب ـ يجزم بايمانه وتدينه ، والا لما ساغ للنبي ابقاء علاقة الزوجية بينهما وتوثيق الروابط بينها وبينه .

ويحدثنا ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣١٢/٣ بطريقه الى الإمام علي ابن الحسين عليه السلام أنه قال عند سؤال تقدم به اليه بعض المسلمين ، وكان حاصل السؤال : أصحيح يا مولاي ما ينسبه بعض الناس الى جدك ابي طالب من الموت على الشرك؟ فقال عليه السلام : واعجباً إن الله تعالى نهى رسوله أن يقر مؤمنة مسلمة تحت كافر وعلى نكاحه ، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات الى الاسلام ، ولم تزل تحت ابي طالب حتى مات .

وقال ابن ابي الحديد : ووجه عين السؤال الى الامام الباقر عليه السلام فأجاب : والله يا هذا لو وضع ايمان جدنا ابي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق في كفة لرجح ايمان ابي طالب على إيمان الخلق اجمعين ، ألم تعلموا

أن رسول الله كان يستغفر لعمه ويترحم عليه طيلة حياته ، وهل يعقل أن يستغفر لمشرك ؟ ألم تعلموا أن جدنا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب كان يأمر بالحج عنه ، وأوصى ولديه الحسنين بأن يحجوا عنه وعن والد رسول الله ووالدته ؟ ألم تعلموا أن علياً كان يكرر ان لإيمان ابي طالب رجحاناً ذاتياً على إيمان الناس أجمعين ، فإيمانه ايمان عالم عارف لاإيمان تابع ومقلد ؟ !

ويحدثنا الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة والحمويني في فرائد السمطين بطريقهما الى زيد بن المنذر عن الإمام الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : قال لي رسول الله ياعلي خلقت أنا وأنت من نور واحد كان ذلك بين يدى الله عز وجل من قبل أن يخلق آدم بألفي عام ، ولما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه ولم يزل ينقله الله من صلب الى صلب حتى أقره في صلب عبد المطلب ، ثم قسمه نصفين فصار قسم في صلب أبي عبد الله وصار القسم الثاني في صلب عمي أبي طالب ، فأنت مني وأنا منك ، لحمك لحمي ودمك دمي .

أقول : لقد اكثر المحدثون ذكر هذا الخبر ، ولعل كل من تعرض لسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعرض له بطرق عديدة ، فيكاد يكون مجمعاً على صحته ووثاقة أسناده . وعليه فإن دل على شيء فإنما يدل بالصراحة على استحالة إيداع الله الحكيم نور اوليائه وصفوته وأحبائه في أصلاب المشركين كعبد المطلب وعبد الله والد رسول الله وابي طالب بن عبد المطلب عم الرسول الكريم ، وعليه يتضح أن جد النبي صلى الله عليه وآله وأباه ـ ولا سيما عمه العظيم ، لأنه ادرك الإسلام وشاهد مفاخره ومآثره فتمجد به ودعا اليه وتفانى دونه ، فهو وهما من المؤمنين ـ فافهم واغتنم .

ونقل صاحب البحار بسنده الى الصحابي الكريم ابي ذر الغفاري رضوان

الله عليه أنه كان يقول : لقد سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول : خلقت انا وعلي بن أبي طالب من نور واحد ، كنا نسبح الله ونقدسه يمنة العرش من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، ولما خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه وسكن الجنة ونحن في صلبه ، وركب نوح السفينة ونحن في صلبه ، وقذف ابراهيم خليل الله في النار ونحن في صلبه ، ولم يزل الله ينقلنا من أصلاب طاهرة الى أرحام طاهرة ، حتى انتهى بنا الى صلب عبد المطلب ؛ فقسم ذلك النور الى قسمين : فأودع قسماً منه في صلب أبي عبد الله ، وأودع القسم الثاني في صلب عمي أبي طالب . فجعل فيّ النبوة والبركة وفي علي الإمامة والفروسية ، وشق لنا إسمين من اسمائه ، فذو العرش محمود وأنا محمد ، والله العلي الأعلى وهذا علي – وأشار صلى الله عليه وآله الى علي بن ابي طالب بيده الكريمة المقدسة .

هذا والحديث أكثر من نص على إيمان اسرة النبي ولحمته ، وتنزيههما من أرجاس الوثنية وأقذار الكفر وأوضار الشرك ، وإلا لاتجتمع طهارة الأصلاب والأرحام مع عبادة الأوثان والأصنام التي هي من أعظم أنواع الرجس وأقذر ألوانه وصوره ، فلا بد إذاً – والحالة هذه – ان يكون آباء النبي العظيم موحدين متألهين .

ذكر ابن شاذان في المناقب بسنده عن صفوان بن يحيى بن عاصم ابن حميد عن ابي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال : مات أبو طالب مؤمناً مسلما . وشعره في ديوانه يدل على إيمانه وتدينه ، ثم محبته ونصرته للرسول صلى الله عليه وآله ، ثم معاداته لأعداء الله ورسوله وموالاة أوليائهما ، ثم تصديقه في كل قول جاء به عن ربه . ثم أمره لولديه علي وجعفر أن يسلما ويؤمنا بما يدعو اليه ، وقال لهما فيما قال : إن محمداً خير الخلق ، وانه يدعو الى الحق والصراط المستقيم .

وقال السيد الموسوي في الحجة على الذاهب ص ٨٤ : اخبرني الشيخ ابو عبد الله محمد بن ادريس في سنة ثلاث وتسعين بعد الخمسمائة ، قال اخبرني الشريف ابو الحسن العريضي ، قال اخبرني الحسين بن طحال المقدادي ، عن الشيخ ابي علي الحسن بن محمد الطوسي ، عن ابيه الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، عن رجاله ، عن ابي بصير ليث المرادي ، قال : قلت للامام الباقر عليه السلام : إن بعض الناس يقولون : إن جدك ابا طالب في ضحضاح من نار . فقال مغضباً : كذب والله اعداء الله ، إن ايمان جدنا ابي طالب لووضع في كفة ميزان ووضع ايمان هذا الخلق في كفة لرجح إيمان ابي طالب على ايمان الخلق اجمعين . وكان والله امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام يأمر أن يحج عنه وعن اب رسول الله وأمه ، واوصى بالحج عنهم بعد وفاته .

وذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ بطرقه الى الامام الصادق عليه السلام ، انه قد تقدم اليه بعض الناس بهذا السؤال :

السائل : مولاي يا بن رسول الله جعلني الله فداك ؛ أصحيح ما يزعمه البعض في جدك ابي طالب من أنه مات كافراً مشركاً ؟

الامام : كذب والله اعداء الله والرسول صلى الله عليه وآله ، ما بهذا نزل جبرئيل على رسول الله عن الله عز وجل يبشره بأنه قد حرم النار على صلب أنزله وبطن حمله وحجر كفله ، ومما لا يشك فيه أحد أن الحجر الذي كفله هو عمه ابو طالب . واعلم يا هذا أن مثل جدنا ابي طالب مثل اصحاب الكهف أسروا الإيمان فآتاهم الله أجرهم مرتين ، وان جدنا قد كتم إيمانه فأعطاه الله اجره مرتين .

قال ابن ابي الحديد والقاضي النقدي والسيد الموسوي في الحجة : إن الامام الصادق بنفسه قد ابتدأ ذات يوم يونس بن نباتة ـ وهو أحد اصحابه ومخلصيه ـ :

الامام : ماذا يقول الناس يابن نباتة في جدنا ابي طالب ؟
يونس : يقول بعضهم انه في ضحضاح من نار يغلي منه مشاشه .
الامام : كذب والله اعداء الله ، إن جدنا أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في جنان الخلد ، وكيف يقال في حقه ذلك وهو القائل :

يا شاهد الله علي فاشهد   اني على دين النبي احمد

قال ابن ابي الحديد والموسوي والنقدي : وكان الامام الصادق يأمر اصحابه ومواليه ان يحفّظوا شعر جده ابي طالب ويحفظوه ابناءهم .
وكان عليه السلام يقول : إن الله تعالى يبعث جدنا أبا طالب يوم القيامة وعليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك .

قال النقدى في المواهب وابن شاذان في المناقب والسيد الموسوى في الحجة والسيد علي خان في الدرجات : ان داود الرقي قال : دخلت على سيدي ومولاي ابن الباقر جعفر بن محمد عليه السلام فشكوت له من رجل تصعب علي ولم يفي مالي بذمته من دين مع حاجتي وإلحاحي . فقال عليه السلام: اذا مررت بمكة فطف بالبيت الحرام سبعة أشواط عن عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وطف كذلك عن ابوي النبي عبد الله وآمنة بنت وهب ، ثم عن ابي طالب عم رسول الله وحاميه ، ثم عن فاطمة بنت أسد مربية رسول الله وخادمته ، وصل لكل طواف ركعتين ، ثم اطلب من الله سبحانه أن يمكنك من غريمك ويرد عليك أموالك . ففعلت ما امرني به سيدي ومولاي ، واردت الخروج من البيت من باب الصفا فاذا أنا بصاحبي ينتظرني على الباب ، وبمجرد أن رآني بشرفي وجهي وقال : ياداود هلم معي تسلم دينك واقبض حقك . فتبعته الى الدار فتسلمت اموالي ، وكان ذلك ببركة توسلي الى الله تعالى بأب النبي وأمه وجده وعمه سلام الله عليهم اجمعين.

ابو طالب في نظر الامام الكاظم

وهو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ، وها هو يتحدث للجماهير الاسلامية والأجيال المتعاقبة ، فيحكي لهم مآثر جده العظيم ، وما يعرفه عنه من إيمان صادق واخلاص لله ورسوله ، وذلك على أثر سؤال وجهه اليه بعض الناس ، وهذا نص السؤال والجواب :

السائل : مولاي يابن رسول الله جعلت فداك ، ما حال جدك ابي طالب بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله ؟

الامام : اعلم يا داود أن جدنا ابا طالب كان قبل البعثة ينتظر رسالة رسول الله وايام نبوته ، حتى اذا تحقق له ذلك آمن به واقر بكل ما جاء به من ربه ، كما دفع اليه وصايا الأنبياء السالفين من آبائه ، الوصايا التي انتقلت اليه بطريق الوراثة ، وكيف لا يكون كذلك وهو القائل :

قل لمن كان من كنانة بالعز ... وأهل الندى وأهل المعالي

قد أتاكم من المليك رسول ... فاقبلوه بصالح الأعمال

وانصروا أحمداً فإن من الله ... رداء عليه غير مدال

يا داود لو لم يكن ابو طالب مؤمناً بالنبي لما كان مندفعاً نحو رسول الله ذاك الاندفاع الغريب ، الاندفاع الذي قل أن يصادف لأي مؤمن اومسلم نظيره ، حتى تحمل مرارة الاعتقال والإقامه الجبرية مدة ثلاث سنين ، وحتى استمات في سبيل إعلاء كلمة الله وفي سبيل الحفاظ على حياة رسول الله زهاء الخمسين عاماً .

وهل رأيت يا داود او سمعت أن انساناً يدين بدين قد تمكن منه قلبه وعاش عليه مدة من الزمن ، ومع احتفاظه به يدعو الى دين آخر يقاومه ويناهضه بل يقلعه من الاساس ويزيفه ؟

وابو طالب يا داود لايخاف محمداً ولا يرهبه ؛ بل النبي يحتاجه وينتدبه في كثير من الحالات والمجالات ، وعليه لابد وأن يكون اندفاع جدنا ابي طالب اندفاع ايمان وتصديق بالنبوة ، لذا آوى وحامى وجاهد وكافح ، فلاتعتني يا داود بالأقاويل المغرضة والتهويلات المبغضة .

فالله بالمرصاد لكل باغ وظالم ، فلا تكن تقابل رسول الله يو القيامة وانت قد مسست عمه ومربيه وآذيته ، ولقد ثبت عن جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : من آذى أهل بيتي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فقد دخل النار .

أبو طالب في نظر الامام الرضا

والرضا هو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب عليهم السلام .

قال السيد علي خان الحسيني في درجاته الرفيعة وابن ابي الحديد في الجزء الثالث من شرح النهج والسيد الموسوي في الحجة وابن شاذان في المناقب : ـ إن ابان بن محمود ـ وهو من أصحاب الإمام الرضا كما هو من المؤمنين الصلحاء الذين قد درسوا وتثقفوا على يد الإمام عليه السلام حتى أصبح داعية للدين ومرشداً قديراً للإسلام ... كتب هذا الرجل الى الإمام يستفهمه عن همسات ربما يسمعها في بعض الأندية ، فكان نص السؤال :

مولاي يابن رسول الله جعلت فداك ، إني شككت في ايمان جدك أبي طالب ، فتداركني يامولاي وإلا ضللت وهلكت ، انقذني ياسيدي وإلا خسرت وهويت .

وبعد أن وصل الكتاب كتب الإمام اليه الجواب ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

« ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » . ياابان وانك ان لم تقر بإيمان ابي طالب يكون مصيرك الى النار لامحالة . والسلام .

* * *

ذكر المفسرون ومنهم صاحب مجمـــع البيان والسيد عبد الله شبر في تفسيره والزمخشري في كشافه في تفسير الآية المباركة أن من يشاقق الرسول ويعانده فيما يأمر وينهى ويصر على المخالفة ويتنكب صراطه المستقيم ويتخذ غير جادته القويمة فهو ليس من الله والرسول بشيء ، كما وهو خارج على حدود النبوة ، بل هو ممن شهر السيف في وجه توحيد الله وفي وجه رسوله صلى الله عليه وآله .

ولا سيما اذا كانت المعاندة والمخالفة ناشئة عن سبق الإصرار ، وبعد تبين الهدى والتعرف على الحق الجلي المتمثلين بتوحيد الله عز وجل والتمسك بالإسلام العظيم اللذين هما المحور والحجر الأساس لدعوة الرسول وبعثته ، كما وهما السبيل الذي سلكه المؤمنون والطريق الذي سار عليه المسلمون الأوفياء .

أما وجه استدلال الإمام عليه السلام بالآيـة فحاصله : إن التعرض لأبي طالب والمس بكرامته والنيل من قداسته ومقامه الرفيع هو عين المعاندة للرسول والمخالفة المكشوفة له صـــلى الله عليه وآله وسلم ، وكيف لايكون الحال كذلك وقد ثبت عنه انه كان كثير الـــذكر لعمه كثير الترحم عليه والإستغفار له ، وعلى ذلك سار المسلمون والمؤمنون . وعليه فمن يبتغي غير ذلك في عم الرسول وحاميه فهو مجاف ومخالف ، كما هو مشاقق ومعـــاند للرسول صلى الله عليه وآله ، بل معاند لله وللمسلمين .

ولم يكتف الإمام عليه السلام بالآيـة جواباً على الكتاب ، بل ذيلها بقوله : « وانك ياابان ان لم تقر بإيمان ابي طالب كان مصيرك الى النار » ، نظراً الى أنه ربما تفوت على السائل خصوصيات الاستدلال .

ونقل السيد صاحب الدرجات والسيد الموسوي في الحجة والقـــاضي النقدي في المواهب بطريقهم الى الإمام الرضا عليه السلام أنه كان يقول : كان نقش خاتم جـــدنا ابي طـــالب « رضيت بالله رباً ، وبمحمد نبياً ،

وبعلي إماماً » .

وقال ابن ابي الحديد والسيد في الحجة : وكتب عبد العظيم بن عبد الله العاوي الحسني الى الإمام الرضا ، فكان نص الكتاب : عرفني يابن رسول الله عن الخبر المروي المفيد بأن ابا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه . فكتب عليه السلام الجواب ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فإنك ان شككت في إيمان ابي طالب فتبوأ مقعدك من النار .

ونقل السيد في الحجة والنقدي في مواهبه والسيد علي خان في الدرجات وابن شهراشوب في المناقب وصاحب البحار بطريقهم الى الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عن جده رسول الله صلى الله عايه وآله أنه قال :

أوحى الله تعالى إلي : أن يامحمد اني قد أيدتك بشيعتين : شيعة تنصرك علانية وجهراً ، وشيعة تنصرك سراً وخفية . أما الشيعة التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم علي بن ابي طالب ، وأما الشيعة التي تنصرك خفية وسراً فسيدهم وأفضلهم ابو طالب . كما أوحى الله إلي بعد موت عمي ابي طالب : أن يامحمد أخرج من مكة فما لك بها من ناصر بعد أبي طالب .

ابو طالب في نظر ابن عباس

وهو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، كما وهو ابن عم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وهو تلميذ رسول الله كما هو تلميذ علي عليه السلام ، واختص به بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى اصبح من حواريه ومواليه .

ومن جراء ملازمته واتصاله حصل على مراتب من العلم ودرجات من المعرفة ، فتفوق وامتاز على غيره ، وأصبح من الرواة الفذة والمحدث الصادق عند المسلمين كافة ، لا يعارَض في حديث ولا يناقش في رواية ، وحصل على لقب حبر الأمة .

يحدثنا الشيخ الصدوق في أماليه بطريقه الى ابي حمزة الثمالي عن عكرمة عن عبد الله هذا عن ابيه العباس بن عبد المطلب أنه قال : كنت ذات يوم في ندوة القوم — والندوة ذلك اليوم هو البيت الحرام ، وكانت الندوة تظم جماعة من الأبطال والزعماء العربية المناوئة لرسول الله وابي طالب — وكان الحديث كل محوره ابو طالب وقصة دفاعه عن النبي وملازمته إياه ، فغرب الحديث وشرق ، وعزاه بعضهم الى أنه ما آمن بمحمد قلباً ، وأنه مات على دين الأشياخ دين الوثنية والأصنام ، فعند ذلك رأيت أن لامقام للسكوت ، وما رأيت إلا أن أوقف القوم عند حدهم ، كما أوقفهم على حقيقة ابي طالب وواقعه ، قلت : اسمعوا ياقوم واعلموا أن أخي اباطالب

والله لقد شهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله ، كما أنه كان يعتقد بأن محمداً أرسله الله وابتعثه ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

فعند ذلك احجم القوم وسكتوا ، وما كان يمكنهم إلا ذلك .

وعن ابن عباس عن ابيه ايضاً أنه قال في بعض المناسبات : والله ما مات ابو طالب حتى اعطى رسول الله من نفسه الرضا ، أما والله لقد شهد عند الموت أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله .

الى كثير من هذا النوع مما تركناه رعاية للاختصار .

* * *

اقول : ربما يستشف من الحديث الأخير كون الشهادتين قد صدرتا عند الموت فقط ، وانها كل ما ندت به شفتا الزعيم ابي طالب ، بل انما كان ذلك حيث طلب العباس من أخيه في تلك الساعة الرهيبة أن تكون خاتمة كلامه ونهاية حديثه هي الشهادة لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة . . والطلب لم يكن من مخترعات العباس ومبتكراته ، بل هو إيحاء من الرسول صلى الله عليه وآله ليلقنه ابا طالب ، لتكون آخر دعواه كأولاها أن الحمد لله رب العالمين ، ولتكون سنة باقية على مر العصور وكر الدهور والأجيال المتعاقبة ، لأن الإنسان في ذلك الحال وفي تلك الساعة الحرجة ـ ساعة فراق الأحبة ، ساعة فراق الدنيا ـ ربما ينشغل بنفسه عن كل شيء وراء ذلك ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله من إيحائه الى عمه العباس بأن يلقن أخاه ابا طالب ويذكره بأول سؤال يسأله عند إنزاله القبر ، ليلهج به ويجدد العهد به حتى يكون على بصيرة منه وليجيب عند السؤال ، وإلا ليس هو أول اعتراف وأخير إقرار ، بل هو يتبع سلسلة غير منتهية من الاعترافات والأقارير سجلتها الكتب ولا كتها الألسن .

والعباس نفسه هو ممن يشهد له بما نقول ، ومن ذلك ما رواه السيد

الموسوي في الحجة والنقدي في المواهب والسيد علي خان في الدرجات وابن ابي الحديد في شرح النهج بطريقهم الى احمد الرقي عن خلف بن حماد الأسدي عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن عبد الله بن عباس عن العباس ابن عبد المطلب أنه قال :

قال اخي ابو طالب لابن اخيه محمد بمحضر جماعة من العرب وقريش : يابن اخي الله ارسلك ؟

قال محمد : نعم يا عم ، الله ارسلني وبعثني نبياً لأنذر الناس وابشرهم برحمة الله .

فقال ابو طالب : إن للأنبياء معاجز وخوارق للعادة يتعذر على عادي الناس الاتيان بالمماثل والنظائر .

فقال صلى الله عليه وآله : نعم يا عم كان الأمر كما تقول .

فقال ابو طالب : أرنا آية نبوتك ورسالتك يابن اخي .

قال محمد : اطلب يا عم الشيء الذي تريده .

قال : ادع لنا تلك الشجرة لتأتيك .

قال النبي : قم يا عم ادعها عني وقل لها « يقول لك محمد أقبلي الي » .

فقام ابو طالب ففعل كما امره النبي ، واذاً بالشجرة وقد انقلعت من جذورها وأقبلت نحو النبي حتى وقفت بين يديه ونطقت باذن الله قائلة : السلام عليك يا رسول الله .

فالتفت ابو طالب وقال : قل لها يا بن اخي فلترجع من حيث اتت والى مكانها الذي انحدرت منه . فأمرها محمد أن تنصرف الى مكانها فانصرفت . فعندها قال ابو طالب : اشهد انك صادق صديق يا محمد . ثم التفت الى علي ابنه وقال : يا علي الزم جانب ابن عمك ، فانه لا يدلك الا على خير ، ولا يهديك الا سبيل الرشاد .

أقول : والذي يظهر من ما جريات الحديث وخصوصياته أنه كان في أوائل البعثة وفي مبتدأ ايام الدعوة ، وليس الغرض من الطلب هذا إلا إيقاف الناس وإفهامهم بأن محمداً يدعي النبوة ومدعيها كذلك لابد وأن يقرن دعواه بالكرامة والمعجزة ، وفعلا جاء محمد بخارق العادة والمعجزة فآمن بها من آمن وكفر بها من كفر ، ومن كفر فلن يضر الله شيئاً ، ومن كفر فعليه كفره وان الله غني عن العالمين .

ويحدثنا القاضي النقدي في المواهب بطريقه الى الصحابي أبي ذر الغفاري - رحمه الله - أبي ذر الذي قال في حقه رسول الله العظيم « ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء بأصدق ذي لهجة من أبي ذر » - نعم ابو ذر هذا قال : كنت في مجلس من مجالس قريش ابان دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فتعرضوا للاساءة بأبي طالب والنيل من كرامته ، فلم يسعني الا أن قلت : ما اعلمه عن حاله وما اعرفه من خدماته : فقلت : والله الذي لا إله إلا هو ما مات ابو طالب إلا مؤمناً مسلماً كامل الاسلام والايمان ، ابتغي بذلك نصرة الحق ، لأني علمت أن الساكت عن الحق شيطان أخرس ، واني رأيت رسول الله وسمعته يترحم على عمه ويستغفر له وتلك طريقته مع المؤمنين والمسلمين .

وذكر الفضل بن شاذان والنقدي في المواهب بطريقهما عن الشيخ أبي الفتح الكراجكي عن طاهر بن موسى بن جعفر الحسيني عن أبي القاسم ميمون بن حمزة الحسيني عن مزاحم بن عبد الواحد البصري عن أبي بكر عبد العزيز بن عبد الرحمان عن العباس بن علي البصري عن جعفر بن عبد الواحد بن جعفر عن العباس بن الفضل عن اسحاق بن عيسى بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن المهاجر مولى نوفل اليماني عن أبي رافع خادم رسول الله صلى الله عليه وآله قال : سمعت ابا طالب يقول :

حدثني ابن اخي محمد ان الله عز وجل بعثه بصلة الرحم وان يعبد الله وحده ولا يشرك به احد ، ومحمد عندي الصادق الأمين .

اقول : لم ينفرد بالرواية هذه ابن شاذان والنقدي فحسب ، بل رواها جمع كثير من المؤرخين كابن حجر في الاصابة ٤ / ١١٦ وزيني دحلان في اسنى المطالب والشيخ ابراهيم الحنبلي في نهاية الطلب ، الا أن الرواية كانت بهذه الصورة عن عروة الثقفي عن ابي طالب انه قال : حدثني ابن اخي محمد أن الله سبحانه أرسله بصلة الرحم واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وكان يقول اشكر ترزق ولا تكفر تعذب ، ومحمد عندي الصادق الأمين .

وذكر الأميني في غديره ٧ / ٣٨١ عن الامام احمد بن الحسين الموصلي الحنفي الشهير بابن وحشي في شرحه على كتاب شهاب الأخبار تأليف العلامة محمد بن سلامة القضاعي المتوفى سنة اربعمائة وخمسين هجرية انه قال : بغض أبي طالب كفر وجريمة لا تغتفر ، كما نص على ذلك العلامة التفتوني والشيخ علي الأجهوري في فتاواه والتلمساني في حاشيته على كتاب الشفاء مع اضافة « وان ابا طالب لا ينبغي أن يذكر الا بخير والا بحمايته للنبي ومؤازرته له ونصرته اياه بقوله وفعله ، وفي ذكره بمكروه ايذاء للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومؤذي النبي كافر يجب قتله ، وقد نهى الله تعالى في غير آية من القرآن عن ايذاء النبي ، وفي بغض أبي طالب ايذاء للنبي ومؤذي النبي كافر » .

وقال ابو طاهر : إن حب ابي طالب ايمان ، وبغضه كفر ونفاق ، لانه ايذاء للرسول صلى الله عليه وسلم ، وايذاؤه كفر ونفاق .

ابو طالب في نظر المأمون

قال ابن أبي الحديد في شرحه على النهج ٣ / ٢١٣ : وكان المأمون معجباً بايمان أبي طالب الذي يحكيه شعره ونثره ، وكان كثيراً ما يردد هذه الأبيات ويكررها :

نصرت الرسول رسول الاله ... ببيض تلألأ كلمع البروق
اذب واحمي رسول الإله ... حماية عم عليه شفيق
وما إن دب لأعدائه ... دبيب البكار حذار الفنيق
ولكن ازير لهم سامياً ... كما زار ليث بغيل مضيق

قال ابن ابي الحديد : قال المأمون بعد ترداده للابيات : لقد أسلم والله ابو طالب بأبياته هذه .

* * *

يظهر من هذه الحادثة ان المأمون لم يكن على احاطة تامة ووقوف شامل على ما صدر عن عم النبي العظيم ، الدال بصراحة اكثر مما استشفه من الأبيات التي كانت قد أعجبته والتي قد استظهر منها اسلامه وايمانه ، مثل قوله :

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

وقوله أيضاً :

أنت النبي محمد ... قرم اغر مسود
لمسودين اكارم ... طابوا وطاب المولد

وقال ابن أبي الحديد : لقـــد صح عن الخليفة عمر بن الخطاب أنه كان منصهراً ببيتي زهير بن ابي سلمى ، وكان يحفظهما ويرددهما كثيراً ويعجبه أن يقرأ أمامه ، والبيتان هما :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما تكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب او يعجل فينقم

وقال ابن أبي الحديد : قال عمر : ما رأيت جاهلياً أعلم بالحكم من زهير بن أبي سلمى ، ولو قلت إن شعره هو شعر مؤمن يدخل الجنـــة لإقراره بالبعث والنشور لقلت حقاً ولكنت صادقاً غير مبالغ .

ونحن نقول : اذا كان الخليفة عمر قد استشف من بيتي زهير ايمانه بالله واعتقاده بالبعث فحكم بأنه من المؤمنين ومن أهل الجنة في حال أنه لم يدرك الإسلام او ادرك ولم يؤمن بالنبي ، اذاً فما بال اقوام لا يقتدون به ويسيرون على ضوء استفادته واستنتاجه بالنسبة الى عم النبي العظيم أبي طالب فيستظهرون من شعره ونثره وخدماته ودفاعه ومحاماته وجهاده في سبيل الله وإعلاء كلمته وحفظه لرسول الله وتفاديه اياه بالنفس والأولاد ، ثم يفكروا في أقواله مثل :

مليك الناس ليس له شريك هو الجبـــار والمبدى المعيـد

ومثل قوله :

ألم تعلموا أنا وجـدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب

فبالله عليك ايها القارىء الكريم ألم يكن هذا من عم الرسول أجلى وضوحاً وأقوى اعترافاً بالله وبالمعاد وبالنبي من قول زهير بن أبي سلمى ؟ ؟

قال الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء وابو الفرج الاصفهاني وصاحب نهاية الطلب عن العروة الوثقى عن أبي رافع خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : سمعت أبا طالب يقول : حدثني ابن أخي محمد بن عبد الله

ـ وكان والله صادقاً ـ إن الله عز وجل قد بعثه بصلة الرحم واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، كما كان يقول اشكر الله ترزق ولا تكفر تعذب .

وهذا وكثير من هذا القبيل يذكره المؤرخون وينص عليه المحدثون ، وكأنه لم يكن ومعه، يموت كافراً وهو في ضحضاح من نار ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وانا لله وانا اليه راجعون .

ابو طالب في نظر ابي لهب

وابو لهب هذا هو ابن عبد المطالب واخ لأبي طالب من ابيه فقط ، لأن أبا طالب لم يكن له شقيق في اكثر الروايات إلا عبد الله والد رسول الله صلى الله عايه وآله ، وقد كان ابو لهب قبل أن يدعي الرسول بالبعثة ويعلن الرسالة والنبوة خاضعاً خاشعاً لزعامة أخيه أبي طالب ، يأتمر بأمره وينزجر بزواجره ، يقف الى جنبه وينادي باسمه اذا اقتضت الظروف الشاكسة .

ولكن بعـــد الدعوة ، وتظاهر النبي بالبعثة ، وانحياز أبي طالب الى جانب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يحميه ويقول بقوله ويذب عنه ، انصرف ابو لهب بكله الى الجبهة المعارضة ، كما انحاز تماماً الى الكتلة المشركة ، وصار يعمل معها ليل نهار على إخماد صوت أبي طالب ثم شل حركة محمد .

وليس خروج ابي لهب هـــذا على ما عايـه اخوته وذووه من العناد والإصرار على المقاومة الفاسدة . . . أول خروج على الحـــق ظهر على مسرح الدنيا ، بل هناك من الأشباه والنظائر كثير ، وكثير وليس غريباً أن يخرج الخبيث من الطيب ، كما اتفق ذلك بالنسبة الى نوح النبي وولـــده وآدم وولده .

وعلى أي حال تجاهل ابو لهب كل القيم الانسانية ، وتعامى عن الحق الصراح ، وتجاهر بالأذى والعداء لأبي طالب أخيه ثم لابن اخيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان هو اشد واكثر أثراً على النبي وعمه الزعيم من

الزمرة المشركة الكافرة ، حتى انزل الله فيه سورة كاملة من القرآن الكريم « تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى ناراً ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد » .

وعلى هذا الأساس اجتمع بنو هاشم ، فأجمعوا على رفضه واسقاطه عن قائمتهم بأرشاد من أبي طالب وتحريك منه ، لا لشيء سوى انصرافه عما هم عليه من دين محمد وشريعته المجيدة ومظاهرته للمعارضين من المشركين .

ومع هذا كله قد تأخذه حمية النسب ووشائج القربى ، ومن أجلها فقط قد يغضب أحياناً على القوم ، فيثأر لأبي طالب ويمنع الكفر عن بعض المحاولات المعادية .

وقد تقدم منا بيان بعض المواقف من هذا النوع ، فنكتفي به فراجع .

ابو طالب واجماع آل البيت على ايمانه

وآل البيت هم الأئمـــة الطيبون والسادة الأطائب المكرمون ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

« إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

« قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » .

(القرآن الكريم)

« إني مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي اهل بيتي ، أحدهما اكبر من الآخر ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدا ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » .

« مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى » .

« مثل أهل بيتي فيكم كالنجوم ، فالنجوم أمان لأهل السماء ، فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون ، واذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون » .

(محمد رسول الله)

ومما لا يرتاب فيه أحـد ان المقصود من آل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام .

ذكر الطبرسي في مجمع البيان والزمخشري في الكشاف والسيوطي في الدر المنثور انه سئل رسول الله عند نزول آيتي التطهير والمودة من هم آل البيت

المعنيون في الآيتين ؟ قال صلى الله عليه وآله : هم علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة التسعة من ذرية الحسين ، وهم علي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا والجواد محمد وعلى الهادي والحسن العسكري ومحمد المهدي الذي سيظهره الله عز وجل فيملأ به الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً ، فهم أولاء آل البيت ، وهم خيرته وصفوته ، كما وهم خزان علم الله وحججه ، وأوصياء رسول الله وخلفاؤه على امته ، بهم فتح الله ، وبهم يختم ، وبهم ينزل الغيث ، وبهم يكشف الضر ، وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض ، وبهم يدفع البلاء وتستدر الرحمة الإلهية .

قال ابن كثير في جامع الأصول في ترجمة عم الرسول أبي طالب في حديث طويل : وقد اجمع آل البيت على إيمان أبي طالب ، واجماعهم حجة عند المسلمين كافة .

أقول : إن اجماع آل البيت مما لا اشكال في تحققه ، كما لا يكاد يخفى على كل مستقرىء متتبع ، فهم قد أجمعوا بلا استثناء على إيمان جدهم الأعلى الزعيم أبي طالب ، وتبعتهم على ذلك ذرياتهم لحد الآن والى يوم القيامة ، فهو غير قابل للمناقشة والخدشة عندهم ابداً ، بل هو عندهم أمر مفروغ عنه ، وانه من قبيل إرسال المسلمات .

وكيف يكون معرضاً للنقاش والجدل وقد علم أن مصدره وباني اسسه هو رسول الله صلى الله عليه وآله : « رحمك الله يا عم ، فوالله لأشفعن فيك شفاعة يعجب منها الثقلان » .

ابو طالب في نظر أئمة الزيدية

والزيدية هؤلاء هم طائفة من طوائف المسلمين ، لها وزنها وأهميتها في الأوساط الاسلامية ، كما هم يشكلون عـــدداً هائلا من حيث الوفرة والكثرة ، ولعل البلدان الاسلامية المترامية الأطراف قلّ أن لا يوجد فيها من الزيدية . نعم يقطن كثير منهم في اليمن العربي .

أما تسميتهم بالزيدية فنظراً إلى اعتقادهم بامامة زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، ومن زيد تنتقل الإمامة في نظرهم الى كل من نهض بالسيف وقاوم الظلم والطغيان وجاهد الكفار وثار على الحكام الجائرين المتمردين ، بشرط أن يكون من ولد علي وفاطمة . ولعل هـــذه العقيدة لا تزال موجودة حتى هذه العصور القريبة .

أما انهم يلحقون بالامامية بحيث يعدون منهم فلا ، لأن الامامية ترى : أولا وقبل كل شيء أن الزيدية هم طائفة من طوائف المسلمين وفرقة من فرقهم ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . وثانياً أن الامامية لا يقولون بامامة شخص مهما كانت عظمته ومؤهلاته ، ومهما كان نسبه ومميزاته ، إلا من قامت على زعامته وخلافته الأدلة القطعية المعلومة الصدور عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، كما قامت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة الأحد عشر من ذريته ، أما غير هؤلاء من السادة الأماثل من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله فهم سادة كرام موقرون محترمون لانتمائهم بهـــذه السلسلة الطيبة والشجرة المباركة الميمونة . كما وأن الامامية لا ترى

القيام بالسيف وشن الحروب شرطاً أساسياً في إمامة الامام ، فالامام يرى رأيه ويراعي ظروفه الخاصة وامكاناته الوقتية ، كما كان ذلك بالنسبة الى صلح الامام الحسن ونهضة الامام الحسين عليهما السلام .

ومستندهم في ذلك قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم « الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا » ، بمعنى أنهما عليهما السلام إمامان على كل حال وعلى كل الفروض والتقادير ، نهضا بالسيف أم لم ينهضا .

كما وان الامامية لا يرون الامامة في كافة ذرية علي والزهراء وعلى العموم ، بل الذي يرونه أنها تنحصر في ذرية الحسين فقط ، ولم تساعدهم الأدلة القطعية إلا على ذلك ، مثل قول الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم « الحسين إمام اخو إمام ابن إمام أبو أئمة تسع » .

فمقام الامامة عند الشيعة مقام رفيع ورهيب ، كما هو خطير وعظيم ، لا يرتقيه او يتسنمه إلا بنص من الله تعالى ونص من رسول الله ، باعتبار أنه صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فما يصدر عنه صلى الله عليه وآله من قول وفعل هو من الله وبوحي منه عز وجل « ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

فمقام الامامة عندهم كمقام النبوة ، لا يتحقق ولا يكاد يثبت الا بالنص او المعجز الخارق للعادة .

ومن هنا وهناك قد ذهبوا إلى عدم إمكان الترشيح والانتخاب في الامامة ، قياساً على النبوة وعطفاً على قدسيتها وكرامتها ، فكما أن النبوة لا يمكن - بل لا يعقل فيها الانتخاب والترشيح كذلك الامامة ، لما يتحملانه معاً من الغاية الواحدة وما يستهدفانه من الغرض المتحد .

نعم كل ما هنالك من فرق أن الامام يفقد صفة النبوة فقط ، ولعل الرسول قد عنى ذلك بقوله « يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا

أنه لا نبي بعدي » فهارون عليه السلام كان حائزاً على جميع صفات موسى أخيه ، كما كان مرشحاً من قبل الله عز وجـــل للنبوة بعد موسى ، ولكن لما كانت النبوات قد ختمت بنبوة الرسول محمد صلى الله عليه وآله أعطى علياً كل الصفات والمزايا التي كانت بين موسى وهارون من الأخوة والوصاية والوزارة وولاية العهد الا النبوة .

اذاً النبوة والامامة سيان من ناحية كون كل واحد منهما منصب يمنحه الله لمن يشاء من عباده ، أو ينص عليه الرسول بالخصوص .

هذا بالاضافة الى ان الطائفة الزيدية تختلف عقائدياً عن الشيعة الإمامية :
أولا انها لا تعترف إلا بأربعة من أئمة الإمامية ، وهم علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ، وهذا مناهض كلياً لعقيدة الامامية الذين يرون أن الأئمة الثابت في حقهم النص اثني عشر شخصاً لا يزيدون واحداً ولا ينقصونه ابداً ، كما أن من انكر واحداً من الاثني عشر عندهم كان كمن انكر الجميع .

ومن جهة أخرى إن الزيدية يختلفون من حيث الفقـــه والطريقة عن الامامية الشيعة ، لأن فقههم ـ على الأكثر ـ ينتسب الى المذهب الحنفي ، وفيهم الشوافع وفيهم غير ذلك من المذهبين الآخرين ، أما الشيعة ففقههم لا يتعدى الفقـــه الجعفري ، الفقـه الـذي أخذه الخلف عن السلف وعلى الاكثر عن الامام الصادق جعفر بن محمد ، الفقـــه الذي أخـــذه عن أبيه الباقر ، وهو عن أبيه علي بن الحسين ، وهو عن ابيـــه الحسين ، وهو عن أبيـــه علي بن أبي طالب ، وهو عن ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعلي كان باب مدينـة علم النبي كما أخبر به صلى الله عليه وآله في قوله « أنا مدينة العـــلم وعلي بابها ، ألا من أراد المدينـــة فليأتها من بابها » والفقرة الأخيرة من قول الرسول العظيم تقريباً إن لم يكن تحقيقاً تعطي الارشاد العام الى علم علي وفقهه ، وهـــذا الفقه هو فقه الشيعة من

الصدر الأول والى يوم القيامة ، كما أنهم يعتقدون ان هذا الفقه هو الذي نزل به جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فعلمه علياً وعلمه علي لأولاده ، وهم بدورهم علموه العلماء ، ولم يزل كذلك حتى وصل الى علماء العصر .

وكيف كان الأمر الطائفة الزيدية ـ وان لم يكونوا من الشيعة الامامية ـ الا انهم مثل باقي الفرق الاسلامية ، والمهم هنا أن الزيدية هؤلاء قد أجمع علماؤهم ومحدثوهم على إيمان عم النبي العظيم ابي طالب ، ومستند إجماعهم روايات يروونها بطرقهم عن العدول والثقات عندهم .

ومن الروايات التي كانت مصدراً وأساساً للاجماع روايـة ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : سمعت الشيخ اباطالب يتحدث بمكة : حدثني ابن أخي محمد بن عبد الله عن الله عز وجل أنه تعالى بعثه بصلة الرحم ، وان يعبد وحده ، ومحمد عندي الصادق الأمين . كما رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يقول : أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة ـ وضم اصبعيه .

قال السيد علي خان في الدرجات الرفيعة والقاضي في المواهب : إن الزيدية ذهبوا إلى وجوب حق ابي طالب على المسلمين كافـة ، لأنـه حمى نبي الاسلام وانقذه من مخالب الكفر والشرك ، ولولاه لكان نسياً منسياً ، فأبو طالب هو الذي أرسى قواعد الدين ، وبنى على قواعد الاسلام بحمايتـه للرسول ونصرته له ، كما أنه اول المؤمنين به وأول المصدقين لدعـواه ، وقال بعض علمائهم :

حماه ابونا ابو طالب ... واسلم والناس لم تسلم

وقد كان يكتم إيمانـه ... وأما الولاء فلم يكتم

اقتطعنا هـذين البيتين من قصيدة قيلت في المقام ، والذي يظهر أن

القائل علوي النسب حيث يقول « حماه ابونا ابو طالب » يعني انه حماه من دولتي الكفر والشرك وخلصه من موت محتم ، اذ لولا ابو طالب لقضت المؤامرات الكافرة والدسائس المشركة على رسول الله ، وبه يقضون على كل ما جاء به عن ربه من دين وشريعة ، فحفظه ابو طالب وحماه ، وبه حفظ الدين واستقام الاسلام ، فمن هنا وهناك كان حقه واجباً على المسلمين الى أن يقوم الناس لرب العالمين .

ابو طالب في نظر علماء المغرب العربي

ذهب الكثير منهم الى أن عم الرسول الزعيم اباطالب حامي النبي وكافله هو من اوائل المؤمنين والقدامى من المسلمين ، كما يرون أنه هو أول مجاهد في سبيل الله ، ولم تأخذه في سبيل اعلاء كلمته لومة لائم ولا ارهاب المرهبين ، كما حمى النبي ووقاه عن كل مايسوؤه ويؤذيه ، وفداه بكل ما يملك ، وتحمل في سبيله المشاق والأهوال والنكبات والآلام ، وبشر بدعوة الرسول وحث عليها واستمات في سبيلها . ولم يكتف بكل ذلك حتى أعلن للملأ فلسفة جهاده ومحاماته ، وغاية دفاعه والذب عنه ، وأن كل ما هنالك هو عقيدته بلزوم القيام بوجه الأصنام ومقاومة الشرك والأوثان ، وحفظ رسول الله بكل ما يتمكن من قوى وطاقات حتى بالنفس والاولاد والأسرة . ولم يكتف بذلك ايضاً بل صار الى المقابلة العلنية ، ثم الافصاح بتدينه وإسلامه ، وشعره ونثره يصرخان بذلك ، ثم ترحم النبي عليه واستغفاره له ، وذكره دائماً بخير . . .

كل ذلك أدلة قاطعه على إيمانه واسلامه ، والمشكك في ذلك ظالم له متعد على حقوقه المفروضة ، مضافاً الى أنه ايذاء للنبي صلى الله عليه وآله ، ومؤذي النبي كافر عند كافة المسلمين .

قال السيد صاحب الدرجات الرفيعة ص ١٥٧ قال السيد زعيم المغاربة السيد الجليل السيد العارف بالله السيد عبد الرحمن الادريسي الحسيني المغربي نزيل مكة المكرمة والمتوفى بها سنة سبع وثمانين بعد الألف ـ وقد سئل عن

ايمان عم النبي العظيم وكافله الزعيم الهاشمي ابي طالب ، وكان السيد الادريسي من أرباب الحال والمقال وأبطال واقطاب الرجال ، فقال رحمه الله للسائل : إعلم قربك الله منه ورزقك كمال الفهم ان ناصر دين الله وكافل رسول الله أبا طالب رضي الله عنه قد قال بإيمانه خلق كثير وجمع غفير من المؤرخين والمحدثين ، كما قال بايمانه جماعة من أهل الشهود والكشف ، كما قد وردت فيه أحاديث كثيرة تشهد بإيمانه وتدينه ، اوردها الحافظ ابن حجر في إصابته وتكلم عليها :

منها ـ ما جاء عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام من أن جبرئيل نزل على رسول الله صلوات الله عليه يبشره عن الله فقال فيما قال : يا رسول الله إن الله عز وجل يقول لك : إنه لا يعذب صلباً أنزلك ، وبطناً حملك ، وحجراً كفلك . فقال رسول الله : حبيبي جبرئيل اوضحه لي ؟ فقال : الصلب الذي أنزلك هو صلب عبد الله بن عبد المطلب ، والبطن الذي حملك هو بطن أمك آمنة بنت وهب ، وأما الحجر الذي كفلك هو عمك ابو طالب .

ومنها ـ ما اورده المحب الطبري في كتابه ذخائر العقبى عن السيوطي في كتابه المسالك أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وامي وعمي ابي طالب . وبطبيعة الحال لا يشفع رسول الله إلا للمؤمنين الموحدين والمتدينين من المسلمين .

ومنها ـ ما اخرجه الشعراني أن الله تبارك وتعالى أحيي أباطالب للرسول فآمن به وأسلم على يديه .

ومنها ـ ما اخرجه التلمساني المغربي في مؤلفه شموس الأنوار وكنوز الأسرار من قول ابي طالب :

لقد أكرم الله النبي محمداً   فأكرم خلق الله في الناس أحمد

وشق له من إسمــه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

قال الثعلبي في تفسيره وعند تفسيره لقول الله عز وجل « وانذر عشيرتك الأقربين » إن هذه الآية دليل على إيمان ابي طالب وهكذا الطبري في تفسيره .

اقول : ولعل نظر الثعلبي والطبري ومن هو على شاكلتهما يرمي ويستهدف حضور ابي طالب في دار النبي يوم الانذار وقيامه وانحيازه الى النبي من دون كل المجتمعين ، ومعارضته اخاه ابا لهب ، حيث صد رسول الله وعارضه وتعهده للقيام معه مهما كلفه الأمر ، وهو في الواقع لدليل قوي على إيمانه وتدينه ، وفي الحقيقة انها نظرة موفقة وصائبة قد وقعت في محلها تماماً .

وقد ذكرنا ذلك مفصلا فيما تقدم فراجع .

ابو طالب في نظر العامة

يحدثنا السيد في الدرجات الرفيعة ان الأغاب من الجمهور وجلهم يذهبون الى القول بإيمان عم الرسول ابي طالب وتدينه ، ومما لا يعتريه الريب ان من اولئك العظماء ابو القاسم البلخي شيخ المعتزلة وعلمهم المفضل ، وكذلك النقيب ابو جعفر الاسكافي ، وكثير امثالها . يستندون في ذلك الى روايات قد اعتمدوا عليها متناً وسنداً :

منها ـ ما قد رووه عن حماد بن سلمة عن ثابت بن دينار عن اسحاق ابن عبد الله عن العباس بن عبد المطلب أنه قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله : ما الذي ترجوه لعمك ابي طالب ؟ فقال : أرجو لعمي الرحمة والغفران ، كما ارجو الله أن يعطيه كل خير وكرامة .

ومنها ـ ان ابا بكر بن ابي قحافة قد جاء بأبيه ابي قحافة ، وهو اعمى يقوده الى النبي يوم فتح مكة ، فلما نظر اليه النبي قال لأبي بكر : هلا تركت الشيخ حتى اتيت به . قال ابو بكر : أردت يارسول الله أن يأجره الله ، فوالله يا رسول الله والذي بعثك بالحق نبياً لانا اشد فرحاً بإسلام عماك ابي طالب مني بأبي ، التمس بذلك قرة عينك .

ومنها ـ مايروونه بطرق متعددة بعضها عن العباس وبعضها عن ابي بكر كلها تنطق أن ابا طالب مامات حتى قال « لا إله الا الله محمد رسول الله » .

ومنها ـ عن العباس انه قال : لقنت أخي ابا طالب الشهادتين عند الموت ليجدد بها العهد ، وليكون آخر كلام يخرج به من الدنيا ، فقالها ولكنه ضعف من أن يسمعها رسول الله صلى الله عليه وآله .

ومنها ـ ما قد رووه عن عبد الله بن عباس انه قال : قال ابو طالب للرسول صلى الله عليه وآله ذات يوم : أالله يابن اخي بعثك وارسلك ؟ قال : نعم يا عم الله بعثني وارسلني الى الناس كافة .

قال ابو طالب :أرنا آية ذلك . فدعا رسول الله شجرة كانت بالقرب منا ، فانقلعت بأمر من الله واقبلت نحوه ولها دوي عظيم ، فوقفت أمامه وقالت : السلام عليك يا رسول الله .

ولما نظرنا ذلك فرحنا بكرامـة الله على رسوله ، وعنـد ذلك قال ابو طالب : مرها يابن الأخ ان تنكفيء الى محلهـا من الأرض ، فأمرها فرجعت ، وعندها قال ابو طالب : اشهد أنك صادق صديق .

ثم التفت الى ولده علي وقال :

ان الوثيقة في لزوم محمد فأشدد بصحبته علي يديكا

ونقل الأميني في الغدير ٣٩٩/٧ عن ابي الفداء والشعراني بطريقهما الى ابن عباس انه قال : مامات ابو طالب حتى اعطى رسول الله من نفسه الرضا .

وفي نفس الصفحة عن ابن عباس ايضاً أنه قال : لما تقارب الموت من عمي ابي طالب أخذ يحرك شفتيه كأنه يقول شيئاً ، فأصغى اليه العباس ابن عبد المطلب وادنى اليه رأسه ليسمع ما يقول ، وكان رسول الله حاضراً ، ثم رفع رأسه الى النبي وقال : يا بن اخي لقد قال عمك الكلمة التي اردته أن يقولها ، فقال رسول الله : الحمد لله .

ابو طالب في نظر الشيعة الامامية

والشيعة الامامية هم طائفة من الطوائف الاسـلامية الضخمة ، وهي اذا ما قيست الى بقيـة الطوائف لا تقل عنها إن لم تكن تكثرها ، فهي لا تقل عن الحنفية منفردة والشافعية كذلك . والشيعة الامامية هم المسلمون الذين شايعوا علياً أمير المؤمنين وتابعوه في جميع اقواله وافعاله ، ولم نغال اذا قلنا انهم هم المؤمنون الذين لم يحيدوا قيد أنملة عن اقوال رسول الله واحاديثه ، بل في الحقيقة ونفس الأمر انهم إنما شايعوا علياً وتابعوه بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآلـه ، لأنه قد صح عندهم قوله لعمار بن ياسر : يا عمار لو سلك الناس وادياً وسلك علي بن ابي طالب وادياً فاسلك الوادي الذي يسلكه علي » .

والتشيع لم يكن بالأمر الذي قد تكوّن بعد زمن النبوة ، بل فيـه نما وترعرع ونشأ وتأصل .

وكان ممن يفتخر بالشيعة والتشيع : ابو طالب بن عبـد المطلب ، والعباس بن عبد المطلب ، وعبد الله بن عباس ، وجعفر بن ابي طالب ، وعقيل بن ابي طالب ، وعبد الله بن جعفر ، والحسن بن علي ، والحسين ابن علي بن ابي طالب ، ومحمـد بن الحنفية ، ومسلم بن عقيل ، وقثم وعبد الرحمـان والفضل اولاد العباس بن عبد المطلب ، وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ، ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، وعبد الله ابن الزبير بن عبد المطلب ، وعون ومحمـد ابنا جعفر بن ابي طالب ،

وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب . . . وهكذا الى جميع بني عبد المطلب وكافة بني هاشم ، ثم جمع غفير من عظماء الصحابة ورجال الاسلام ، مثل عمر بن سلمة ، وسلمان الفارسي ، وعمار بن ياسر ، وياسر ابيه ، والمقداد ابن الأسود الكندي ، وابي ذر الغفاري ، وحذيفة اليماني ، وخزيمة بن ثابت ، وابي أيوب الأنصاري ، ومالك بن نويرة ، ومالك بن التيهان ، وابي بن كعب ، وسعد بن عبادة الخزرجي ، وقيس بن سعد ، وابي قتادة الأنصاري ، وعدي بن حاتم الطائي ، وعبادة بن الصامت ، وبلال الحبشي مؤذن الرسول صلى الله عليه وآله ، وابي رافع خادم النبي ، وهاشم بن عتبة ابن ابي وقاص ، وعثمان بن حنيف ، وسهل بن حنيف ، وحكيم بن جبلة العبدي ، وخالد بن سعيد بن ابي وقاص ، والبراء بن مالك الأنصاري ؛ ورفاعة بن رافع الأنصارى ، ومالك بن ربيعة بن الوليد الساعدي ، وعقبة ابن عمرة بن تغلبة الأنصاري ، وهند بن ابي هالة التميمى ربيب النبي صلى الله عليه وآله ، وجعدة بن هبيرة ، وأبي عمرة الأنصاري ، وحجر ابن عدي الكندي ، واسامة بن زيد الكلبي ، وزيد بن أرقم ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، والمسور بن شداد الفهري ، وابي ليلي الأنصاري ، وابي برزة الأسلمي ، ومسعود بن اوس ، وعبد الله بن مسعود . . . الى كثير من هذا اللون والعيار الثقيل من وجوه الصحابة وخيار المسلمين ممن تركناهم رعاية للاختصار الذي هو مبنى هذا المؤلف ، وما ذكر فهو على سبيل المثال لا الحصر .

فالشيعة اذاً لم يكونوا قد جاءوا متأخرين ، ووجدوا على هامش المسلمين ، او كانوا ـ كما يقولون ـ قد خلقتهم وخلقت فكرتهم الظروف وتبنتهم السياسة . . . بل الشيعة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والذين قد تناسلوا وتكاثروا ، والذي قد صاروا الى التشيع اخيراً من غيرهم

لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، بل اذا أردنا ان نأتي على آخر من جاء الى التشيع من بقية الطوائف الاسلامية الأخر لما وسعنا ذلك ، وهم لايزالون يتكاثرون ويستمرون في التكاثر والانتشار الى اليوم والى يوم القيامة .

وعلى سبيل المثال نذكر من الأسر العربيـــة التي رجعت الى التشيع في الأدوار القريبة الدليات ، وهم يسكنون غالباً في النعمانية والزبيديـة من لواء الكوت ، وقسم كبير من الأسرة القرغولية الذين يسكنون في الدبوني والعزيزية من لواء الكوت ايضاً ، وقسم كبير من الجنابيين ، وقسم كبير من الجبوريين ، وقسم كذلك من العبيديين ، وقبائل متعددة من شمر وهكذا .

والشيعة يعتقدون أن الذي قد أسس قواعدهم وبنا كيانهم هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، كما يعتقدون أن اول غارس لبذرة الشيعة والتشيع هو الله عز وجـل ، كما وهو تعالى قد وضع الحجر الأساس لهـــا « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ، « قل لا اسألـكم عليه اجراً الا المودة في القربى » ، « وآت ذا القربى حقـه » ، « فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ، « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » ـ الى غير ذلك مما ورد في القرآن الكـريم في فضل آل البيت الذين هم رمز الشيعة والتشيع .

أما ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك فكثير وكثير ، نذكر جملة من ذلك :

اخرج الامام احمـد بن حنبل في مسنـده والبيهقي في صحيحه عن ابي الحمراء أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا من اراد أن ينظر الى آدم في علمه والى نوح في عزمه والى ابراهيم في حلمه والى موسى في هيبتـه والى عيسى في زهـده فلينظر الى علي بن ابي طـالب .

ابي طالب .

وأخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودة والخطيب الخوارزمي الحنفي في المناقب عن سعيد بن عقيصا عن ابي عبد الله الحسين بن علي بن ابي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي ذات يوم : انت اخي وانا اخوك ، انا المصطفى للنبوة وانت المجتبى للامامة ، يا علي انا وانت ابوا هذه الأمة ، يا علي انت وصيي ووارثي وابو ولدي ، اتباعك اتباعي واولياؤك اوليائي واعداؤك اعدائي ، وانت صاحبي على الحوض وصاحبي في المقام المحمود وصاحب لوائي في الآخرة كما انت صاحب لوائي في الدنيا ، لقد سعد من تولاك وشقي من عاداك ، وان أهل مودتك في السماء اكثر منهم في الأرض . يا علي انت حجة الله على الناس بعدي ، قولك قولي ، أمرك أمري ، نهيك نهيي ، طاعتك طاعتي ومعصيتك معصيتي حزبك حزبي ، وحزبي حزب الله ، وحزب الله هم الغالبون . يا علي من أبغضك فقد ابغضني ، ومن ابغضني فقد ابغض الله ، ومن ابغض الله فقد كفر ، ومن كفر فقد دخل النار .

وقال القندوزي ايضاً : لقد اخرج الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء والحمويني في الفرائد عن عكرمة عن عبد الله بن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سره ان يحيا حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة عدن التي غرسها ربي فليوال علي بن ابي طالب من بعدي وليوال وليه وليقتد بالأئمة من ولده بعده ، فانهم عترتي ، خلقوا من طينتي ورزقوا فهماً وعلماً ، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة .

وقال القندوزي ايضاً : لقد اخرج الامام أحمد بن حنبل في المسند وابو نعيم في الحلية عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم :

من سره ان يحيا حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة عدن غرسها ربي بيده فليتمسك بولاية علي بن ابي طالب .

اقول : هـذا وكثير من النظائر والمشابهات هو الذي روج الشيعة والتشيع من زمن النبوة ، كما اوجب استمرارهما وتأصلها بالرغم من العوائق والمكافحات ، بل الاستئصال والابادة في بعض الأدوار .

وعلى كل حال قد اتحدت كلمة الشيعة ، كما اتفقوا كلهم أجمعون على إيمان عم الرسول ابي طالب العظيم ، لا يختلف في ذلك منهم اثنان ، اخذه الخلف عن السلف ، وهكذا حتى اليوم والى قيام يوم الدين .

وقد ألفوا في الموضوع مؤلفات قيمة ، مؤلفـات ضخمة . ولعلنا نذكرها في الفصول الآتية انشاء الله تعالى .

ابو طالب في نظر ابن حجر

وابن حجر هذا محدث ومؤرخ قديم وشهير ، إلاأنه وقف من عم النبي وكافله الزعيم ابي طالب ،وقفاً شائناً ومعادياً ، موقف المتعامي عن الحق الحائد عن جادة الصواب ، موقف الناكر للجميل ، موقف المستهين بكل ما صدر من المحدثين الأطائب والرواة الأماثل الذين ذهبوا إلى ايمان عم النبي العظيم وتدينــه ، الرواة الذين عززوا مذهبهم ودعواهم بأقوى البراهين واوثق الأدلة .

ولو أن ابن حجر قد نظر بمنظار بصيرته وفكر بامعان ودقة الى اولئك الرواة وما ذكروه من الأحاديث ، وجرد نفسه ومشاعره عن العاطفة والتعصب الأعمى لما كان بامكانه الا أن يسير في ركاب القائلين بإيمان عم الرســول صلى الله عليه وآلــه ، ولما وسعه إلا أن يسير بعجلة الذاهبين الى تدينه واسلامه رضي الله عنه .

ولكنه اعرض عن كل ذلك وانصرف عن كل ما هنا لك ، فجرى عدواً وراء أقاويل بجماعته الموتورين والحاقدين الذين ثأروا لكرامتهم المهانة وشخصياتهم المحطمة أيام زعامته وحمايته لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد بنى ابن حجر على تلكم القواعد المنهارة والأركان الواهيـة المنخورة ، فجاء يحدث في اصابته أن شرذمة من الروافض ذهبوا إلى إيمان ابي طالب واسلامه ، وتمسكوا بمانسب اليه من قوله :

ودعوتني وعلمت انك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية دينا

أقول : لم يكن بالشيء الغريب من ابن حجر ولا بالشيء الكثير عليه أن يعمد على تشويه الحقائق ومسخ الواقع ، فدس ما شاءت له أهواؤه وافترى ما سنحت له الفرصة أن يفتري من الأكاذيب والأقاويل في حق اول ناصر للاسلام واول فدائي للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، ذاك عم النبي الكريم الزعيم ابو طالب ، وسيعلم الذين ظلموا وافتروا أي منقلب ينقلبون ، يوم لا تغني عنهم جماعتهم ، ولا ينفعهم اذ يندمون .

وفات ابن حجر ومن اقتفى أثره ممن جاء بعده أن الطعن في ابي طالب طعن صراح في صميم النبوة ووخز بأوصال الرسالة وقداستها ، لأنه يؤدي الى رمي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالمخالفة القطعية للنصوص القرآنية والنهي البين عن مواصلة الترحم والاستغفار للكفرة والمشركين « ولا تصل على احد منهم مات ابداً ولا تقم على قبره » ، « سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لن يغفر الله لهم » .

هذا مع العلم أن الرسول صلى الله عليه وآله قام على قبر عمه وقرضه وأبنه ، ثم اعتكف في بيته اياماً لم يخرج منه . كل ذلك بغية التخصص للاستغفار الى عمه الكريم ، ولم يزل كذلك مداوماً على الاستغفار ملازماً طوال حياته صلى الله عليه وآله على الترحم على عمه المحامي والكفيل - راجع شرح النهج لأبن ابي الحديد والتذكرة للسبط ابن الجوزي وينابيع المودة للقندوزي الحنفي وكفاية الطالب للكنجي الشافعي واسنى المطالب للسيد زيني دحلان الشافعي والسيرة لابن هشام وسيرة الحلبي للتأكد من الموضوع .

أما البيتان اللذان نوه عنهما ابن حجر وشكك في نسبتهما الى ابي طالب رضي الله عنه ، كما ندد بالشيعة على حسابهما ورماهم بالرفض مرة وبالاعتماد على الواهي والمنهار من القواعد والأسس والمزيف من الأدلة ، كما كان

ذلك بالنسبة الى استدلالهم بالبيتين السابقين على ايمان ابي طالب .

وما درى ابن حجر - او كان يدري وتعامى عن الحق وتغافل عن الواقع الصريح - كما تعامى وتغافل من كان قبله فطووا وطوى كشحاً عما تكررت روايته وأثبته الجل من المؤرخين إن لم يكن الكل . نعم روى البيتين كل من ابن ابي الحديد وابن الجوزي والحلبي وابن هشام والطبري وصاحب ثمرات الأعواد والكنجي الشافعي في الكفاية والثعلبي في تفسيره والبيهقي في دلائله والزمخشري في كشافه . . . كما رواهما الأعلام من الرواة والفطاحل من المحدثين : مثل عبد الله بن عباس ومقاتل والقسم بن مخضرة وعطاء بن دينار وجمع كثير من امثالهم ، وقد عدها العلامة البرزنجي من شهير شعر أبي طالب ، فلتراجع السيرة الحلبية في ص ٣٩٦ والسيرة الهشامية في ٢٨٣/١ و ٢٨٥ لكل من السيرتين ، كما رواهما من الشيعة كافة رواتهم ومؤرخيهم ، راجع البحار وأعيان الشيعة والغدير .

واذا كان الأمر كذلك فكيف يا ترى قد استساغ ابن حجر أن يخص شرذمة من الروافض قد نسبت ، من دون ما تأكد وتوثق ذينك البيتين الى ابي طالب ، ثم استدلت بهما على ايمانه وتدينه ؟ ؟

ولكن الحق لابد وان ينتصر ، ولابد وان يظهره الله تعالى ، حتى على ألسنة جاحديه ومعانديه . . . والحق لابد أن يعلو ولا يعلو عليه شيء ، كما انتصر وظهر فعلا على ألسنة المنكرين والجاحدين « قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » ، فلا يقدح بكرامة الشيعة اذاً إذ ينسبهم ابن حجر ونظراء ابن حجر الى الرفض والترفض .

ولعمري إنهم ارادوا أن يذموا فمدحوا ، وأرادوا أن ينتقصوا فمجدوا وعظموا ، فلتكن الشيعة روافض مترفضين ، فالحق فيهم ومنهم ومعهم ، وهم معدنه وأساسه ومصدره ومنتهاه ، واليهم يرجع ويعود ، وهم حقيقة

وواقعاً روافض ، لأنهم رفضوا الأباطيل والأكاذيب ، ونبـذوا المناكير والأضاليل الهريرية التي ما انزل الله بها من سلطان ، كما يبرأ منها رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنون ، المناكير والأضاليل التي تتقزز من فضاعتها وبشاعتها النفوس وتستنفر من هولها وشناعتها المشاعر والأحاسيس النقية. ولمن يهمه أن يقف على جلية الأمر ، ويطلع على واقع الأحوال ، ويتعرف على القضايا التي تنكرت لها الروافض وحاربتها بكل ماللمحاربة من معنى ووقفت منها موقف المصادم المعارض ، بكل مالديها من قوى وطـاقات وجهود وامكانات ، نذكر ونذكر ولعل الذكرى تنفع المؤمنين ، « سيذكر من يخشى • ويتجنبها الأشقى • الذي يصلى النار والكبرى » .

فأقول : قال البخاري في صحيحه ٧٥/٤ من كتاب الاستئذان ، كما حدث مسلم في مسنده ص ٤٨١ في باب « يدخل الجنة اقوام افئدتهم كأفئدة الطيور كما حدث صاحب ارشـاد الساري ٩/٩ عن ابي هريرة انه قال : خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً ـ وزاد احمد بن حنبل في مسنده بعرض سبعة اذرع .

واخرج ابن ماجة في صحيحه في تفسير سورة ق والقرآن المجيد ١٣٧/٣ كما صححه ابن خزيمة باسناده الى ام المؤمنين عائشة ، كما نقله القسطلاني في ارشاد السارى ٤٩٣/١٠ كما اخرجه البخاري في صحيحه ٨٦/١ في باب فضل السجود من كتاب الأذان عن الراوية المكثار ابي هريرة أنه قال : قال للنبي صلى الله عليه وسلم جماعة من المسلمين : هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال صلى الله عليه وسلم : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحب؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا : لا يا رسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم : فإنكم ترون ربكم يوم القيامة

كذلك ، ثم يجمع الله الناس فيقول لهم : ألا من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، من كان يعبد الشمس فاليتبع الشمس ؛ ومن كان يعبد القمر فليتبع القمر ، ومن كان يعبد الطاغوت فليتبع الطاغوت . فتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون ؛ فيقول لهم : انا ربكم . فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا أتانا عرفناه ، فيأتيهم على الصورة التي يعرفون فيقول : انا ربكم . فيقولون : نعم انت ربنا فيتبعونه

اقول : وبودي أن اترك هذه الأحاديث بلا تعليق ، لأنها كفر صراح واستخفاف بالله العظيم . . . ولكن ثمة شيء واحد يجيش في صدري ، فأجدني مرغماً الى ان أقوله وابديه ، هو أن اقول :

ايها المؤمنون ، ايها المسلمون الأطائب ، يامن رباكم محمد النبي على العلم والمعارف ، وغذاكم بالفضيلة ومكارم الأخلاق ، هل ترضون لربكم أن يكون بتلك الصور المخزية المنكرة ، الصورة التي قد اخترعها ابو هريرة وصورها من عندياتة ، ثم نسبها الى الرسول العظيم ، الرسول الذي هو أول عارف بالله ، واول مقدر له ، وأول داع اليه عز وجل ؟ ! المعتقد انكم تقولون معي كلا والف كلا ، ونهتف الجميع تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، ثم نستغفر الله من تلك الأباطيل والأكاذيب الدنيئة .

واليك قارئي الكريم ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وابن حنبل في مسنده ٣١٤/٢ عن ابي هريرة انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان النار لتغلي يوم القيامة كما يغلي القدر ، فلا تسكن حتى يضع الله رجله فيها ، فتقول : قط قط .

هذا ، وليس بغريب على مثل هذا الراوي الذي نقل عنه مسلم في صحيحه والنسائي وأحمد الحديث التالى : أخذ رسول الله بيدي فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها يوم الأحد ، وخلق الشجر

يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل .

وقد قضى أئمة الحديث بأن هذا الحديث مأخوذ عن كعب الأحبار ، وانه مخالف لنص القرآن في انه خلق السماوات والأرض في ستة ايام ، فمثل هذه الرواية تعد ـ ولا ريب ـ كذباً صراحاً وافتراءاً على رسول الله ، وهذا الحديث وحده يكشف ولا ريب عن روايات ابي هريرة التي يجب الاحتياط الشديد في تصديقها (١) .

أجل . انه ليس بغريب على مثل هذا الراوي الذي قد اتهمه بالكذب علي وعمر وعثمان وعائشه وغيرهم (٢) : ان يأتي بهذا وامثاله من الأعاجيب

كل هذا وكثير من النظائر ينص عليه المؤرخون وتذكره كتب الحديث والسير ، ثم انهم يعتبرون ابا هريرة مع ذلك كله الصحابي الجليل والراوية الصادق ، فلم يدر في مخيلة ابن حجر واصحابه السالكين في فلك المغيرة ابن شعبة والسائرين في ركاب معاوية بن ابي سفيان أن يشككوا في إيمان ابي هريرة او يلوحوا من قريب او بعيد الى منكراته ومخازيه الطاعنة بكرامة الباري وقداسته عز وجل ، والناصة على ما لايليق نسبته الى النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم .

نعم حرص هؤلاء وحاولوا جاهدين أن يموهوا على من اتبعهم من الغاوين ، بأن عم النبي ابا طالب مات كافراً مشركاً ، في حال أن ابا طالب رضوان الله عليه قد ملأ الدنيا من اقصاها الى اقصاها هتافاً بالدين المحمدي

(١) راجع (أضواء على السنة المحمدية) للأستاذ محمود أبي رية المصري ص ٢٠٩ ط ٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٠٣ .

واعلاناً بالدعوة الى الله ، كما قد ملأها جهاداً في سبيل الله وحفاظاً على حياة رسول الله ، حتى تفرى الليل عن صبحه واسفر الحق عن محضه ، وصار النبي يؤدي رسالته بكل طمأنينة وهـدوء ، فما ذلك من ابي طالب إلا خدمة لله وحرصاً على تركيز شريعة السماء المجيدة ، وهي كل غايته وتمام غرضه ومتوخياته ، وإلا فهو الغني بشخصيته والعظيم بمكانته وسموه ، تنحني لزعامته العظماء وتطأطىء لسيادته الرؤساء والزعماء .

فما الذي كان يحدوه أن ينصرف عن كل تلك المقامات والمؤهلات الرفيعة ، ويصير خادماً لمحمد اليتيم الذي رباه وكفله وينصاع ويتصاغر له ، ذاك الانصياع والتصاغر اللذين لا يتفقان لأحد ابداً .

واليك ايها القارىء الكريم هذا البيت الذي هو واحد من عشرات ، بل هو واحد من مئآت مما صدر عنه مما يصرح فيه عن انصهاره بالاسلام واعتقاده بالنبوة :

لقد اكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد

إذاً فلتكن الشيعة روافض ، ولتفتخر بالرفض والترفض ، فالشرف كل الشرف ، والمجد كل المجد في الرفض والرافضية بهذا المعنى . وهذا الشافعي محمد بن ادريس يفتخر بهما ويعتز بالترفض ، اقرؤا معي أبياته الشهيرة :

ياراكباً قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج الى منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض

اعلمهم ان التشيع مذهبي ابداً اقول به ولست بناقض

ان كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان اني رافضي

قال ابو نعيم في حليته ٩/١٥٢ بعد ذكره للأبيات هذه : إنها من مشاهير الشافعي ، كما ذكرها كذلك ابن حجر في صواعقه ص ٧٩ باختلاف يسير ، وقال البيهقي : ان الداعي للشافعي أن ينظم الأبيات مقالة بلغته عن

بعض المشعوذين تعرض به وتنتقصه لاكثاره التحدث في فضائل آل البيت فنسبوه الى الرفض والترفض .

وذكر الأبيات ايضاً الفخر الرازي في تفسيره في آواخر تفسير قوله تعالى « قل لا اسئلكم عليه اجراً إلا المودة في القربى » .

وذكرها ايضاً الشبلنجي في نور الأبصار ص١٠٨ ، وذكر فيها ايضاً له :

آل النبي ذريعتي وهم اليـــه وسيلتي
أرجو بهم اعطى غداً بيد اليمين صحيفتي

وفيها ايضاً :

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لاصلاة له

وقال الشبلنجي ص١٠٤ حكى الامام ابو بكر البيهقي في كتابه الجامع لفضائل الشافعي ، قال : بلغ الامام الشافعي أن جماعـــة من الناس كانـوا يمتعضون وينزعجون من سماع فضائل آل محمد ، وربما يصل الحال بهؤلاء الى الطعن بالشافعي ، حيث يكثر التحدث بفضائل آل النبي ، فقال منددا بهؤلاء ومعرضاً بهم :

اذا في مجلس نذكر علياً وسبطيه وفاطمة الزكيـــه
يقال تجاوزوا ياقوم هـــذا فهـذا من حديث الرافضيه
برئت الى المهيمن من أناس يرون الرفض حب الفاطميه

وقال الشبلنجي ايضاً ص ١٥٠ : قال الشعراني : وما احسن وأجمـل ما اورده في المناسبة الشيخ الأكبر في الفتوحات الاسلامية :

فلا تعدل بأهل البيت خلقاً فأهل البيت اهـــل السياده
فبغضهم من الانسان خسر حقيقي وحبهـــم عبـــاده

وفي المناســـبة قال ابن حجر في صواعقـــه ص ١١٠ : قال الشيخ

شمس الدين ابن العربي :

رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم اهل البعد يورثني القربي
فماطلب المبعوث اجراً على الهدى بتبليغه إلا المودة في القربى

وذكر صاحب المستدرك على الصحيحين ١٥٠/٣ بسنده الى ابي سعيد الخدري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار .

وجاء في الصواعق ص ١٤٣ نفس الحديث بلا زيادة ولا نقصان ، وفي الدر المنثور للسيوطي في أواخر تفسير آية المودة مثل ذلك .

وفي تاريخ بغداد ١٢٢/٣ بسنده الى ابن عباس انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ولو أن عبداً عبد الله بين الركن والمقام ألف عام وألف عام حتى كان كالشن البالي ويلقى الله مبغضاً لعلي بن ابي طالب اكبه الله على منخريه في نار جهنم .

اقول : وقد تركنا الكثير من هذا اللون من الحديث النبوي الوارد في فضل آل البيت ، ولا سيما أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه وعليهم ألف تحيه وسلام ، رعاية للاختصار وإرجاء للموضوع الى ترجمة الامام عليه السلام . وعليه فقد اتضح أن الرفض والترفض لم يكن مما يعاب به على الشيعة ، بل هو موضع اعتزاز المسلمين وافتخارهم ، اذاً نسأله سبحانه أن يحيينا عليه ويميتنا عليه لنلقى الله عز وجل ونحن شيعة وروافض ولنا الفخر

ومع هذا كله يأتي ابن حجر في اصابته يقول : وقد وقفت على تصنيف لبعض الشيعة يحاول فيه صاحبه إثبات ايمان ابي طالب ، وكان مستنده فيه أحاديث واهية السند ضعيفة الدلالة .

أقول : أليس هذا من ابن حجر نسف لقوله المتقدم ونقض له من الأساس ؟ أو ليس قد قال : إن شرذمة من الشيعة قد استدلت على إيمان

ابي طالب ببيتين نسبا اليه ، وقال مؤخراً : قد وقفت على مصنف لبعض الشيعة يذهب فيه الى اثبات ايمان ابي طالب ؟ افلا يتـــدبر هؤلاء ام على قلوب اقفالها .

واكثر الظن أن المؤلف الذي يعنيه هو الحجة على الذاهب الى تكفير ابي طالب ، وهذا المؤلف للسيد العلم بن معد بن فخار الموسوي الحلي الذي اثبت فيه إيمان جده الأعلى ابي طالب بقوي الأدلـــة متناً وسنداً ، فكان من جملة ما فيه اربعون حديثاً متصلة لم يكن في سلسلتها إلا العدل الموثوق بروايته ، فليراجع تعرف أهمية الكتاب والكاتب .

ومن الطبيعي أن تكون أحاديث الشيعة وروايات الروافض عند ابن حجر واشياخه ضعيفة الدلالة واهية السند ، لا لشيء غير أنهـا تعتمد جملة وتفصيلا على حديث آل البيت النبوي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ولأنهـــا تخص عم الرسـول العظيم أبا الكرار أبا طالب كافل رسول الله وناصره .

فبشرف الأنبياء أقسم لو قدر أن تكون تلكم الأحاديث وهاتيك الروايات التي جاءت من طريق الروافض والشيعة تعني تمجيد واحـــد من اصحاب المغيرة بن شعبة او من بطانة معاوية بن ابي سفيان وأمثالها لكانت عند القوم - ولا سيما في نظر ابن حجـــر - من اضخم الروايات واعظم الأحاديث سنداً واقواها افادة ودلالة ، ولكانت فوق كل حديث وأعلى كل رواية ، ولكنها واردة في ابي طالب واتر الأقربين والأبعدين ، ووالد علي أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين ، لذا كانت واهية السند ضعيفة الدلالة .

هذا وكأن ابن حجر لم ينقل في الاصابة أو أنه لم يدر ما كتب :

فإن كان لا يدري فتلك مصيبة   وإن كان يدري فالمصيبة اعظم

أو أنه الحق لابد أن يعلو وينتصر ، فيظهره الله عز وجل على كل

حال حتى على ألسنة جاحـــديه ومعانديه من حيث يشعرون او من حيث لا يشعرون . لـذا نجد ما نقله ابن حجر في إصابته من محققات ايمان عم النبي الزعيم الهاشمي اكثر مما نقلته الشيعة وأوفر ، وهـا هو يحدث ان ابن عساكر ذكرفي صدر ترجمة أبي طالب بسنده الى عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن حبيب بن ثابت عن ابن عباس أنه كان يقول في تفسير قولـــه تعالى « وهم ينهون عنه وينئون عنـــه » أنها نزلت في فضل ابي طالب ، وفي سبيل الاشادة بأعماله الخالدة المؤازرة للدين والرسول الأمين ، فأبو طالب هو وحده الذي نذر نفسه العظيمة للذود عن النبي ، ونهى الطغاة وابعادهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وذكر ايضاً بسنده الى عكرمة عن ابن عدي عن هيثم البكاء عن ثابت عن أنس بن مالك أنـه قال : مرض ابو طالب فعاده رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابو طالب للنبي : يابن أخي ادع الله الذي بعثك أن يشفيني ويعافيني . فما كان من الرسول إلا أن رفع يديه الى السماء وقال « اللهم اشف عمي ، اللهم عاف عمي » . فقام ابو طالب على اثر الدعاء وكأنما نشط من عقال ، وصار من وقته وساعته الى مزاولة أعماله الاعتيادية وكأنه لم يطرأ عليه اي مرض او ألم .

وقال ابن حجر : قال ابن عساكر : إن ابا طالب قد أســـلم وآمن بالبعثة والرسالة . وذكر ابن حجر عن مسند ابن حنبل عن حبة العرني انه قال : رأيت أمير المؤمنين علي بن ابي طالب وقد ضحك من على المنـبر حتى بدت نواجـذه ، ثم قال عليه السلام : إني تذكرت قول ابي طالب وقد ظهر علينا وانا اصلي مع رسول الله في نخل كان خارج مكة ، فانتظرنا حتى اذا فرغنا فقال لنـــا : ماذا تصنعان يا ولدي ؟ فأجابـه رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصلي لربنا يا عم ، ثم دعاه الى الاسلام فقال ابوطالب :

ما بالذي تقوله يابن أخي من بأس .

وقال ابن حجر : ذكر البخاري بطريق طلحة بن يحيى عن موسى ابن طلحة عن عقيل بن ابي طالب أنه قال : جاءت قريش الى ابي طالب فقالت : يا اباطالب إن محمداً قد سب آلهتنا وديننا كما آذانا واستهان بكرامتنا ومقدساتنا ، فإما ان تنهاه وتكفه عنا وإما ان تخلي بيننا وبينه . فالتفت عم رسول الله الي وقال : يا عقيل جئني بمحمد ، فلم يسعني الا الإمتثال ، فأسرعت الى الفحص عنه فوجدته فأتيت به الى عمه ، وبعد ان استقر به المجلس كلمه ابو طالب بخضوع ورفق ، وكان من جملة حديثه : اي محمد ان بني عمك هؤلاء يزعمون انك تؤذيهم وتتعرض لمقدساتهم وتسب آلهتهم فان كان ما يزعمونه صحيحاً خفف وطأتك عليهم ، وحينذاك ينتفض رسول الله على القوم قائلا : يا قوم أترون هذه الشمس ، فو الله ما انا قادر على ردها . وعند ذلك قال ابو طالب : والله ياقوم ما كذب ابن اخي قط وهو الصادق الأمين .

وذكر ابن حجر بسنده الى ابي قره عن ابي موسى بن عبيدة عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه قال : إن أبا بكر قد جاء بأبيه ابي قحافة الى النبي وهو اعمى يقوده عند فتح مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : هلا تركت الشيخ حتى اتيت به . فقال ابو بكر : إنما اردت يا رسول الله ان يؤجره الله ، فو الذي بعثك بالحق يا رسول الله نبياً لأنا اشد فرحاً باسلام عمك ابي طالب مني بأبي .

وذكر ابن حجر بطريقه الى ابي طالب نفسه انه قال : كنت مع ابن اخي محمد بذي المجاز إذ عطشت عطشا شديداً حتى أشرفت منه على الموت ، فرأيت أن لابد من ان اذكر الأمر الى ابن اخي ولم ارعنده شيئاً ، فبينت له حالتي ، ولما نظرني تألم لحالتي ، ثم أهوى على الأرض بعصى كانت

بيده ، فاذا أنا بعين ماء نبعت ، فقال محمـــد : اشرب يا عم ، فشربت حتى ارتويت ، والله يعلم ما رأيت اطعم ولا ألذ من ذلك الماء .

وذكر ابن حجر عن فوائد الرازي بطريق الوليد بن مسلم عن عبد الله ابن عمر بن الخطاب أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وامي وعمي ابي طالب .

وذكر ابن حجر أن جماعة قد استدلوا على ايمان ابي طالب بهـــذه الآية « فالذين آمنـــوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون » .

اقول : لقد استدل كثير من المفسرين بهذه الآية على ايمان عم النبي الكريم وتدينه : منهم الزمخشري في الكشاف ، والرازي في تفسيره ، والسيوطي في الدر المنثور ، والشيعة كلهم ايضاً كذلك .

اذاً كيف ياترى يقول ابن حجر : وان شرذمة من الشيعة قد استدلت على ايمان ابي طالب ببيتين نسبا اليه ؟ ! نعوذ بالله من كل شيطان رجيم ، هماز مشاء بنميم .

ونكتفي بهذا القدر مما نقله ابن حجر ، وبـه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد .

* * *

ليست نسبة الممات على الشرك والكفر قد اقتصرت على عم الرسول ابي طالب ، بل تعدوا بها الى ابوي النبي الكريمين .

قال ابن عساكر في تاريخه في ترجمة ابي طالب : وقد أورد البرزنجي الحنفي رسالة قيمة ألفها رداً على مؤلّف الشيخ علي القاري الهروي المؤلف الذي ذهب فيه الهروي هذا الى أن ابوي النبي الزكيين ماتا مشركين وهما من اهل النار ، فالسيد البرزنجي ممن ثأر لكرامتها وتهيج مغضباً لمقـامها

العظيم ، فانتفض مستبسلا في وجه المروي ، فألف رداً مقذعاً وقوياً اتى به على جميع دلائل المروي ونسف بقوي حجته واصيل برهانه كل ماذكره ، وزيف جميع محتويات المؤلف ، واثبت بقاطع الدليل وواضح البراهين إيمان السيدين الشريفين والدي رسول الله صلى الله عليه وآلــه وسلم ، كما اثبت ايضاً إيمان عمه وحاميه الزعيم ابي طالب .

قال ابن عساكر : وقال البرزنجي : وقد وجدت في سيرة ابن هشام قصيدة ابي طالب اللامية القصيدة التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي منها قوله :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتــامى عصمة للأرامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

اقول : هذه القصيدة هي من أشهر شعر أبي طالب ، وهي تحتوي على ما جاوز المائـة بيت او جاورها ، كما هي تذكر في أغلب كتب السير والتراجم ، وقد تعرض لأكثرها ابن ابي الحديد في شرح النهج .

وذكر البرزنجي مقطوعتين لابي طالب لم يذكرهما ابن عساكر كما ذكرهما صاحب الحجة أيضاً ؛ يقول في الأولى :

ألم ترني من بعدهم هممته بفرقة خير الوالدين كرام
بأحمد لما أن شددت مطيتي برحل وقد ودعتــه بسلام
بكى حزنا والعيس قد قلصد بنا وناوش بالكفين فضل زمام
ذكرت أباه ثم رقرقت دمعة تفيض على الخدين ذات زمام
فقلت له رح راشداً في عمومة مواسين في البأسـاء غير لئام
فلما هبطنا ارض بصرى تشرفوا انا فوق دور ينظرون جام
وجاء بحير بعـد ذلك حاسراً لنـا بشراب طيب وطعــام
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا كثـير عليه اليوم غير حرام

فاما رآه مقبلا نحو داره ... يوقيه حر الشمس ظل غمام
حنى رأسه شبه السجود وضمه ... الى نحره والصدر اي ضمام
واقبل رهط يطلبون الذي رأى ... بحير من الأعلام وسط خيام
فذلك من اعلامه وبيانه ... وليس نهار واضح كظلام
فثاروا إليهم خشية لعرامهم ... وكانوا ذوي بغي لنا وعرام
دريس وهمام وقد كان فيهم ... زريد وكل القوم غير نيام
فجاءوا وقد هموا بقتل محمد ... فردهم عنه بحسن كلام
بتأويله التوراة حتى تيقنوا ... وقال لقد رمتم أشد حرام
اتبغون قتلا للنبي محمد ... خصصتم بشؤم وطول اثام

ويقول في الثانية وقد ذكرها ايضاً البيهقي في خصائصه ص ٢٨٥ :

فما رجعوا عن محمد حتى رأوا ... أحاديث تجاو غم كل فؤاد
وحتى رأوا أحبار كل مدينة ... سجوداً له من عصبة وفراد
زبيراً وتماما وقد كان شاهداً ... زريد وهموا كلهم بفساد
فقال لهم قولوا بحير وايقنوا ... له بعد تكذيب وطول عناد
كما قال للرهط الذين تهودوا ... وجاهدهم في الله كل جهاد
فقال ولم يترك له النصح رده ... فان له ارصاد كل رصاد
فاني أخاف عليه الحاسدين وأنه ... لفي الكتب موجود بكل مداد

وله أيضا يندد بأبي جهل ويعرض بأعماله العدوانية التي يقوم بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما يتعرض لمصير أبي جهل المرتقب، المصير المهان الأسود :

صدق ابن آمنة النبي محمد ... فتميزوا غيظاً به وتقطعوا
ان ابن آمنة النبي محمد ... سيقوم بالحق الجلي ويصدع
فاربع ابا جهل على ظلع فما ... زالت جدودك تستخف وتظلع

ستری بعینك أن رایت قتاله وحروبه من أمره ما تسمع

اقول : وهذه نظرة من عم رسول الله صلى الله عليه وآله الى مستقبل ابي جهل وما يلاقيه من الذل والامتهان والحقارة والخسران المبين ، وهذه النظرة والقراءة إن دلت على شيء فهي انما تدل على أنها نظرة ايمان وقراءة انغمار بنور الله عزوجل ، وقد قيل « المؤمن ينظر بنور الله » لذا كانت نظرة عم النبي وقراءته قد أصابت الواقع وحكت عن الحقيقة ، وبالتالي كان الامر كما تكهن وقرأ ، فقتل ابو جهل أشر قتلة ومات اخزى ميتة ، ووطأه المسلمون بالأحذية ، وذهب الى جهنم وساءت مصيراً .

ابو طالب في نظر الاسكافي

الاسكافي هذا علم من الأعلام ، وبطل العلم والأدب والتاريخ ، كما هو من أعاظم العباقرة والمفكرين ، له مقامه الكريم ومكانته السامية الرفيعة في الأوساط الاسلامية بكل فرقها وطوائفها ولاسيما عند المعتزلة . وقد ذكر له التاريخ آراء تاريخية سديدة ، وتحقيقات علمية رشيدة ، ونظرات موفقة ترى الانسان واقع الأشياء وتوقفه على حقائق الأحداث .

ذكر بعض آرائه وتحقيقاته تلميذه الفذ عبد الحميد بن ابي الحديد في شرح النهج ، وكان من جملة ماذكره الرد الموفق والمفوق ، الرد الذي زيف فيه رسالة الجاحظ المؤلفة لغاية إثبات أن مبيت ابي بكر مع النبي صلى الله عليه وآله بالغار أفضل من مبيت أمير المؤمنين علي بن ابي طالب على فراش النبي ليلة خروجه من مكة ، فليراجع المجلد الثالث ليعرف وزن الرد وقيمته العلمية ، كما يتضح أن موقف الامام علي وقصة منامه على فراش النبي لايضاهيه اي موقف آخر ، ولا يقاس به اي مقام آخر .

فالامام بات على فراش الرسول واقياً بروحه ، وهو يرى الأسود تزأر وتزمجر ، ويلاحظ لمعان السيوف من وراء شقوق الباب ، فهو يرتقب الهجوم عليه لحظة بعد لحظة ، واذا ما كان ذلك قطعوه ارباً اربا ومثلوا به أفضع مثلة ، وعليه اين هذا الموقف من موقف من كان بصحبة رسول الله وقد استظل بظله واحتمى بجاهه وستر عن الأبصار كرامة له ؟!

وأياً كان الأمر المهم تعريف ما كان عليه الاسكافي من المنزلة العلمية والقدرة التاريخية والأدبية ، وكان من جملة آرائه وتحقيقاته موقفه المشرف

من عم الرسول الزعيم ابي طالب رضي الله عنه، الموقف الكريم الذي أبان فيه للأجيال ما لشخصيته الفذة من ايمان عميق، واخلاص صادق أصيل لله عز وجل، وتفان ودفاع ومحاماة في سبيل رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم الذود عن حياض الاسلام والذب عن المسلمين، فكان مما قاله فيه - كما نقله عنه تلميذه ابن ابي الحديد في الجزء الثالث من شرح النهج - أن من قرأ علوم السير والتاريخ عرف ان الاسلام لولا ابو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً.

أقول : إن الامر كان حقيقة كذلك لا يشوبه نوع من المبالغة والغلو، ولايخالطه شيء من المجاملة والمماراة ؛ فأبو طالب لو لم يلتزم النبي ذاك الالتزام المنقطع النظير ويحميه من كيد العدو ثم يعضده ويسنده ويصدقه ويؤازره لقضت المؤامرات الكافرة عليه ؛ فبحفظه له ومحاماته عنه حفظ الاسلام؛ فقام عموده واخضر عوده واينع ثمره وانتشرت اعلامه ومعالمه، فكان الأمر كما حققه الاسكافي وارتآه .

ولم يكن غريباً ولا كثيراً على العارفين الواعين أن يقرأوا الواقع ويتوسموا الأحداث كما هي، ويقولوا الحق لا يبتغون عنه بدلا ولا يتخذون عنه حولا، كل الغاية من وراء ذلك نشر الحقائق والاعلان عن الواقع مهما كانت العقبات المضادة كأداء، فهم يرون أنها لاتصمد أمام الحق، كما لا يمكن أن تقف في وجه المعلومات التي تحققوها وجاسوا خلالها .

أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . لذا ارسل الاسكافي كلمته الطيبة - الكلمة التي اسر الله فيها كما اسر رسوله صلى الله عليه وآله - وتبعه على هذه الفكرة وسايره على الرأي تلميذه وخريج مدرسته عبد الحميد بن ابي الحديد فقال :

ولولا ابو طالب وابنه ... لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة آوى وحامى ... وهذا بيثرب خاض الحماما

وقال ايضاً : لولا ابو طالب لما قام للاسلام عمود ، ولما اخضر له عود ، وإن حقه واجب على المسلمين كافة الى يوم القيامة .

اقول : ولا بد ان يكون ابو طالب صاحب ذلك الجهاد وهاتيك الجهود وتلك الخدمات والتضحيات والحماية والرعاية منبعثا عن ايمانه بالله فجاهد في سبيله ، وناشئاً عن تصديقه رسول الله فحماه وفداه بنفسه واولاده .

ولعلنا لانغالي اذا قلنا : إن عم الرسول أبي طالب كان يعتقد ببعثته صلى الله عليه وآله من قبل أن يتنبأ ومن قبل أن يأتيه الوحي من ربه ، وعلى ذلك وثائق ومستندات تاريخية متوفرة : منها ما نقله الحجة الأميني في غديره ٩٩/٣ نقلا عن الراوندي في كتابه الخرائج بطريقه الى فاطمة بنت أسد أنها قالت : لما توفي جد رسول الله صلى الله عليه وآله عبد المطلب رضوان الله عليه كان وصيه ولده الكبير أبا طالب ، وقد اوصاه بوصايا كثيرة واكثر ايصاءه بمحمد بن عبد الله ، فقام ابو طالب بجميع الوصايا ولاسيما ما يرجع منها الى محمد ، فاحتضنه وكفاه وأولاه عنايته وصار عنده اعز من بنيه جعفر وعقيل وعلي ، ثم أنا بدوري لزمت خدمته وتوليت تدبير شؤونه ، وكان من جملة ما اقوم له به ومما عودته عليه أن التقط له من نخلات في دارنا حفنة من الرطب في كل يوم ، فنسيت ذات يوم أن التقط ، وبعد أن تنبهت الى اني لم أحضر العادة لمحمد أسرعت الى ذلك ، فتبين لي أن أطفال الجيران قد دخلوا الدار والتقطوا من الرطب ما كان موجوداً ، فتألمت من نفسي فوضعت كمي على وجهي ونمت خجلة من محمد ، ثم انتبه من النوم وصرت ارقبه ، ولما لم يجد عادته قام بنفسه الى النخلات فخاطب واحدة منهن : أيتها النخلة انا جائع ، فوالله لقد رأيت النخلة وقد انحنت وتدلت عليه اغصانها ، فأكل منها كفايته وارتفعت الأغصان ، فتعجبت للحادث وبقيت انتظر أبا طالب إذ هو كان غائباً لأحكي له القصة واطلعه

على القضية والكرامة التي منحها الله ابننا محمداً ، فبينما أنا كذلك اذ دخل علي ابو طالب ، فوجدني متدهلة في وجوم ، فسألني عن الوضع والمقتضي ، فنقلت له ما شاهدته وما رأيته من ابن أخيه ، فقال لي : يا فاطمة لاتعجبي ولا تستكبري الأمر من محمد ، فانه نبي هذه الأمة ، والنبي يا فاطمة لاترد له دعوة كما لا تزوى دونه حاجة يطلبها من الله عز وجل ، أما انك ستلدين له وزيراً بعد يأس .

قال الراوندي : وقد ولدت علياً كذلك .

اقول : لم يكن ذكر هذه القضية ومنطوياتها مقصوراً على خصوص الخرائج ، بل ذكرها جمع من أرباب السيركالحلبي في سيرته وابن هشام في سيرته وزيني دحلان في أسنى المطالب والقاضي النقدي في المواهب .

ابو طالب في نظر ابن ابي الحديد

وابن ابي الحديد هو عبد الحميد المعتزلي من أفاضل العلماء والعلماء الأفاضل ، هو مؤرخ قدير واديب شهير ، له في كل فن من العلم اليد الطولي والكفاءة البينة ، ومن استقرأ شرحه على نهج البلاغة عرف مدى مقدرته العلمية والفنية ، وسعة اطلاعه وتضلعه في الأدب والتاريخ والفلك والفلسفة وغير ذلك من انواع المعارف . كما وهو تلميذ النقيب ابي جعفر الاسكافي المعتزلي ، وحيث وصل بنا الحديث الى هنا وجدتني مندفعاً الى إعطاء صور موجزة عن المعتزلة والاعتزال ، فأقول :

اطلق الاعتزال على جماعة قد اعتزلوا حروب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب في الجمل وصفين والنهروان ، وكان ممن اعتزل وصار معتزلياً بهذا المعنى سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب واسامة بن زيد وكثير من امثالهم .

أما الاعتزال الذي كان عند الاسكافي والحديدي وجمع غفير من بغداديين وبصريين لم يكن من ذلك النوع الذي يؤدي الى اعتزال حروب الامام الثلاثة ، لأن الاعتزال كفكرة ومبدأ إنما كان في الزمن العباسي ، وقد حدث ايام خلافة المنصور الدوانيقي يوم كان الحسن البصري هو المدرس العام في بغداد ، وكان البصري ينتمي بدراسته وفقهه إلى ابي موسي الأشعري ، وكان من جملة تلاميذه البارزين عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء ، واتفق أن حصلت مشادة كلامية بين واصل واستاذه البصري اثناء الدرس ادت الى ثورة الاستاذ وغضبه ، كما ادت الى خروج واصل عن حدود الأدب

مع استاذه ، الأمر الذي ادى به أن يبعد واصلا عن الدرس ، فكان مما قال له : اعتزل درسنا ومجاسنا . فاعتزل واصل واستقل ، وكوّن على الأثر لنفسه حلقة دراسية وحوزة علمية ، فاجتمع عليه خلق كثير وتردد على درسه جمع غفير وأصبحوا يعرفون بالمعتزلة ، كما صار الحسن البصري وجماعته يعرفون بالأشاعرة .

وقد حدث بين الطائفتين خلاف عقائدي كبير ، حتى ادى الأمر بكل من الفرقتين أن ترمي الأخرى بالخروج من الدين وتنبزها بالتعدي على حدود الشريعة .

وعلى كل حال ليس المهم في المقام الاتيان على آخر ما هنالك من موارد الخلاف والنقاش ، اذهي كثيرة ، ولكن رأينا من الضروري أن نتعرض لأهم الاسس التي دارت عليه رحى القيل والقال والخصام والجدال ، وهو نكران الاشاعرة للحسن والقبح العقليين المؤدي الى تعطيل المستلزمات العقلية ، وعزل العقل عن كل مدركاته واستشعاراته ، وقصر الحكم والتدخل بشؤون الخلق على الشرع وحده ، فلا حكم إلا له ولا أمر إلا له ، فلله الأمر من قبل ومن بعد ، فالحسن عندهم ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه .

وبمقتضى هذا اذا صدر من الشرع أمر بادخال مثل ابي ذر وسلمان الى النار ويزيد وابليس الى الجنة كان حسناً وطيباً ، لأن الحسن ما حسنه والقبيح ما قبحه والعقل قد احيل على التقاعد ، فلا يضع ولا يرفع ولايعطي ولا يمنع ، الأمر الذي ادى بالمعتزلة ان يصولوا ويجولوا ويرعدوا ويبرقوا ، كما أجمعوا على تزييف هذه الفكرة وتسخيفها وأنها بالكفر أشبه ، لذا حاولوا جاهدين اثبات مستقلات العقل ومستلزماته بالأدلة القطعية الرامية الى أن للعقل تمام الحرية ، ولا يمكن أن يعطل عن وظيفته المقررة له ، فهو يحكم بقبح الظلم والكذب والخيانة كما يحكم بحسن الصدق والاحسان ووجوب اداء

اداء الامانة ، وهو والشرع دائماً وأبداً متساندان متعاضدان ، ولا يمكن ان يكون بينهما اي انفكاك ابداً .

والعقل يحكم بثبوت الحكمة والعدل بالنسبة الى الله عز وجل ، فهو لايرفع ولا يضع ولا يعطي ولا يمنع ولا يثيب ولا يعاقب إلا بمقتضى الحكمة والمصلحة ، كما لايكلف الا بما يطاق ولا يأمر الا بالممكن ولا يثيب الا من يستحق الثواب ولا يعاقب إلا من يستحق العقاب ، فلا يعقل اذاً في حقه تعالى أن يشتهي إدخال المؤمنين النار والشياطين الى الجنة ، لأن ذلك خلاف الحكمة والعدل ، وخلاف مقتضى الربوبية ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

ومن هنا سميت المعتزله ـ بالعدلية ، كما سميت الامامية أيضاً كذلك ، لتوافق الطائفتين على تحكيم العقل واثبات الحكمة والعدل بالنسبة الى الله سبحانه . وعليه ربما يتكرر في الكتب النقل عن العدلية ، فهم الامامية والمعتزلة

أما الاعتزال بالمعنى الأول الذي يحكى عن قعود الجماعة وتأخرهم عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في حروبه لم يكن اعتزالا كفكرة عقائدية ، بل هو انحراف عن الخليفة الحق وقعود عن الامام المفترض الطاعة باجماع المسلمين ، فاطلاق الاعتزال على اولئك لامعنى له ، بل غير معروف في ذلك الدور .

* * *

واذا اتضح ذلك فابن أبي الحديد معتزلي حقيقي ومعتزلي واقعي ، يعتقد بأن الله تعالى حكيم وعادل ، ومقتضى ذلك أنه عز وجل لايفعل القبيح ولا يقرب من أي شيء ينافي العدل ويجاف الحكمة .

ولكننا وجدناه وقد خرج على عقيدته وفرّ عن مبدأه ، كما تنكر لهما وضرب بهما عرض الجدار ، فجاء في مستهل كلامه وبعد البسملة فلا فصل فقال « الحمد لله الذي قدم المفضول على الفاضل » وهو يعني بالمفضول

ابا بكر وبالفاضل الامام علي بن ابي طالب ، والحال أن تقديم المفضول على الفاضل قبيح عند المعتزلة فضلا عن الامامية ، كما هو مستحيل الصدور عن الرب الحكيم لمنافاته لقداسته وحكمته وعدالته :

واست ادري - ولعل ابن ابي الحديد نفسه لايدري أيضاً - كيف استساغ أن يحمد الله على ذلك العمل الذي يأباه العقل وينفر منه الحكماء والعقلاء ، وكأنه يعتبره نعمة لازمة الحمد والشكر.

نعم يمكن ان يكون قد تابع الاشاعرة وقلدهم في هذه المسألةبالخصوص ، ولكن كان اللازم عليه أن يشير ولو من بعيد الى تقليده هذا وتبعيته تلك - راجع شرح النهج الجزء الاول .

ونجده مرة ثانية وقد اعرض وتجانبه عن طريقة اشياخه واساتذته المعتزلة ، وقد توقف عن البت بإيمان عم النبي العظيم ابي طالب ، وهاهو يذكر في شرح النهج ٣ / ١٣٧ بعد ان يسرد كثيراً من الروايات عن آل البيت النبوي ، الروايات الناصة على إيمانه وتدينه رضوان الله عليه ثم يقول : فأما أنا فالحال ملتبسة علي والأخبار متعارضة عندي ، والله اعلم بحقيقة الحال .

الى ان يقول : وقد صنف بعض الطالبين كتاباً في هذا العصر فبعثه الي يسألني أن اكتب عليه بخطي نظما أو نثراً أشهد فيه بصحة مانقله واعترف له بوثاقته متناً وسنداً ، فتحرجت ان احكم قاطعاً ، لما عندي فيه من التوقف ولكني لم استجز أن اقعد عن تعظيم ابي طالب ، فإني اعلم انه لولاه لما قامت للإسلام دعامة ، واعلم ان حقه واجب على المسلمين عامة الى يوم القيامة والى ان تقوم الساعة ، فكتبت على ظهرالمؤلف :

ولولا ابو طالب وابنه   لما مثل الدين شخصاً فقاما

الى أن يقول :

وما ضر مجد ابي طالب   جهول لغى او بصير تعامى

ثم قال : فوفيته حقه من التعظيم والإجـلال ، ولم أكن اجزم بأمر عندي فيه وقفة .

* * *

اقول : التفكير والتدبر في نثر ابن ابي الحديد هذا ونظمه يعطيـان التناقض في الأقوال والتضارب في الكلام :

فمرة نجده من المكبرين لمقام عم النبي الأمين ، ومن القائلين بوجوب حقه على المسلمين الى يوم الدين ، وان الدين والاسلام لولا أبو طالب لما قامت لها دعامة ، كما عرض بمن يتعامى عن حقه ويتغافل عن خدماته لله والرسول صلى الله عليه وآله .

ونجده مرة اخرى يتوقف من البت بإيمانه رضي الله عليه ، يتعـامى عن الحق الذي أوجبه على كافة المسلمين ، في حال ان القول بإيمـانه بعد قيام الأدلة التي ذكرها آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا موافق للاحتياط ، فكان اللازم عليه أن لايتوقف في ذلك بعد شهادة الأئمة البررة ، وان لايقـدم على شهادتهم وادلتهم دعوى المغيرة بن شعبة وأقاويله الباطلة العدائية ، وهو من جملة الناقلين والمسجلين لما كان عليه المغيرة من المخازي والمناكير ، خصوصاً في الزمن الاسلامي الكريم ، ولقد نقل لنا هو وغيره اختلاف المغيرة على الفواحش ، وقد شهد عليه المسلمون بالزنى ، ولولا انه كان يعد من الصحابة وانه شيخ كبير وأن قضية إقامة الحد عليه ربما تكون سبباً للتشهير بالصحابة ومدعاة للتعريض بكرامة المسلمين ، لـذا حاول الخليفة عمر درء الحد عنه بكل صورة بالنظر الى تلك الأمور ، فغلق الموضوع وسد الحديث ، فجلد الشهود لئـلا تتوسع القضية . . ومن كان هذا حاله كيف تقدم روايتـه على رواية من نزههم الله عن كل شيء ، وطهرهم القرآن من الدنس والرجس تطهيرا .

ثم اذا كان ابو طالب في بعض شعر ابن ابي الحديد هو الفاتح للهدى والاسلام ، ولولاه لم تقم للاسلام دعامة ، وان حقه واجب على المسلمين بصورة عامة الى يوم القيامة ، فكيف يمكن لأبي طالب أن لايدين بالاسلام الذي فتحه وأيده وبذل في سبيل ارساء قواعـــده النفس والنفائس . وقد برهنت الوقائع والأحداث التاريخية انه رضي الله عنه حارب الشرك ، وقاوم الكفر والوثنية ، وحطم الأصنام ، واستهان بكل من يقدسها ويعظمها من الجهلاء والطغاة المردة . . . أفلا يكون بعض هذا مقنعاً لابن ابي الحديد ومن مشى في ركابه أن يقولوا بإيمانـه ، لا أن يحتاطوا ويتوقفوا فيه ويستشكلوا من الحكم عليه بالتدين والايمان .

ثم اذا كان عم النبي الكريم غير متحقق ايمانه عند ابن ابي الحـــديد وجماعته كيف جاز له أن يحـــكم بوجوب حقه على المجموعة الاسلامية الى قيام يوم الدين ، أفهل كان يتصور أن هذا كان تقـديراً للمسلمين وتوقيراً لمقامهم الرفيع ، والحال انه توهين لهم وحط من كرامتهم ، لانـه أوجب عليهم تقـــديس المشركين والاعتراف بحقوقهم وفضلهم مدى الدهر وابد الآبدين ، والى ان يقوم الناس لرب العالمين .

وهذا القرآن الكريم يصرح ناهياً عن الاشادة بذكر الكفار ، وينفي ابداً عن ان يكون لهم حق على المؤمنين والمسلمين « ماجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » . ومن هنا حكم الاسلام بانقطاع عصمة الزوجية بين الزوجة المسلمة والزوج الكافر ، كل ذلك لئلا يكون للكافرين على المؤمنين سبيل وحق ، ولذلك فقط فرق رسول الله صلى الله عليه وآله بين بنتـــه زينب وزوجها ابي وقاص الكافر المشرك .

إذاً كيف ياترى يوجب ابن ابي الحـــديد حق المشركين عـلى عامة المسلمين الى الأبد ، وهل هذا منه الا المخالفة الصريحة للنصوص الاسلامية .

ثم اذا كان المتعامي والمتغافل عن حق ابي طالب وفضله هو متعامي عن الحق ومعاند للعدل — على حسب مؤدى قوله — يكون المعنى والمفاد الحكم على عامة المشككين بالتقصير وترك الواجب ، واذا كان ذلك عن اصرار فللقول بأنه الكفر مجاله الواسع .

وابن ابي الحديد بالذات هو واحد من اولئك المتوقفين المشككين ، والحال أنه هو نفسه قد روى لنا عن ابن عباس أنه قال : ان مثل عمي ابي طالب مثل اصحاب الكهف أسر الإيمان فأتاه الله أجره مرتين ، كما وهو الذي روى أن بغض ابي طالب كفر ونفـاق . كما وهو الذي حكى أن المعتزلة قالت بايمان ابي طالب — فإنا لله وإنا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال الحلبي في سيرته ١ / ٩٤ : روى الشيخ السحيمي والشعراني والسبكي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : قال العباس بن عبد المطلب حين رآه يحرك شفتيه عند الموت وساعة الاحتضـار ، فأدنى اليه رأسه ليسمع مايقول ، ثم رفـع رأسه وقال يخاطب النبي : يابن اخي إن عمك قد قال الكلمة التي اردتها منه . فقال رسول الله : الحمد لله .

ثم قال الشعراني : وقد صح هذا الحديث عند اهل الكشف والشهود ، كما صح عندهم إيمان عم النبي وتدينه .

وقال السيد زيني دحلان في اسنى المطـالب : إن عم النبي ابا طالب قد عد من الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما رواه الخطيب البغدادي في تاريخه باسناده الى الإمام الباقر عن آبائه عن علي عن ابي طالب أنه قال : حدثني ابن اخي محمد : أن الله بعثه بصلة الرحم ، واقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وهو والله كان صادقاً صدوقاً .

وكان ابو طالب دائماً وأبداً يشيد بنبوة رسول الله ، كما تفانى في الذب عنها .

قال السيد ابن معد في الحجة والقاضي النقدي في المواهب : أن ابا طالب قال هذه الأبيات : .

ألا يارسول الله انك صادق فبوركت مهدياً وبوركت هاديا

شرعت لنا الدين الحنيفي بعدما نرى عبد الناس الحمير طواعيا

فياخير مدعو وياخير مرسل الى جننا والانس لبيك داعيا

أتيت ببرهان من الله واضح فأصبحت فيناصادق الوعد راعيا

فبوركت في الاحوال حياً وميتاً وبوركت مولوداً وبوركت ناشيا

ويحدث الفضل بن شاذان في مناقبه أن من جملة مواقف عم النبي العظيم الزعيم ابي طالب موقفه البطولي الكريم ، الموقف الذي ذكره ابن إسحق عن كثير بن عامر ، وذلك على اثر مجيء راكب الى الأبطح ومعه سبعة نوق محملة مثقلة بقماش الحرير والديباج والذهب والفضة وبعض الأحجار الكريمة ، وعلى كل ناقة عبد أسود ؛ والكل يطلبون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان الراكب المتقدم عليه مهابة وجلالة ، كما تبين مؤخراً أنه وصي أبيه وقد جاء بهذه النوق واحمالها والعبيد باعتبار انها ثلث أبيه الذي أوصاه بإيصالها الى النبي صلى الله عليه وآله ؛ فصادف أن مر الراكب على جماعة من رؤساءقريش وزعمائها ، وكان من جملتهم ابو جهل وابو البحتري ، فقام الأخير في وجوههم وقال : لأي مكان تقصدون ؟ قالوا : نقصد رسول الله محمداً . قال ابو البحتري : هذا محمد — وأومأ الى ابي جهل — فنظره الغلام المتقدم ملياً : ثم ساق النوق مسرعاً وقال : ماهو بصاحبي .

ثم أوقف الجمال بمكان وصار بنفسه فقط يدور في أزقة مكة حذراً من أن يسأل عن النبي فيأتيه غيره مدعياً أنه هو ، ومن الصدف ان قابل رسول الله وجهاً لوجه في بعض الطريق ، وبمجرد ان تفرس في وجهه تحقق أنه هو رسول الله ، فنزل من على بعيره وأهوى على يديه ورجليه لثما وتقبيلا ،

وإذا به صلى الله عليه وآله يقول : انت ناجي بن المنذر السكاك ؟ قال : نعم فداك ابي وامي يارسول الله . قال النبي : اين ثلث ابيك المتكون من سبعة نوق محملة وسبعة عبيد ؟ فقال : بالقرب منا يارسول الله ، اسمح لي قليلا الآن آتيك بها .

ثم ذهب مسرعاً فقاد الجمال وجاء مع النبي الى دار عمه ابي طالب ، أما ابو جهل فلما تحقق وصول الجمال الى رسول الله ثارت ثائرته وقامت قيامته ودعى بالويل والثبور ، وقد اظلمت الدنيا في عينيه وصار الى إهاجة قريش وإثارتهم شارحاً لهم أن اموالا ضخمة وثروة طائلة نذرها بعض الناس الى أصنام الكعبة وقد استولى عليها محمد واوصلها الى دار عمه ابي طالب ، وعليه يلزم الجميع باشراك اليهود أن ينضموا إلى قيادته ليستخلصوا الأموال من محمد ، وإلا وضع السيف في صدره وانتحر .

وحينئــذ ما كان من القوم إلا ان يوافقوه ويقوموا معه الى دار ابي طالب ، ولما قربوا من الدار الهاشمية وسمع ابو طالب ضجيج القوم وصهيل الخيل عرف مغزى مجيء القوم ، خرج ومعه بعض أسود بني هاشم ، فاستقبل ابا جهل وقال : ماتريد وما وراءك ياابا جهل ؟ فقال : إن ابن أخيك محمد جنى علينا وخان الآلهة الخيانة العظمى ، يهون لقريش أن تسفك في سبيلها الدماء وتزهق الأرواح وتسبي الذراري والنساء .

قال ابو طالب : انت أقل وأدنى من أن تصـل الى ذلك ، ولكن عرفني ما الخبر .

قال ابو جهل : إن محمداً قد استولى على نذر وصل للكعبة بما فيها من أصنام ، فلا بد من تسليمه لنا لنعمل فيه رأينا .

فقال ابو طالب : قف مكانك ولا تتكلم حتى اجتمع بمحمد واقف على تفاصيل القضية ثم آتيك برأيه .

فدخل على النبي صلى الله عليه وآله وأوقفه على إرادة ابي جهل ودعواه وصار ينتظر أمره ورأيه إذ تكلم رسول الله فقال : ياعم ان الأموال ثلث ميت أوصى أن تصل الي وقد وصلت فعلا وجاء بها ابن الميت ، فهي لي خاصة لايشاركني فيها اي أحد ، كما ليس لأي انسان فيها حق ، ولكن ابا جهل لايقنع بذلك ياعم ، وعليه اتفق معه على يوم للمباهلة فنخرج نحن وهم الى قريب من الكعبة ونخرج معنا الجمال فيتقدم ابو جهل الى مقدساته يسألها أن تكلمه النوق بأي كلام والى سبع مرات ، فان كلمته فهي له وليس لي حق الاعتراض عليه بأي لون من ألوان الاعتراض ، وإن أيس من كلامها أتقدم أنا فأسأل ربي أن تكلمني ، فإن كلمتني فهي لي وليس لأحد فيها حق وان لم تكلمني فهي لأبي جهل أيضاً وليس لي فيها حق .

قال ابو طالب : هذا هو الرأي السديد والحل الوحيد ، فأسرع الى ابي جهل فأفهمه نظرية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وان لاحل للمشكلة إلا ذلك ، فلم يسعه إلا الموافقة والرضا ، وتفرقوا على ذلك .

وصار ابو جهل يقضي جل أوقاته واكثر جلساته عند هبل شيخ الآلهة وكبير المعبودات ، وهو يخضع له ويتوسل به ويطلب اليه أن لايشمت به الرجال والنساء ، فينصره على محمد ويخضع له الجمال لتكلمه . ولم يزل على هذا الحال الى أن حانت الليلة التي تكون في صبيحتها المباهلة ، بات ابو جهل عند هبل باكياً متضرعاً يمنيه إن هو قد انتصر على محمد وظفر بالأموال ليضع عليه قبة من الذهب وخلخالين من الذهب وتاجاً مرصعاً بالاحجار الكريمة وقلادة من الياقوت الاحمر .

ولما صار الفجر وقرب طلوع الشمس ارسل الى شياطينه ليحضروا المباهلة ، فجاؤوه يهرعون . ثم حضر النبي وبخدمته عمه ابو طالب والهاشميون ، وجيء بالجمال فأوقفت في جانب ، وبعد ان أخذ كل من الطرفين مكانه

التفت رسول الله صلى الله عليه وآله الى عمه وقال : قل لأبي جهـل أن يكلم النوق ، فتقدم اليها وكلما أراد وحاول منها ذلك ماتسنى له ما أراد حتى عجز وكلّ ، فقال ابو طالب للنبي : قم يامحمد كلم النوق ، قام رسول الله صلى الله عليه وآله ووقف في مقابلها ، وبمجرد أن نظرته كلمته وسامت عليه من قبل أن يكلمها ويحدثها ، وأخيراً كلمها وكلمته بكل لباقة وطلاقة ، وانتهت القصة في صالح رسول الله صلى الله عليه وآله .

وعند ذلك أمر ابو طالب فتيان بني هاشم أن يسوقوا النوق الى الدار ، أما ابو جهل فقد صار اضحوكة بين الناس وسخرية للنساء والأطفـال ، ورأى أن يتذرع برمي النبي بالسحر والشعوذة ، وعلم ابو طالب بذلك فصده وزجره وأوقفه عند حده ، وعاد ابو طالب برسول الله صلى الله عليه وآله موفور الكرامة ظافراً منتصراً بعون الله عز وجـل ومعاونة عمه الكريم .

ونقل الفضل في المناقب والقاضي في المواهب بسندهما عن المفضل بن عمر انه قال : ومن مواقف ابي طالب المؤمنة ماقـد سمعته عن صادق آل البيت جعفر بن محمد عليه السلام ، وكان يحدث أصحابه أنه لما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله كانت جدتي فاطمة بنت أسـد حاضرة حين ولادته ، إذ كشف لها عن بصرها فرأت بياض قصور الشام وفارس ، فتعجبت لذلك ثم بعد أن وصلت الى دارهـا اخبرت بما شاهدت وما رأت ابا طالب ، فقال لهـا ابو طالب : لاتتعجبي يافاطمة من الأمر ، إن محمداً نبي هذه الأمة ، وستلدين وصيه ووزيره .

وفي نفس الصفحة كما هو موجود في معاني الأخبار بسندهما الى الدقاق عن الكليني عن الحسن بن محمد عن محمد بن يحي الفارسي عن ابي حنيفة محمد بن يحي عن الوليد بن ابان عن محمد بن مسكان عن أبيه عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : جاءت فاطمة بنت أسد ـ وكانت حاضرة

حين ولد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ثم اقبلت تبشر أبا طالب بمولود ابن أخيه ، فقال لها : وانا ابشرك ببشارة يافاطمة ، فانتظري سبتاً ستلدين مثله الا النبوة . وكان السبت آنـذاك ثلاثين سنة ، فعـد بين حديث ابي طالب هذا وولادة علي فكان ثلاثون سنة لاتزيد ولا تنقص .

وقال مفتي الشوافع زيني دحلان في اسنى المطـالب : إن وصية ابي طالب هي من جملة مواقفه المؤمنة الخيرة .

وقال المجلسي في البحار : وان من جملة مواقف ابي طالب الخيرة والمؤيدة لإيمانه قوله لفاطمة بنت أسد زوجته : اخبرتني عن محمد ساعة ولادته أنه سقط معتمداً على يده اليمنى يصعد منه نور الى السماء وهو يقول « لاإله إلا الله » . قالت : نعم حدثتك عن مشاهدة وحس . فقال لها : اكتمي الأمر ولا تخبري به أحداً ، فإني اخاف عليه عيون الحاسدين والماكرين من اليهود الأرجاس والشياطين من العرب ، أما انك ستلدين مولوداً ذكراً يكون له وصياً ووزيراً ، فانتظري سبتاً ـ والسبت ثلاثون سنة ـ وأخيراً كان الأمر كما اخبر وكما حدث ، فولدت علياً بعد هذا الإخبار بثلاثين سنة بعد يأس .

وقال صاحب درر البحار نور الدين محمد بن المرتضى والقاضي النقدي في مواهبه : وان من مؤيدات ايمان عم النبي الزعيم ابي طالب رضوان الله عليه حضوره لقضاء حوائج النبي صلى الله عليه وآله واستعداده لكل متطلباته ورغباته بكل صورة وعلى كل حال ، ومن ذلك ان اتفق لرسول الله صلى الله عليه وآله أن خرج ذات يوم الى خارج مكة للتروح والانفراد بنفسه ، وبعد أن قضى المدة التي كان قد قرر أن يقضيها هناك كر راجعاً الى المنزل ، فمر في طريقه على نادي بني تميم ، وكان مناديهم يهتف بالناس بين شعاب مكة وضواحيها : ألا من اراد القرى والضيافة فليحضر المـأدبة والوليمة المقامة من قبـل بني تميم على شرف رئيسهم عبد الله بن جذعان . فأخذ

الناس يتهافتون زرافات ووحداناً على النادي ، ولما مر عليهم رسول الله قام اليه عبد الله وجماعة من زعماء بني تميم فاستقبلوه وسلموا عليه وعرضوا عليه حضور الوليمة ، فامتنع عن الاجابة معتلا بترقب عمه ابي طالب له وانتظاره إياه ، واخيراً أقسموا عليه برب البيت وشيبة عبد المطلب ، فما وسعه حين ذاك إلا الإجابة والموافقة ، وبعد تناول الطعام والاستراحة قام ليرجع الى البيت فقام ، الناس كلهم اجمعون اجلالا لحضرته ، فودعوه بما استقبلوه به من الحفاوة والتوقير والتكريم ، بعد ان أخذ منهم كلاماً على أن تكون وليمة عنده وفي بيت عمه الزعيم ابي طالب ، فليحضروا كلهم ولا يتخلف منهم أحد حتى الاتباع والحلفاء .

ثم فارقهم وعاد الى أهله ، وبعد أن وصل صلى الله عليه وآله وسلم اخذت القضية تعظم عليه وتكبر في عينه ، ولا سيما أن عمه ابا طالب كان في تلك الظروف لاتساعده حالته المادية على القيام بتلك المأدبة الخطيرة التي تستلزم جملة من الأسباب والمعدات ، ماربما يصعب على عمه تهيئتها . هذا من جهة ومن جهة اخرى إن الأمر لابد منه ، لأنه صلى الله عليه وآله قد اعطى كلاماً عليه . ومع هذا وذاك يتعقد الموقف عليه ، كما يكثر عليه التفكير والقلق ، وبينما هو على هذا الحال اذ تستشعر منه زوجة عمه فاطمة بنت أسد القلق والاهتمام ، الأمر الذي ادى بها الى ان تستفهمه عن البواعث والدواعي ، ولم تزل به حتى اوقفها على جلية الحال ، فقالت مهدئة عليه وفاتحة امامه ابواب الراحة والاطمئنان ، وان الموضوع اقل من أن يكون مثاراً لقلقه ومدعاة لاهتمامه وتفكيره بل هو بسيط للغاية ، ولا سيما وانها تمتلك مقداراً من العسل يقوم بسد كل نفقات الوليمة إن لم يمنع ابو طالب لمكان أنه هو يريد أن يتولى أمرها ، وبينما هما في الحديث اذ دخل عليهما ابو طالب فقال : فيما انتما عليه ؟ فأخبرته فاطمة بالقصة واطلعته على تعهد

النبي لبني تميم ، فانتهض ابو طالب الى رسول الله فضمه الى صدره وقبله بين عينيه وصار يهون عليه الأمر ويبسطه عليه ، وان غداً منه قريب فيرى ماتقر به عينه ويسر به خاطره . وتتهيأ بعون الله وليمة تتحدث بها الركبان في كل مكان . فاطمأن صلى الله عليه وآله وارتاح نفسياً لضمان عمه ، وصار يرقب الغد الموعود .

أما ابو طالب فقد خرج من الدار مسرعاً الى أخيه العباس ليستدين منه من المال مايسد به نفقات الوليمة ، فاعترضه في الطريق بعض الهاشميين فرآه على غير حالته الطبيعية ، وأخيراً تكاشفا فقال الهاشمي : لاحاجة الى قصد العباس انا اقوم بكل ماتريد ياأبا طالب . فغاب قليلا ثم عاد فجاء بما يكفي من الذهب والفضة وقال : الوفاء ممدود غير محدود يازعيم مكة .

فشكره ابو طالب وودعه وصار الى إعداد اللوازم والمقتضيات ، وبعد أن كمل كل شيء أمر جملة من المنادين أن ينـــادوا بالناس في أرجاء مكة وضواحيها : ألا من أراد أن يحضر الوليمة التي سيقيمها محمد بن عبد الله في دار عمه ابي طـــالب على شرف عبد الله بن جـدعان رئيس بني تميم فليحضر غداً فالدعوة عامة للجميع . فوصل الخبر الى العباس بن عبد المطلب . فتصور أن هذا المطلب سيكلف أخاه مبلغاً ضخماً ، فبادر ليعرض عليه المعاونة والمساهمة فيه ، فاعتذره ابو طالب محتجاً بتامية الأمر وحضور كافة اللوازم ، ثم اراد العباس من أخيه أن يتلطف عليه بادارة شؤون الوليمة كخصوصية يختصه بها وككرامة يكرمه بها ، فأجابه الى ذلك . فنحر العبـــاس الابل والغنم ، ونصب القدور وصنع فاخر الحلوى كما لوّن المطبوخات واكثر الشواء ، ثم هيأ ابو طالب عرشاً خاصاً للنبي صلى الله عليه وآله وحلاه بالأحجار الكريمة والحرير والديباج ، حتى اذا صار الظهر قريباً وبانت طلائع المدعوين جاء برسول الله فأجلسه على العرش ، فكان كالبدر ليلة تمامه وكماله ،

فشغل الناس نوره الملكوتي ووقاره الآلهي حتى صاروا جميعاً لايفترون عن النظر الى هيبته وطلعته البهية ، والفرح والسرور باديان على الجميع .

وبعد الفراغ من تناول الطعام قام الشعراء والأدباء يمتدحون رسول الله وعمه الزعيم ابا طالب ، كما عرجوا على الوليمة الفخمة ، الوليمة التي لم يقفو على مثيل لها في دنيا الولائم والمكارم ، كما كانت هي إحدى معالي عم الرسول العظيم ابي طالب رضوان الله عليه ، وعلى مثلها فقس ماسواها .

ابو طالب واهل الكهف

لقد قيس عم النبي العظيم ابو طالب بأهل الكهف بالنظر الى أن الطرفين كانا يتستران بإيمانهما ويتكتمان في عقيدتهما وتدينهما ، لـــذا استحقا ان يعطيهما الله جزاءهما وأجرهما مرتين وثوابهما ضعفين .

وربما قد عضد هذا القياس والتشبيه بعض الروايات التي استندت الى عبد الله بن عباس مرة والى بعض أئمة آل البيت مرة اخرى ، في حال أن ظواهر حال كل من الاثنين تأبى لهما أن يكون إيمانهما وتدينهما على تلك الصورة من الخفاء والسرية التي ينقلها الرواة والمحدثون .

وكيف يكون كذلك في حال انهم نقلوا عن كل من ابي طالب واهل الكهف جملة من المقابلات الموجهة ، وسيلا من الاحتجاج العلني مع ملاحدة العصر ومشركي ازمنتهما ؟ ! .

أما الحال بالنسبة الى اهل الكهف فانهم لما كانوا يقلون عن العدو عدداً وعدة فهم محاربون من قبله ومطاردون من ناحيته ، حتى خافوا على أنفسهم بدى لهم أن يفروا بدينهم وأرواحهم إلى حيث لايدرون ، وما زالوا كذلك حتى ادركتهم رحمة الله عز وجـــل ، فأخفتهم عن أبصار الكفرة وغيبتهم عن انظار المجرمين الجبابرة . . واخيراً ألهموا الدخول الى الكهف ، فلبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً .

والقرآن الكريم حين ينقل قصتهم وواقع قضيتهم لايعطينا اكثر من ذلك ، « نحن نقص عليك نبأهم بالحق أنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى »

وعليه لولم يكونوا متظــاهرين بايمانهم بالله معلنين بما هم عليه من المبدأ والعقيدة لما كان هناك للكفرة الطغاة سبيل عليهم ابداً ، كما لم يكن هناك موجب لاختفائهم في الكهف كذلك .

* * *

وأما بالنسبة الى ايمان عم النبي الزعيم ابي طالب فهو أبين من الأمس ، واظهر من الشمس ، وأوضح من النهــار في اليوم الضاحي . كشف عنه نثره وشعره اللذان ضاقت بهما كتب الحديث وسنجلتها له الوقائع والأحداث :

ألم تعلموا انا وجدنا محمداً — نبياً كموسى خط في محكم الكتب

« اخبرني ابن أخي محمد أن الله بعثه بصلة الرحم ، وان يعبد الله وحده ، وهو عندي الصادق الأمين » .

الى مئآت من هذا اللون من الاقرار والاعترافات التي كان ينتهز بها المجتمعات والأندية غير هياب ولا مكترث .

ولا نجدنا مغالين بالقول حين نقول : إن كل من استقرأ التاريــخ وتدبر بامعان مانقله لشيخ الأبطح من أقوال وأفعال وأثر فعال في تقوية الدين وشد أزر المسلمين ومعاونة الرسول الأمين صلى الله عليه وآله لمــا خرج منه الا مؤمناً مصدقاً باسلام عم النبي جازماً متحققاً لايمانه رضوان الله عليه .

قال بعض عارفي فضله وتدينه : فإيمان من كان محلقاً لألاء في افق مكة ان لم يكن هو ايمان عم النبي المجاهد أبي طالب ؟ وتدين من ياترى كان مشرقاً وضاء يسترعي اليقضة والانتباه في عالم الخارج غير تدين ابي طالب كافل النبي وداعية الاسلام ؟ ! ولهذا وذاك فقد عده المشركون من الصباة لدين محمد ومن المسحورين الذين نفث في أعماقهم حب محمد وشريعته ، ولذا اجمع الشرك على قطيعته واتخاذ كل وسائل التهوين في حقه ، فلا يزيده ذلك

إلا فناءً في الله وتفانياً في سبيل رسول الله علانية وجهراً . اذاً لابد وأن تكون تلـك الأخبار وهاتيك الأحاديث بعد فرض صحتها وصحة نسبتها الى بعض آل البيت واردة مورد المجاراة للناس ،وعلى حسب ماتهضمه عقولهم وتدركه أحاسيسهم ، واردة مورد الاقناع بالنسبة الى المغفلين والبسطاء من الرجال الذين قد استحوذ عليهم الشيطان ، فصرفهم عن ذكر الله الحكيم وأعماهم عن مقامات عم النبي العظيم ومواقفه الخالدة في الدين والاسلام، كما أعماهم وأصمهم عن ادراك حقيقة ابي طالب المؤمنة وجهوده الخيرة ، اولئك المغفلون والبسطاء الذين قد حشى أدمغتهم واذهانهم بهذه الفكرة ، المناوىء الأول والمعادي المتجاهر لأبي طالب المغيرة بن شعبة ، المغيرة الذي هو أول حاسد وحاقد لبني هاشم ولا سيما آل ابي طالب ، لشرفهم الموروث ومجدهم العالي وزعامتهم العامة ومكانتهم السامية في الأسرة القرشية والعربية .

الأمر الذي أدى به أن يحمل على شيخ الأبطح وسيد بني هاشم حملاته المنكرة العدوانية ، تلك الحملات التي يعلم الله ويشهد أنها حمـلات مبغضة حاقدة ، وان مغزاها لاأساس له من الصحة . وهكـذا الحال بالنسبة الى رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم المخلصين والاوفياء من المسلمين ، وسيجمع الله عز وجل بين ابن شعبة وعم النبي الكريم أمام رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم يعرض عليه مازوره ابن شعبة وما ابتدعه على عمه ، فيتولى المحاكمة والمخاصمة رسول الله ، ثم أمير المؤمنين بمحضر من الأئمة البررة والمسلمين الأطائب .

ياترى كيف حال من يكون شفعاؤه خصماؤه ؟ ..

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه والصور في يوم القيامة تنفخ

قال السيد زيني دحلان في اسنى المطالب ص ٤٥ : وقد صح عن العباس بن عبد المطلب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أترجو

لأبي طالب خيراً ؟ قال : كل الخير أرجوه من ربي لعمي ابي طالب .

ثم قال السيد دحلان : وهذا الحديث رواه أيضاً ابن سعد في الطبقات بسند صحيح ، ورجاؤه هـــذا محقق ، ولا يرجو صلى الله عليه وسلم كل الخير إلا للمؤمن .

ثم قال السيد دحلان : قال بعض العـارفين : انه ثبت عند أهـــل الكشف والشهود إيمان ابي طالب العاني .

* * *

أقول : قد تقدم منا ـ قبل قليل ـ أن نسبة الممات على الشرك وتهمة الممات على الكفر لم تقتصر على خصوص عم النبي الكريم ابي طالب ، بل تجاوزت الى ابوي النبي الشريفين واسرته الطيبة ، وكان مصدر ذلك حديثاً رواه مسلم في صحيحه بطريق ابي داود عن حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ابن مالك أنه قال : أقبل رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله : اين مكان أبيه يكون أفي الجنة هو أم في النار ؟ وكان أب الرجل قد مات في الزمن الجاهلي ، فقال له رسول الله : إن ابي واباك في النار .

وبعد أن وقف العلماء على حديث مسلم هذا قامت قيـــامتهم وثارت ثائرتهم ، فصالوا وجالوا وتطاول بعضهم على بعض ، فانتصر قسم كبير منهم للسيدين الجليلين ، ودافعوا عن مقامهما الرفيع ، واثبتوا في اكثر من مؤلف إيمانهما وانهما من أهل الجنة .

ومن هنا ذهب الفاضل السيوطي الى التنديد بالحديث الذي رواه مسلم ، فطعن في متنه وسنده وقال ماملخصه : إن الحديث من افراد مسلم ، ومثله لايثبت به المدعى .

أما قولهم بأنه يجزم بما في الصحيحين أو بما في احـــدهما فيما اذا لم ينتقـــده الحفـــاظ او يخدش بصحته رواة الحديث ، والحديث معاول

سنداً ومتنـــاً :

أما من حيث السند ففيه « ثابت » ، وثابت هذا قد عده المحدثون في عداد الضعفاء ، مما لايتحرج في رجاله عن النكرات ومجهول الحال ، وأما « حماد » المذكور في السند فقد ناقش جمع من الرواة في حديثه ، لذا تنكب البخاري عن الأخذ منه ، كما قيل كان ابو العوجاء الملحد يدس في كتبه المناكير .

وأما من حيث المتن فالكلام عليه يتوقف على بيان مقدمة تتلخص بما حاصله : إن كثيراً من المؤرخين والمحدثين ذكروا سيلا وافراً من الأحاديث تدل بمفهومها ومنطوقها على أن أهل الفترة لايدخلون النـــار ابداً إلا بعد الاختبار وعرض الاسلام عليهم ، فمن قبله منهم ودان به كان من أهـــل النعيم والجنة ، ومن أباه ونفر عنه كان من أهل النار ، ولعل أب الرجل ممن لايتقبل الاسلام فيكون من أهل النار .

ثم قال السيوطي : واذا عرفت هذا فاعلم أنه روي بطريق معمر بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال للأعرابي آنف الذكر حين سأله عن مكان أبيه : أي قبر لمشرك مررت به فبشره في النار . وعليه الرواية لم تكن ناظرة لا لأب النبي ولا لأب الأعرابي ، ومعمر هذا لم ينـــاقش في صدقه كما لم يخدش احد في صحة حديثه ، وقد اتفق الشيخان على التخريج له والنقل عنه . وعليه فحديثه يقدم على حديث مسلم ، اذ هو أقوى دلالة وافادة ، كما هو أوثق متناً وسنداً . هذا بالاضافة الى أن رواية معمر معتضدة بالروايات المماثلة مضموناً وطريقاً ، فتتعين هي اذاً وتطرح رواية مسلم .

وقال السيوطي : ومع غض النظر عن كل ذلك لايمكننا القول بكفر أبوي النبي العظيمين ، بل عامة أهل الفترة ، لجواز تقبلهم للدين واعتناقهم للإسلام عندما يعرضان عليهم ، ومتى ماقام الاحتمال بطل الاستدلال . اللهم

الا ان يدعى قيام اجماع على تعذيب أهل الفترة ، فيقاس على ذلك ابوا النبي الشريفان ، ولكن قيام الاجماع اول الكلام ، ودون اثباته خرط القتاد ، بل التحقيق يقضي أن لا اجماع في المقام فلا قياس .

ثم قال السيوطي : وكيف يسعنا القول والحكم بكفر أبوي النبي وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم قوله « مازلت اخرج من نكاح كنكاح الاسلام حتى خرجت من ابي عبد الله وامي آمنة » كما صح عنه أنه قال « ماولدني من سفاح الجاهلية شيء قط » .

وقال السيوطي : قال الجاحظ : ومن اعتقد غير هذا في ابوي النبي فهو كافر ، والحمد لله الذي قد برأ نبيه من كل وصمة وطهره من كل دنس تطهيراً . ولا يجوز لأي انسان ان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بمباح ولا في غيره ، وتكفير ابويه ايــذاء له مما لاريب ، ومؤذي النبي كافر بلا كلام .

وقال السيوطي : وروى الطبري في ذخائر العقبى عن ابي هريرة أنه قال : جاءت سبعية بنت ابي لهب الى رسول الله شاكية اليه ماسمعته من البعض من سب أبيها أمامها ، فغضب رسول الله عند سماعه ذلك ، ثم قام الى المسجد فصعد المنبر فقال فيما قال : فما بال اقوام يؤذوني في قرابتي ، ألم يعلموا أن من آذاني فقد آذى الله .

وشكا عكرمة بن ابي جهل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعضهم حيث اسمعوه شتم ابيه وسبه ، الأمر الذي ادى بالنبي أن يمنع منعاً باتاً عن سب ابي جهل تكريماً لابنه المسلم . ثم قال : « لاتؤذوا الأحياء بسب الأموات » ، فكيف اذاً ياترى يكون الحال فيمن ينسب الى ابوي النبي الكفر ، وهو اعظم من الشتم والسب ، في حال ان نسبة الكفر اليهما لادليل عليه ، فالذي يجب ان نعتقده فيهما انهما مؤمنان وناجيان من النار

ومن غضب الجبار .

وقال الطبري : واعلم انه قد قال بنجاة ابوي الرسول جمع غفير وخلق كثير من العلماء ، ممن جمع بين الفقه والحديث والأصول ، مثل ابن العربي وابن شاهين وابن منبه وابن ناصر الدين الدمشقي والرازي والسبكي والقرطبي ومحب الدين الطبري وابن حجر العسقلاني وحافظ الدين الحنفي وخاتمة الحفاظ السيوطي وابن حجر الهيثمي ومن حذا حذوهم من الحفاظ وأئمة الحديث .

قال ابن حجر في النعمة الكبرى : احذر ان تروغ عن القول بنجاة ابوي النبي الشريفين ، فالنبي حذرك عن ذلك عند شكاية بنت ابي لهب وعكرمة بن ابي جهل ، حيث قال صلى الله عليه وسلم « لاتؤذوا الأحياء بسب الأموات » كما قال ايضاً « من آذاني في قرابتي فقد آذى الله » .

وقال الطبري في كتابه الصغير : القول والخوض في حديث نسبة الكفر الى الأبوين الشريفين خلاف حقوق النبي المفروضة ، كما وهو يؤذيه صلى الله عليه وسلم ، فاني ارى هدر دم من يقول بذلك ، فعلى العاقل ان يصرف نفسه عن هذه الورطة الصعبة ، وإياك ايها المسلم ان يسبق لسانك الى خلاف ماقلناه من نجاة الأبوين الكريمين ، فتكون ممن آذى رسول الله في آبائه الطاهرين ، نسأله تعالى المعافاة عن الخوض في مثل هذه المهالك ، واياك ان تصغي لما ذهب اليه القاريء علي الهروي من القول بكفر السيدين الجليلين والدي النبي الأمين ، حيث قد زعم انه ركن الى مسألة نسبة المهات على الكفر الى ابي حنيفة النعمان بن ثابت وعن كتابه المسمى بالفقه الاكبر ، وعلى هذا الأساس نشط الهروي ، فألف كتاباً طبعه على هامش كتاب الشفاء معتزاً مفتخراً بتلك الفكرة المقيتة ، وليته اذ لم يراع حق رسول الله حيث قد آذاه في آبائه صلى الله عليه وسلم اخفى عن التعرض لهما لانفياً ولا اثباتاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم قال الطبري : ولما شاع نبأ كتاب الهروي هذا انتدب اليه جماعة من رجال الاسلام وحماة من حماة العلم ممن اسخطهم واقض مضجعهم ذلك المؤلف المشؤوم ، المؤلف الذي استهدف في أول ما استهدف كفر ابوي النبي الكريمين ، ثم اسقاط وجوب الصلاة على محمد وآل محمد اثناء الصلاة . وكان في طليعة اولئك الأفذاذ الثائرين بوجه الهروي الامام عبد القادر الشافعي ، فانه رحمه الله قد ألف كتاباً جليلا قد رد فيه مزاعم الهروي ومفترياته ، كما مزق فيه آراءه السقيمة شر ممزق ، معتمداً في ذلك على الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، مما ادى بالهروي أن يؤوب بالخزي والعار واللعنة الى يوم المآب ، فنسأله سبحانه وتعالى العافية من أباطيل الهروي وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ثم قال الطبري : ولقد صح عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وامي وعمي ابي طالب واخ كان لي في الجاهلية .

ثم قال الطبري في الصفحة السابعة من الذخائر : واخرج تمام الحديث الفخر الرازي في فوائده ثم قال : فان قلت : أليس قد صرح ابو حنيفة في الفقه الأكبر بأن ابوي النبي صلى الله عليه وسلم ماتا كافرين فهما من اهل النار ؟ قلنا : لقد عز على الحنفية كثيراً أن يصدر هذا القول من ابي حنيفة ، ولا سيما الحنفيون المتعصبون الذين لايجيزون تعمد الخطأ على ابي حنيفة ، بل لعلهم يعتقدون عصمته في جميع اقواله وافعاله ، وهذه مرتبة لاتنطبق إلا على خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم على حد تعبير الامام مالك بن انس حيث قال : كل انسان يؤاخذ على أقواله وحديثه إلا صاحب هذا القبر ـ واشار الى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

هذا بالإضافة الى أنا لانسلم ان الذي قد استند اليه حديث تكفير ابوي النبي هو ابو حنيفة النعمان بن ثابت ، والحديث الذي ذكره الهروي وعلق عايه لم يوجد له في الفقه الأكبر عين ولا اثر ، وكذلك قد استقرأنا الفقه الأصغر فلم نعثر على أي شيء من ذلك .

ولعل الهروي قد اشتبه عليه الحال بأبي حنيفة محمد بن يوسف البخاري ، والبخاري هذا لم يكن معصوماً ، فلا يستبعد منه ان يتعرض لمثل تلكم الأحاديث البشعة ، وانا نبرأ الى الله عز وجل من تلك المقالة ، كما ننزه جناب الامام الأعظم عنها .

وكيف يكون من المعقول أن يصدر من ابي حنيفة النعمان وهو العارف بمقام آباء النبي ما يؤذي النبي صـــلى الله عليه وآله وسلم ، وكيف يمكن له ان يتفوه بمثل ذلك وهو الرجل التقي الورع العالم ، فيعمد الى نشر مقدمة لكتابه الذي يحتوي على أصول الفقه والدين ومبادىء الاعتقاد : ثم يعممه على الناس كافة ليعملوا على مافيه ، ثم يضمنه سب النبي وشتم آبائه الاطهار ورميهم بالكفر الذي لايليق بشأنهما وشأنه صلى الله عليه وآله وسلم ، فيؤذيه بأمس الناس به رحماً واقربهم اليه مودة .

وهذا الامام النسفي ممن يرى امامة ابي حنيفة كما يعتقد ورعه وتقاه ، والنسفي ممن ذهب مطمئناً الى القول بنجاة الأبوين الشريفين ، فهل ياترى لو كان النسفي يعلم بقول امامه الذي ذكره الهروي عن الفقه الأكبر هـــل كان من مستطـــاعه أن يخالف أو يرى غير مايراه مقتداه ، في حال ان النسفي هو الذي روى عن الثقات من اساتذته واشياخه ان الله عز وجـل قد أحيا للنبي ابويه كرامة له فعرض عليهما الاسلام فأسلما ثم ماتا عليه .

قال النسفي : إن محققي الحنفية الجامعين بين الفقه والحديث قد نقلوا عن ابي حنيفة نفسه أنه قال لواحد من أصحابه حين تقدم اليه بسؤال مضمونه :

ماتقول في رجل اقر بالاسلام مجملا لبعده عن البلاد الاسلامية وتوطنه البلاد الكافرة ، فهو لايعرف من نفسه غير انه مسلم هوية وجنسية فقط ، فاذا مات على هذا فهل يموت مؤمناً مسلما ؟ .

فقال ابو حنيفة : نعم يموت مؤمناً مسلما .

السائل : وان لم يعمل بكل شيء طوال حياته من متطلبات الدين وأحكام الاسلام ؟ .

ابو حنيفة : نعم هو مؤمن حياً وميتاً وان لم يعمل أي عمل من اعمال الاسلام . ثم قال النسفي : فمن يكون هذا رأيه بالنسبة الى هذا النوع من الناس فكيف ياترى يكون رأيه فيمن دلت عليهم الآثار والأخبار انهم موحدون مؤمنون بالله لايشركون بعبادة ربهم أحداً ، كما كان كذلك آباء رسول الله صلى الله عليه وآله .

هذا مضافاً الى أن ابا حنيفة رضي الله عنه لم يدع لنفسه العصمة والتنزه المطلق عن الخطأ ، وهو شخصياً كان يقول وبالحرف الواحد : لايحل لأحد أن يأخذ بأقوالنا حتى يعلم بأخذنا من الكتاب والسنة .

ولو سلمنا تنزلا أن القول محل النزاع هو قوله وحديثه لزمنا العمل على وصيته ، بمعنى انه وجب علينا أن نعرض مانسب اليه على الكتاب والسنة ، فان وجدناه موافقاً لهما اخذنابه ، وان وجدناه مخالفاً تركناه واعرضنا عنه ، اذ هو مجتهد والمجتهد ربما يخطيء ، وان أصاب له اجر عشر حسنات وان اخطأ له اجر حسنة واحدة . وكان المعروف من حال ابي حنيفة أن الخطأ ارغب اليه من الصواب ، ولم يكن من اولئك النفر الذين اذا أخطأوا أصروا على صحة مافعلوا وصعب عليهم الاعتراف بالخطأ . نعوذ بالله من ذلك .

وقال الطبري : وقال السيوطي في مؤلفه الدرجة المنيفة في فضل الآباء الشريفة : ذهب كثير من أئمة الاسلام الى نجاة الأبوين الشريفين ، وليس

من المعقول أن لايقف اولئك الفحول على تلك الأقوال المؤذية للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحينئذ لامحالة من أن يكونوا قد وقفوا عليها وخاضوا غمراتها ونفذوا إلى اعماقها ، واجوبتهم على مؤلف الهروي لأدل دليل على ذلك ، لذا كانت هي على الهروي ومن حذا حذوه أشد وقعاً من رواسي الجبال والصواعق الفاتكة .

ثم ان المحقق ابن العربي محي الـــدين قد قال ـ وقوله الحق ـ : ان ابوي النبي الزكيين لاإشكال في أنهما من المعنيين بآية الاصطفاء الكريمة ، وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . ذكر ذلك الشيخان البخاري ومسلم .

ومن ثم قد استدل الفخر الرازي بالآية نفسها على عصمة كافة الأنبياء كما ندد بالمخالفين الذين قد استدلوا بالآية الثانية ، وهي قوله تعالى « ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه » على عدم عصمتهم .

قال السيد صاحب شرح المواقف : لاريب ولا اشكـــال في عصمة الأنبياء كافة ، ولا مجال للاستدلال بالآية على عـدم عصمتهم ، لأنه مبني على عدم تفهم مفاد الآية وعدم الوقوف على مغزاها ومعطياتها ، وتصور أن الظــالم لنفسه هو بعض المصطفين والحال انـه غير معقول ابداً ، لأن اصطفاء الله الحكيم واختيـاره لايكون الا للأخيـــار والعدول من المؤمنين والمسلمين ، فلا يمكن ان يقع على الأشرار والمجرمين والظالمين لأنفسهم ، اذاً لابد وأن يكون التبعيض من العباد ، والعباد هم على نوعين منهم شقي وسعيد . وعليه لما كان الأنبياء المكرمون ممن تحقق الاصطفاء بالنسبة اليهم لابد وأن يكونوا معصومين من الذنب منزهين عن الوقوع في الأخطـاء ، وهو المطلوب كما هو الحق ، والحق أحق ان يتبع .

وحيث ان ابوي النبي الكريمين قد قام الدليل على اصطفائهما فلا بد اذاً من ان يكونا بريئين من الكفر والشرك ، ولا سيما بعد تكثر الأحاديث

على إحيائهما ثم عرض الاسلام عليهما فتقبلاه وماتا عليه . وكان ممن ذكر حديث الإحياء هذا من العلماء والمحدثين ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ ، وعدوه من الحديث الحسن بل الصحيح .

قال الطبري في الذخائر : يمكننا أن نقول بأن ابوي النبي الطاهرين لم يكفرا بالله طرفة عين ابداً بل كانا يدينان بدين جدهما الاعلى ابراهيم الخليل ، وهذا الوجه يسري ويجري في جميع آباء النبي صلى الله عليه وسلم واجداده ، والقرآن الكريم هو الذي دلنا على ذلك وعلى دعاء ابراهيم ، الدعاء الذي يطلب فيه من الله سبحانه أن تكون ذريته مؤمنة بالله مسلمة « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة » وقد استجاب الله دعاء نبيه فكانت ذريته مؤمنة مسلمة . واذا كان الأمر كذلك فآباء النبي كلهم من تلك الشجرة الطيبة والغمامة الصيبة الى عبد المطلب وعبد الله ، وهكذا الحال بالنسبة الى كافة ولد عبد المطلب ماعدى ابي لهب .

نقل الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء بطريقه الى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : لم يلتق آبائي على سفاح أبداً ، ولم يزل ينقلني الله من الأصلاب الطاهرة الى الأرحام المطهرة مصطفى مهذباً لاتنبعث شعبتان إلا كنت في خيرهما .

روى ابن سعد في الطبقات والبخاري والبيهقي عن واثلة بن الأسقع انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله اصطفى اسماعيل من ولد ابراهيم ، واصطفى من ولد اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفى من بني هاشم محمداً .

ونقل أحمد بن حنبل في مسنده والترمذي في صحيحه وابن مردويه

وابو نعيم والبيهقي عن ابن عباس انه قال : قال رسول الله : إنّ الله عز وجل حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه ، ثم خلق القبائل جعلني من خير قبيلة ، ثم خلق البيوت جعلني من خير البيوت ، ثم خلق النفوس جعلني من خير النفوس .

وروى البخاري وابن شاذان عن ابن عباس انه قال : دخل اناس على عمة رسول الله صفية بنت عبد المطلب ، فصاروا يتفاخرون ويذكرون الأوضاع الجاهلية ، فقالت صفية : منا رسول الله محمد وكفى . فقال لها بعضهم : تنبت النخلة على الكناسة . فغضبت صفية وتألمت للكلمة الجارحة ، فأسرعت الى رسول الله شاكية اليه ومخبرة إياه بما سمعته من القوم ، فتأثر رسول الله وانزعج ، ثم قصد المسجد وأمر بلال الحبشي أن ينادي جامعة فجاء الناس يهرعون ، فقام النبي الى المنبر فخطب الناس فقال فيما قال : إنسبوني معرفة من انا . فقال المسلمون : انت محمد رسول الله . فقال : انسبوني معرفة من انا . فقالوا : أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . فعند ذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم : اذاً ما بال اقوام ينزلون اصلي ، فوالله اني افضلهم اصلا وخيرهم موضعاً .

وحدث البيهقي عن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : خلق الله الخلق فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً .

وروى الحاكم والطبراني وابن مردويه والبيهقي وابو نعيم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : خلق الله الخلق فاختار منهم بني آدم ، واختار من بني آدم العرب ، واختار من العرب قريشاً ، واختار من قريش بني هاشم ، واختارني من بني هاشم .

وفي طبقات ابن سعد : واختار من بني هاشم آل عبد المطلب ،

واختارني من آل عبد المطلب .

ونقل ابن عساكر عن ابي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم حتى خرجت من افضل بني هاشم .

وعن الحاكم والترمذي عن الإمام الصادق عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال : جاءني جبرئيل فقال لي : اي محمد إن الله بعثني ان اطوف في مضر فلم اجد حياً خيراً من بني هاشم ، ثم امرني ان اختار من انفسهم فلم اجد خيراً من نفسك .

قال المفسرون ومنهم الزمخشري في الكشاف ان قوله تعالى « هو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين » دليل على ثبوت الايمان والتوحيد بالنسبة الى آباء النبي واجداده الكرام ، وانهم يتنقلون من الأصلاب الساجدة الطاهرة الى الأرحام الساجدة المطهرة .

كما قالوا أيضاً : إن هذه الآية المباركة ـ وهي قوله تعالى « والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم » ـ ان ابوي النبي الطيبين تشملهم الذرية .

واخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اذا دخل المؤمن الى الجنة اول مايسأل عن ابويه وزوجته وذريته .

وأخرج الترمذي وابن مردويه وابو نعيم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : بعد ان نزل قوله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » أنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب والعيوب .

وأخرج ابو سعيد النيسابوري عن عمران بن حصين انه قال : قال

رسول الله : سألت ربي أن لايدخل احداً من أهل بيتي النار ، وقد أعطاني ذلك .

وقال الطبري في الذخائر وابن حجر في الاصابة : ونحن في سعة من القول بأن جد النبي العظيم عبد المطلب وامه آمنة بنت وهب من المؤمنين ، كما هما صحابيان ايضاً ، لأن اصح ماوقفنا عليه من تعريف الصحابي هو « من لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمناً ومات على ذلك فهو صحابي محترم كما هو من أهل الجنة ايضاً » فيدخل في ذلك من طالت صحبته او قصرت ، وسيان في ذلك من حضر معه بعض حروبه او لم يحضر ، وسواء في ذلك من نظر اليه أو لم ينظر كالأعمى . نعم لايكون صحابياً من لقي رسول الله كافراً ومات على الكفر . وهذا التعريف هو الحق وهو المعتمد عليه ، كما هو الذي تساعد عليه الأدلة الخاصة والقواعد العامة ، وعليه فانطباقه على جد النبي وأمه واضح جداً : أما امه صلى الله عليه وآله وسلم فقد عاشت ست سنين كما رأت بعضاً من كراماته ومعاجزه اثناء ولادته وبعدها . وأما جده عبد المطلب فقد عاش معه اكثر من أمه ورأى ايضاً قسما وفيراً من علامات النبوة وآثارها كما كان يرقب ذلك من قبل ان يولد .

وقد أيد هذا المعنى كل من ابن عساكر وابن سعد في الطبقات بطريقهما الى مجاهد ونافع وابن جبير انهم قالوا جميعاً : قال عبد المطلب لأم أيمن : إن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يقولون : ان ابني محمداً نبي لهذه الأمة ، وهو كذلك .

وقال ابن عساكر : إن عبد المطلب قال لأولاده وقومه عند الموت : احتفظوا بمحمد الا تسمعون مايقوله الناس فيه . كما قال ابن سكن وغيره من أهل الحديث ان عبد المطلب من الصحابة ، والى ذلك ذهب العلامة البرزنجي الحنفي وألف رسالة في الموضوع ، ولم يقتصر البرزنجي على اثبات

ايمان جد النبي وابويه وصحبتهم ، بل تعـــدى الى عم النبي ابي طـــالب وانه رضي الله عنه أطول صحبة لرسول الله واكثرهم مشاهـــدة لكراماته ومعاجزه وأوفرهم خدمة له وجهاداً في سبيله واعترافاً بنبوته ، كما استدل البرزنجي بكثير من نثره وشعره الاسلاميين . ومن حديث البرزنجي : ان ابا طالب صدق بالنبي وآمن به بقلبه ولسانه ، فهو من الناجين من النار ، قال بذلك اكثر المتكلمين وأئمة الأشاعرة .

وقال البرزنجي : قال العلامة محمد افندي السجقلي في رسالته المسماة بالردود والفرح الرسالة المتكفلة لاثبات ايمان الأبوين الشريفين ، وكان من جملة ما كان فيها أن والدي النبي اخص من ابوي النبي ، لأن الأب اطلق على العم كما ورد في القاموس والقرآن الكريم كما في قضية ابراهيم وعمه آزر ، وكما اطلق على ابي طالب بالنسبة الى رسول الله لمقام كفالته وتربيته له صلى الله عليه وآله وسلم ، كما اطلق لفظ الأم على فاطمة بنت اسد لأنها قامت بشؤون النبي وخدمته ، فوالدا النبي مما لااشكال في انهما من أهل الايمان كما هما من أهل الجنة ، أما ابو طالب فهو لما كان اكثر مشاهدة وصحبة فهو مؤمن مسلم وصحابي ، شعره ونثره يدلان على مدى تمسكه بالبعثة ومدى اقراره واعترافه بالنبوة والرسالة ، وعليه لاينبغي ان يصغى للقول المخالف الشاذ .

* * *

أقول : لقد اتضح مما اسلفناه من اقوال العلماء وادلتهم القاطعة والقوية على ايمان اسرة النبي الكريمـــة ولا سيما ابوه وامه وجده وعمه صلوات الله عليهم اجمعين ، ولعمري انهم حاولوا أمراً حسناً وجليلا وزايلوا معنى رفيعاً وكريماً لله فيه رضا وللرسول صلى الله عليه وآله فيه تعظيم وتكريم واعزاز وتقدير ، بعد ان اوشك ان يلوثه النفعيون والانتهازيون والحاقدون المتصيدون

في الماء العكر ، مثـــل ابن شعبة والهريري ومن اقتفى اثرهما من الأوائل والأواخر ، ممن أدمى نواظرهم وقلوبهم مجد بني هاشم الأصيـل وعزتهم المجيدة اللذان قد اصبحا حديث التاريخ والأجيال ، الأمر الذي ادى بأولئك وهؤلاء ان يتنكروا للهاشميين الأطهار ، فيقلبوا لهم ظهر المجن محاولين تشويه تاريخهم الناصع وسمعتهم الكريمة ، فعملوا ماوسعهم ان يعملوا جادين في اخفاء نور الله المودع في اصلابهم تكريمـاً لهم ، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، فقيض الله للقيام بوجه اولئك المنـــافقين بوجه عام جماعة من ابطال العلم وجملة من محدثي الاسلام ، فوثبوا عليه وثبـة الأسد الشبـل ، ونهضوا الى اكاذيبهم ومفترياتهم نهضة الليث الهصور ، فأبادوها وفندوها ببليغ البيان وقوي الحجة والبرهان ، فلله درهم وعليه تعالى جزاؤهم يوم يردون عليه وعليهم بهاء نصرة الحق وانوار الدعوة الى الدين والعدل ، وعندئذ يجدون ما اعده الله للصادقين المخاصين المقدرين للرسول والحافظين فيه آباءه وآله من النعيم المقيم في الفردوس الأعلى ، كما يجدون تقدير النبي وشفاعته يوم لاتنفع فيه شفاعة الشافعين ، يوم لاينفع فيه المال والبنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، موال لآل البيت قد حفـظ النبي صلى الله عليه وآله في آبائه وذريته .

نعم وايم الله حـــاول اولئك الأفـــذاذ أمراً ارضوا به الله ورسوله والمسلمين الأماجد ، كما هو تجنب لما من شأنه ان يؤذي النبي من نسبة الكفر الى آبائه واجداده واسرته الكريمة ، الأسرة التي قد رفـع الله شأنها واظهر للعالم كرامتها ومنزلتها ، كما نزهها عن درن الجاهلية ودنس الوثنية ، فهم السادة الأبرار والمصطفون الأخيار من لدن آدم وحتى عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب صلوات الله عليهم اجمعين .

وهذه هي نظرة الامامية بالنسبة الى الأسرة الطاهرة من الصدر الأول ،

وحتى يومنا هذا ، والى أن يقوم الناس لرب العالمين ، والى ان يردوا على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم فرحون مستبشرون بولائهم له ولآله وآبائه ، الآباء الذين كانوا الوعاء المبارك له صلى الله عليه وآله.
وتلك مؤلفاتهم الضخمة ومدوناتهم القيمة مشحونة بالأدلة والبراهين على طهارتهم ونزاهتهم اجمعين ، ولا سيما العم الكريم ابي طالب حامي الرسول وكافله رضوان الله عليه .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ان الامامية قد دلها التتبع والاستقراء لتاريخ ماقبل الاسلام على اليقين بأن بني هاشم ـ وخصوصاً زعيمهم ابا طالب ـ لم يسجدوا لصنم قط ولا لوثن اصلا ، ولوكان ثمة نوع من هـذا اللون لظهر ولتناقله التاريخ كما نقله عن غير الهاشميين من القبائل العربية والقرشية ، ولنوهت عن المعبود الذي كان يخص الهاشميين والعياذ بالله .

بل لعل التاريخ والحقائق والوثائق تعطي العكس ، تعطي أن لاعلاقة لهم الا بالله عز وجل ولا اعتماد لهم الا عليه . وقد عرفت بما لامزيد عليه أن جد النبي عبد المطلب وعمه ابا طالب تقصدهما الناس للاستسقاء وعند الشدائد فيفرج الله بواسطته عنهم ويكشف عنهم الضر والبلوى ، وما ذلك منه تعالى إلا لعلمه بأنهم من المؤمنين الموحدين المخلصين ، وإلا لاستحال عليه ان يجري الخير والكرامة على ايدي الكافرين والمشركين .

هذا مضافاً الى مانص عليه المؤرخون ـ ومنهم المسعودي في مروج الذهب ـ من أن عبد المطلب رضي الله عنه هو اول شخصية تقدمت الى جعل ابواب الكعبة ذهباً مرصعاً بالأحجار الكريمة من خالص امواله ، كل ذلك تعظيما لشعائر الله ربه ورب آبائه الأولين ، في الظرف الذي كان فيه الناس ـ ولا سيا العرب بصورة عامة ـ تبذل قصارى جهودها واهم طاقاتها وامكاناتها على تشييد الأصنام وزخرفتها وتطعيمها بالمجوهرات والحلي والحلل

لتظهر للرأي العام بالمنظر الجذاب والمظهر الطيب الخلاب .

وأما عم النبي ابو طالب فقــد لازم خدمة الكعبــة ومداراة البيت الحرام ، وحارب ماعلى سطحها من أوثان وأحجار ، ودعا الى الله وحده ، وكان متى مادهمته داهمة أو اصابته كارثة لاذ بفنائها واستجار بحماها ، فلا ينكفئ حتى يعطيه الله مايريد .

بل زاد على ما كان عليه ابوه الكريم ، فنصر النبي وخدمه ووازره وحماه ووقاه بنفسه وولده ، ثم بأسرته وعشيرته ، وهكـذا الى آخر لحظة من حياته .

قال السيد في الحجة والنقدي في المواهب : ولعم النبي الكريم هـذه المقطوعة :

ألا قــل لعمرو والوليـد ومطعم	ألا ليت حظي من حياطتكم بكر
من الخور حبحـاب كثير رغاؤه	يرش عـلى الساقين من بوله قطر
تخلف خلف الورد ليس بلا حق	اذا ما عــلا الفيفاء قيل له وبر
نرى اخوينــا من ابينــا وامنــا	اذا سئــــلا قالا لغيرنا الامر
بلى لهمـا امر ولكن تجرجمـا	كما جرجمت من رأس ذي علق صخر
همــا غمزا للقوم في أخويهمـا	فقـد أصبحت منهم اكفهم صفر
وتيم ومخزوم وزهرة منهم	وكانوا لنــا مولى اذا بغي النصر
فوالله لاتنفعك منــــا عـــداوة	ولا منهم ما كان لنــا منهم شفر
فقد سفهت احــلامهم وعقولهم	وكانوا كجفر بئس ماصنعت جفر
وما ذاك الا سؤدد خصنــا به	رب العبـاد واصطفــانا له الفخر
رجــال تمادوا حاسدين وبغضة	لاهــل العــلى فبينهم ابــداً وتر
وليــد ابوه كان عبداً لجــدنا	الى علجة زرقاء حال بهـا البحر

تربص ابو طالب بهذه الأبيات اجتماع قريش في الندوة ، فألقاها على

مسامعهم والحماس والاستئساد باديان عليه .

كما يظهر انه من جملة ما كان يحاوله أنه اهاب بآباء رسول الله صلى الله عليه وآله وتذكير الناس بزعامة بني هاشم المستمدة من اقدم العصور وسالف الزمان ، ثم تعريفهم بأن محمداً صلى الله عليه وآله هو النتيجة الطيبة لأولئك السادة الأكارم ، كما هو المصطفى من السماء والمرتضى من البرية ، كما ندد بقريش بصورة خـــاصة وبالمجموعة العربية بصورة عـــامة ، حيث ابتعدتا عن روحانية عبادة الله وتجنبتا حلاوة التقرب من رسول الله وعزة النبوة ، فتظاهرتا مع العدو وعاونتـــا من كانوا عبيداً لهما ، فلبئس المولى ولبئس العشير ، ولبئس ماقدمت لهم ايديهم أن سخط الله عليهم وهم في العذاب مشتركون .

قال العلامة الدينوري في نهاية الطلب والحجة الأميني في الغدير ٧ / ٣٤٨ : ان النبي صلى الله عليه وآله حين امره الله باظهار النبوة والقيـام بمهمة الدعوة الالهية ترجح لديه ان يقصد عمه العباس بن عبد المطلب ليعلمه الحال ويوقفه على جلية الأمر وترشيح الله عز وجل له بالنبوة والسفارة ، وما ان عرف العباس ماعنـــده وما يهمه ابدى له رأيه وان يقصد عمه أبا طالب لأنه كبير آل عبد المطلب وزعيم بني هاشم والشخصية المهابة في ارجاء مكة ، وكان من جملة ماقاله : الرأي عندي يابن الأخ أن تقصده بما يهمك تجد منه مايسرك من المؤازرة والمعاونة وكف الأذى عنك ، وإلا لم يخذلك ولم يتخل عنك ابداً ، وكل من الأمرين في صالحك .

فاستصوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرأي واستملحه ، فنهض من مجلس عمه العباس وتوجه الى عمه شيخ الأبطـــح ، فأطلعه على ماعنده وافهمه بكل شيء ، حتى اذا فرغ من حديثه فما كان من ابي طالب الا أن نهض مستبسلا فتقلد سيفه واخذ بيـد النبي واخرجه الى الندوة ـــ

وكانت مكتضة بالناس ـــ فأوقفه على رؤوس القوم ؛ ثم خطب المجتمع وقال فيما قال : اي محمد يابن ابي تكلم بما احببت وقل ماشئت واظهر مابدى لك ، فانك الرفيع كعباً والمنيع حزباً والأعلى اباً وجداً ، فوالله لايسلقك لسان إلا سلقته ألسن حداد شداد واجتذبته سيوف حداد ، فوالله يامحمد لتذل لك العرب ذل البهم لحاضنها ، ثم اعلم يابن اخي لقد كان ابي عبد المطلب يقرأ الكتب جميعاً فعرف منها عظيم مقامك وكبير منزلتك وما سيظهره الله على يديك ، وقـــد اخبرني بكل ذلك ، كما وقد اخبرني في اكثر من مرة أنه سيخرج الله تعالى من صلبه النبي الموعود لهذه الأمة ، كما قال لي : ياأبا طالب كم وددت اني ادرك زمن نبوته لأسلم له أمري واؤمن به ، فمن ادركه منكم فليؤمن به ولينصره على اعدائه .

وقال ابن هشام في سيرته ٢ / ١٧ : إن حياة ابي طالب كلها مواقف مشرفة ، حياة جهاد في سبيل الله ، حياة محاماة عن رسول الله ، حيـــاة مملوءة بالخدمات الجليلة ، حيـــاة تشف عن ايمان صادق وتدين بالشريعة لايعرفان التكتم ولا يقفان موقف المتستر المجامل ، ومن ذلك موقفه في قوله الذي انشأه على ملأ من الناس وفي المجتمع العام في الندوة وهو آخـذ بيـد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

ألا ان خير الناس نفساً ووالداً	اذا عـد سادات البرية أحمـــد
نبي الاله والـــكريم بأصلـــه	واخلاقه وهو الرشيـــد المؤيد
جري على جلّى الخطوب كأنه	شهـــاب بكفي قابس يتوقـــد
من الأكـــرمين لوي بن غالب	على وجهه يسقى الغمام ويسعد
كثير رماد سيـــد وابن سيـــد	يحض على مقري الضيوف ويحشد
ويبني لأولاد العشـــيرة سؤدداً	اذا نحن طفنا في البلاد ويمهد

ومن جملة ذلك ايضاً قوله :

زعمت قريش أن احمـد ساحر كذبوا ورب الراقصات الى الحرم
مازلت اعرفه بصـدق حديثه وهو الأمين على النفائس والحرم

ومن ذلك ايضاً قوله :

نحن وهـذا النبي ننصره نضرب عنه العدو بالشهب

* * *

أقول : لست ادري ولا المنجم يدري مع هذه الوثائق الصارخة والمستندات العانية والهتافات المدوية كيف تستساغ نسبة المهات على الكفر الى عم النبي العظيم ابي طالب ، أو نسبة التكتم في الإيمان والتدين ، في حال أنه لو كان في ذلك الدور المظلم ثمة ايمان حقيقي ودين اصيل لايعتورهما شيء من التورية والتمويه لكانا ملازمين لأبي طالب وحده .

فهو فقط كان يحاكي بإيمانه ودينه ايمان ودين أهل الدرجات العالية وأهل العلم واليقين ، وايمان الأولياء المخلصين .

ايمان من لاتأخذه في الله عز وجل لومة لائم ، ولا وعيد متوعد ، أو إرهاب قوة أو حكومة .

إيمان من طابق فيه سره اعلانه ، ووافق فيه ضميره بيانه ولسانه .

وسنوضح الأمر اكثر وننور الأفكار بما وقفنا عليه من مآثر عم النبي الزعيم ابي طالب الكريمة تحت عنوان (ابو طالب في بطون الكتب) .

ابو طالب في بطون الكتب

قال السيد ابن فخار في الحجة والقاضي في المواهب والخنيزي في مؤمن قريش : قيل لتأبط شراً الشاعر الشهير : من سيد العرب ؟ فقال : سيد العرب اجمعين ابو طالب بن عبد المطلب .

وقيل للأحنف بن قيس التميمي : من اي شخص قد تعلمت الحكمة واقتبست المعارف ؟ فقال : تعلمت ذلك ودرسته على يد حكيم عصره وحليم دهره قيس بن عاصم المنقري .

وقيل لعاصم هذا : علم من رأيت فتعلمت وحلم من رأيت فتحلمت ؟ قال عاصم : تعلمته من الحكيم الذي لم تنفد حكمته قط اكثم بن صيفي .

وقيل لأكثم : ممن تعلمت الحكمة والرياسة والحكم والسياسة ؟ فقال : اخذت ذلك عن حليف الحلم والأدب ونبراس المجد والكرم سيد العرب والعجم ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

وقال القاضي والكراجكي : قيل لأكثم بن صيفي – وكان من المعمرين كما كان حكيم العرب على الاطلاق – : انك لأعلم اهل زمانك واحكمهم واعقلهم واحلمهم ، فقال : ولم لااكون كذلك وقد جالست الشيخ ابا طالب دهره ، وعبد المطلب دهره ، وهاشماً دهره ، وعبد مناف دهره ، وقصياً دهره . وكل هؤلاء سادات وابناء سادات ، فتخلقت بأخلاقهم وتعلمت من علمهم وحلمهم واقتبست من سؤددهم واتبعت آثارهم .

ونقل بعض المؤرخين ومنهم ابن الجوزي في تاريخه بطريقه الى مجاهد عن

ابن عبـاس انه قال : لما تكثرت البشـائر ابان ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنبوته وتكررت التنبوآت ببعثته قال الزعيم عبد المطلب لابنه ابي طالب : اسمعت مايقوله هؤلاء في محمد يابني ؟ قال : نعم . فقال عبد المطلب : ياابا طالب احتفظ بمحمد فان له مقاماً رفيعاً وشأناً عظيما ، وما اظنه إلا ان يكون نبي هذه الامة . وقد قام ابو طالب بكل متطلبات أبيـه وزاد .

وتحدث ابن شاذان في مناقبه عن ابن عباس عن ابي طـالب رضي الله عنهم اجمعين أنه قال : قال ابو طـالب ذات يوم للعباس اخيه : ألا اخبرك ياعباس عن ابن اخي محمد ؟ قال العباس : نعم يااخي حدثني عن ابن اخي محمد . فقال : اعلم ياعباس اني لازمت محمداً ملازمة كلية فـلم افارقه ابداً لافي ليل ولا في نهار ، لاأئتمن عليه احداً لامن قريب ولا من بعيد حتى صرت انيمه معي في فراشي ، فـلاحظت ذات ليلة فرأيت انه يضرب بيني وبينه ستر تفوح منـه روائح المسك والعنبر ، فاذا أصبحنا لم اجد الستر ، وقد انتبهت ليلة من الليالي لم اجـد محمداً معي ، فارتعبت للمفاجئة وارتعت للحادث ، فقمت مضطرباً مألوماً وإذا به من حولي وهو يقول : هاانا حاضر حولك ياعم . وكان في اغلب الأوقات يقصد بئر زمزم فيشرب من مائهـا ، كما شاهدته ليلا يصلي كثيراً ثم يقرأ مانزل عليه من القرآن الكريم . .

وذكر القاضي نور الله في تفسيره عن ابي طالب انه قال : ماكـنا نعرف التسمية على الطعام حتى رأينا محمداً يبتدىء بالطعام والشراب بها ، واذا فرغ قال « الحمد لله رب العالمين » فالتزمنا ذلك وصار عملنا عـلى الابتداء بالبسملة والختام بالحمد ، فرأينا توفر الخيرات وتكثر البركات .

ونقل القاضي في المواهب ص ٤٥ عن ابي طالب انه قال : كنت

اشاهد من ابن اخي محمد أنواراً تسطع الى عنان السماء ، كما اني لم اعثر على كذبة منه قط ، كما لم ار فيه شيئاً من وضر الجاهلية ابداً ، وما رأيته وقف على صبيان يلعبون في الطريق ابداً ، ولم يلتفت اليهم ابداً ، وكانت الوحدة والعزلة والانفراد لنفسه احب شيء اليه ، كما كان التواضع من خصائصه ومآثره . واتفق لليهود ان قالوا للمنافقين والمشركين من العرب وقريش : إنا وجدنا في كتبنا السماوية أن من صفات الأنبياء التي لايشاركهم فيها اي واحد من الناس أن يجنبهم الله اكل الحرام والمشتبهات ، ومحمد ابن عبد الله قد ادعى النبوة ، فاللازم اذاً اختباره وامتحانه .

فهيأوا مأدبة فخمة في دار واحد من زعماء قريش كان يتردد على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان من جملة الطعام دجاجة ميتة ، فدعي رسول الله لتلك الوليمة وجعلت الدجاجة الميتة امامه صلى الله عليه وآله ، وصار المدبرون لهذه المؤامرة يرقبونه عن كثب ليروا هل يمد يده الى تلك الدجاجة ، فلما رأوه منصرفاً عنها اوحوا الى شياطينهم ان يصروا عليه بالتناول منها ، فامتنع ابداً وقال : اني أرى انها ميتة واكلها حرام علي ، وقد صانني ربي عن مثل ذلك . فأخذوا يحلفون له أنها لم تكن كما يظن ، وهو يصر على انها ميتة ، واخيراً قالوا له : اذا لم تمتد اليها يدك فاسمح لنا نحن نلقمك منها شيئاً .

فقام بعضهم فتناول منها قطعة وكلما حاول أن يوصلها الى فم النبي ما استطاع ، فقام آخر وكل ما اراد ان يدني يده من فم النبي لاتصل يده اليه الى ان عجز ، وأخيراً انصرفوا عن الموضوع خوف الشياع ، وتكاشفوا فيما بينهم فقال بعضهم : إن محمداً هذا لساحر عظيم وكاهن خطير .

وفي المواهب ايضاً بسنده الى العباس بن عبد المطلب انه كان ابو طالب لايمكن اولاده ولا عائلته من الطعام لا في ليل ولا في نهار حتى يحضر

رسول الله صلى الله عليه وآله فيأكل معهم على المائدة ، معتقداً ان في حضوره معهم استدراراً للبركة وتوفراً للخير ، وفي خلاف ذلك ينقص عليهم طعامهم وان كان كثيراً ولا يكفيهم مطبوخهم وان كان وفيراً .

وتحدث صاحب الكافي بسنده الى جعفر بن اسماعيل عن ادريس بن السائب عن الامام الصادق عن ابيه الباقر عن ابيه علي بن الحسين عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب عليهم السلام انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مجلس ذكر فيه عمه ابو طالب ، فقال : لقد عق عني عمي ابو طالب عقيقة دعا اليها آل عبد المطلب ونفراً من قريش ، وبعد أن حضروا أحبوا أن يعرفوا المناسبة التي ادت إلى الايلام والاطعام ، قالوا : يااباطالب بأي مناسبة كانت وليمتك هذه ؟ قال : عقيقة وصدقة عققتها على شرف ابن اخي محمد وقد اختصصتكم بها دون غيركم من الناس. قالوا : ياسيد العرب ولماذا قد سميت ابن اخيك محمداً ؟ قال : ليحمده أهل السماء وأهل الأرض ـ وفي بعض النسخ لمحمدة أهل السماوات والأرض .

ونقل ابن هشام في السيرة ١ / ٣٧٨ كما جاء في البداية والنهاية ٣ / ٩٧ والغدير ٧ / ٣٦٤ ان ابا طالب انشأ ابياته التالية على جماهير قريش غير هياب ولا مكترث ، حاول فيها وصف النبي بما هو أهله ، كما امتدحه وحدث عن فضله وكرامته وبعثته ونبوته :

هو العالم المهدي في كل منسر	عظيم اللوا أمره الدهر يحمد
اذا قال قولا لايعاد لقوله	كوحي كتاب في صفيح يخلد
بجيش له من هاشم يتبعونه	يسددهم رب العلى ويؤيد
هم راجعوا سهل بن بيضاء راضيا	وكان امام العالمين محمد
تتابع فيها كل ليث كأنه	اذا مشى في رفرف الدرع اصرد
قضوا ماقضوا في ليلهم ثم اصبحوا	على مهل اذ سائر الناس رقد

سلوا من قريش كل كهل وأمرد وان قد بغانا اليوم كهل وامرد
متى شرك الاقوام في مجد قومنا وكنا قديماً قبلها نتودد
وكنا قديماً لانقر ظلامة وندرك ماشئنا ولا نتنشد
فيا لقصي هل لكم في نفوسكم وهل لكم فيما يجيء به الغد
واني واياكم كما قال قائل اليك بيان لو تكلمت أسود

وتحدث ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣ / ٣٢٠ ماملخصه : إن أبا طالب لم يكن حامياً ومدافعاً عن رسول الله فحسب ، بل كان يحامي ايضاً ويدافع عن كل انسان آمن بالله وصدق رسول الله في بعثته ورسالته فيما اذا قد اعتدى عليه الكفر وتعرض لايذائه الشرك ، ومن ذلك ثأره وانتصاره للصحابي الجليل عثمان بن مضعون ، حين تعرض له الطغاة من اليهود والمشركين ، فنصره ابو طالب واخذ بثأره بيده ولسانه فقال :

أمن تذكر دهر غير مأمون اصبحت مكتئباً ابكي لمحزون
أمن تذكر اقوام ذوي سفه يغشون بالظلم من يدعو الى الدين
ألا ترون اذل الله جمعكم انا غضبنا لعثمان بن مضعون
ونمنع الضيم من يبغي مضيمتنا بكل مطرد في الكف مسنون
ومرهفات كأن الملح خالطها يشفى بها الداء من هام المجانين
حتى تذل رجال لاحلوم لها بعد الصعوبة بالاسماح واللين
او يؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبي كموسى او كذى النون

ونقل المجلسي في البحار بسنده الى الامام الباقر عن آبائه عليهم السلام عن ابي طالب انه قال : لما اتى على رسول الله اثنان وعشرون شهراً من ولادته قد رمدت عيناه ، فقال لي ابي عبد المطلب : خذ ابن اخيك الى عراف الجحفة ليداوي عينه ، فامتثلت أمر أبي ، فحملت محمداً بعد أن غطيته بعباءتي عن حرارة الشمس ، فعرضته على الطبيب ، وبمجرد ان

نظره قال : ياابا طالب من يكون هذا وما هو منك ؟ قلت هو محمد بن عبد الله ابن اخي ، ولماذا كان سؤالك هذا ؟ قال : ياابا طالب إن محمداً هذا نبي هـــذا الزمان . قلت : وما دلالك على ذلك ؟ قال : اني ارى دلائل النبوة وعلامة الرسالة باديان عليه ، كما اني ارى نوراً يخرج من جبينه فيتصل بعنان السماء ، كما اسمع رفيف اجنحة الملائكة التي تحوم من حوله لاجل المحافظة عليه .

ثم قال : ياابا طالب اشهد علي أني اشهد ان لااله الا الله وان محمداً هذا رسول الله ، وانه هو النبي الذي بشرت به الكتب السماوية من قبل ، ياابا طالب احتفظ بمحمد وحـــافظ عليه بكل ماتستطيع من فتك اليهود وشرور الكفرة المجرمين .

قلت : ايها الحكيم انك لتحدثني عن شأن عظيم وامر خطير يكون لابن اخي محمد . فقال : اعلم ياابا طالب ان محمداً هذا أجل وارفع مكاناً وقداسة مما حدثتك به ، انصرف بابن اخيك ولا تمكن احداً من النظر اليه او الدنو منه ، وان عينيه سيشفيـــان قريباً انشاء الله . ياابا طالب ولقد قرأت في الكتب عندنا انك انت الذي ستتولى تربيته وكفالته ، وانت الذي تمنعه عن عدوه وعدو الله .

قال ابو طالب : ثم اخفيته تحت قبائي وجئت به الى ابي ، فنقلت له جميع ماوقع بيني وبين العراف جملة وتفصيلا ، فقال لي ابي : وانا يابني اعرف ذلك وارقبه من قبل ان يبوح به الحكيم ويعرفك به ، فيلزمك ياابا طالب ان تكتم الأمر وان تخفيــه حتى يقضي الله امراً كان مفعولا وحتى يظهر امر الله في محمد ، فوالله ياابا طالب مايموت محمد حتى يسود العالم بأسره أعاجماً وعرباً .

وقال صاحب البحار أيضاً : لما سافر رسول الله صلى الله عليه وآله

متاجراً الى الشام بترجيح من عمه ابي طالب كان في القافلة المتوجهة آنذاك جماعة من شخصيات قريش ، منهم عبد مناف بن كنانة ونوفل بن معاوية وهما ممن اوصاهما ابو طالب برسول الله ، كما حثهما على مداراته وخدمته ، وفعلا قاما بوصية ابي طالب تماماً حتى وصلت القافلة الى الشام ، فتفرقت التجار تدور بسلعها وبضائعها ، فكان عبد مناف ونوفل مصطحبين ، اذ صادفهما في بعض الطريق ابو المويهب - وهو راهب كبير وعالم شهير - فاستوقفهما واخذ يسألهما وقال فيما قال : من اي مكان انتما ؟ قالا : نحن من مكة ومن قريش . قال : من اي قريش لأن قريشاً تنشق الى فروع وطوائف . فأجاباه على الشيء الذي يحاول التعرف عليه . ثم قال : هل من بني هاشم في القافلة معكم ؟ قالا : نعم معنا فتى من بني هاشم اسمه محمد . قال : نعم هو مقصدي ، وهو الشخص الذي اردت التعرف عليه والوقوف على احواله . قالا : ان هذا الانسان لم يكن في قريش اخمل منه ذكراً ولا اوطأ منه شخصية ، ولا يعرف إلا بيتيم ابي طالب ، كما هو فعلا اجير لامرأة منا تعرف بخديجة بنت خويلد ، فإنه جاء متاجراً بأموالها . قال : مهما يكن من امر اني اريد منكما مواجهته ومقابلته . قالا : ماحاجتك اليه ؟ فأخذ يحرك شفتيه وهو يقول : هو هو والمسيح بن مريم ، اني ارجوكما ان تدلاني عليه ؛ فبينما هم كذلك اذ يطلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه كأنه القمر المنير ، اذ تركهما الراهب وقصد النبي فأهوى على يديه ورجليه يقبل يديه ويلثم رجليه ، ثم توجه الى الرجلين فقال : اسمعا مني ماأقوله لكما ، ان محمداً هذا والله نبي هذا الزمان ، وسيخرج عما قريب وسيدعو الناس الى شهادة ان لاإله الا الله وانه رسول الله فاتبعوه ولا تعصوا له امراً .

ثم قال لهما : هل ولد لعمه ابي طالب ولد سمي بعلي ؟ قالا : لا .

فقال : اما ان يكون قد ولد أو سيولد عما قريب ، وهو أول من يؤمن بمحمد ويصدقه على دعواه ، هكذا وجدنا في كتبنا ، كما وجدنا ان علي ابن ابي طالب سيكون سيد العرب بعد محمد ابن عمه ، كما هو رباني هذه الأمة وذو قرنيها ، يعطي السيف حقه ، اسمه في الملأ الأعلى علي ، كما هو أعلى الخلائق درجة يوم القيامة بعد محمد ، ويعرف عند الملائكة بالبطل الأزهر ، كما هو اكثر معرفة عند أهل السماء من الشمس الطالعة .

ثم انصرف الراهب وعاد الرجلان الى قافلتهما وهما في سبات عميق وفكر متواصل ، وهكذا الى ان وصلت القافلة الى مكة واجتمع عبد مناف ونوفل بأبي طالب فنقلا له ماالقياه من الراهب ، فقال ابو طالب : واني والله اعرف ذلك عن ابي عبد المطلب ، وانا في ترقب للأمر وعلى استعداد لتلقي ماسيجيء به عن ربه ، كما انا على استعداد لمناصرته ومؤازرته مهما كانت المخالفات من الشدة والصعوبة .

وفي دائرة المعارف الاسلامية في ترجمة ابي طالب ١ / ٣٦١ : ابو طالب عبد مناف بن عبد المطلب عم النبي ، وهو الذي كفل ابن اخيه اليتيم عند وفاة جده عبد المطلب ـ الى ان يقول ـ : وعندما بدأ أهل مكة يضطهدون النبي لمهاجمته عقائدهم ناصره ابو طالب بصفته رب الأسرة ، ورفض ان يتخلى عنه أبداً ، كما رفض ان يتخلى عن القيام بهذا الواجب الأبوي رغم اعتراض المكيين واحتجاجهم ، وحذا حذوه بنو هاشم عدى ابي لهب .

ولما اعلن القرشيون اقصاء ابي طالب وبني هاشم عن المجتمع المكي اعتكفوا في حيهم في شعب ابي طالب ، وعاشوا هناك مضطهدين كل الاضطهاد ومدة من الزمن ، ولذلك نجد ان النبي خسر خسارة عظيمة بموت عمه المخلص ابي طالب قبل هجرته الى المدينة بثلاث سنوات وبعد بعثته بعشر سنين .

وليس عجيباً ان تجعل الروايات من ابي طالب مادة لها ، فهو الرجل الذي كان على صلة وثيقة بالنبي ، كما وهو يعرف عنه الشيء الكثير .

ونقل السيد الموسوي في الحجة ص ٢٢٦ كما نقل صاحب ذخائر العقبى ص ٢٤٠ قال ابو طالب يهجو قريشاً ويندد بأعمالهم المجرمة ويحذرهم مغبة تماديهم في الغي والضلال ونتائج تخلفهم عن شريعة رسول الله ومناوئتها بمحضر منهم :

تطاول ليلي لأمر نصب ... ودمع كسح السقاء السرب
للعب قصي بأحلامها ... وهل يرجع الحلم بعد اللعب
وقالوا لأحمد انت امرؤ ... خلوف الحديث ضعيف السبب
وان كان أحمد قد جاءهم ... بصدق ولم يأتهم بالكذب
فيا لقصي الم تخبروا ... بما قد خلا من شؤون العرب
فرمتم بأحمد مارمتم ... على الاصرات وقرب النسب
فانى ومن حج من راكب ... وكعبة مكة ذات الحجب
تنالون أحمد او تصطلوا ... ظباة الرماح وحد القضب

وقال أيضاً :

خذوا حظكم من سلمنا ان حربنا ... اذا ضرستنا الحرب نار تسعر
فانا وایاکم على كل حالة ... لمثلان بل انتم الى الصلح افقر

وقال السيد في الحجة ص ٢٢٥ : لقد حكى لي الشيخ ابو الحسن علي ابن ابي المجد الواعظ الواسطي في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة حكاية مطبوعة قال فيها : كنت اروي ابيات ابي طالب التي انشأها على اثر التصاق الحجر بكفي ابي جهل حين هم ان يضرب به رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلي ، وكان يعجبني من الأبيات هذا البيت فأكثر ترداده :

بكف الذي قام في جنبه ... الى الصائن الصادق المتقي

فرأيت في منامي ذات ليلة رسول الله صلى الله عليه وآله في مكان موقور كأنه الجنة، وهو جالس على كرسي من زبرجدة خضراء والى جنبه كرسي آخر وعليه شيخ بهي وقور عليه سيماء الجلالة والعظمة نوره يأخذ بالأبصار ، فدنوت من رسول الله لأسلم عليه واتشرف بلثم يديه، وقلت : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك ياصفوة الله ورحمة الله وبركاته . فرد عليّ السلام وقال لي : سلم على عمي - واشار بيده المباركة الى الجالس من حوله - قلت : بأبي انت وامي يارسول الله أي اعمامك هو ؟ فقال : هو عمي ابو طالب الذي آواني صغيراً ووازرني كبيراً . فدنوت حينئذ منه وقلت : السلام عليك ياعم رسول الله ، فرد عليّ السلام ، ثم قبلت يديه وتبركت بحضرته . ثم تفطنت اني احفظ ابياته التي قالها على اثر التصاق الحجر بكف ابي جهل ، فقلت له : ياعم رسول الله اني احفظ أبياتك في قصة الحجر وأرغب أن أقرأهـا عليك لتصححها لي فيما اذا كان فيها شيء من الخلل . فقال : اقرأها عليّ ، فصرت انشده الى ان وصلت الى قوله :

بكف الذي قام في جنبه   الى الصائن الصادق المتقي

اذ يستوقفني رضي الله عنه ويطلب الي إعادة البيت ورسول الله مستبشر فرح للوضع ، فأعدته كما احفظ ، فقال : لم تكن روايتك للبيت صحيحة وعلى ماصدر مني ، بل الذي قد قلته كان هكذا :

بكف الذي قام في جنبه   الى الصابر الصادق المتقي

فاستيقظت معجباً بالرؤيا مرتاحاً لمشاهدتي رسول الله صلى الله عليه وآله وزيارة عمه الحامي والكافل ثم التصحيح المليح ، فعمدت الى مجموعتي التي كنت ألفتها وجمعت فيها كثيراً من الشعر العربي ولا سيما شعر ابي طالب الحامي ، فكتبت في المجموعة وتحت الأبيات الخاصة : اخبرني عم النبي

أبو طالب رضوان الله عليه بمحضر من رسول الله صلى الله عليه وآله انه قد قال هذا البيت بهذه الصورة :

بكف الذي قام في جنبه　　　الى الصابر الصادق المتقي

* * *

أقول : وسيجمع الله الخلق يوم القيامة فيوفي الصابرين اجرهم بغير حساب ، ويؤتي بعم رسول الله ابي طالب ونوره يسعى بين يديه ، فيزف الى الفردوس الأعلى والجنان العالية ، وعليه وقار الأنبياء وبهاء الأولياء والمجاهدين في سبيل الله وروحانية المحاماة عن رسول الله ، فيوضع له كرسي الى جانب النبي صلى الله عليه وآله الذي نافح وكافح من أجل دينه والحرص على سلامته ، وضحى في سبيل ذلك كل ما لديه من نفس ونفائس ، حتى علت كلمة الله فكانت هي العليا ، وظهر امر الله وولت دولة الأصنام وكانت هي السفلى ، وتحطمت فلول الوثنية على صخرة التوحيد الصلبة ، فينظر حينئذ الى ما اعده الله عز وجل له من المقام الكريم والدرجات الرفيعة ، ثم يتهافت المؤمنون على رسول الله يسلمون عليه زرافات ووحداناً ، وبطبيعة الحال أنه صلى الله عليه وآله يريد توقير عمه فيأمر المسلمين بالسلام عليه ، ولا بد للمسلمين من أن يمتثلوا أمر رسول الله فينثالون على ابي طالب مسلمين عليه ومهنئين له بمقامه العظيم .

ومن الطبيعي أن صاحب الرؤيا هو واحد من المسلمين إلا أنه يمتاز بأنه يعرف عم النبي ، لأنه قد رآه وعرفه ، وعليه تكون القضية قضية يقضة ووجدان لاقضية رؤيا وأحلام ان كنا نؤمن بيوم الحساب .

أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لاترجعون .

قال العلامة البحاثة الشيخ عبد الواحد المظفر : ان عم النبي العظيم الزعيم ابا طالب هو بطل حركة رسول الله ، كما هو بطل المحاماة عنه صلى

الله عليه وآله ، كما هو بطل بكل معنى البطولة وبكل مفاهيمها ، اذ نحن اذا تصورنا البطولة تصوراً عميقاً ودقيقاً وفحصنا الشخصيات فحصاً عاماً وشاملا ـ باستثناء شخصيات الأنبياء والمبعوثين بالرسالة الالهية ـ وتصورنا البطل من واجهة كونه مفكراً وعبقرياً ، أو من زاوية كونه قائداً باسلا ، او من حيث كونه شجاعاً لايعرف التقهقر ولا الخور ـ كما هو المعنى الحقيقي للبطل ـ او من حيث كونه زعيما عظيما ، او من حيث كونه جواداً كريماً ، او من حيث كونه شاعراً وأديباً ـ كما ذهب الى ذلك كارليل الانجليزي في كتابه الأبطال ـ او من حيث كونه عالماً محيطاً ، او من حيث كونه نجيبا ومنجباً للأشبال . . . الى غير ذلك من صفات المجد والكمال وسمات العظمة والجلال التي هي من لوازم الأبطال وخصائص البطولة ، اتضح لنا جيداً وبصورة تعكس الواقع كما هو أن البطل الجامع لكل المستلزمات والمتصف بكل المتطلبات يكاد يكون معدوماً ، أو على تقدير أن يوجد فعلى ندرة . نعم مايوجد في الخارج فهو الحائز على بعض من تلك المزايا وهاتيك الخلال .

وعليه فعم النبي ابو طالب من اولئك الأفراد النادري الوجود ، والذين قلّ أن تنجب الانسانية لهم نظيراً ومثيلا في دنيا الوجود ، فهو كما اسلفنا بطل بكل ما للبطل من معنى ، وبطل بكل ما للبطل من مفاهيم متآلفة كانت او متباينة ، فهو حليم شديد ، عظيم متواضع ، كبير صغير ، نبيه متغافل ، قوي ضعيف ، متحرك ساكن ، شجاع يحترم الدماء ويبتعد عن ارهاب الناس واشاعة الهلع والاضطراب فيهم . الى غير ذلك من متنافر الصفات ومتباين الطباع .

ولا يقال : ليس من الممكن أن يكون الفرد الواحد مجمعاً للمتناقضات ومركزاً للمتنافرات والمتباينات ، لاستحالة اجتماع النقيضين على مائدة واحدة وبساط واحد .

لأنا نقول : نعم من المستحيل اجتماع الأضداد ، وليس من المعقول تآلف المتباينات ، ولكن حيث تجتمع على المعنون من واجهة واحدة وتحاول احتلاله من زاوية متحدة ، أما اذا كان عروضها على المعنون من جهات وحيثيات وزوايا متعددة فهو بمكان من الامكان ، كما وقع ذلك في الشريعة وصادف بالنسبة الى الأحكام الاسلامية ، واتفق بالنسبة الى عم النبي الكريم ابي طالب . فحياته رضي الله عنه مليئة بالمتضادات حافلة بالمتناقضات ، كما وهي حياة جهاد ونضال عنيفين ، تدور رحاهما بين حق وباطل ، بين توحيد وشرك ، بين عدل وجور ، بين خشوع وجبروت ، بين قوى الخير وقوى الشر .

فهو رضي الله عنه المبدأ لقوة الحركة الاصلاحية ، والمصدر لتسيير قافلة النبي صلى الله عليه وآله ، كما ان اعتقاده بأهميتها وشعوره بمسؤوليتها كان عاملا قوياً ومن اهم العوامل والبواعث على دعمه رسالة السماء ودعوة التوحيد الهادفين الى اعلاء كلمة الله القدير واسعاد البشرية جمعاء في حياتيها المادية والروحية ، كما وهما الحجر الأساس الى تحرير المجموعة الانسانية من اوضار الجاهلية في البيئة المتمردة على الأخلاق والمثل العليا النبيلة والطاغية على الصراط السوي المستقيم .

ومن هنا وهناك شعر ابو طالب بضرورة معاونة رسول الله صلى الله عليه وآله ولزوم مؤازرته والوقوف معه جنباً الى جنب في جميع الأحوال والتطورات ، حتى يتسنى له القيام بكل هدوء واطمئنان بالمسؤولية التي ألقيت على عاتقه ، وحتى يستطيع اداء مهمته كما تريد السماء ، وحتى يحصل ابو طالب على فضيلة الرجل المجاهد وكرامة المحاماة عن رسول الله والناصر لنبوته .

ولهذه الأغراض فقط كان رضوان الله عليه يهتف نثراً مرة وشعراً

مرة اخرى يحرض النبي صلى الله عليه وآله، يحرضه على الاسترسال في امره والاستبسال في واجبه .

فاصدع بما تؤمر ماعليك غضاضة ولقد صدقت وثم كنت أمينـا

أما انه رضي الله عنه بطل بصورة سياسي محنك ، فانه استطاع ان يخضع الأقوام المختلفي الطباع المتباينى العقائد ، فيجمعهم على بساط واحد ، ويجلسهم على مائدة واحدة ، ويجعلهم اخواناً متراصين متكاتفين ، فيكون منهم كتلة قوية ومجموعة قهارة ، بأمكانها أن تقاوم التكتلات الكافرة ، وتقف في وجه التيارات المشركة . كما سخرها للدفاع عن الدين ، والجهاد في سبيل الحق المبين ، والذود عن حياض الاسلام الأغر . ثم تفادي رسول الله صلى الله عليه وآله بكل معاني المفاداة ...

كل ذلك بفضل تدبره للأمور ، ودراسته العميقة للأحداث ، ومعرفته الكبيرة بالطرق والأساليب التي يمكنه ان يصل الى مايريد من نواحيهـا ونوافـذها ، فيستولي على أحاسيس الناس ومشاعرهم من دون أن يلتجيء الى طرق شائكة وملتوية ، ربما لاتكون حميدة العاقبة سليمة النتائج .

وبهـذه السياسة الحكيمة والفراسة القويمة تمكن ابو طالب ان يقضي على السيول الجارفة من المؤامرات والحركات المشركة ، كما استطاع القضاء على النعرات القبلية والطبقية ، فنجده مرة يثير بني هاشم ويشجعهم عـلى الاسلام ثم التزام جانب النبي وحمايته ، ونجده مرة يتوسع في الأمر فيذكر العرب وقريشاً بما لرسول الله صلى الله عليه وآله من الشرف العظيم والمجد الرفيع من قديم الزمن وسالف الدهور ، وما لآبائه الغر الميامين من الأيادي البيضاء على قريش بصورة خاصة ، الأمر الذي يحتم عليهم بطبيعته الانصياع الى النبي والخضوع له ، ثم اتباعه فيما تنبأ به واقتفاء اثره ، ثم مواساته في محنه وشدائده .

وقد وجد رضي الله عنه ان أثمرت سياسته واينعت أفكاره وفراسته ، فوجد النبي وقد أحاط بحضرته الفدائيون والمخلصون من هاشميين وغير هاشميين يفدونه بكل غال ونفيس ، ويواسونه في السراء والضراء .

* * *

أما انه رضوان الله عليه بطل بصورة مفكر عبقري وفيلسوف ألمعي ، فالواقع والوجدان يشهدان له بذلك ، ولكن لايراد بالمفكر والفلسفي همـا صاحبا التخيلات الفارغة والتي لاترجع الى معنى معقول ومقبول ، التخيلات والتصورات الجوفاء التي هي ربما تكون كل مافي خزانـة بعض المفكرين والفـلاسفة ، بل ابو طالب مفكر عبقري وفيلسوف ألمعي يبني على اساس من الدراسة الصحيحة ، والإمعان في الحقائق ، والخوض في غمرات الأحداث ، والغور في أعماق الوقائع ، ثم تصور العواقب وترتيب أقيسة النتـائج ، ثم تعبيد الطرق للحصول الى الغاية الحميدة والمقصد الكريم ، من دون ماخسارة بالأموال والأرواح ، وتضحية بالعزيز والممتلكات .

فبهذه السياسة والحنكة اعلن ابو طالب الحرب على الصهاينة والمشركين وقاوم الأوثان وحطم الأصنام والجاهلية . . .

بهذا وامثاله قدر للزعيم الهاشمي ابي طالب ان يفلح وينجح وينصر رسول الله ويصدقه في جميـع المقال والدعوى ، واخيراً يتغلب على كافة العقبات ويقضي على جميع المؤامرات الحاقدة ، الأمر الذي اضطر المشركين ان يعملوا ويعملوا ليل نهار جادين جاهـدين ، يحاولون ويحاولون فصل ابي طالب عن ابن اخيه ، ثم لينفذوا فيه مآربهم وليقفوا صفـاً واحداً ، ثائرين لكرامة أوثانهم المحطمة وأصنامهم المبعثرة المهانة .

وما دروا أنهم يحاولون المستحيل ، وما علموا أن اباطالب لايمكن أن يتخلى عن رسول الله أبداً ، لأنه رضي الله عنه كان يرى ان الانفصال

عن محمد أو الابتعاد عنه انفصال عن دينه وعقيدته ، وابتعاد عن ربه ورب آبائه الأولين ، الرب الذي خدم بيته طوال حياته وخدم زواره وحجاجه زهاء نصف قرن ، وأخيراً هو ابتعاد عن الرسول الذي ثبتت نبوته بالأدلة القطعية والبراهين القوية ، والتي شاهدها بذاته ووقف على بعضها بنفسه وأعرب عنها بلسانه :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

الى أن يقول :

ولقد علمت بأن دين محمدٍ من خير أديان البرية دينا

* * *

اما بطولته رضي الله عنه بصورة قائد مظفر فهي لاتعني كونه بطلا مفتول الساعدين ، عبل الذراعين ، عريض مابين المنكبين ، متكون من عدد مناسب من السنتمترات فحسب . . بل تعني اكثر ماتعني تحقيق عناوين الفوز والانتصار والغلبة والظفر ، ثم بفضل الحزم والتدبير والتروي والتفكير الاستيلاء على مخيمات العدو واحتلال مناطقه الخطرة ، وما تحتوي عليه المعسكرات من قوة وعتاد وسلاح وذخائر .

وبالنظر الى هذه القيادة الرشيدة المتمثلة في ابي طالب أصر الكنانيون عليه ان يقودهم الى معركتهم مع القيسيين ، وبعد أن اجابهم الى ذلك لمسوا منه حسن الادارة للجيش وحسن القيادة للجند ، وكلما كان هو قائدهم كان النصر حليفهم والفوز معهم . . وهكذا في كل خروجه معهم .

* * *

أما انه بطل بصورة زعيم فهو زعيم بكل معنى الكلمة ، وزعيم بجدارة واستحقاق .

فالزعيم في عرف الحكومات والدول هو القائد لقطعة من الجيش

تحتوي على ثلاثة أفواج ، والفوج يتألف من ألف جندي .

والزعيم في عرف العرب هو رئيس القبيلة وقائدها ، والحاكم بينها في خصوماتها ولسانها المعبر عن آلامها وآمالها لدى السلطة الحاكمة ، أو لدى القبائل الأخرى .

وعلى جميع التقادير كان ابو طالب زعيم قريش ، ورئيس مكة ، واعظم قائد محنك خبرته الحوادث وجربته الوقائع .

وقد تقدم مانقلناه عن التاريخ وعن مروج الذهب بالخصوص قيادته للكنانيين في حروبهم مع القيسيين ، وكان جيش كنانة يتألف من عشرات الآلاف من الجند .

هذا بالاضافة الى ما كان يتمتع به الزعيم الهاشمي من لوازم الزعامة ومقتضياتها : من كرم نفسي ، وتصاغر للناس ، وتعاهد لقضاء الحوائج مهما كلفه الأمر من خسارة مادية أو تعب ومشقة بدنيين .

نعم قد تتوقف اموره المادية احياناً فيضطر الى الاستدانة من اخيه العباس بن عبد المطلب ، وهذا قد يتفق حتى للحكومات الكبرى ، فانها قد تستدين احياناً من حكومة اخرى في ظروف استثنائية واوقات خاصة ، فلا يضر في زعامة ابي طالب اذاً أن يحتاج الى الاستدانة من العباس اخيه .

ولا يصغى لما نقله البعض من المؤرخين ان ابا طالب كان فقيراً لامال له ، وما ساد فقير قط الا ابو طالب ، والحال ان التاريخ هو الذي كان ينقل ان ابا طالب كان كريماً جواداً ، وقد انسى كرمه وجوده كرم كل كريم حتى كرم حاتم وجوده ، ومن يكون على هذه الشاكلة كيف يكون فقيراً لامال له ؟ ! .

أقول : ولا ينهض دليلا على تأزم حالة ابي طالب الاقتصادية وفقره عملية الرسول معه ، حيث جاء اليه بعمه العباس ليأخذ منه بعض عائلته

تخفيفاً عليه وتقليلا لمصارفه المتكثرة ، بل انما كان ذلك من النبي وعمه العباس لغاية اسمى وارفع واجل وامنع لاحظها رسول الله صلى الله عليه وآله من زاوية التخفيف عن ابي طالب المثقـل بعبء العائلة الضخمة ، والأضياف الذين ليس لهم انقطاع ، والحجاج المتكثرين : بل كانت الغاية هي ان يظم علي بن ابي طـالب اليه ويضيفه الى عائلته ليتولى تربيتـه وتثقيفه وتعليمه وتأديبه ايظهر للعالم وهو اكمل انسان وافضـل شخصية بعد شخصية النبي المباركة ، وفعلا وبهذه الواسطة ظهر علي كذلك على مسرح الدنيا ، وهو اجل انسان بعد النبي صلى الله عليه وآله .

فحيازة النبي لعلي لما يعلمه من انه هو خيرة الله وحجته من بعده أولا وحفظاً لعمه ابي طالب فيه ثانياً . ولهذا وذاك كان الاختصاص منه صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام ، وإلا فأبو طالب كان كريماً يهب الألوف ويعطي عطاء من لايخاف الفقر ، كما كان مأوى الضيوف والوفود والحجاج .

وعليه كيف يمكن ان يكون فقيراً ومعدماً حتى يقال فيه انه « ماساد فقير قط الا ابو طالب » ؟

ومن يمعن النظر ويتصور قضية التخفيف بدقة يجد ان سحب الشخص الواحد او الشخصين عن ابي طالب لايؤثر التخفيف ابداً ، اذاً لابد وان تكون عملية النبي صلى الله عليه وآله ناظرة لما قدمناه من تلك الغاية الجليلة والمقصد الشريف النبيل .

* * *

قال المظفر : أما انه رضوان الله عليه بطل بصورة شجاع ، وقد عرف الشجاع بأنه هو الانسان الذي يزاول الحروب ويمارس الغزوات والوقائع ويخوض غمار المعارك ، فينازل الأبطال ويواجه الفرسان والشجعان ، فيأتي بفنون حربية مايستطيع بها التغلب على العدو وقتل فرسانه وابطاله ، ثم كسب

المعركة والفتح المبين ، لذا لايعطى وصف الشجاع وسمة الشجاعة لمن يتفق له دخول حرب واحدة ودخول معركة واحدة ، او لمن يدخل الحروب ولم يلق نفسه في لهواتها .

ومن هذه الزاوية ومن نوافذ هذه الواجهة ربما يتوصل الى ان الزعيم اباطالب لم يعرف عنه انه قد تكررت عنده الحروب ، وخاض غمار الغارات والغزوات إلا ما كان من أمر قيادة الكنانيين ، فهو وان ابدى فيها شجاعة وبطولة متناهيتين لكن الواقعة الواحدة لاتفيض على قائدها سمة الشجاع ووصف الشجاعة ، فإطلاقهما على ابي طالب اذاً جزاف ومن قبيل السالبة بانتفاء الموضوع .

فهذا صحيح من بعض الوجوه ، ولكن ان تدبرنا المعنى اللغوي والمرتكز العرفي للشجاع نجد أن الملكة والقابلية وتوطين النفس على خوض المعارك وممارسة الثورات وتدبير امور الجيش وتسييره على الخط الذي يضمن له الفلاح والنجاح هي كل مفاد الشجاع ومعطيات الشجاعة ، وخوض معركة واحدة كاف في تحققها فيما اذا ظهرت ملكة الانسان وقابليته ، وعرفت بطولته وبسالته ، كما ذهب الى ذلك كارليل الانكليزي في مؤلفه(الأبطال) حيث قال : إن الشجاعة ينبوع الرحمة ، وينبوع الصدق والشرف ، كما هي مصدر الكرم والمروءة ، وما الى ذلك من محامد ومحاسن وفضائل مجيدة .

ومن وقف على ما كان عليه زعيم بني هاشم من صفات الخير والمجد المؤثل وسمات الكرم ، وجده هو الشجاع حقاً .

على ان أبا طالب رضوان الله عليه لايقال له أنه ليس له الا موقف واحد في حرب الكنانيين مع القيسيين ، لأن الحرب بين القبيلتين داوم مدة غير قليلة ، وكل يوم تثار فيه الحرب هي حرب جديدة ، اذاً هي حروب متجددة ومتعددة . وما دام ابو طالب هو القائد اذاً هو الشجاع بكل

معنى الكلمة .

وكيف لايكون كذلك وقد نقل التاريخ عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في بعض المناسبات : رحم الله عمي ابا طالب ، لو ولد الناس كلهم لولدهم شجعاناً .

وبطبيعة الحال لولم يكن هو شجاعاً لما صح ان يولد الشجعان ، لأن فاقد الشيء لايكون معطيه ـ راجع الجزء الثالث من شرح النهج لابن ابي الحديد في ترجمة ابي طالب .

* * *

أما انه بطل بصورة شاعر فالشاعر في عرف الأدباء هو الانسان الذي يقوى على صياغة مستوحيات خياله وأحاسيسه بقالب موزون واسلوب مقفى ، سيان في ذلك الشعر العاطفي والشعر الحماسي او غير ذلك . ولا يقدح او يضر بشاعرية الشاعر كونه متميزاً بطابع خاص واسلوب مخصوص ، مبتعداً بهما عن الغزل المفضوح والحب غير المشروع والمدح والهجاء من غير استحقاق ، ولعل هذا اللون من الشعر هو أوقع في نفوس بعض الناس وألذ الى طبائعهم نعم قد لايروق للمؤمنين والمتدينين . وعلى كل حال فصاحبه أديب وشاعر مما لاريب فيه .

أما شعر ابي طالب فهو من النمط المستمر بطابع التحمس للدين ، ثم بيان محاسن الاسلام ومفاخر الدين الحنيف ، ثم الإشادة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وتعظيمها بالنفوس ، ثم الحث على اتباعها واقتفاء اثرها ومناصرتها على اعداء الله واعداء رسوله ، ثم التدليل على أنه ممن تابع الرسول وآمن بدعواه ووازره بكل امكاناته وطاقاته .

وقد وجد انه يكرر :

ياشاهد الله عليّ فاشهد   اني على دين النبي أحمد

أما لاميته المعروفة الشهيرة فهي إما تكمل المائة بيت او تجاوز المائة، والتي هي من الشعر الراقي، والتي هي من أجمل الشعر وافضل القصيدة، التي قال فيها ابن كثير الشافعي الدمشقي : أما لامية ابي طالب فهي أجمل واكمل وافحل من المعلقات السبع، كما وانها أصدق مثال للشعر العربي .

* * *

أما انه بطل بصورة عالم، ولا يكاد يخفى ماللعلم من انواع ومصاديق : فقه، اصول، فلسفة، طب، فلك، كلام، تفسير، البلاغة، المنطق، المعاني والبيان، لغة، العلوم الطبيعية ـ الى غير ذلك من الأصناف .

ومن وقف على ترجمة عم النبي ابى طالب الترجمة التي تعرضت لها كافة كتب التاريخ والسير عرف جيداً أنه رضوان الله عليه كان عالماً بجميع انواع العلم، كما دلل على ذلك بنثره وشعره، لذا قد عُد من أعاظم الحكماء، بل قالوا إنه استاذ الحكماء ومعلم الفلاسفة والأدباء، فلتراجع كتب التاريخ ومنها مؤلفات ابن حجر العسقلاني تعرف مقدرته العلمية وتتحقق منزلته الأدبية والفلسفية .

* * *

أما انه رضي الله عنه بطل بصورة نجيب فانه قد انجب الليوث والاشبال، وولد الأبطال والنبلاء، مثل علي وعقيل وجعفر، الأشبال الذين كانوا المثل الأعلى للبسالة والاستبسال والبطولة والنبل والسؤدد .

أما علي بصورة خاصة فهو الشخصية اللامعة التي قد ملأت الدنيا من اقصاها الى اقصاها سمواً ومجداً وعزاً وعظمة علما وحلما وكرماً وشجاعة إقداماً وبسالة وفتوة وجهاداً، لذا عبر عنه علماء الغرب انه سلطان الأبطال وفيلسوف العرب .

* * *

أقول : ولعمري ان حديث المظفر هذا حديث قيم وتحليـــل شامل يتسم بمنتهى العظمة والجلالة ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بحث وتحليل هما كانا متميزان سمواً وملائمة مع حياة عم النبي العظيم ، الحياة الحافلة بكل المؤهلات والمكانة الخيرة ، فجزاه الله عن عم رسول الله خير جزاء المحسنين .

وتحدث السيد الموسوي في الحجة ص ٢٢٣ فقال : حدثني شيخنـــا عميد الرؤساء ابن ابي ايوب اللغوي ، قال اطلعني السيد الشريف عبد الحميد التقي الحسيني النسابة على نسخة من كتاب الكامل للمبرد كان فيها بعد ذكره لأبي طالب في بعض ابواب الكتاب : لقد أسلم ابو طالب وحسن اسلامه كما صدق الرسول في دعوى النبوة ، كما يظهر ذلك واضحاً جلياً من قوله الذي يخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم :

إذهب بني فما عليك غضاضة ولقـد صدقت وكنت ثم أمينـــا

وفي ص ٣٥٧ من الحجة قال السيد : وكان عثمان بن مضعون الصحابي الجليل يقف احياناً بباب الكعبة فيعظ الناس ، فيأمرهم بالمعروف والرضوخ للدين والتمسك بمبادىء محمد الذي جاء بها من ربه العظيم ، وينهاهم عن المنكر والبغي ويحثهم على نبذ الأوثان ورفض الأصنام والابتعاد عن الشرور والآثام ،فوثب عليه رجال من المشركين فضربوه ضرباً مبرحاً وعذبوه عذاباً اليماً، ولم يكتفوا بكل ذلك دون ان قلعوا إحدى عينيه ، فبلغ الخبر ابا طالب ، فغضب للحادث المرير ثم اخذ يتطلب الفعلة حتى عرف الذي تصدى لقلع عين عثمان ، وكان شخصية مرموقة من قريش ، فأصر على أن يقتص منه وان يفعل به كما صنع بعثمان .

وقد شاع نبأ اصرار الزعيم الهاشمي على أن يقلع عين من قلع عين عثمان بن مضعون ، فضاق الخناق بقريش وتحققوا أن تصميم ابي طالب هذا

لابد وأن يسفر عن الاقتصاص ، ولا بد أن يقلع عين صاحبهم ، فصاروا يهرعون الى ابي طالب زرافات ووحداناً يطلبون اليه ويرجون منه ان يقبل منهم بالدية والفداء ، وابو طالب يصر على تصميمه ورأيه وانه يقوم بما بدا له مهما كلفه الأمر ، وبعد محاولات ومخادعات فاشلة ارتد الوسطـــاء على أعقابهم خاسرين ، وقد يئسوا من كل المحاولات .

أما ابو طالب فصار الى ترصد المجرم وترقبه ، وأخيراً عثر عليه بين ملأ من قريش وقد احاطوه من جميع جهاته ، فلم يبرح عنه حتى فقأ عينه كما فقأ عين عثمان بن مضعون ، ولم يستطـــع أي واحد من الحاضرين ان يتكلم او يدافع او يرفـــع رأسه ، ثم انشأ ابو طالب مقطوعة شعرية تبين الحادث وترمز الى الانتصار واخذ الثار ، وقد تقدم ذكر الأبيات .

وتحدث الفضل بن شاذان في المناقب عن الكراچكي عن محمد بن علي ابن صخر عن عمر بن محمد بن يوسف عن محمد بن سليمان عن محمد بن صنوبر ابن صلصال انه قال : كنت اخرج مع ابي طالب لنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وحمايته من اليهود والمشركين ، فخرجت ذات يوم للغاية ، وكان خروجي قبل موعد خروج ابي طالب ، فجلست على البـــاب ريثما يخرج ، فبينما انا كذلك اذ خرج الي مضطرباً مرتبكاً ، وهو يقول : ياابا الغضنفر هل رأيت الغلامين محمداً وعلياً ؟ قلت : لاياشيخ الأبطح لم أرهما منذ جلست . فقـــال : قم بنا نطلبهما فلست آمن عليهـــما من ان يغتالهما المشركون واليهود . فقمت معه حتى خرجنا من بيوت مكة ، ثم صرنا الى جبل كان هناك ، فاذا نحن بمحمد وعلي يصليان بجانب من جوانب الجبل ، وقد رأيت ابا طالب وقد تهلـــل وجهه فرحاً حيث وجدهما يصليـــان ، فانتظرهما الى أن فرغا جاء بهما الى الدار .

ونقل القاضي النقدي في المواهب بسنده الى عمر بن حصين أنه قال :

كان والله اسلام جعفر بن ابي طالب بأمر أبيـــه وإرشاده ، حين آمره ان يوصل جناح رسول الله في الصلاة ، كما قال له بعد ان فرغوا من الصلاة ياجعفر ستقتل في سبيل الله وبأمر من محمد بن عبد الله وتقطع يداك فيعوضك بجناحين بدل يديك المقطوعتين تطير بهما مع الملائكة في الجنة .

أقول : وليس كثيراً على عم رسول الله ان يقرأ مستقبل ولده فيخبره بما سيطالعه من ميتة في سبيل الله بأمر من رسول الله ، حين يأمر بجهـــاد الكفرة الطغاة ، فيقتل وتقطع يداه ثم يعوض عنهما بجناحين . . . نعم ليس غريباً عليه هذا التنبؤ وهذه القراءة ، كما هو شأن المؤمنين المتقين ، وأخيراً وافق الخبر العيان وطابق التنبؤ الواقع ، بعث رسول الله ابن عمه جعفر الى موتة يقود جيش المسلمين ، فجاهد جهاد الأبطال الى ان قطعت يداه ثم قتـــل عليه السلام ، فأبدله الله عن يديه جناحين يطير بهما مـــع الملائكة في الجنـة .

ونقل ابن شهراشوب في مناقبه بطريقه الى مقاتل انه قال : لما رأت قريش الى النبي ـ وقد عـلا ذكره وظهر امره واستجاب كثير من الناس الى دعوته واصبحت تتسع يوماً فيوماً ـ اجتمعوا فيما بينهم وتشاوروا ، كما صمموا وتهيؤا وتعاقـدوا على أن يقتلوا رسول الله بعد موت ابي طالب ، حتى ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ، ثم شاءت الأقدار أن يعلم ابو طالب بما بيتوه وصمموا عليه ، فيجمع على الأثر كافة بني هاشم وبني المطلب ، فأعلمهم بنوايا القوم اتجاه ابن اخيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وآله ، وطلب اليهم ان يلازموه ولا يفارقوه في حله وترحاله ، وان يحوطوه مهما كلفهم الأمر ، وان ادى ذلك الى التضحية بالروح والـدم ، ثم قال : ياقوم ان ابني محمداً نبي صادق وامين ناطق ، وإن شأنه أعظم شأن ومكانه من ربه اعلى مكان ، فأجيبوا دعوته واجمعوا على نصرته وحاموه من كيد عدوه ،

فانه الشرف الباقي لكم .

ونقل في الكافي بسنده الى ابن ابي عمير عن الحسين بن ابي حمزة عن صادق آل البيت جعفر بن محمد عليه السلام انه قال : قد اجتمعت قريش وحلفاؤها من العرب واليهود ذات يوم ، فتداولوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم مخض اجتماعهم ذاك عن التصميم على قتل النبي الأمين ، وبه يقضوا على شريعته ودينه ، إلا أنه قد وقف نصب أعينهم ابو لهب ، فخافوا تحركه وهياجه وحذروا من ان تثور فيه روح النخوة القبلية و حمية النسب ، فيقلب لهم ظهر المجن ويتنكر لأفعالهم هذه ومؤامرتهم القذرة ، فقالت ام جميل بنت ابي سفيان وزوجة ابى لهب - وهي كانت من جماة من حضر تلك الندوة المشؤومة ومن جماة المشتركين في وضع خططها وتصاميمها - نعم تبرعت ان تكفيهم أمر ابي لهب ، واوعدت ان ستعمل جاهدة وتحاول ما امكنتها المحاولة والخديعة على حبسه وحجزه في الدار وتهيئة الظروف المحبذة لعدم خروجه ريثما تتم العملية والمؤامرة ،فشكروها ثم ودعوها وتفرقوا على ان يجتمعوا في الوقت المحدد ليقوموا بما تعاقدوا وتعاهدوا عليه ، وعادت ام جميل الى دارها وهي قلقة تفكر كيف تستطيع ان تتغلب على ابي لهب وتسيطر على أعصابه ، وهكذا ظلت تفكر وتفكر حتى قرب الفجر ، وأخيراً دلها التفكير على ان تحمى الحمام ، وبالفعل قامت بذلك حتى اذا نهض ابو لهب من نومه وقام ليرتدي ملابسه ليخرج على مستمر عادته قامت بوجهه أم جميل فقالت : ياابا لهب اني رأيتك محتاجاً الى الاغتسال وها انا قد هيأت لك الحمام وغسلت ثيابك ، فاغسل والبس ثيابك النظيفة ثم اخرج اذا أردت بعد ذلك ، فانطلت الحيلة عليه وتلقى الفكرة برغبة ورحابة ، فبادر الى دخول الحمام وصارت ام جميل تدلكه وتغسل له وتماطله وقد اطالت القضية فخافت انكشاف السر ، فهيأته للبس ثيابه ، ولما رأته يحاول

الخروج من الـــدار عرضت عليه الشراب وحسنته له ، وانه شراب عظيم قد اهدي اليهم ومن مدة لم يشربا ولم يثملا ، وكأنه هش للموضوع فوافق وجلس ، فأخذت تسقيه وتشرب وتسقيه حتى ارتخت اعصابهـــما وصارا بعالم الخيال والنشوة ، وكادت مؤامرة جماعة الشرك ان تنجح وتفلح وتتم لولا ان ينكشف التآمر الدنيء لعم النبي الزعيم ابي طالب ، فتقوم قيامته وتثور ثائرته ، ويتأكد ان ابا لهب لم يكن مع القوم كما لم يكن من المتآمرين على حياة النبي في هذه المرة ، فيرسل ولده علياً الى دار عمه وقال له فيما قال : اسرع الى دار عماك ، فأطرق عليه الباب فان فتح لك وإلا اكسره وادخل وقل لعمك : يقول لك ابو طالب ان إمرأً عمه عينه في القوم ليس بذليل . فذهب علي فوراً فطرق الباب فلم يفتح له ، فكسره ودخل فوجد عمه وزوجته وقد دوخهما الخمر وأنامهما السكر ، فلما بصر به ابو لهب استنكر دخوله وحالته ، فقال : ماوراءك ياعلي ؟ فقال له : يقول لك ابو طالب : من كان عمه عينه في القوم ليس بذليل . فقال : صدقت وصدق ابوك .

ثم نهض ليخرج ، فتعلقت به زوجته وحاولت عدم خروجه ، فاشتد واحتد ولطمها على عينها ففقـــأها وخرج مسرعاً حتى وقف على رؤوس القوم والغضب بادٍ على وجهه ، ثم انفجر قائلاً : ايهـــا الجماعة الحمقاء تباً لكم ولأعمالكم ، إني وافقتكم وسايرتكم على اخي وابن اخي وما كنت اعتقد أن الحال يبلغ بكم الى ماقد وصل وتبلغ بـكم الصلافة والوقاحة الى هذا الحد ، تريدون قتل محمد ، فوالله لقد هممت أن اصبو لدين محمد ثم ترون صنعي بكم . فخاف القوم من أن يفعل ، فأخـذوا يهدئون عليه ويخففون من حدته ، وتنازلوا له واعطوه كلاماً أن يكفوا عن المحاولة ويبتعدوا عن إيذاء ابي طالب ومحمد ، ولم يزالوا به حتى ارضوه وفشلت المحاولة وخسرت المؤامرة وباؤا بالخزي والعار ، وتفرقوا أذلاء صاغرين .

وتحدث السيد الموسوى في الحجة ص ١٧٤ فقـــال : حدثني السيد عبد الحميد بن التقي الحسيني قراءة عليه في سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، قال اخبرني الشريف النسابة ابو تمام هبة الله بن عبد الصمد العباسي الهاشمي قال اخبرني الشريف ابو عبد الله جعفر بن هاشم بن علي بن محمد بن الصوفي قال اخبرني جدي ابو الحسن علي بن محمد الصوفي العنوي العمري النسابة ، قال روى الشريف الفـــاضل ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن ابن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن جده يحيى بن الحسين الشريف العالم النسابة يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ذات يوم وبمنـاسبة ماالعقيل بن ابي طالب : ياعقيل اني احبك حبين حباً لك وحباً لحب عمي ابي طالب لك .

أقول : لله انت ، ولله درك ياعم رسول الله وهنيئاً لك بمقامك الكريم وشأنك الرفيع عند رسول الله العظيم ، حيث قد أحباك واحب من تحبه انت كرامة لك . ومن الجلي الواضح ان رسول الله صلى الله عليه وآله ماأحبك إلا لإخلاصك لله وتفانيك في سبيله ، ومن المستحيل أن يحب الا في الله ولا يبغض الا في الله ، ولو لم يكن ابو طـالب يحب الله ويحبه الله لما أحبه رسول الله .

ولعله من أقوى الادلة على مـدى حبه لله عز وجـــل ومدى حبه لرسول الله صـــلى الله عليه وآله لاميته العظيمة ، وكنت أود بالحاح أن اقف على تمامها ، لأن الكتب التاريخية التي كانت بمتناولي غالبـــاً ما كانت تقتطف منها البعض وتنصرف عن الباقي لطولها وكبرها ، حتى اذا قدر لي ان أعثر عليها كاملة غير منقوصة في سيرة ابن هشام وديوان ابي طـالب والمواهب ، تفتحت لها مشاعري وأحاسيسي ، ووجدتني مغرما بها وبترددادها ومعجباً بما تحتوي عليه من معانٍ غر واهداف جليلة ودعوة الى الله تعالى

ورسوله ، ووجدتهـــا فوق وصف الواصفين وتعريف المعرفين ، ورأيتني مندفعاً الى تسجيلها كاملة وتامة في مؤلفي هذا ، ولكن قد يعترضني ما كان يعترض الآخرين من التوقف عن نقلها جملة وتفصيلاً للغرض الذي من اجله كان الاكتفاء ببعضها ، وهكذا بقيت متردداً أقدم مرة واحجم مرة اخرى ، وربما تصورت أن في ذكرها تامة خدمة للأدب العربي والشعر العربي ، كما هو خدمة لأبي طالب لمـــا له على المسلمين عامة من الحق المبين والفضل الجليل الجسيم ، ومع هذا كله لم اكن اجزم بشيء .

وفي ذات يوم وفي ضحى يوم الخميس المصادف اربعة وعشرين من شهر جمادى الاولى لسنة ألف وثلاثمائة وسبعة وثمانين هجرية ساورتني قصة لامية ابي طالب ، فشغلت كل تفكيري إذ اخذتني سنة لم آلفهـا ولم اكن قد اعتدت عليها في مثل ذلك الوقت بالذات ، فخيـل لي شخص سيدي ومولاي أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وهو يقول : ألم تكن تذكر في مؤلفك هــــذا عني اني كـنت آمر اصحابي ان يحفظوا ويحفظوا أبناءهم لامية ابي طالب . فقلت : نعم كان ذلك جعلت فداك . قال : لماذا إذاً توقفك عن ذكر لامية ابي طالب مجموعة ، اذكرها كاملة فإنهـا تحتوي على علم جم ونصائح ومواعظ وحكم ومدح للنبي صلى الله عليه وآله ثم الأقرار بنبوته وتشجيعه على حركته . فانتبهت مرتبكـــا واجما وكلمات الامام عليه الســـلام ملء مشاعري واحساسي ، ووجدت مؤلف القاضي النقدي المواهب مفتوحاً أمامي وعنوان صفحته الأولى « لامية ابي طالب » في حال اني لم اتصور ولم اكن اتفطن اني فتحته او استخرجت القصيدة قبل السنة والغفوة .

وكيف كان الأمر المهم اني وجـــدت من نفسي انهـــا تحوم حول الموضوع وتحاول بصورة لاإرادية ذكر تمام القصيدة ، وشعرت بأن قلمي

اكثر مني مبادرة والتهاماً للقصيدة الشذية العطرة : وهاهي نعرضهـا للقراء امتثالا لطلب الامام وتنويراً للافكار المحبة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والمنصهرة ببوتقة الولاء لآله الميامين ، صلوات الله عليهم اجمعين :

خليـــلي ما أذني لأول عـــاذل ... بصغواء في حق ولا عند باطل
خليلي إن الرأي ليس بشركـــة ... ولا نهنه عند الأمور البـــلابل
ولما رأيت القوم لاود عنـــدهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوماً علينـــا اظنة ... يعظون غيظـا خافنـــا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وابيض ماض من تراث الأوائل
واحضرت عندالبيت رهطي واخوتي ... وامسكت من اثوابه بالوصائل
قيـــاماً معـــاً مستقبلين رتاجـــه ... لدى حيث يقضي نسكه كل نافل
وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم ... بمفضي السيول من اساف ونائل
موسمة الاعضاد او قصراتهـــــا ... محبسة ثين الســـــديس وبازل
ترى الودع فيها والرخام وزينة ... بأعنـاقهـــا معقودة كالعثـــا كل
اعوذ برب البيت من كل طاعن ... علينـــا بشر اوملح ببـــاطـــل
ومن كاشح يسعى لنـــا بمعيبة ... ومن ملحق بالدين مالم نحـاول
وبالبيت ركن البيت من بطن مكة ... وبالله ان الله ليس بغـــافـــل
وبالحجر المسود إذ يمسحونـــه ... اذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطىء ابراهيم في الصخر وطأة ... على قدميه حافيـــاً غير ناعـــل
واشواط بين المروتين الى الصفا ... وما فيهما من معشر وجحافـــل
ومن حج بيت الله من كل راكب ... ومن كل ذي نذر ومن كل نافل
وبالمشعر الأقصى اذا عمدوا له ... إلا الى مفضي الشراج القوابـل
وتوقافهم بين الجبـــــال عشية ... يقيمون بالايدي صدور الرواحل

وليلة جمع والمنازل من منى ... وما فوقها من حرمة ومنازل

وجمع اذا ما القربات اجزنه ... سراعاً كما يفزعن من وقع وابل

وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها ... يؤمون قذفاً رأسها بالجنادل

وكندة اذ ترمي الجمار عشية ... تجوز بها حجاج بكر بن وائل

حليفان شدا عقد ما احتلفا به ... وردا عايه عاطفات الذلائل

فهل بعد هذا من معاذ لعائذ ... وهل من معيذ يتقي الله عادل

يطاع بنا الأعداء ظلما واننا ... تسد بنا ابواب ترك وكابل

كذبتم وبيت الله نترك مكة ... وبطن ترى من هاشم بالمحافل

كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل

نقيم على نصر النبي محمد ... نقاتل عنه بالقنا والقبائل

وننصره حتى نصرع دونه ... ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وينهض قوم في الحديد اليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وحتى يرى ذوالبغي يركب درعه ... من الضغن فعل الانكب المتحامل

وانا لعمر الله ان جد جدنا ... لنلتبسن اسيافنا بالاماثل

بكفي فتى مثل الشهاب سميدع ... اخي ثقة حامي الضعينة باسل

من الحي من فرعي لوي بن غالب ... منيع الحمى عند الوغا غير ناكل

شهوراً واياماً وحولا محرماً ... عاينا وتأتي حجة بعد قابل

وما ترك قوم لاأباً لك سيداً ... يحوط الحمى غير ذوب موا كل

وابيض يستسقي الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

لعمري لقد اجرى اسيد ورهطه ... الى بغضنا جيش العدى والتحامل

جزت رحم منا اسيداً وخالداً ... جزاء مسيء لايؤخر عاجل

وعثمان لم يشفق علينا وقنفذ ... ولكن اطاعا امر تلك القبائل

اطاعا بنا الغاوين في كل وجهة ولم يرقبا فينا مقالة قائل
كما قد لقينا من سبيع ونوفل وكل تولى معرضاً لم يجامل
فان يلقيا او يمكن الله منهما نكل لها صاعاً بكيل المكايل
وذاك ابو عمرو ابى غير بغضنا ليطعننا في كل شاء ونائل
يناجي بنا في كل ممس ومصبح فناج ابا عمرو بنا ثم خاتل
ويقسمنا بالله ما ان يغشنا بل قد نراه جهرة غير حائل
وسائل بالوليد ماذا خبئت لنا بسعيك فينا معرضاً كالمخاتل
وكنت امرءاً ممن يعاش برأيه ورحمته فينا ولست بجاهل
وعتبة لاتسمع بنا قول كاشح حسود حقود مبغض ذي دغاول
ولست اباليه على ذات نفسه فعش يابن عمي ناعماً غير ماحل
وقد خفت ان لم تزدجرهم وترتدع نلاقي وتلقى مثل احدى الزلازل
ومر ابو سفيان عني معرضاً كما مر فيل من عظيم المناول
يفر الى نجد وبرد مياهه وبالرغم اني عنكم غير غافل
ويوصلنا قول المناصح انه شفيق ويخفي عارمات الدواخل
أمطعم لم اخذلك في يوم نخوة ولا عند تلك المعضلات الجلائل
ولا يوم خصم اذ اتوك اشدة اولي جدل مثل الخصوم المساجل
امطعم ان القوم ساموك خطة واني متى اوكل فلست بواكل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل
بميزان حق لايخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عادل
لقد سفهت احلام قوم تبدلوا بني خلف ثاروا بنار الغياطل
ونحن صميم في ذوابة هاشم وآل قصي في الخطوب الاوائل
وكان لنا حوض السقاية فيهم ونحن الذرى من غالب والكواهل
فما ادركوا ذحلا ولا سفكوا دماً وما خالفوا الا شرار القبائل

بني امة مجنونة هندكية ... بني جمح عبيد قيس بن عاقل

وسهم ومخزوم تمادوا وألبوا ... علينا العدى من كل جلف وخامل

يعضون من غيض علينا اكفهم ... بلا ترة بعد الحمى والتواصل

وحث بني سهم علينا عديهم ... عدي وكعب فاحتبوا بالمحافل

وشايظ كانت في لوي بن غالب ... نفاهم الينا كل صقر حلاحل

ورهط نفيل شر من وطأ الحصا ... والأم حاف من معد وناعل

فعبد مناف انتم خير قومكم ... فلا تشركوا في امركم كل واغل

فقد خفت ان لم يصلح الله امركم ... تكونوا كما كانت احاديث وائل

لعمري لقد وهنتم وعجزتم ... وجئتم بأمر مخطيء للمناضل

ليهن بني عبد مناف عقوقنا ... وخذلاننا في الدجى والمعاقل

فان يك قوم سرهم ماصنعتمو ... سيحتلبوها لاقحاً غير باهل

فابلغ قريشاً ان سينشر امرنا ... وبشر قصياً بعدنا بالتخاذل

ولو طرقت ليلا قصياً عظيمة ... اذاً ماالجأنا دونهم في المداخل

ولو صدقوا ضرباً خلال بيوتهم ... لكنا أسىً عند النساء المطافل

فان تك كعب من لوي تجمعت ... فلا بد يوماً مرة من تزايل

وان تك كعب من كعوب كبيرة ... فلا بد يوماً انها في مجاهل

وكنا بخير قبل تسويد معشر ... هم ذبحونا بالمدى والمقاول

فكل صديق وابن اخت نعده ... لعمري وجدنا عيشة غير نائل

سوى ان رهطاً من كلاب بن مرة ... براء الينا من معقة خاذل

بني اسد لاتطرقن على القذى ... اذا لم يقل بالحق مقول قائل

فنعم ابن اخت القوم غير مكذب ... زهير حساماً مفرداً من حمائل

اشم من الشم البهاليل ينتمي ... الى حسب في حومة المجد فاضل

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد ... واحببته شأن المحب المواصل

فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها — وزيناً على رغم العدو المخاتل
فأيده رب العباد بنصره — واظهر أمراً حقه غير باطل
فمن مثله في الناس او من مؤمل — اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش — يوالي إلهاً ليس عنه بغافل
فكنا اتبعناه على كل حالة — من الدهر جداً غير قول التهازل
الم تعلموا ان ابننا لامكذب — لدينا ولم نعبأ بقول الاباطل
رجال كرام غير نساهم — الى العز آباء كرام الاصائل
وقفنا لهم حتى تبدد جمعهم — ويحسر عنا كل باغ وجاهل
شباب كرام غير ميل غوادر — كبيض سيوف بين ايدي الصياقل
بضرب ترى الفتيان عنه كأنهم — ضواري اسود فوق لحم خرادل
ولكننا نسل كرام لسادة — بهم تعتلي الأقوام عند التطاول
سيعلم أهل الضغن ابي وأيهم — يفوز ويعلو في ليال قلائل
وأيهم مني ومنهم بسيفه — يلاقي اذا ماحان وقت التنازل
ومن ذا يمل الحرب مني ومنهم — ويحمد في الآفاق في قول قائل
فأصبح منا احمد في ارومة — تقصر عنها سورة المتطاول
كأني به فوق الجياد يقودها — الى معشر زاغوا إلى كل باطل
وجدت بنفسي دونه وحميته — ودافعت عنه بالطلى والكلاكل
ولا شك ان الله رافع قدره — ومعليه في الدنيا ويوم التجادل

* * *

أقول : لعمري انها قصيدة عصماء عطرة ، وفريدة فواحة نضرة ، وألوكة ناجحة مظفرة ، قد استهدفت أول ما استهدفت تحطيم ثورة الأوثان ، وتسخيف عبادة الأحجار والاصنام ، ثم التعريض بقريش والعرب ، حيث انهم حاربوا الله ورسوله ، وجانبوا كل شيء من شأنه أن يرجع الى الفضيلة

والخلق السامي النبيل ، ثم التعريج على مالآباء رسول الله صلى الله عليه وآله من مكارم ومفاخر وفضائل ومآثر من سالف الزمن واقدم العصور ، ثم التحدث عن نبوة الرسول وبعثته وفضله ومحاسنه ، ثم مدحه صلى الله عليه وآله بما هو أهله ومستحقه ، ثم إعلان تصديقه للنبوة وإظهار تمسكه بكل ماجاء به النبي عن ربه عز وجـــل ، ثم إبـداء الاستعـداد والحضور لكل متطلبات النصرة والمؤازرة من التفاني والتفادي وما الى ذلك ، ثم التفاؤل لدين رسول الله بالانتشار والانتصار مهما كانت العوائق والحواجز . . .

الى آخر ماتحتوي عليه من فنون العلم والأدب واللغة والفلسفة ، فهي جديرة بأن يخصص لها مؤلف يتضمن شرحها وما حوته من بديع المقال وعظيم المفاد والمآل ، ولعلنا نتوفق الى ذلك فيما يأتي انشاء الله ، فنكون ممن تقرب الى الله بحفظ رسول الله في عمه وحاميه وكافله .

وقال القاضي النقدي في مواهبه ص ١١٤ : إن ابا طالب رضي الله عنه كان يتعاطى في نظمه اللغز أيضاً ، فمن ذلك قوله :

خذ الميمين من ميم ولا تنقط على أمري

ومازجها يكن إسماً لمن كان به فخري

به آمنت في سري ولاتسألني عن جهري

رمز كريم وإشارة باهرة يفوه بها عم النبي الكريم ، حاول فيها فيما حاول ان يشير الى اسم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم افاد عن انطباعاته عنه وانه رسول الله حقاً ونبيه صدقاً لامراء في ذلك ولا شبهة ، كما اظهر أنه صلى الله عليه وآله هو فخره وشرفه معتزاً بذلك ويرفع رأسه عالياً بواسطتها ، وذلك منتهى الإيمان وغاية الاخلاص .

وقال النقدي في نفس الصفحة : ومن ذلك أيضاً قوله :

ألا خذ وعد موسى مرتين وضع أصل الطبايع تحت ذين

وسكة خان شطرنج فخذها ثم ادرج بين ذين المـــدرجين
فذلك اسم من يهواه قلبي وقاب جميـــع من في الخافقين

ويحدثنا الموسوي في الحجة فيقول : أخبرني الشيـــخ محمد بن ادريس بأسناده المتصل الى الحسن بن جمهور القمي عن ابيـــه انه قال : قال ابن قتيبة بطريقه الى صالح بن كيسان عن عبد الله بن رومان عن يزيد بن الصعق عن عمر بن خارجة عن عرفطة انه قال : خرجت الى بعض صقاع مكة لشغل كان لي هناك ، اذ اقبلت جمال من اعالي نجد حاذت مكة وقربت من الكعبة ، وإذا أنا بغـــلام قد ألقى بنفسه من أعلى جمل من الجمال ثم توجه الى الكعبة وتعلق بأستارها ، ثم صار ينادي : يارب هذه البنية أجرني وخلصني مما انا فيه . فأقبل اليه رجل ممن كان في القافلة فأخذ يوسعه شتما وضرباً ، ورام ان يجره من الكعبة والغلام متمسك لايريد أن يحل يديه من أستارها ، والناس وقوف لاتستطيع تخليص الغلام من الرجل .

وبينما نحن كذلك إذ أقبل على الكعبة شيـــخ جسيم وسيم عليه وقار الحكماء وبهاء الملوك والعظماء ، فشاهد مانشاهده ، فأقبل على الرجل وقال : مابالك وباله ؟ فقـال : هـذا غلامي وقد أبق مني ووجدته الآن واريـد ارجاعه معي الى وطني . ثم استنطق الغلام وقال : أصحيح مايقول هذا ؟ قال الغلام : لاياعم لا علاقة لي بهذا الرجل ابداً ، غير أنه كانت له صداقة مع أبي وبما أنه رجل فقير كان يعطف عليه ويساعده ، وربما قـد ولاه بعض أعماله ، ثم مات أبي وانا طفل لا اعرف كل شيء ، فما شعرت الا وانا مستعبد لهذا النجدي ، وقد سمعت ان لله بيتاً يمنع من الظلم وينتقم من الظالمين لذا قصدته واستجرت بأستاره ليخلصني ممن ظلمني واستعبدني .

فقال له الشيخ : نعم الآن يفرج الله عنك وتخلصك بنيته من خصمك ، هيا معي وامش أمامي ، فحل الغلام يديه من استار الكعبة ومشى أمامه ،

فحانت مني التفاتة الى النجدي فرأيته وقد اربد وجهه وتحير ولاذ بالسكوت والصمت ورجع الى قافلته بخفي حنين، واما الشيخ فغاب بالغلام ولم ادر الى اين، وقد اكبرت موقفه ومقامه ونصرته للمظلوم وتخليصه من الظالم ، ثم رجعت الى مكاني والقضية قد أخذت مني مأخذها وانا اشعر برغبة ملحة حول التعرف على ذلك الشيخ لأكتسب منه الأدب والنخوة العربية ، فما وجدتني الا وانا في مكة لتلك الغاية ، ولكني لم اعرف اسم الرجل حتى اسأل عنه وأصل اليه ، فصرت اطوف في مكة فرأيت حالتها غير طبيعية تهيمن عليها الضوضاء وتسودها غوغاء غير اعتيادية ، والناس بين قائل استجيروا باللات والعزى ، وقائل يقول استجيروا بهبل ومناة الثالثة ، وقائل يقول ياقوم لاتذهبن بكم المذاهب وفيكم بقية ابراهيم وسلالة اسماعيل فهو أهل لكل كرامة ومحل لكل فضيلة .

فسألت عن الأخير فقيل لي هو ورقة بن نوفل ، ولما سمع الناس قوله قالوا : لعلك عنيت بكلامك شيخ الأبطح ابي طالب ؟ قال ورقة : نعم ما عنيت الا هو .

ثم قام القوم كلهم بصحبته وقمت انا معهم ، فسرنا الى ان وصلنا الى مضيف عامر ودار شامخة : فدخلوا ودخلت ، فاستقبلنا صاحب المضيف استقبالا طيباً : فتأملت فيه واذا هو صاحبي الذي قصدت من أجله مكة ، فجلس الناس بين يديه خاشعين مؤدبين ، أما انا فكل غايتي أن أجلس أمامه أتزود من النظر الى محياه الكريم ووجهه المبارك .

وبعد ان استقر بالجماعة الجلوس تكلم خطيبهم فقال : يازعيم قريش انا قصدناك بمهمة وجئناك بحاجة توسط الى الله في قضائها والا هلكنا عن آخرنا نحن ومواشينا واطفالنا . قال : وماذاك ياقوم ؟ قالوا : ياشيخ الابطح قد اقحط الوادي واجدبت الارض ومنعت السماء درها فاستسق لنا يابن عبد المطلب ، فان

لك شأناً عند الله وجاهاً كبيراً. قال ابو طالب : رويدكم ياقوم دلوك الشمس وهبوب الريح .

فصار القوم الى الانتظار ، فما زاغت الشمس او كادت حتى خرج ابو طالب ومعه اغيلمة من آل عبد المطلب وبينهم غلام كأنه البدر الساطع والقمر المنير ليلة التمام والكمال ، فجاء ابو طالب فأسند ظهره الى حائط البيت الحرام وجعل الغلمان بين يديه ، ثم صار يدعو بدعوات لم نسمعها ، ثم لوح نحو السماء باصبعه السبابة ، فنظرت الى السماء وهي ضاحكة صاحية ، وبمجرد ان فرغ أبو طالب من دعائه رأيت الغيم وقد سيطر على السماء فاسود وادلهم ، ثم رعدت السماء وابرقت ، ثم انفجر السحاب كأفواه القرب بماء منهمر ، ففاضت الصحاري والوديان ، فهلل الناس وكبروا وفرحوا بما تفضل الله عليهم ببركة عم النبي ابي طالب من تحقق الطلبة وتلبية المهمة .

وتحدث السيد زيني دحلان مفتي الشوافع العام في عصره على هامش المختصر تأليف السيد الشريف محمد قطب الدين البرزنجي - والمختصر هذا كان الاساس والغاية من تأليفه الرد والجواب المعتضد بأقوى الادلة واسطع البراهين على مؤلف الشيخ علي القاري الهروي الرامي الى نسبة الكفر الى ابوي النبي الشريفين واسرته الكريمة ، فالمختصر كل غايتـــه تحطيم مزاعم الهروي وتفنيد آرائه من الجزم بأن ابوي النبي وعمه ابا طالب بل واسرته المباركة كلهم كانوا مؤمنين بالله لا يشركون به طرفة عين أبداً ، وهم على دين وملة جدهم الأعلى النبي ابراهيم عليه السلام ، وبالتالي هم من اهل الجنة المشمولين لكرامة الله ورحمته يوم القيامة .

قال السيد دحلان ذكر البرزنجي في خاتمة مؤلفه : لما اكملت من رسالتي مسودتها وكان ذلك في اوائل ذي القعدة الحرام من سنة ثمانين

بعد الالف هجرية بالمدينة المنورة على مشرفهـا آلاف التحيـة والسلام في منزلي المعروف بالزقاق المعروف بزقاق البدوي ، انقدح في ذهني وبدر لي ان ابعث بمسودتي الى بعض الخدمة للحرم النبوي الشريف لمن تقدم له وقـدم في طريق الله ، وممن له مجاهدات ومكاشفات واوراد ، واخيراً بعثتها اليه ورجوته ان يدخلها الحضرة الشريفة ويجعلها تحت استار كسوة القبر المعظم ، لأنه هو صلى الله عليه وسلم كل الغاية من الجمع والتأليف كخدمة خالصة لحضرته ليس الا ، ومن ثم تنزيه آبائه الكرام مما يضر بسمعته وسمعتهم عليهم السلام ، كما كانت الغاية من ارسال المسودة لتجري عليها تلك العملية لأتبين مقبوليتها ومدى ارضائها للرسول صلى الله عليه وسلم ، ومتى مااستشعرت منه الرضا واستظهرت القبول قدمت على تبييضها ثم تقديمها للطبع والنشر والا انطويت عليها واخفيتها الى الابد ولم اشعر بها احداً ، ولما وصلت الى السادن قد حقق ماطلبته منه ، فتركها تحت استار القبر الشريف عدة ليالي ، ثم جاء بها الي وهو فرح مستبشر وهو يقول : خذ كتابك يا شيخ فاني اهنيك به ، لأنه قد وقع موقع الرضا والقبول من حضرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله ، كما انه قد أيد كل ما جاء فيه من اصول وفروع ، وعندئذ تشجعت وقويت على حركة النشر والاظهار .

* * *

وتحدث الشيخ الصدوق في اماليه ومعاني الاخبار بطريقه الى ابي ذر الغفاري رضوان الله عليه عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : خلقت انا وعلي بن ابي طالب من نور واحد ، فكنا نسبح الله ونحمده يمنة العرش من قبل ان يخلق الله آدم بخمسمائة الف عام ، ولما خلق الله آدم جعل الله ذلك النور في صلبه ، كما ركب نوح السفينة ونحن في صلبه ، وقذف الخليل ابراهيم في النار ونحن في صلبه ، ولم يزل الله عز وجل ينقلنا

من الاصلاب الطاهرة الى الارحام المطهرة حتى انتهى بنا الى عبد المطلب ، فقسم ذلك النور الى قسمين وجعله نصفين ، فجعلني في صلب عبد الله بن عبد المطلب وجعل علياً في صلب عمي ابي طالب بن عبد المطلب ، وجعل الله سبحانه وتعالى فيّ النبوة والبركة وفي علي الوصاية والفصاحة ، كما شق لنا اسمين من اسمائه ، فذو العرش محمود وانا محمد ، وهو تعالى الأعلى وهذا علي ـ واشار بيده الكريمة الى علي بن ابي طالب .

اقول : الحديث اشهر من ان يذكر ، فقد سجلته كل كتب التاريخ والحديث والسير ، فلم يختلف فيه اثنان ، فراجع تجده نصاً في السيرتين الحلبية والهشامية والطبقات . وعليه اذا كان الله عز وجل قد استودع نوره في صلب عبد الله وأبي طالب أفلا يكون هذا الاستيداع دليلا واضحاً على ايمانهما رضوان الله عليهما ، والا لكان ذلك من المستحيلات الاولية ، لما يلزمه من تلوث نور الله تعالى بدرن الكفر وبخس الشرك ، وحينئذ يستكشف من ذلك انهما مؤمنان نقيان ، لذا كانا مستودعاً لنور الله عز وجل وأوعية لحبيبه ووليه .

وتحدث القاضي في مواهبه ص ٥٣ بطريقه الى الصحابي العظيم جابر ابن عبد الله الانصاري رضوان الله عليه انه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن مولد علي بن ابي طالب عليه السلام ، اذ يتأوه رسول الله وقال : آه آه لقد سألتني ياجابر عن خير مولد ولد بعدي من ذرية ابراهيم الخليل ، اعلم ياجابر ان الله تبارك وتعالى قد خلقني وعلياً من نور واحد من قبل ان يخلق آدم بخمسمائة الف عام ، فكنا نسبح الله ونقدسه على يمنة العرش ، ولما خلق آدم قذف بنا في صلبه ، فاستقررت أنا في جنبه الايمن واستقر علي في جنبه الايسر ، ثم نقلنا من صلبه الى الاصلاب الطاهرة والارحام المطهرة ، ولم نزل كذلك حتى اطلعني من

ظهر ابي عبد الله بن عبد المطلب ورحم أمي آمنة بنت وهب ، ثم اظهر الله علياً من صلب طاهر ورحم طاهر من صلب عمي ابي طالب ورحم فاطمة بنت اسد .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنخالك يا جابر يطيب لك التحدث عن هذا المولود الكريم . قات : اجل يا رسول الله فداك ابي وامي ، المتحدث انت والحديث عن علي بن ابي طالب محبوب الله ومحبوبك .

فقال : اعلم ياجابر ان علياً من قبل ان تقع نطفته في بطن امه كان هناك راهب يقطن على مراحل من مكة في كهف من جبل يسمى جبل اللكام ، وكان هذا الراهب من المعمرين ، وقد وصل عمره الى مائة وتسعين سنة قضاه في عبادة الله عز وجل وما طلب من الله شيئاً الا واعطاه اياه ، فسأل الله سبحانه ذات يوم ان يريه ولياً من اوليائه ، فألهم الله ابا طالب في زيارته ، فقصده الى صومعته ، ولما ان بصر الراهب عمي ابا طالب ثار اليه وصار يقبل رأسه وجبهته ، ثم اجلسه مكانه وجلس هو متأدباً بين يديه وصار الى مساءلته ، وكان من جملة ما ألقاه عليه من المسائل : من اين انت يرحمك الله ؟

ابو طالب : من تهامة .

الراهب : ومن اي تهامة فهي طويلة عريضة ؟

ابو طالب : من مكة المكرمة .

الراهب : فمن اي اسرها وقبائلها انت ؟

ابو طالب : من عبد مناف .

الراهب : من اي بني عبد مناف ؟

ابو طالب : انا ابو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

الرسول الاعظمْ : فقام الراهب مجدداً الى عمي فأهوى عليه يقبل يديه ورجليه وهو يقول : السلام عليك يا ولي الله ، الحمد لله الذي قد اراني وليه قبل الموت .

الراهب : ابشر يا ابا طالب ان الله تبارك وتعالى قد ألهمني بشارة سارة لك .

ابو طالب : بشرني ايها الراهب الصالح ، فمثلك من يبشر بخير .

الراهب : ألهمت انه سيخرج الله من صلبك ولداً ذكراً يكون ولياً من اولياء الله ، ويكون وصياً للرسول المبعوث في هذا الزمان ، ويكون وزيره وولي عهده ، فان ادركت زمن ولادته اقرأه عني السلام وقل له المثرم يقرئك السلام ويشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله يرسله بالهدى ودين الحق ويظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، بمحمد تختم النبوة والبعثة وبك تتم الخلافة والوصاية .

يا جابر لما سمع عمي هذا من الراهب بكى من شدة الفرح والشوق للوليد الجديد ، ثم قال للراهب : أتعرف اسمه وهل هو موجود عندكم في كتبكم ؟

الراهب : نعم اعرف اسمه ونعته ، وهو موجود عندنا وفي كتبنـــا اسمه علي بن ابي طالب .

ابو طالب : فهل من دليل يذهب الشك عني ؟

الراهب : تمن علي واطلب مني ما بدى لك ، فوالله ما تسألني عن شيء الا وحققته لك فوراً باذن الله تعالى ولطفه .

ابو طالب : اني جائع اشتهى من طعام الجنة .

الراهب : يحرك شفتيه ويدعو الله ، وما ان يستتم دعاؤه حتى حضر

بين يديه طبق فيه من فواكه الجنة وثمرها ، فقال : تقدم يا ابا طالب وكل من طعام الجنة فهو هنيء مريء ، فتقدم وأكل من تلك الفاكهة وكانت مشكلة من عنب وتفاح ورمان ، حتى اذا شبع استأذن الراهب أن يحمل ما تبقى من الفاكهة ، فأذن له ، ثم استأذن الراهب بالرجوع الى اهله فأذن له وقال : اذا ولد لك وليدك المبارك أعلمني فانصرف معافى انشاء الله .

فعاد ابو طالب الى بيته ، فدفع الفاكهة الى زوجته فاطمة بنت اسد ، فتناولتها وأكلتها ، وبعد أيام وجدت نفسها حاملا مثقلة ، فانعقدت ياجابر نطفة علي من طعام الجنة ، ولقد زلزلت الارض وارتجت الجبال يوم حمله وانعقـــاد نطفته ، الامر الذي افزع قريشاً وأقلقهـم ، فهرعوا الى آلهتهم وفزعوا الى مقدساتهم يسألونها تهدئة الارض وارساء الجبال ، فما تزداد الارض والجبال الا اهتزازاً وارتعاداً ، كما تضعضعت الاوثان واضطربت الاصنام وسقط على الارض قسم منها من شدة الاهتزاز ، كل ذلك وهم لايعرفون السبب والدوافع التي ادت الى هذا العالم المخيف المرتباك .

أما ابو طالب فقد جاء الى جبل ابي قبيس ، فصعد عليه غير هياب والا مكترث بما اصاب القوم من الذهول والفزع ، ولما استقر على الجبل نادى بالناس ، فاجتمعوا في سفح الجبل ، فأومأ اليهم بالهدوء وملازمـــة السكينة ، فصاروا يتطلعون الى ما سيقوله شيخ الابطح وما هي غايته من ندائه ، ثم ابتدأ عمي بالكلام فقال فيما قال : اعلموا أيها الناس ان الله تبارك وتعالى قد أحدث في هذه الليلة حادثة مهمة ، وخلق فيها خلقاً جديداً فان لم تقروا لهذا المخاوق الكريم بالولاء والفضل وتشهـــدوا له عن ايمان وتصديق بذلك لم يهدأ الوضع الذي تحسونه وتستشعرونه ، بل لا يزداد الا تفاقماً وشدة وتعقداً .

وعندئذ قال الناس : ومن هو هذا المخاوق الجديد ، المخلوق الذي

اثرت ولادته بالعالم هذا الاثر العظيم ؟ قال : هو علي بن ابي طالب ، لقد امر الله سبحانه وتعالى ان يولد فولدته فاطمة بنت اسد في الليلة المنصرمة ؛ وحينئذ لم يسع القوم الا ان ينطقوا بلسان واحد : انا نؤمن بما تخبر ونقول بمقالتك ، فاسأل ربك ان يرفع عنا ما نحن فيه .

فبكى ابو طالب ورفع رأسه ويديه الى السماء وسأل الله عز وجل ان يرفع عن الناس ما يرونه من الهلع والفزع ، ثم دعا بهـذا الدعاء فقـال : « الهي ومولاي أقسم عليك بالمحمدية المحمودة والعلوية العالية وبالفاطميـة البيضاء الا ما تلطفت على تهامة بالرحمة والرأفة » فاستجاب الله دعاء عمي ابي طالب ، فهدأ الارض ومنع الاهتزاز وعادت حياة الناس الى حالتها الطبيعية .

ياجابر فوالذي برأ النسمة وفلق الحبة لقد كانت العرب تكتب هذا الدعاء للتحرز به وهم لايهتدون الى معناه ومغزاه ، وكانوا يستعماونه في الشدائد ومشكل الامور فيفرج الله عنهم وهم لا يعرفون مضمونه ومراميه ؛

وفي صبيحة الليلة التي ولد فيها علي اشرقت السماء وتنور الافق وخرج عمي ابو طالب يتخلل سكك مكة ويجوب اسواقها ونواديها هاتفاً ومردداً الله اكبر ، الله اكبر ، لقد تمت حجة الله على الخلق اجمعين . فجاءه الناس يهرعون وهم يقولون : وما تأويل ذلك يازعيم مكة ؟ فقال : ابشروا ياقوم فهذه الليلة الماضية قد ولد فيها ولي من أولياء الله ، وظهر فيها نور من أنوار الله ، بـه يختم الله الاوصياء كما يكمل بولايته خصال الخير كما ختم بمحمد الانبياء من قبل ، فعلي بن ابي طالب امام المتقين وناصرالدين ووصي رسول رب العالمين ، فهو امام هدى ونجم علا ومصباح دجى ، كما هو مبيد الشرك والشبهات ، كما هو نفس اليقين وروح الدين .

ياجابر ولم يزل عمي كذلك النهار كله والليل كله حتى اصبح الصباح

قد اختفى اربعين صباحاً ولم يره احد .

قال جابر : قلت يارسول الله بأبي انت وامي الى اين ذهب عمك وما هي غايته من ذلك الاختفاء المدة التي ذكرتها ؟

قال صلى الله عليه وآله : قصد عمي الراهب ليبشره بولادة علي حيث قد اوعده بذلك ، وقد استوعب ذهابه وايابه تلك المدة ، ولما وصل ابو طالب الى الجبل الذي يقطن المثرم بعض كهوفه فوجده ملتفاً بعباءته وكان قد فارقت روحه الحياة ، فاستاء ابو طالب لذلك حيث لم يحصل على الغاية التي من اجلها تحمل وعثاء السفر ووعورة الطريق ، وبينما هو كذلك اذ ادار بعينه في زوايا الكهف فوقع بصره على حيتين عظيمتين مختبئتين في الزاوية وكأنهما يحرسان جثمان الراهب من الضواري والوحوش ، وقد الهم ابو طالب ان يكلم الحيتين فقال السلام عليكما ايها المخلوق العظيم . فقالتا : وعليك السلام ياولي الله وعم رسوله وابا وليه ، الذي يظهر من حالتك ياعم رسول الله ان غايتك الاجتماع بالمثرم ؟ قال : نعم ولكن من المؤسف لم اجده حياً . فقالت : ياعم رسول الله اسأل الله تعالى بحق محمد وآل محمد ان يحيي لك الراهب فتجتمع به وتسأله عما تريد ثم يعود ان شاء العودة الى الموت .

فاتجه عمي الى الله واقسم عليه بي فأحيا الله الراهب ، فعانق عمي وصارا يتحدثان ملياً ، فقال عمي : اني قصدتك لأبشرك بمولد علي ابني . فقال : بشرك الله بخير ياابا طالب ، اشهد علي اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وان علي بن ابي طالب ولي الله وحجته على الخلق بعد رسول الله ، ثم اعلمني هل كانت هناك علامات وأمارات ليلة ولادة علي ؟ قال ابو طالب : نعم قد اهتزت الارض ومادت الجبال وسقط بعض الاصنام من شدة الاهتزاز .

ثم طلب الراهب ياجابر من عمي ان يطلعه على كيفية ولادة علي واين كانت ولادته ، فصار ابو طالب يقص عليه قصة الولادة ويوقفه على مكانها فقال : اعلم ايها الراهب لما مضى من الليلة التي ولد فيها علي ثلثها اخذ فاطمة زوجتي ما يأخذ النساء من الطلق ، فاستشعرت ذلك منها ، فقالت : مابالك يافاطمة ؟ قالت : اني اجد وهجاً وارتباكا في احشائي ، ثم خرجت الى البيت الحرام مستجيرة به ولائذة بجاه ، ولما وصلت الى البيت وكان مقفلا فانشق لها الحائط ، فدخلت والتحم الحائط ، وكان هناك جماعة قد استعظموا الامر فعالجوا فتح الباب فاستعصى عليهم ، فتحققوا انه سر من الاسرار الالهية ، اما انا فرجعت الى البيت فجئت بالمفاتيح وفتحت الباب ، فدخلت فوجدت فاطمة وهي في حالة طلق ، فصار في نفسي ان اخرج فآتي اليها بنساء من بني هاشم ليلين منها ماتلي النساء من النساء ، فقلت لها : اني ذاهب لآتيك ببعض نساء بني هاشم . قالت : شأنك يا ابا طالب فنهضت للغاية ، ولما صرت قريباً من الباب اذ نوديت من بعض اركان البيت ان امسك يا ابا طالب ان ولي الله لاتمسه ايدي البشر حين ولادته ، فتحيرت ولم ادر ماذا اصنع ، وبينما انا كذلك اذ يدخلن البيت اربع نسوة عليهن هيبة ووقار يلبسن ملابس بيض ، روائحهن اطيب من المسك الاذفر فأقبلن يمشين على سكينة وهدوء حتى حاذين فاطمة ، فقلن لها : السلام عليك ياولية الله وام وليه . فقالت : وعليكن السلام من انتن ؟ قلن : ستعرفين من نحن بعد ولادتك ، فهلمي نهيئك للولادة ، فجلسن بين يديها ولم يزلن كذلك حتى ولد علي ، وقد وقع على الارض ساجداً لله عز وجل فنظرته فوجدته كالشمس الطالعة وهو يقول : اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وانا وصي رسول الله ، بمحمد تختم النبوة وبي تختم الوصية .

ثم اخذته واحدة من النسوة فوضعته في حجرها ، فلما نظرها قال :

السلام عليك ياأماه . قالت : وعليك ياولدي افضل التحية والسلام . ثم قال لها : ماذا تعلمين عن ابي ؟ قالت : انه يتقلب بنعم الله وينعم برحمته ولطفه . فلما سمعت منه ذلك لم امتلك نفسي دون ان قلت : الست انا ابوك وفاطمة امك . قال : نعم ولكن انا يا ابتاه من صلب آدم وبطن حواء فسؤالي كان عن ابي الاول وحاضنتي التي تراها هي حواء ، فلما سمعت ذلك استحييت من النسوة فقصدت بعض زوايا البيت ، فالتففت بعباءتي ونمت .

ثم تناولته الثانية فقبلته وناغته ، فنظرها علياً وقال : السلام عليك يا اختاه فما خبر اخي ؟ قالت : وعليك السلام ياولدي واخوك برحمة من الله وفضل ، اما انا فما وجدتني الا مندفعاً لسؤاله من حيث ادري ولا ادري ، فقلت : يا ولدي اي اخت هي واي أخ تسأل عنه ؟ فقال : انا هي فمريم بنت عمران فسألتها عن اخي واخيها موسى بن عمران .

ثم تناولته الثالثة فجعلته في حجرها ، ثم اخرجت من حقيبتها ثوباً من حرير الجنة وسندسها ، فألبسته اياه ، وناولته الرابعة فشمته وصارت تلثمه وتقبله وقالت له : السلام عليك ياولي الله . قال : وعليك السلام ايتها المؤمنة الصالحة ، السلام عليك ياآسية . ثم ناولته لأمه وقالت : احتفظي به يافاطمة بارك الله لك فيه .

فقلت للنسوة : لو ختناه لكان ذلك احسن له واخف عليه لأن العرب كانت تستعمله . فأجابتني واحدة منهن فقالت : ياعم رسول الله بارك الله لك في ولدك وأقر عينيك به ، فانه ولد مختوناً وطاهراً مطهراً ، واعلم ياعم محمد أن ابنك لا يضره حر الحديد في الدنيا أبداً الا على يد رجل يبغضه الله ورسوله والملائكة والمؤمنون .

قلت : وما اسم هذا الرجل ؟ قالت : اسمه عبد الرحمن بن ملجم المرادي من اهل الكوفة ، ويكون هذا الامر بعد وفاة نبي الله محمد بن عبد الله بثلاثين سنة .

وبينما نحن كذلك اذ يدخل علينا محمد ، فأخذه من ايدي النسوة فصار يناغيه ويناجيه ويسر اليه ، ثم ناوله لأمـــه ثم غبن النسوة عن الابصار ، فالتفت الي ولدي وقال : قم الآن والتحق بالمثرم واخبره بولادتي وقص عليه قصتي كما رأيتها ، فاستصوبت رأيه وقد قصدتك لأجل بشارتك .

فسجد الراهب شكراً لله تعالى ثم هلل الله وكبره ثم قال لعمي : غطني ياعم رسول الله بعباءتي ، فغطاه فانتقل الى جوار ربه ورحمته .

يقول ابو طالب : فاستوحشت لذلك كثيراً واذا أنا بالحيتين يقولان لي اذهب يا عم رسول الله الى مكانك فاحفظ على ابن اخيك محمد وعلى ولدك علي واحفظهما من كيد الاعداء واحرسهما من شرور الكافرين ولا سيما اليهود المجرمين ، واننا نهنئك بولدك الكريم فانه ولي الله وحبيبه بعد رسول الله كما هو وصيه ووزيره .

قال جابر : قلت يا رسول الله صلى الله عليك وعلى آل بيتك اصحيح ما يقوله بعض الناس ان عمك وناصرك ابا طالب قد مات كافراً والعياذ بالله ؟

فقال صلى الله عليه وآله : ياجابر الله اعلم بما في النفوس ، كما هو سبحانه وتعالى اعلم بالغيب ، ولكن ياجابر الشيء الذي اريد ان اقوله لك الآن اني لما عرج بي الى السماء ليلة الاسراء فانتهي بي الى العرش فرأيت على ساق العرش اربعة انوار ، فقلت : الهي ومولاي وسيدي ماهذه الانوار ؟ فقال عز وجل : يامحمد ياحبيبي هذا نور جدك عبد المطلب ، وذاك نور عمك ابي طالب ، وهذا نور ابيك عبد الله ، وذاك نور امك آمنة بنت وهب . فقلت : الهي وبماذا قد استحق هؤلاء منك هذه الكرامة ؟ قال تعالى : لايمانهم بي واعتمادهم علي .

• • •

اقول : وقد روى الحديث كثير من المؤرخين والمحدثين منهم المجلسي

في البحار وابن شاذان في الفضائل وصاحب جامع الاخبار والديلمي في ارشاد القلوب ، ثم لا يستكثر على عم رسول الله مثل هذه الكرامات فيحي الله عز وجل بواسطة توسله بمحمد رسول الله الاموات أو يكلمه مالا قابلية له على التكلم لاطاعته رضوان الله عليه لله وعبادته اياه ، ثم مجافات ومحاربة كل ماينافي التوحيد والشرك ، ثم تفانيه في سبيل رسول الله والتزامه . وقد ورد في الحديث القدسي : « عبدي اطعني تكن مثلي ، انا اقول للشيء كن فيكون وانت تقول للشيء كن فيكون » .

قال القاضي النقدي في المواهب : قال ابو طالب يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله ويعلن ولاءه والتزامه له صلوات الله وسلامه عليه :

بسنى وجهك الذي فاق	في الحسن على نور شمسنا والهلال
انت والله يامناي وسؤلي	الذي فاق نوره المتعالي
انت خير الانام من هاشم الغر	بكل العلا وكل المعالي
وعلو الفخار والمجد أيضاً	ولقد فقت اهل كل المعالي

وقال السيد زيني دحلان في المطالب والحافظ ابو نعيم في حلية الاولياء : ان ابا طالب كان اذا اشتد عليه البلاء واصابته ضائقة ومحنة توسل الى الله تعالى بمحمد واسمع الناس بعض ما يعرف من فضائله وفواضله فيفرج الله عنه ويكشف مابه من ضر مسه ، فما من محفل او ندوة يحضرها الا وينفجر كالبركان باثاً مكارم رسول الله ومحدثاً عن جميـــل خصاله ونبيل خلالـه وصفاته ، وما ذلك منه الا ايمانا منه بنبوته وتصديقاً له في بعثته ورسالته ، فمن ذلك ما يرويه عن ابيه العظيم جد رسول الله الزعيم عبد المطلب انه رضي الله عنه رأى ذات ليلة كأن شجرة قد نبتت على ظهره وقد ضربت اغصانها على الدنيا وامتدت الى المشرق والمغرب ، وكأن الناس كل الناس قد سجدوا له لتلك الشجرة وكانوا لها خاضعين خاشعين ، ورأى بعضاً من قريش وقـد

تعلق ببعض فروع الشجرة ورأى البعض الآخر يحاول قطعها واستئصالها ، وكلما قربوا منها يقوم في وجوههم شاب لم ير قط اجمل ولا أنبل منـه ، فيصدهم ويمنعهم بقوة وحماس عن الدنو اليها بسوء ، فدنوت انا وحاولت التعلق بغصن منها لم استطع ذلك ، فقلت في نفسي : الخير كل الخير لهؤلاء الذين ساعدهم الحظ والتوفيق على التعلق والتمسك ببعض فروعها ، ثم انتبه فزعاً مرعوباً فناداني وقص علي قضية رؤياه ، فاستأذنته ان اعرضها على الكاهنة والعرفاء فأتبين مغزاها وما ترمز اليه ، فقال : شأنك اذا اردت ذلك . فقصدت من ترجح لدي من العرفاء فنقلت له رؤيا ابي ، وما ان سمع ذلك مني حتى استولى جالساً وقال : قل لأبيك ان صدقت رؤياه وتحقق حلمه ليخرجن من صلبه رجل يمتلك شرق الدنيا وغربها وتدين له الناس وتخضع له الدنيا بأسرها ، أما انه ما استطاع ان ينال غصناً من اغصانها وما تمكن من التعلق بفرع من فروع الشجرة فانه لا يدرك الزمن الذي يكون فيه حفيده سلطاناً وملكاً على العالمين بل يفاجئه الاجل قبل ذلك ، وبعد ذلك جئت الى ابي فقصصت عليه تأويل رؤياه ففرح اولاً ثم بدت على وجهه واساريره علامات الاستياء والتأثر ، فقلت : يا ابتاه رأيتك فرحت اولاً واستأت اخيراً ؟

فقال : يااباطالب اما فرحي فلأن الوليد المرتقب لم يكن كما ذكر الراهب هو ملك من ملوك الدنيا فحسب بل هو النبي الذي بشرت به الكتب السماوية من قبل ونقله الخلف عن السلف من آبائك الاكرمين وبالملازمـة يسود الدنيا من اقصاها الى اقصاها ؛ وهو امر بواقعه وحقيقتـه يستلزم المسرة والفرح لأنه الشرف والمجد اللذان يتضاءل امامهما اي شرف ومجد ، اما جهة استيائي وتأثري اولاً لمحاولة القوم قطع الشجرة واجتثاثها ومحاربتها بكل الوسائل والحيل ، وثانياً من ناحية اني لم ادرك الزمن الذي يكون فيه ولد نبياً وسفيراً عن الله عز وجل .

وقال القاضي النقدي في المواهب بعد ان يذكر هذه القصة : وكان ابو طالب يكرر المرة تلو الأخرى ، مما لاشك فيه ان الشجرة نبتت على ظهر ابي عبد المطلب هي ابو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

وقال النقدي ايضاً : ان جماعة من المحدثين قد عدوا كون ابي طالب شقيقاً لعبد الله والرسول من النعم الالهية والتفضلات الملكوتية على ابي طالب لأنه لم يكن شقيقاً لعبد الله الا ابو طالب رضوان الله عليهم اجمعين ، كما انهم عدوا اختيار النبي الاكرم كفالة عمه أبي طالب واختصاصه به من دون اعمامه التسعة الآخرين هو ايضاً من كرامات الله عز وجل لأبي طالب عليه السلام .

وقال المجلسي في البحار ومن اظهر كرامات الله تعالى على ابي طالب ان جعله اميناً على محمد رسول الله وكفيلا له .

ثم قال المجلسي : روى الواقدي لمادنت الوفاة من عبد المطلب جد رسول الله امر ولده ابا طالب ان يحمل من داره الى البيت الحرام فيجعله بفناء الكعبة وعند استارها المباركة ، فامتثل ابو طالب ، فحمل السرير الى حيث اراد ابوه ، وكان السرير من الخيزران الاسود ، وقد انتقل الى عبد المطلب بطريق الوراثة من جده عبد مناف ، وكان مطعماً بالذهب والفضة والثمين من الاحجار الكريمة ، ثم نقل ابو طالب اباه الى سريره فنام عليه والتف اولاده حوله كما احاطت به جموع بني هاشم ، وصار الناس من الزعماء والوجوه يتهافتون على زيارته وعيادته ، وكل فرد منهم تظهر على ملامحه شعارات الحزن والالم ، أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان في ذلك الحين طفل صغير يروح ويجيء على جده فيصعد معه على السرير فيتلقاه جده بكل رحابة وسرور ، فيجلسه معه على السرير ، وجاء ذات مرة واراد صعود السرير على عادته فلم يهن الامر على ابي لهب ، فاجتذبه

واراد منعه ، فأخذه عبد المطلب بقوة واصعده معــه ، وما شعر ابو لهب الا واللطمة على وجهه وعينيه ، فأخجلته امام الناس وامام حشود الزائرين والعائدين .

ثم قال عبد المطلب : والله يا ابا لهب ان تقربت من محمــد او تعرضت اليه او دنوت منه بسوء تعرف ما يصيبك مني كما تعرف مصيرك الاسود وتعرض نفسك لأقصى العقوبات .

ثم التفت عبد المطلب الى ابي طالب وقال : ياولدي اني مفارقكم عما قريب فأذهب الى جوار ربي وغفرانه ، وهذا محمد وديعتي بل وديعة الله عندك ، يا ابا طالب بحرمة ابوتي عليك احفظ وصيتي وعليك بمحمد ، اكفله انت بنفسك ولازم رعايته بشخصك ولا تدع ابا لهب وامثاله لمن لاذمة لهم وذمام يقربون منه بأذى او يتعرضونه بما يسيئه ويكدر عليه صفوه وراحته ، ثم انشأ يقول للتأكيد عليه بالمحافظة على رسول الله صلى الله عليه وآله :

اوصيك يا عبد مناف بعدي	بواحـد بعـد ابيــه فرد
فارقه وهو ضجيع المهــد	فكنت كالام له في الوجد
وبالحشى الصقته والكبــد	حتى اذا خفت فراق الوغد
اوصيك ارجى اهلنا للرفد	بابن الذي غيبته في اللحد
بالكره مني ثم لا بالوعد	وخيرة الله تشا في العبــد

قال الواقدي : ولما سمع ابو طالب التأكيد النثري والشعري على محافظة النبي واحاطته قال : يا ابتاه طب نفساً وقر عيناً ، فاني والله سأقوم بكل وصاياك وافدي محمداً بنفسي واهلي وولدي وبكل ما تناله يدي مادمت حياً ، فرفع عبد المطلب يديه نحو السماء وقال : اللهم رب الارباب ومالك الارض والسماء بارك في ابي طالب ووفقه لكل خير .

ونقل ابن شهر اشوب بطريقه الى الاوزاعي انه قال : لما مرض عبد المطلب

مرض الموت اوصى برسول الله ابنه ابا طالب كثيراً وكثيراً جداً ، فقام ذات يوم ابو لهب فقال : ابتاه اراك تكرر الوصية الى ابي طالب كما عهدت اليه امر محمد وكفالته ، فلم لا توصي الي وتعهد بكفالة محمد لي فأنا احفظه واصونه .

وما ان سمع عبد المطلب منه ذلك حتى استوى جالساً وانتفض انتفاض الليث ، فهز ابا لهب وانهال عليه بكلمات جارحة وقال فيما قال : انك لم تكن اهلا لكفالة محمد ولا صالحاً لحمايته ولا كرامة لك بل نكتفي منك ان تكف عنه شرك ومكرك فسكت ولم يحر جواباً .

ثم قام العباس وقال : انا يا ابتاه اكفل محمداً واقوم بخدماته واكفيه كل شيء . فقال : لا ولن تصلح لرعاية محمد وتربيته ، لأنك كثير الغضب شديد الوطأة فلا آمنك ان تثور وتغضب على محمد فتكسر خاطره وتعكر عليه عيشه ، فعندئذ سكت العباس ولم يتفوه بشيء .

ثم قام ابو طالب فقال : انا له يا ابتاه جعلت فداك وفداه . فقال : نعم يا ولدي انت له بارك الله فيك وفيه ، قم يامحمداه واجلس في حجر عمك ، فامتثل رسول الله فجلس في حجر عمه ابي طالب .

وذكر المحدث قطب الدين الراوندي في الخرائج بطريقه الى فاطمة بنت اسد زوج ابي طالب انها قالت : لما بدت امارات الموت على عبد المطلب اجتمع عليه اولاده ، فالتفت اليهم وقال : ايكم يكفل محمداً ويقوم بشؤونه ؟ فقال بعضهم : نحن ، وسكت آخرون . فقال عبد المطلب : من الافضل ان نتركه هو يختار لنفسه من يشاء من عمومته . وعندئذ توجه اليه بالكلام وقال : يامحمد انا قد جعلت لك حرية الاختيار وفوضنا لك امر الانضمام الى من تشاء من عمومتك ، لأني ياولدي قد دنا مني اجلي وقربت مني منيتي والموت اراه يحوم من حولي فأجده كقاب قوسين أو

ادنى ، واود ان ارى بحياتي من يكفلك والشخص الذي تختاره لحمايتك كي اطمئن واذهب الى جوار ربي مرتاح الضمير من ناحيتك .

وعلى هذا الاساس قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصار يطيل النظر الى كل واحد من عمومته ، ثم الى عمه ابي طالب فجلس في حجره ، فالتفت عبد المطلب الى ابي طالب وقال : يا بني اني على ثقة من امانتك ودينك ، فكن لابن اخيك كما كنت اناله ، والله يجزيك خير جزاء المحسنين . فقال ابو طالب : والله يا والدي هو عندي اعز من نفسي وولدي ولانعمنك عيناً انشاء الله .

ولما مات عبد المطلب وانتقل الى رحمة ربه الكريم تولى ابو طالب خدمة رسول الله ، فأجاد الكفالة واحسن الخدمة ، وكان المقدم عنده على نفسه واولاده . ثم التفت الي وقال لي : يافاطمة هذا محمد ابن اخي هو روحي وسمعي وبصري فأحرصي على ان لا يمسه مكروه ، اكرمي مثواه وقومي بمتطلباته واعرفي قدره ، فانه نبي هذه الامة وكفى . فقلت عند ذلك نعم يا ابا طالب اني اعرف محمداً حقاً واعرف ماسيؤول اليه امره ، وهو والله عندي اعز علي من نفسي عليها ، كما هو والله اعز علي من ولدي ، وسأقوم بخدمته ما وجدت الى ذلك سبيلا انشاء الله .

* * *

اقول : ومهما يكن من شيء فليس اختيار عبد المطلب ابا طالب لكفالة رسول الله صلى الله عليه وآله واختيار النبي هو شخصياً للانضمام الى عمه الزعيم ابي طالب . نعم ليس هذا الا لتجاوب الارواح وانجذاب النفوس بعضها لبعض ، بالاضافة الى ايمان ابي طالب العميق بالله ورسوله ، الامر الذي قد استشعره كل من النبي وعمه ، كما استشعر انه ارأف به واشفق عليه من اي احد من اولاد عبد المطلب ، لأن ابا طالب هو شقيق

عبدالله والد رسول الله ، ولم يكن لهما شقيق ثالث . ومن هنا وهناك كان من ابي طالب ما كان من الخدمة الصادقة ، والولاء الخالص ، والايمان الواقعي العظيم .

وتحدث الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص١٧ فقال : ان أبا طالب يجتمع برسول الله من حيث الآباء والامهات الى آدم وحواء ، ومما لا شك فيه ولا ريب يعتريه ان آباء النبي الاكارم واجداده البررة كلهم اماجد اطائب ، ينحدرون من طاهر الى طاهر ومن زكية الى زكية ومن مؤمن بالله الى مؤمنة كذلك ، واذا كان الامر كذلك فعم النبي هو واحد من تلك الدوحة المؤمنة وفرع من فروع تلك الشجرة الطيبة . فلا غرابة اذاً ان يكون اول مؤمن بالله واول واثق ببعثة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ، واول متفان في نصرته ومؤازرته .

ونقل القندوزي في نفس الصفحة ايضاً بسنده الى الكابي انه قال : احصيت لرسول الله خمسمائة ام ، فما وجدت فيهن من سفاح الجاهلية شيئاً . ومما لايعترضه الوهم والشك ان امهات ابي طالب هن امهات رسول الله صلى الله عليه وآله .

اقول : ومن اصدق من رسول الله صلى الله عليه وآله قيلا وحديثاً ، وقد تقدم عنه صحيحاً انه قال « والله ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء قط من لدن آدم وحواء وحتى عبد الله وامي آمنة بنت وهب » .

ونقل القندوزي في نفس الصفحة بسنده الى ابن عباس انه قال في تفسير قوله تعالى « وتقلبك في الساجدين » يعني عز وجل قد علم تقلب رسول الله في اصلاب الساجدين وارحام الساجدات حتى اخرجه من صلب عبد الله وبطن آمنة نبياً .

وفيها ايضاً بطريقه الى عائشة انها كانت تقول : قال رسول الله في تفسير قوله تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » انما اراد عز وجل من

انفسهم نسباً وصهراً وحسباً ، فوالله ليس في آبائي ولا في امهاتي من لدن آدم وحواء وحتى آمنة وعبد الله سفاح قط ، بل كانوا يستحلون نساءهم بعقد كعقد الاسلام .

وفيها اعني في ينابيع المودة في ص ١٣ قال القندوزي : وقد جاء في فضائل العباس بن عبد المطلب من انه رضي الله عنه قد دخل على رسول الله كئيباً حزيناً الامر الذي استلزم ان يسأله رسول الله عن الاسباب والدوافع التي ادت الى ذلك ؟

قال العباس : بأبي انت وامي صلى الله عليك وعلى آلك الطيبين مالنا وقريش اذا تلاقوا مابينهم تلاقوا بوجوه ضاحكة مستبشرة ، واذا صادفونا لقونا بغير ذلك لقونا بوجوه مكفهرة كالحة ؟ فغضب رسول الله عند سماعه من عمه ذلك ، ثم قام الى الجامع وامر المنادي ان ينادي بالناس ، فحضر الناس فصعد النبي على المنبر فقال فيما قال : من آذى عمي فقد آذاني ، فانما عم الرجل صنو ابيه . ثم قال : فوالله الذي نفسي بيده لا يدخل الايمان قلب رجل منكم حتى يحب آل بيتي لله ورسوله .

اقول : ومما لا يخالجه الشك والريب ان عم النبي العظيم ابا طالب ، اذا ماقرناه بالعباس وقسنا احدهما بالنسبة الى الآخر وجدنا ان خدمات ابي طالب ومواقفه المشرفة هي اكثر واوفر من خدمات العباس ، بل لاقياس ولا نسبة بالمرة بين الموقفين والخدمتين ، فخدمة ابي طالب وجهوده ومساعيه المشكورة ونصرته ومؤازرته لايعلمها ولا يقدرها الا الله عز وجل والا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم اذا كانت ملاقاة قريش للعباس على غير الوجه الذي يلاقون به بعضهم لبعض مما يغضب النبي ويؤلمه ـ وبالتالي يضطره الى جمع الناس وصعود المنبر وتفهيمهم ـ بأن من آذى عمه فقد آذاه ، ثم قال : « انما عم الرجل صنو ابيه » .

فما حال من نسب الى عمه وخادمه وكافله والقائل بمقالته الممات على الكفر ـ والعياذ بالله ـ اليست هذه النسبة لأبي طالب من اعظم الايذاء لرسول الله واكبر الاساءة اليه صلى الله عليه وآله ، افلا يتدبرون هذا ام على قلوب اقفالها !! .

ذكر ابن ابي الحديد في شرحه على النهج بطريقه الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام من انه قال في بعض خطبه الحكيمة البليغة يصف رسول الله وصفاً رائعاً وواقعياً يرادف وصف الله عز وجل ومدحه لرسوله وحبيبه كما وصف آباءه واسرته الكريمة ، وانها اسرة مؤمنة بالله معتمدة عليه في كل امورها ومشاكلها ، لا تعرف غيره كما لا تعبد سواه .. ثم ذكرها بما هي فيه من المواهب الجليلة والصفات الفذة النبيلة والمجد المؤثل القديم ، فقال عليه السلام :

« فاستودعهم في خير مستودع ، واقرهم في خير مستقر ، تناسختهم كرائم الاصلاب الى ارحام المطهرات ، كلما مضى منهم خلف قام منهم بدين الله خلف ، حتى افضت كرامة الله سبحانه الى محمد صلى الله عليه وآله ، فأخرجه من افضل المعادن منبتاً ، واعز الارومات مغرساً ، من الشجرة التي صدع منها انبياءه ، وانتخب منها امناءه ، عترته خير العتر ، واسرته خير الاسر ، وشجرته خير الشجر ، نبتت في حرم ، وبسقت في كرم ، لها فروع طوال وثمر لا ينال ، فهو إمام من اتقى ، وبصيرة من اهتدى ، وسراج لمع ضوؤه وشهاب سطع نوره ، سيرته القصد ، وسنته الرشد ، كلامه الفصل ، وحكمه العدل ، ارسله الله على حين فترة من الرسل وهفوة من العمل ، وغباوة من الامم » .

وتحدث القندوزي في ينابيعه ص ١٣ وصاحب مجمع الفوائد فقالا : جاء العباس بن عبد المطلب الى الرسول الاعظم ، فقال : يابن اخي حضرتني ابيات رغبت ان القيها عليك اذا سمحت . فقال : هاتها ياعم لا يفضض

الله فاك فأنشده :

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد فلا بشر انت	ولا مضغـــة ولا علـــق
وردت نار الخليل مكتتماً	وقد الجم نسراً واهله الغرق
تنقل من طاهر الى رحم	اذا مضى عالم بـــدا طبـــق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندف علياً دونها النطـــق
وانت لما ولدت اشرقت الارض	وضـــاءت بنـــورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي	النور وسبل الرشـــاد نخترق

وقال ابن ابي الحديد والقندوزي في ينابيعه ان لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب خطبة يصف بها كيفية خلق الكون وكيفية خلقة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ، ثم يتعرض لما لآباء النبي من المجد والشمم والايمان العميق بالله عز وجل والدعوة له خاصة كما لا يشركون بعبادته احـــداً ، فقال عليه السلام :

خلق الله الخلق في ظلمه ، ثم رش عليه نوراً من نوره تعالى ، فمن اصابه من ذلك النور بشيء فقد اهتدى ، ومن اخطأه فقـــد ضل ضلالا مبيناً . وان الله عز وجل حين شاء تقدير الخليقة ، وذرء البسيطة ، وابداع المبدعات ، ضرب الخلق في صور كالهباء قبل وجود الارض والسماء ، وهو سبحانه في انفراد ملكوته ، وتوحد جبروته ، فأشاع نوراً من نوره فلمع وقبساً من ضيائه فسطع ، ثم اجتمع ذلك النور في وسط تلك الصورة الخفية ، فوافق نور نبينا محمد صلى الله عليه وآله ، فقال الله عندئذ : أي محمد انت المختار المنتخب عندك ، يامحمد ثابت نوري وكنوز هدايتي ، ثم اخفى الخليقة في غيبه وكتمها في مكنون علمه ، ثم وسط العالم وبسط الزمان وأثار الزبد واهاج الريح فطغى عرشه على الماء ، ثم سطح الارض على الماء ، ثم انشأ الملائكة من انوار ابتدعها وعوالم اخترعها ، ثم قرن بتوحيـــده تعالى

نبوة محمد صلى الله عليه وآله ، فهو ابو الارواح ويعسوبها ، كما كان آدم ابا الاجسام والاجساد ومنشأها ، ثم انتقل النور في جميع العوالم : عالم بعد عالم ، وطبق بعد طبق ، وقرن بعد قرن ، الى ان ظهر نور محمد صلى الله عليه وآله بالصورة والمعنى في آخر الزمان هذا ، وان لمحمد بالخفاء روحانية تستمد الفيض الاقدس ، ثم هو صلى الله عليه وآله يمد العوالم كلها بتلك الروحانية الخفية » .

اقول : هنيئاً لك يا عم رسول الله وكافله ، حيث كان نورك ينتقل مع نور رسول الله ، فطاف العوالم كلها ثم صار يمدها بالفيض والروحانية ، ثم شاءت لك ارادة الله سبحانه ان تكون صائناً لذلك النور محافظاً عليه ، ما ان استطعت الى ذلك سبيلا .

وجاء في مستدرك الصحيحين ٤ / ٧٣ بطريقه الى عبد الله بن عمر انه قال : بينما نحن جلوس بفناء دار رسول الله صلى الله عليه وآله اذ مرت علينا امرأة ، فقال رجل من الجالسين : هذه بنت محمد . فقال ابو سفيان : ان مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التبن ، فسمعت المرأة هذا الكلام فأسرعت في مشيها فدخلت على رسول الله فأخبرته بمقالة ابي سفيان فبينما نحن جلوس اذ خرج علينا رسول الله مغضباً يلوح الغضب على وجهه الكريم ، فأمر ان ينادى في الناس جامعة ، فاجتمع الناس في المسجد يهرعون ، فصعد النبي المنبر فقال فيما قال : ما بال اقوام تبلغني عنهم مقالة ، اعلموا ايها الناس ان الله تبارك وتعالى لما خلق السماوات والارض قد اختار العليا منها فأسكنها من شاء من خلقه ، ثم خلق الخلق فاختار منهم بني آدم ، واختار منهم العرب ، ثم اختار منهم مضراً ، ثم اختار منهم قريشاً ، واختار منهم بني هاشم ، ثم اختارني من بني هاشم ، فأنا من بني هاشم من خيار الخيار ، فمن احب العرب فبحبي أحبهم ومن ابغض العرب

فيبغضي ابغضهم ، ثم نزل صلى الله عليه وآله وسلم من المنبر فاعتذر الى حضرته المؤمنون .

* * *

اقول : ومما لا يشوبه الشك ولا يعترضه الريب والوهم ان ابا طالب عم رسول الله وناصره هو اجل سادات العرب واكبر شخصياتهم ، فمن احبه احب النبي ، ومن ابغضه فقد ابغض النبي صلى الله عليه وآله ، على اساس حديث ابن عمر هذا ، ومن ابغض النبي فهو كافر باجماع المسلمين ، كما يستحيل على الله الحكيم ان يودع انواره واسراره في اصلاب وارحام قد انطوت على الجحود بربوبيته او اشركت معــه غيره في العبادة ، كما يستحيل على رسول الله صلى الله عليه وآله ان يشيد ويفخر بشجرة كافرة او يمجد ويعظم اسرة مشركة .

وذكر السيد الموسوي في الحجة فقال : قال العباس بن علي بن الحسين بن علي بن عبدالله بن العباس بن امير المؤمنين علي بن ابي طالب ابياتاً يفتخر بها على غيره من الاشراف ، باعتبار انه نتاج اسرة مخضت عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

انا ورســـول الله يجمعنا ... اب وام وجد غير موصوم
جاءت به وبنا من بين اسرته ... غراء من نسل عمران بن مخزوم
حزنا بها من يسعى ليدركها ... قرابة من حواها غير مسهوم
رزقاً من الله اعطانا فضيلته ... والناس مابين مرزوق ومحروم

وقال ايضاً :

ان علي بن ابي طالب ... جدا رسول الله جداه
ابو علي وابو المصطفى ... من طينـــة طيبها الله

وبالمناسبة اقول : قد عثرت على مقارنة ومفاخرة بين الهاشميين والامويين

ذكرها ابن ابي الحديد في شرح النهج تبتدىء من ٣ / ٤٦٧ وتنتهي بـ ٤٩٩ ، فكان المنتصرون للامويين يأتون الى التفضيل من طريق عاتكة بنت يزيد بن ابي سفيان حيث هي ماكة بنت ملك وحفيدة ملك ، وكلما تكثر الملوك في بيت هو افضل من غيره ، اما المنتصرون للهاشميين فقد حذوا حذوهم فانتصروا على التفضيل من طريق فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

لذا قالوا : ان كان الفخر والفضل بعاتكة لأنها ابنت الملوك فانا نذكر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فانها بنت سيد الملوك وسيد البشر من الاولين والآخرين ، والتي قال فيها النبي فاطمة سيدة نساء العالمين . هذا ، مضافاً الى ان ام فاطمة خديجة الكبرى التي واست رسول الله صلى الله عليه وآله في السراء والضراء ، وبذلت جميع ما تملكه من الثروة الطائلة في سبيله ومصالح الاسلام ، بالاضافة الى ان السيدة فاطمة هي ام السبطين الامامين الحسن والحسين وحليلة علي امير المؤمنين وسيد الخلق بعد الرسول الامين . . .

وناهيك من مرأة ابوها رسول الله ، بعلها علي بن ابي طالب ، امها ام المؤمنين خديجة بنت خويلد ، اخواها الطيب والطاهر ابناء رسول الله ، ابن عمها الآخر جعفر الطيار ذو الجناحين ، عمها ابو طالب العظيم ، ابو طالب الزعيم الذي كان اشد الناس شكيمة واجودهم رأياً واشهمهم نفساً وامنعهم جانباً واحوطهم على الاسلام واكثرهم خدمة لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو سادن الكعبة ، بليغ اديب شاعر فصيح عالم جليل خطيب عظيم ، عم رسول الله وكافله ومربيه ومؤازره .

فهل يا ترى بالمستطاع لأي انسان ان يفاخر أبا طالب عم الزهراء ، او يفاخر اناساً ولدهم هاشم عمرو العلى ، فبنو هاشم ابداً لا يبارون ، فهم فوق عظمة العظماء وسيادة السادة والزعماء ؟ !

اما الامويون فلا يعرف فيهم خير قط لا في جاهلية ولا في اسلام ، بل لعلهم ومن غير مبالغة في القول ان اجرامهم ومناكيرهم في الدور الاسلامي اكبر واكثر مما كانوا عليه في الزمن الجاهلي ، فهم اجلاف واراذل قد ضربت عليهم الذلة جاهلية واسلاماً .

فهم الذين كانوا قد أقدموا على اول عمل منحط كريه تقشعر من فضاعته ابدان العقلاء حتى في الجاهلية وحين لا دين ولا كتاب ولا شريعة ولا نبوة . نعم اقدموا على نكاح نساء الآباء . قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣ / ٤٦٩ قال ابو عثمان : قد صنع امية بن عبد شمس شيئاً لم يقدم عليه احد لامن الاولين ولا من الآخرين ، لقد زوج امرأته من ابنه عمرو في حياته ، فأولدها ابا معيط بن ابي عمرو بن امية وصارت سنة في عقبه .

اما ابو طالب ـ بل الاسرة الهاشمية ماعدى ابي لهب ـ فانهم كانوا مؤمنين بالله نابذين لكل ماعداه ، فقد حرموا على انفسهم كافة المنافيات للانسانية ، وحرموا عليهم جميع الملاذ غير المشروعة من الزنى والخمور والربى والقمار والكذب ، الى غير ذلك من المخازي والموبقات .

قال جعفر بن ابي طالب ذات يوم للرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : بأبي انت وامي يا رسول الله اني ماكذبت كذبة قط لا في جاهلية ولا اسلام منذ علمت ان الكذب منقصة ورذيلة ، وما شربت الخمر قط منذ علمت انه يزيل العقل ويخمره ، وما زنيت قط منذ علمت متى ما فعلت فعل بي . فاستر رسول الله بذلك ودعا له بالخير والبركة .

اقول : ذكر ابن ابي الحديد في شرح النهج ٤ / ٤٨ كتاباً من علي عليه السلام لمعاوية بن ابي سفيان يعرفه فيه بيته ومكانته كما يصف فيه مجد الهاشميين ومكارمهم ، وها نحن نذكره تنويراً للرأي العام واظهاراً للواقع

الذي ما ربما يخفى على البسطاء من الناس ، فيتخيلون ان هناك مجداً وسيادة وكرامة وزعامة لبني امية .

والى القارىء الكريم نص الكتاب الذي كانت مناسبته كتاب من معاوية قد وصل الى الامام عليه السلام ، وهذا كتاب معاوية اولا ، وقد ذكره ابن ابي الحديد ايضاً في نفس الصفحة والجزء :

« من عبد الله معاوية بن ابي سفيان الى علي بن ابي طالب :

اما بعد ، فان الله تعالى جده قد اصطفى محمداً عليه السلام لرسالته واختصه بوحيه وتأديته لشريعته ، فأنقذ به من العماية وهدى به من الغواية ، ثم قبضه الله اليه رشيداً حميداً قد بلغ الشرع ومحق الشرك واخمد نار الافك ، فأحسن الله جزاءه ، وضاعف عليه نعماءه وآلاءه .

ثم ان الله سبحانه اختص محمداً بأصحاب ايدوه وآزروه ونصروه ، وكانوا كما قال الله تعالى فيهم « اشداء على الكفار رحماء بينهم » ، فكان افضلهم مرتبة واعلاهم عند الله درجة الخليفة الأول الذي جمع الكلمة ولمّ الدعوة وقاتل اهل الردة ، ثم الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ومصر الامصار واذل رقاب المشركين ، ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملة وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفية ، فلما استوثق الاسلام وضرب بجرانه عدوت عليه وبغيت الغوائل ونصبت له المكائد وضربت له بطن الامر وظهره ودسست عليه واغريت به وقعدت حيث استنصرك عن نصره وسألك ان تدركه قبل ان يمزق ، فما ادركته فما يوم المسلمين منك بواحد ، لقد حسدت ابا بكر والتويت عليه ورمت افساد امره وقعدت في بيتك واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته ، ثم كرهت بيعة عمر وحسدته واستطلت عليه مدته وسررت بقتله واظهرت الشماتة بمصابه حتى انك حاولت قتل ولده لأنه قتل قاتل ابيه ، ثم لم تكن اشد منك لابن عمك عثمان ، فقد نشرت قبائحه وطويت محاسنه وطعنت في فقهه ودينه ثم في سيرته وعقله ، واغريت

به السفهاء من اصحابك وشيعتك حتى قتلوه بمحضر منك لا تدفع عنه بلسان ولا يد ، وما من هؤلاء الا بغيت عليه وتلكأت في بيعته حتى حملت اليه قهراً بخزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش ، ثم نهضت تطلب الخلافة وقتلة عثمان من خاصائك والمحدقون بك ، وتلك من اماني النفوس وضلالات الاهواء ، فدع اللجاج والعبث جانباً وادفع الينا قتلة عثمان واعد الامر شورى بين المسلمين ليقفوا على من هو لله فيه رضى ، فلا بيعة لك في اعناقنا ولا طاعة لك علينا ولا عتبي لك عندنا ، وليس لك ولأصحابك عندي الا السيف ، فو الذي لا اله الا هو لأطلبن بدم عثمان وألاحق قتلته اين ما كانوا وحيث وجدوا فأقتلهم او اموت في هذا السبيل .

واما ما تزال تمنّ به من سابقتك وجهادك فاني وجدت الله يقول « يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمنّ عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم مؤمنين » ، ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها اشد الانفس امتناناً على الله بعملها ، واذا كان الامتنان على السائل يبطل اجر الصدقة فالامتنان على الله بأمر الجهاد يجعله كصفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين » .

اقول : والله انه لكتاب صلف وقح ينم عن عداء معاوية لعلي عليه السلام وبغض لا يضاهيه اي بغض ، وكيف لا يكون كذلك وهو يعلم حقاً أن علي بن ابي طالب قد ضرب خراطيم آبائه بالسيف حتى قالوا « لا إله الا الله » وأن علياً هو الذي قتل أخاه وعمه وخاله ، وأن علياً وحده هو الذي فرضته السماء وفرضت ولايته على الخلق عامة ، وهو الذي حلق بذكره المجيد في الآفاق ونصبه رسول الله إماماً للمسلمين وعلماً للأمة ، وهو الذي جاءه ، ابو سفيان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وقال له : مدّ يدك يا علي ابايعك . فصادف منه الإباء والانكار وعدم الرضا من عمليته ، لما يعلمه

عليه السلام من خبثه وانطوائه على النفاق ، وانه لا يبتغي من فذلكته تلك إلا ان يتصيد في الماء العكر ويامب لعبته برأس علي عليه السلام ، ظناً منه ان ستنطلي عليه أحـــابيله واباطيله ، ولكن امير المؤمنين المسدد بعناية الله والناظر بنوره سبحانه عرف نواياه ، فجابهه بالرد والانكار ولم يقبل بما عرضه كما لم يعتن برأيه .

وعلى كل حال لنطلق العنان الى القلم ليصور لنا جواب أمير البلغاء واستاذ الفصحاء وإمام الخلق اجمعين وامير المؤمنين علي بن ابي طالب ، وإليك قارئي الكريم النص الكامل :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن ابي طالب الى معاوية بن ابي سفيان .

اما بعد : فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمداً صلى الله عليه وآله بدينه وتأييده اياه لمن ايده من اصحابه ، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا ، فكنت في ذلك كناقل التمر الى هجر اوداعي مسددة الى النضال ، وزعمت ان افضل الناس في الاسلام فلان وفلان ، فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمه ، وما انت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس ، وما للطلقاء وابناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين والأنصار وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم ، هيهات هيهات لقدحن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها ، ألا تربع ايها الانسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتأخر حيث أخرك القدر ، فما عليك غلبة المغلوب ولاظفر الظافر ، فانك الذهاب في التيه رواغ عن القصد ، ألا ترى غير مخبر لك ولكن بنعمة الله احدث ان قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين والانصار ولكل فضل ، حتى اذا استشهد شهيدنا

قيل سيد الشهداء وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه ، أو لا ترى ان قوماً قطعت ايديهم في سبيل الله حتى اذا فعل بواحدناما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين ، ولولا مانهى الله سبحانه عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين ، فدع عنك من مالت به الرمية ، فإذا صنايع ربنا والناس بعد صنايع لنا ، لم يمنعنا قديم عزنا ولاعادي فضلنا وطولنا على قومك أن خلطناهم بأنفسنا فنكحنا وانكحنا فعل الأكفاء ولستم هنـــاك .

واني يكون ذلك كذلك ومنا النبي محمد ومنكم المكذب ، ومنا اسد الله واسد رسوله ومنكم اسد الاحلاف ، ومنا سيدا شباب اهل الجنة ومنكم صبية النار ، ومنا سيدة نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب - الى كثير مما لنا وعليكم ، فاسلامنا ما قد سمع وجاهليتنا لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ماشذ عنا ، وهو قوله تعالى سبحانه « واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » وقوله تعالى « ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » فنحن اولى بالقرابة وتارة اولى بالطاعة .

لما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله فلجوهم ، فان يكن الفلج به صلى الله عليه وآله فالحق لنا دونكم ، وان يكن بغيره فالانصار على دعواهم .

وزعمت اني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت ، فان يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر لك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها .

وقلت اني كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع فلعمر الله لقد اردت ان تذم فمدحت وان تفضح فافتضحت ، وما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً في يقينه ،

وهذه حجتي الى غيرك قصدها ولكني اطلقت لك منها ذكرها .

ثم ذكرت من امري وامر عثمان فلك ان تجاب لرحمك منه ، فأينا الذي كان اعدى له واهدى لمقاتلته ، ام من بذل نصرته فاستقعده واستكفه امن استنصره فتراضى عنه وبث له المنون حتى اتى قدره عليه ؟ كلا والله ، لقد علم المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون الناس الا قليـــلا .

وما كنت لأعتذر من اني كنت انقم عليه اشياء واحداثاً ، فان كان الذنب اليه ارشادي وهدايتي اليه فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة المتنصح ، « وما اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب » .

وذكرت انه ليس لي ولأصحابي عندك الا السيف ، فلقد اضحكت بعـــد استعبار ، متى الفيت آل ابي طالب وبني عبـــد المطلب عن الاعداء ناكصين ناكلين وبالسيف مخوفين ، فالبث قليلا يلحق الهيجاء حمل فسيطلبك من تطلب ويقرب منك من تستبعد ، وانا مرقل نحوك بجحفل من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان ، شديد زمامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت احب اللقاء اليهم لقاء ربهم ، وقد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها من اخيك وخالك وجدك ، وماهي من الظالمين ببعيـــد .

اقول : ونترك المقارنة والتمييز بين الطائفتين لذوق القارىء الكريم ثم ليقطع وليحكم بما يريد .

واقول ايضاً كما قال جدنا امير المؤمنين عليه الســـلام : ان اريد الا الاصلاح ما استطعت الى ذلك سبيلا وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب .

وبالجواب منه عليه السلام كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد ، ولكنا نذكر ما رواه ابن ابي الحديد بالصفحات نفسها من انتصار الخليفة المعتضد العباسي للهاشميين وتفضيلهم على من سواهم ، كما نفى مجال المقارنة والمقايسة والتمايز بكتاب عمه على جميع البلاد الاسلامية وأمر بقراءته على الناس في كل مكان ، بالرغم من معارضة العباسيين في ذلك ومما نعتهم اياه عن نشر الكتاب ، الا انه اصر واصر الا ان ينشر ويقرأ في النوادي الحكومية والشعبية والمجتمعات العامة ايام الجمعات والاعياد ، وهذا نص الكتاب :

اما بعد : فقد انتهى الى امير المؤمنين ما عليه العامة من شبهة دخلتهم في دينهم ، وفساد لحقهم في عقائدهم ، وعصبية قد غلبت عليها اهواؤهم ، ونطقت لها ألسنتهم التابعة الى اهوائهم المبتدعة قلدوا فيها قادة الضلال بلا روية ولا بصيرة ، كما خالفوا فيها السنة الواجبة الاتباع ، قال الله تعالى « ومن اظلم ممن تبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين » خروجاً منهم عن الطاعة ، ومسارعة الى الفتنة ، وايثاراً للفرقة ، وتشكيكا في الامر ، وتشتيتاً للكلمة واظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة ، وبتر منه العصمة ، واخرجه من الملة ، واوجب عليه اللعنة ، كما صغر قدره وحقه ، واوهن امره ، واضعف ركنه من بني امية الشجرة الملعونة في القرآن الكريم .

كل ذلك مخالفة صريحة لمن استنقذهم الله به من الهلكة ، وبواسطته اسبغ عليهم النعمة من اهل بيت البركة والرحمة ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فأعظم امير المؤمنين الامر وما انتهى اليه الوضع ، فرأى ترك انكاره المنكر خروجاً عن الدين وفساداً لمن قلده الله امره من المسلمين واهمالا لما اوجبه الله من تقويم المخالفين واصلاح المعاندين ، فأمير المؤمنين يخبركم معاشر المسلمين ان الله عز وجل لما بعث محمداً صلى الله عليه وآله بدينه

وامره ان يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته ، فدعاهم الى ربه ، فأنذرهم وبشرهم ونصح لهم وارشدهم ، فكان من استجاب اليه وصدق قوله واتبع امره نفر يسير من بني ابيه ، يدفعون عنه من نابذه ، ويقهرون من تظاهر عليه وعانده ، ويتوثقون له ممن كاشفه وعاضده ، ويبايعون له من سمح له بنصرته ، ويتجسسون له اخبار اعدائه ، حتى اذا بلغ المدى وحان وقت الاهتـــداء دخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله ، ثم الايمـــان به بثابت بصر واحسن هــدى ورغبــة ، فجعلهم الله اهل بيت الرحمة واهل بيت الدين ، اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهير ، فهم ورثة النبوة ومعدن الحكمة وموضع الخلافة ، لذا أوجب الله لهم الفضيلة والزم العباد لهم الطاعة ، فكان ممن كذبه وعانده وحاربه من عشيرته العدد الكثير والسواد الاعظم ، يتلقونه بالضرر والتثريب ويقصدونه بالاذى والتخويف وينالون من اتبعه بالتعذيب .

وكان اشدهم في ذلك عداوة ، واعظمهم مخالفة ، واولهم في كل حرب ومناصبه ، ورأسهم في كل اجلاب وفتنة ، لا ترفع على الاسلام راية الا كان صاحبها وقائدها ابا سفيان بن حرب صاحب احد والخندق وغيرهما ، معه اشياعه من بني امية الملعونين في كتاب الله ثم على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في مواضع عديدة ، لسابق علم الله فيهم وماضي حكمهم فيهم وفي كفرهم ونفاقهم ، ولم يزل ابو سفيان لعنه الله يحارب الله ورسوله ، مجاهداً يدافع عن الاوثان مكائداً حتى قهره السيف وعلا امر الله وهم له كارهون ، فتعوذ بالاسلام غير منطوى عليه واسر الكفر غير مقلع عنه ، فقبله رسول الله وقبل ولده على علم منه بحاله وحالهم ، ثم انزل الله تعالى كتاباً فيما انزله على رسوله يذكر فيه شأنهم وهو قوله « والشجرة الملعونة في القرآن » ولا خلاف بين احد من انه تعالى وتبارك اراد بالشجرة الملعونة بني امية ، ومما ورد مطابقاً للقرآن

من السنة النبوية المروية عن الثقات عن النبي صلى الله عليه وآله في ابي سفيان فكثير وكثير جداً :

منها ـ انه صلى الله عليه وآله قد رأى يوماً ابا سفيان مقبلا على حمار يقوده معاوية ويزيد يسوقه ، فقال النبي : لعن الله الراكب والقائد والسائق .

ومنها ـ ما نقلوا عن ابي سفيان من قوله يوم بيعة عثمان : تلقفوها يا بني عبد شمس تلقف الكرة ، فوالذي يحلف به ابو سفيان ما من جنة ولا نار .

وهذا هو الكفر الصراح بعينه ، الكفر الذي يلحقه اللعنة من الله كما لحقت الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

ومنها ـ وقوفه على ثنية احد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده ههنا رمينا محمداً وقتلنا اصحابه .

ومنها ـ الكلمة التي قالها للعباس بن عبد المطلب يوم فتح مكة المكرمة وقد عرضت عليه جنود الله : لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيماً يا عباس .

ومنها ـ قوله يوم الفتح ايضاً حين سمع بلال الحبشي يؤذن على ظهر الكعبة الى ان قال : اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله ، تمنى الموت ولم يكن يسمع ما سمع من اذان بلال ، وقال : لقد سعد عتبة بن ابي ربيعة حيث لم يشهد هذا المشهد ولم يسمع ما قد سمعت .

ومنها ـ الرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان قد رأى كأن نفراً من بني أمية ينزون على منبره نزو القردة .

ومنها ـ طرد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم بن العاص لمحاكاته له في المشي ، فألحقه الله بدعوته آفة باقية مدى عمره .

هذا بالاضافة الى ما كان من امر مروان ابنه من افتتاحه اول فتنة في

الاسلام ، واحتقابه فيها كل دمٍ حرام سفك او أريق بعدها .

ومنها ـ ما انزله الله تعالى على نبيه ليلة القدر خير من ألف شهر . قال المفسرون : ان الآية تعني أن ليلة القدر خير من ألف شهر ، اي خير من ملك بني امية الذي كانت مدته ألف شهر .

ومنها ـ ان رسول الله دعا معاوية يوماً فدافع بأمره واعتل بطعامه ثلاث مرات ، فعندها قال رسول الله : لااشبع الله بطنه ، فبقي لايشبع ابداً ، كما كان يردد « ماشبعت شبعاً ولكن اتركه اعياءً ومللاً » .

ومنها ـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : سيطلع من هذا الفج رجل يزعم انه من امتي يحشر على غير ملتي . وعلى الأثر طلع من المكان الذي اشار اليه النبي معاوية بن ابي سفيان .

ومنها ـ أن الرسول صلى الله عليه وآله قال : إن معاوية في تابوت من نار في اسفل درك من جهنم يستغيث فيقال له : الآن وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين .

ومنها ـ انه صلى الله عليه وآله قال : اذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه .

ومنها ـ اقترافه المحاربة لأفضل المسلمين في الاسلام مكاناً ، وأقدمهم الى الدين سبقاً ، وأحسنهم فيه ذكراً واثراً ، ذاك امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، وقد نازعه حقه بباطله ، وجاهد أنصاره بضلاله واعوانه ، وحاول مالم يزل هو وأبوه يحاولان من اطفاء نور الله وجحود دينه ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

ومنها ـ انه صلى الله عليه وآله قال لعمار بن ياسر : تقتلك الفئة الباغية لأنك تدعوهم الى الجنة وهم يدعوك الى النار . ولا شك ولا ريب في أن الفئة الباغية التي قتلت عمار هي فئة معاوية . . .

وكان معاوية مؤثراً للعاجلة ، كافراً بالآجلة ، خارجاً عن ربقة الاسلام مستحلا للدم الحرام ، حتى سفك في فتنته وفي سبيل غوايته وضلالته مالا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابين عن دين الله والناصرين لحقه ، عداوة منه لله ، مجتهداً في ان يعصى الله فلا يطاع ، ويبطل احكامه فلا تقام ، ويخالف دينه فلا يدان به . . . يحاول ان تعلو كلمة الضلال ، وتطغى دعوة الباطل ، ولكن كلمة الله هي العليا ، ودينه هو المنصور ، وحكمه هو النافذ ، وأمره هو الغالب ، وكيد من عاداه وحاده هو المغلوب الداحض .

فاحتمل معاوية أوزار تلك الحروب وتوابعها ، وتطوق تلك الدماء البريئة وما سفك بعدها الى يوم القيامة . كما انه قد سنّ سنن الفساد ، فعليه اثمها واثم من عمل بها الى يوم الدين ، وقد اباح المحارم لمن ارتكبها ومنع الحقوق اهلها ، لأنه قد غرته الآمال واستدرجه الإمهال ، فكان مما اوجب الله به عليه اللعنة وسوء العذاب .

ثم قتله من قتل صبراً من أخيار الصحابة والتابعين ، واهل الفضل والدين ، مثل حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي الى كثير من هذا اللون ممن قتلهم ظلما وعدواناً .

ثم ادعاؤه زياداً ونسبته اياه الى ابيه ابي سفيان ، والله سبحانه يقول « ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله » وقال رسول الله : ملعون ملعون من ادعي لغير ابيه وانتمى الى غير مواليه . كما قال : الولد للفراش وللعاهر الحجر .

فخالف معاوية في ذلك حكم الله ورسوله جهاراً ، فأحل بأعماله هذه من محارم الله ورسوله في ام حبيبة وغيرها من النساء من شعور ووجوه قد حرمها الله ، وأثبت بها من قربى ابعدها الله عز وجل ـ الى كثير مما

ادخله من الخلل في الدين مالم يناله خلل مثاه ، وغير وبدل في الاسلام مالم ينل الاسلام تبديل وتغيير يشبهه .

فمن ذلك ايثاره لخلافة الله ومقام رسول الله ابنه السكير الخمير صاحب الديكة والقرود والفهود ، فأخذ له البيعة من خيار المسلمين بالقهر والسلطة والتوعد والاخافة ، وهو يعلم سفهه وطيشه ، ويعلم رهقه ونزقه ، ويشاهد كفره وعتوه وفجوره وطغيانه ومحاربته لله ورسوله بلا اختشاء ولا تستر ، ولما تكن الخلافة الى يزيد لعنه الله طلب متحفزاً يطلب بثأر المشركين من المسلمين ، فأوقع بأهل المدينة وقعة الحرة الوقعة التي لم تمر على البشرية مثلها ولا على المسلمين افضع وابشع منهما ، فشفى عند نفسه غليله ، وظن انه انتقم لأشياخه من اولياء الله ، وبلغ الثأر لأعداء الله والرسول ، فقال مردداً غير هيأب مظهراً كفره وعناده وشركه وإلحاده :

ليت اشياخي ببـــدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحـــاً ثم قالوا يايزيد لاتشـــل
لعبت هاشم بالملك فـــلا خبر جـــاء ولا وحي نزل

قول من لايرجع الى دين ، ولا يؤمن بالله العظيم .

ثم ان اغلظ ما انتهك واعظم ما اجترم سفكه لـدم الحسين بن علي عليهمـا السلام ، مـع علمه بموقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسماعه منه انه قال « الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا ، الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة » اجتراءً منه على الله ورسوله ، وعداوة منه لهما ، فما خاف في عمله ذلك من الله نقمة ، ولا راقبه في معصية .

هذا مضافاً الى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل سننه وأحكـامه ، واتخـاذ مال الله بينهم دولا ، ثم هدمهم لبيت الله ، واستحلالهم حرمه ، ونصبهم المجـانيق عليه ورميهم اياه بالنـار يألون له

احراقاً وتخريباً ، ولما قد حرم الله منه استباحة وانتها كاً ، ولمن لجأ اليه قتلا وتنكيلا ، ولمن آمنه الله فيه اخافة وتشريداً ، حتى اذا حقت عليهم كلمة العذاب واستحقوا من الله الانتقام بعد ان ملأوا الأرض بالجور والظلم وعموا عباد الله بالعداء والقهر والاذلال ، فحلت عليهم السخطة ونزلت بهم من الله السطوة وقطع الله دابر الذين ظلموا وكانوا يعتدون ، والحمد لله رب العالمين .

ايها الناس ان الله تعالى امر ليطاع ، فقال تعالى « ان الله لعن الكافرين واعد لهم عذاباً سعيرا » وقال تعالى « اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » ، فالعنوا ايها المسلمون من لعنه الله ورسوله ، وفارقوا من لن تنالوا القربة من الله إلا بمفارقته .

اللهم العن ابا سفيان بن حرب ومعاوية بن ابي سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده وولد ولده الى يوم القيامة .

اللهم العن أئمة الكفر والضلال ، وقادة الشرك والفساد ، واعداء الدين ومعاندي الرسول ، ومعطلي الأحكام ، ومحرفي الكتاب ، ومنتهكي الدم الحرام .

اللهم انا نبرأ إليك من موالاة أعدائك ، ومن الإغماض لأهل معصيتك ، كما قلت تباركت وتعاليت « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » .

ايها الناس اعرفوا الحق تعرفوا أهله ، وتأملوا سبل الضلال تعرفوا سابلها ، فقفوا عند ما اوقفكم الله عليه ، وانفذوا ما امركم الله به .

* * *

أقول : وليس ابن ابي الحديد وحده الذي ذكر كتاب الخليفة المعتضد هذا بل ذكره كثير من المحدثين والمؤرخين ومنهم العلامة الطبري في تاريخه والمجلسي في بحاره والأميني في غديره ، ولعمري أنه كتاب ضخم وكتاب جليل وعظيم يصدر عن أعظم شخصية من خلفاء بني العباس ، فان المعتضد

قد قرأ بنفسه ووقف بذاته على قبائح الأمويين قديماً وحديثاً ، وعرف تطاولهم على آل البيت والهاشميين في حال انهم - اعني الأمويين - بعيدين كأبعد مابين السماء والأرض عن كل فضيلة ، قريبين كل القرب الى كل رذيلة بعيدين كل البعد عن القيم الانسانية :

أحياؤهم عار عـــلى أمواتهم   والميتون مسبة للغـــــــابر

فأين هم من الهاشميين ، واين ابو سفيان من ابي طالب ، واين معاوية من علي عليه السلام ؟ ؟

قال ابن ابي الحديد من ابيات يصف بهـــا ابا طالب وابنه علي بن ابي طالب :

فلولا ابو طـــالب وابنـــه   لما مثل الدين شخصاً فقاما

فـذاك بمكة آوى وحامى   وهـــذا بيثرب خاض الحماما

واين يزيد الفهود والقرود من الحسن والحسين سيدي شباب أهـــل الجنة ، واين آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً من آل مروان طرداء رسول الله ؟ !

نقل ابن ابي الحديد ٢ /٤٥٨ عن الزبير عن محمد بن الحسن عن محمد ابن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمان عن عبد الله بن عباس انه قال : والله ماشدت قريش الرحال ولا اناخت الجمال بفناء احد إلا بفناء هاشم بن عبد مناف وعبد المطلب بن هاشم وابي طالب بن عبد المطلب ، والله ان أول من سقى الماء العذب وقام برفادة الحاج وأول من جعل باب الكعبة ذهباً من ماله الخـــاص شيبة الحمد عبد المطلب ، وكانت قريش تتجر ولكن لاتتعدى تجارتهم الحجاز ليس إلا حتى رحل هاشم بن عبد منـــاف فنزل ضيفاً على قيصر ملك الشام آنذاك ، فاحترمه وعظمه وكان كل يوم يولم له الولائم وينحر الذبائح ويدعو الزعماء والوجهاء وارباب الدولة على شرف

هاشم وزعامته العربية ، فلما استأذن هاشم من الملك ليعود الى بلاده فقدم له الهدايا والتحف وطلب اليه ان يفضي بمهامه وحوائجه . فقال هاشم : لاحاجة لي تخصني بل الشيء الذي اريده الحرية لتجارة قريش وفسح المجال أمامها لتتجه الى أي بلاد من بلدان العرب . فأجابه الى ذلك وعلى الأثر صارت تجارة قريش تجوب اليمن ولبنان والخليج العربي والعراق لاتعارض في شيء ببركة جد رسول الله الأعلى الزعيم العربي هاشم بن عبد مناف .

قال المسعودي في مروج الذهب : وكان هاشم يقوم في اليوم الأول من شهر ذي الحجة من كل عام ، فيسند ظهره الى الكعبة من تلقاء الباب فيخطب الناس ويقول فيما يقول :

« يامعشر قريش انتم سادة العرب ، وأحسنها وجوهاً ، وأعظمها حلما ، وأجلها نسباً وحسباً ، وانتم جيران بيت الله ، اكرمكم بولايته وخصكم بجواره دون بني اسماعيل ، وحفظ منكم احسن ماحفظ من جاره ، فأكرموا ضيوفه واحترموا زواره ، فإنهم يأتونكم من اماكن بعيدة ، فورب هذه البنية لوكان لي مال يحتمل لكفيتكم كل شيء ، ألا واني مخرج من طيب اموالي وحلاله مما لم يقطع من رحم ومما لم يؤخذ بظلم وغصب ولم يدخل فيه حق ، فواضعه لخدمة الزوار والحجاج . ألا فمن أراد منكم ان يفعل كذلك فليفعل ، ولكني اسألكم بحرمة صاحب هذا البيت ان لاتخرجوا مما هو في ايديكم لخدمة الحاج والزوار الا الحلال الزكي من الأموال » .

وكان الطيبون من قريش ترضخ لارشادات الزعيم العدناني ، وتتقبل نصائحه بترحاب وسرور .

ثم قام من بعد وفاته بكل مايرجع الى خدمة البيت الحرام والقيام بشؤون زواره ووفوده شيبة الحمد عبد المطلب ، فأجاد الخدمة واحسن الرفادة .

ثم قام من بعده ولده ابو طالب ، فأضاف الى ذلك كله خدمة رسول الله وتربيته ونصره على اعدائه ، ثم تأييده في شريعته ودينه .

ونقل ابن ابي الحديد بطريقه الى الزبير بن بكار في كتابه النسب : وقد قيـــل في عبد المطلب وابنه ابي طـالب بعد وفاة الزعيم هاشم العظيم هذه الأبيات :

كهولهم خير الكهول ونسلهم نسل الملوك لايبور ولا يجري
ملوك وأبنـــاء الملوك وسادة تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر
متى تلق منهم طامحاً في عنانه تجده على اجراء والده يجري
همو ملكوا البطحاء مجداًوسؤدداً وهم ردعوا عنها غواة بني بكر
وهم يغفرون الذنب ينقم مثله وهم تركوا رأي السفاهة والهجر
وهـــا انا ذا أقول ولا أزل لهم شاكراً حتى أغيب في القبر

أقول : وايم الله كلما يتأمل الانسان ويمعن النظر بدقة وتدبر ويقرأ تاريخ اسرة النبي العظيمة ولحمته الكريمة وشجرته الطيبة يتضح له بجـــلاء شرف هذه الاسرة وكبير مقامها وسامي مجدها وعزتها ، فيجدها ترفل في شمم وتمشي في كرم ، يتوارثه الخلف عن السلف ، فمن عبد مناف الى هاشم عمرو العلي الذي هشم الثريد لقومه واهل مكة مسنتون عجاف يكاد أن يقضي عليهم الفقر وتهلـــكهم الحاجة ، الى عبد المطلب والى ابي طالب الى محمد رسول الله وعلي أمير المؤمنين وزير رسول الله ووصيه ، فكانوا كما قال القـــائـــل :

كلما غاب نجم بدى كوكب تأوي اليـــــه كواكبـــــه

فكلهم يهدفون هدفاً واحداً ، ويستقون من ينبوع واحـد ، فوصية عم الرسول العظيم ابي طالب إذا ماقورنت بوصية هاشم وإذا ماقيست بوصية عبد المطلب تجد الجميع تركز على توحيد الله ونفي الشركاء عنه ثم خدمة

بيت الله والاعتناء بوفوده وزواره .

يحدثنا السيد قطب الدين البرزنجي في المختصر والسيد زيني دحلان في أسنى المطالب والقاضي النقدي في المواهب : ان الزعيم الهاشمي ابا طالب كان من المتألهين الذين كان الله عز وجل يجري الخير والكرامة على ايديهم ، وقد استسقى ابو طالب للناس مراراً فاستجاب الله دعاءه ولبى نداءه فأغاث الناس وامطرهم ببركة دعائه .

قال صاحب المناقب ومثله صاحب المواهب : وكان من جملة طلبات ابي طالب من الله تعالى طلبته منه تقدست اسماؤه ان يلقنه اسماً لابنه علي حين ماولد عليه السلام فقال :

يارب ياذا الغسق الدجي والقمر المبتلج المضي
بين لنا من حكمك المقضي ماذا ترى في اسم ذا الصبي

واذا هو بلوح اخضر يسقط عليه وفي حجره من واجهة السماء ، فاذا باللوح مكتوب فيه :

خصصتما بالولد الزكي والطاهر المنتجب المرضي
فاسمه من شامخ علي علي اشتق من العلي

فكان الرسول أشد الناس والأقرباء فرحاً بما تفضل به الله على عمه ابي طالب وابن عمه علي ، ثم ابو طالب قد أمر ان يعلق اللوح في جوف الكعبة ، ولم يزل كذلك الى ايام ملوكية هشام بن عبد الملك ، فأمر بانزاله بعد أن فهم قصته وتعرف واقعته .

وقد تقدم مايؤيد هذا من ان النبي صلى الله عليه وآله قال في الحديث المعروف بحديث النور الحديث المروي بطرق الخاصة والعامة والحديث طويل ، والغاية هي قوله صلى الله عليه وآله : ولم يزل ذلك النور ينتقل من الأصلاب الزكية الى الأرحام الزكية ، حتى اذا صار في صلب جدي عبد المطلب

قسمه الله الى شطرين ، فأودع شطراً منه في صلب عبـد الله ابي وأودع الشطر الثاني في صلب عمي ابي طالب ، فكنت انا للنبوة وكان علي للوصية والفروسية ، وقد اشتق الله لنا اسمين من اسمائه ، فالله تعالى المحمود وانا محمد وهو تعالى الأعلى وهذا علي ـ واشار صلى الله عليه وآله الى علي بن ابي طـالب عليه السلام .

اذاً فالتسمية من الله سبحانه مقررة من عالم الذر وكائنـة في اللوح المحفوظ ، إلا ان اظهار ذلك واعلانه كان بمناسبة مولد علي ورجاء ابيـه ان يلهم اسماً لوليده المبارك ، فكانت قصة اللوح الأخضر .

وتحدث الامام احمد بن حنبل في مسنده ١ / ٣٠٩ بطريقه الى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لما كانت ليلة المعراج ليلة عرج بي الى السماء وكنت من ربي قاب قوسين او أدنى وكان عروجي بعد صلاة العشاء وطيف بي في السماوات كلها ، وأصبحت بمكة فضقت بذلك ذرعاً ، وصار في نفسي إن حدثت بالواقعة لا أصدق ، فجلست مجلساً منعزلا عن الناس مفكراً في أمري حائراً في قضيتي ، فبينما انا كذلك اذ مر بي ابو جهل فانتهز وحدتي وانعزالي فرصة ، فجاء فجاس من حولي فقال : وجدتك وحدك يامحمد كأن شيئاً نزل عليك من السماء تفكر فيه . فقلت : لا يا ابا جهل لم ينزل الوحي علّي في هذه الساعة .

ابو جهل : اذاً ماذا يلوح بخاطرك ويجول في فكرك .

رسول الله : عرج بي ليلة البارحة ، فطيف بي في السماوات وأصبحت بين ظهرانيكم .

ابو جهل : اي محمد اذا دعوت لك قومك أ كنت تحدثهم بما جرى لك في عروجك .

رسول الله : نعم أحدثهم بكل مارأيته وشاهدته .

ابو جهل : يغيب قليلا ثم يعود بجماعة من شياطينه ويقول : حدث يامحمد .

رسول الله : عرج بي الى السماء ، فشاهدت الملكوت الأعلى ، فرأيت العظمة الآلهية وبديع الصنع حتى صرت من ربي كقاب قوسين او أدنى .

ابو جهل : يضحك ملياً كما ضحك أصحابه عالياً ، ثم صاروا الى ايذائه وايلامه .

رسول الله : بلغ ذلك عمي ابا طالب فأسرع الى انقاذي من ايدي الظلمة الطغاة ، فجزاه الله خير جزاء المحسنين .

وتحدث الحلبي في سيرته ٢ / ٣٣ وابن هشام في سيرته ١ / ٦٣٤ ان ابا جهل كان من اشد المشركين ايذاءاً وعداءاً لرسول الله ، كان يتتبعه ويتربص به الفرص ولم يمنعه أي مانع منه الا ابو طالب ، فهو بالمرصاد له ولأمثاله من المجرمين ، كما هو الصاعقة المحرقة على رأس ابي جهل ومن حذا حذوه من الكفرة الآثمين .

قال ابن قتيبة في الامامة والسياسة : ان قريشاً قد زعّمت ابا جهل وسودته من قبل ان يختط شاربه ، كل ذلك لعلمهم بعدائه لأبي طالب ومحمد بن عبد الله ، فجعلته ذا رأي وقول يسمع اذا قال ويتبع اذا رأى ، لاحباً منهم اليه ولا رغبة منهم في ابي جهل ، ولكن انما كان ذلك استدراراً لعواطفهم وانتهازاً لعدائه المستأصل واستجلاباً لأسرته بني مخزوم .

ثم قال ابن حنبل : قيل ذات يوم لأبي جهل وكان القائل الأخنس ابن شريق وقد مر في يوم من الأيام على النبي وهو يقرأ شيئاً من القرآن فقال : رأيت اليوم عجباً يا ابا الحكم ، لقد سمعت محمداً في هذه الساعة يتلو شيئاً لاهو يشبه الشعر كما لم يكن يشبه كلام الآدميين ، الأمر الذي حيرني وابهرني .

قال ابو جهل : وما تريد مني ان اقول فيه تبارينا نحن وبنو عبد المطلب ، اطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا واعطوا فأعطينا وجادوا فجدنا وسعوا الى قضاء حوائج الناس فسعينا ، وكدنا ان نكون كفرسي رهان ، قالوا منا نبي هذه الامة يأتيه الوحي من السماء ، والأقرح لقلوبنا مساندة عمه ابي طالب له ومؤازرته اياه على ألعوبته واسطورته ، فمتى اذاً ندركهم ونلحقهم ، فواللات والعزى لانؤمن بمحمد ولا نصدقه ولا نهدأ حتى نقتله ونلحق به عمه ولم يزل كذلك ، الا أنه لم يجرأ على قتل ابي طالب كما لم يجرأ على رسول الله بواسطة ابي طالب ، ولكنه صار الى التنكيل بأنصار النبي وتعذيبهم فيما اذا استضعف واحداً او استوحده ، فهو الذي قتل ياسر وسمية والدي عمار ، وهو الذي اعان ابا سفيان على تدبير حركة بدر الكبرى ، كما كان هو احدى ضحاياها ، فقتله الله اشر قتلة وأخزاها ولعذاب الآخرة أشد وأعظم .

أقول : لقد تكلم الحلبي وابن هشام بالصواب ، ونطقا بالحق وصرحا بالواقع ، حيث ذهبا الى ان عم النبي الكريم هو وحده كان يقف في طريق المتمردين ويصد عن رسول الله عادية المعتدين امثال ابي جهل . فأبو طالب وحده قد شمر لشل حركة الكفر ، كما اقدم على الحد من نفوذ الشرك وتحرشات الوثنية ، فهو بالمرصاد لكل باغ أثيم وطاغ معتد لئيم من عرب ويهود ومجرمين .

قال السيد الموسوي في الحجة والقاضي النقدي في المواهب : لولا ملازمة ابي طالب للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومعاضدته اياه لكان نسياً منسياً وكان من الهالكين ، والى ذلك اشار القرآن الكريم « والذين آووا ونصروا » فالذي آوى النبي ونصره وآمن به وكفله هو ابو طالب رضي الله عنه .

وقالا ايضاً : قال كثير من المفسرين ان قوله تعالى « فلينصرن الله من ينصره » وارد في فضل ابي طالب ، لنصرته وكفالته للنبي صلى الله عليه وآله .

وقال القاضي نور الله في مناقبه والنقدي في مواهبه ص٦٦ : قد وقع بين ابي طالب وبين بعض من زعماء اليهود القذرين مشادة وغلظة ، فعير اليهود ابا طالب بمحمد حين كان طفلا وعند حليمة السعدية ، فقالوا فيما قالوا : بماذا تتطاول علينا وابن اخيك محمد يستجدي الناس ويسألهم إلحافاً . فعندها غضب ابو طالب وهشم أنف اليهودي بعصاه ، واولا ان يخاصوه منه لقضى عليه ، ثم قال : ايفعل محمد ذلك وهو ابن سيد العرب ؟ ! ثم ترك السفر وتوجه الى المكان الذي تسكنه حليمة ورسول الله فأخذه منها وجاء به الى داره .

أقول : اراد اليهودي المجرم بحديثه ذاك التنديد بأبي طالب ورسول الله معاً ، والا من المستحيل ان يصدر مثل ذاك العمل من شخصية اختارها الله واجتباها للرسالة والنبوة .

هذا أولا ، وثانياً ان الله عز وجل قد اسبغ على حليمة وآل حليمة نعمة وبركاته ، وقد استشعروا ذلك وانه ببركته صلى الله عليه وآله ، الأمر الذي يلزمهم معه ان يقوموا بكل متطلباته وشؤونه .

وثالثاً ان ابا طالب في كل حين وآخر يرسل الى حليمة بكل ماتحتاج اليه من اموال وملابس الى غير ذلك من اللوازم البيتية ، فهل من الممكن اذاً ان تترك النبي يضطر الى مالفقه اليهود الطغاة ؟ ؟

ومع هذا كله بادر ابو طالب الى محل حليمة رضي الله عنها اشتياقاً الى رسول الله اولا ، وثانياً ان مدة رضاعه صلى الله عليه وآله قد انتهت فلا مبرر اذاً لبقائه عند حليمة ، والا فأبو طالب يعتقد كذب خبر اليهودي

وانه افتراء وزور ، وما القصد منه الا الإيذاء فقط .

وعلى أي حال وصل ابو طالب الى المنطقة التي فيهـا النبي ، فوجد أطفالا يلعبون في الطريق ورأى رسول الله متكأ على الحائط ينظر الى الأطفال ، وهو صلى الله عليه وآله في منتهى النظافة والاناقة والنزاكة والترف ، فوقع عليه عمه يشمه ويقبله ، فأخرج اليه ملابساً فاخرة كان قد صحبها معه اليه ، فأصر النبي على ان لايقبل ذلك وأصر ابو طالب يلاطفه ويكلمه بحنـــان وعطف ويقول له : يابني أنا ابوك ، واخيراً تركه واسرع في مشيه ورجع الى إمه ومرضعته ، فنقل لها مافعله معه الرجل الذي لم يعرف انه عمه ، فقالت له : يابني لعله ابوك قد اشتاق اليك وجاء الينا ليراك . وبينما هما كذلك اذ دخل عليها ابو طالب ، فرحبت به وعظمته حليمة وفرشت لـه الفرش اللائقة بمقامه الكريم ، ثم التفتت الى رسول الله : ألم اقل لك ان الرجل الذي تنقل عنه هو ابوك فهو ابوك حقاً ، قم الآن اليه واجلس في حجره . فقام صلى الله عليه وآله فجلس في حجر عمه وابو طالب صار يبكي من شدة الفرح به ، ثم بقي هناك ثلاثة ايام عاد بعدها بالنبي الى داره .

ألا قاتل الله اليهود الجبناء ، فقد حملوا مشعل العداء للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ورفعوا رايات الحرب والمقـاومة ، كما نصبوا له الشباك وحاكوا عليه المؤامرات منذ طفولته ومنذ نعومة اظفـاره ، بل من حين علمهم بولادته صلى الله عليه وآله ، فما من حركة يقوم بها المشركون ضد رسول الله وضد دينه الحق إلا ولليهود ظلع فيها ويد طولى في تدبيرها ، لقد دسوا إليه سماً قاتلا في اكثر من مرة ولكن عناية الله به هي التي ترعاه وتسلمه من مكايدهم ومناويهم القذرة .

اذاً والحال هذه لايستغرب منهم كما لايستكثر عليهم كل عمل اجرامي وكل شر ذميم ، فهم والمشركون تجمعهم المصيبة الواحدة أن أظهر الله عليهم

رسوله محمداً ، فلا يدع من الكافرين على الأرض دياراً ، كما لايترك لليهود عيناً ولا اثراً .

فاذاً العدو المشترك هو محمد وعمه ابو طالب من ورائه ، يسنده ويعضده لذا جهدوا كل الجهد وعملوا كل حيلة ووسيلة للقضاء على رسول الله وابي طالب ، والله يأبى إلا ان يتم نوره وان كره الكافرون .

ونقل السيد الموسوي في الحجة والقاضي في المواهب ص ٨٣ بطريقهما الى الاصبغ بن نباتة وانه كان يتحدث عن علي أمير المؤمنين عليه السلام من انه كان يقول : والله لقد كان ابو طالب جاداً مجتهداً وساهراً مشمراً لصالح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد كفله كفالة لم يتحدث قط بمثلها ولم يحدث التاريخ ابداً عن نظير لها في دنيا التاريخ ، كما قد احبه حباً جماً ، بل قد ألقى الله عز وجل حب النبي وموالاته في روعه وقلبه ، فكان عنده اقدم من نفسه واهم من سمعه وبصره وأعز عليه من ولده واهله كما كان يكف عنه دسائس الكفر وأذى الشرك ، ويحرص كل الحرص على راحته وإبعاد كل منغص ومكـــدر عنه ، فيرى ذات يوم رسول الله وهو ضيق الصدر مفكراً وعلى غير حالته الطبيعية ، فيستفهمه عن ذلك فيدافع صلى الله عليه وآله عن البيان وسرد الدوافع ، ولكنه يلحف عليه بالسؤال حتى اضطره الى كشف الحقيقة وشرح الأسباب التي ادت الى سلب راحته وارتيـــاحه ، فقال : ياعم مررت بجماعة من قريش وهم ينحرون جزوراً لآلهتهم ومقدساتهم ، فلم أسلم عليهم وقد واصلت سيري ولم اعتن بهم ، فكبر عليهم مقامي الأمر الذي اوجب ان يقول بعضهم لبعض : ما اوقح محمداً وما أصلفه يمر علينا ولم يعتن بنا كما لم يكلمنا فيتكبر علينا وهو يتيم ابي طالب ، وبالتالي تبعوني الى المكان الذي انعزل فيه للصلاة فانهـــالوا عليّ ضرباً بالأحجار ورمياً بالحصى حتى افسدوا علي صلاتي وما سلمني

إلا ربي منهم .

فعندها ثار ابو طالب وكأنما نشط من عقال ، فتقلد سيفه وقال : أين يكون هؤلاء يابن اخي ؟ فقال صلى الله عليه وآله : ياعم انهم كانوا قريباً من الأبطح . فأخذ بيد النبي وخرج به الى المكان الـذي وصفه ، فوجد القوم منشغلين بذبائحهم ، ولما نظروا إلى ابي طـالب ورسول الله وابو طالب بحالة من الغضب والاستشاد وهو يقول : يابن اخي من الذي تجرأ عليك وتعرض لك بسوء ، فـدله النبي على أشخاص من الزعماء ، فاستقدمهم ابو طالب اليه فتقدموا أذلاء صاغرين حتى صاروا بين يديه أهوى عليهم ضرباً ولطما على وجوههم وآنافهم حتى ادماهم ، ولم يزل بهم حتى رق عليهم رحمة الله محمد صلى الله عليه وآله ، فكف عمه عنهم والتمسه أن يتركهم فالذي صنعه كاف في حقهم ، فكف عنهم وعفا عنهم .

ثم اخذ بعضد رسول الله وجاء به الى الدار موفور الكرامة مرفوع الرأس مستبشراً ، حيث قد اخذ له عمه بثاره من الأوباش المجرمين . وعلى اثر هذه الحادثة نزل قوله تعالى « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً » .

وقال الموسوي والقاضي : وقد رويت هـذه القصة بصورة اخرى وعلى شكل آخر ، وحاصل ذلك : ان النبي صلى الله عليه وآله لما صنعوا به ماصنعوا عاد الى البيت والدماء تسيل من بدنه المبارك وساقيه الكريمتين ، فرأته الزهراء بتلك الحالة فتألمت لأليم الحادث وبكت للحالة ، ثم نهضت فأماطت عن الرسول ثيابه الملطخة بالدم وغسلت ماعلى بدنه من جـامد الدماء ، ثم خرجت مسرعة الى عمها ابي طالب والكآبة والحزن باديان عليها ، فلما بصرها قام اعظاماً واجلالا لشأنها وقال : ماالذي حدث عندكم يافاطمة ؟

فقالت : ياعم ماحسب ابي فيكم ؟ فتقزز ابو طالب من الكلمة وقال :

وما ذاك يابنية ؟ فنقلت له ماشاهدته من وضع رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يافاطمة أما حسب ابيك فينا فهو السيد المطاع والسيد الكريم العزيز ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطالب بن هاشم بن عبد منـــاف ، وسوف ترين حسب ابيك فينا .

ثم خرج مبادراً الى القوم وفعل فعلته فيهم ، وقد وصل الخبر الى السيدة فاطمة وأن عمها قد أخذ بثأر أبيها من وجوه القوم وكبارهم ، فهدأت وفرحت وطابت نفسها واطمأنت ، وعلى اثر هذه الحادثة انشأ أبو طالب ابياتاً قرأها على القوم أشاد فيها بنبوة رسول الله واعلن عن حضوره لنشرها وبث معالمها مهما كلفه الأمر ، فكان من تلك الأبيات قوله :

ألا إن أحمـــد قد جاءنـــا   بحق ولم يأتنـــا بالكـــذب

فقال اليهود المجرمون : إن محمداً هـذا لم يكن النبي الذي قد نوهت عنه الكتب ووعدت به التوراة ، وان محمداً هذا هو ساحر كـذاب وشاعر كاهن ، والنبي الموعود لايولد الآن بل هو يولد في آخر الزمان وفي المستقبل البعيد واسمه أحمد لا محمد ، اذاً لايصح أن يعبر عنه بأحمد ، فاطلاق هـــذا الاسم عليه زور وبهتان تعمده ابو طالب بلا دليل يستند عليه ولا برهان يعضد مقالته .

* * *

أقول : لقد حاول اليهود من دعواهم تلك وابتغوا من وراء زعمهم الباطل تكـذيب القرآن الكريم ، حيث يقول كما في سورة الصف حاكيـــاً عن عيسى بن مريم حيث يبشر قومه والأجيال المتعاقبة من بعد زمنه بالنبي « وإذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لمـــا بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » .

ومما لاريب فيه ان أحد اسماء رسول الله التي سماه بها القرآن احمد كما سماه بمحمد ، ولعل اليهود أنفسهم يعرفون ذلك ايضاً ولكنهم يغالطون الواقع والحق ، وما يخدعون الا انفسهم وهم يشعرون ومن حيث لايشعرون قاتلهم الله انى يؤفكون .

وإذا مارجعنا الى تاريخهم الأسود القديم نجدهم وقد كافحوا كثيراً من رسل الله وانبيائه وقتلوهم وشردوهم وقعدوا لهم بكل مرصد ، واغروا منافقيهم على قتل المسيح عيسى بن مريم ، وقاوموا وناهضوا رسول الله محمداً بكل معنى المناهضة والمعارضة ، وهم أكثر عداءً له صلى الله عليه وآله من المشركين ، لذا قد جعلتهم الآية الكريمة في الدرجة الأولى بغضاً وعداءً وتربصاً برسول الله .

وقد حاولوا قتله في واقعة خيبر وهو في مخيمه ، وبعد ان اكتشفوا موقعه رموه بالنبال والسهام ليلا والمسلمون كانوا نائمين قد أضناهم التعب واضر بهم الجهاد ، ولولا ان يحس بهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب لقتلوا النبي في مخيمه ، ولكنه عليه السلام قد استشعر بهم فنهض اليهم فتتبع الجهة التي كان ينطلق منها النبل والسهام ، فعثر على بعضهم فقتلهم وفر الباقون . على أنه عليه السلام تتبع المنهزمين وتبعهم ، ولكنه بالنظر لانشغاله بمن قاتلهم منهم فلاذ اولئك بالحصون والقلاع ، فنجوا من بأس ابن ابي طالب وسيفه البتار .

ولما رجع علي الى النبي حكى له القصة ورجح له وللمسلمين أن يغيروا موضع المخيم ، فصادف رأيه الاستحسان والتأييد من الجميع ، واخيراً جعلوه في وسط المعسكر وأحاطوه من جميع جهاته بالمخيمات .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقاسي الأمرّين ويتجرع الغصص والاضطهاد المرير من اليهود العتاة ، ولا سيا بعد وفاة الزعيم ابي طالب ،

وكان من آخر الأنباء ان توفي صلى الله عليه وآله مسموماً على يد يهودية قذرة قدمت على عملها المجرم بحث من جماعتها الأوباش الطغاة .

وليس ابن هشام والحلبي هما فقط قد اختصا بالسؤال المتقدم الرامي الى ان الوضع ما كان يستقيم للرسول الأعظم ، كما ان المؤامرات الكافرة ما كانت تنكشف وتتحطم لولا معاضدة أبي طالب ومواقفه ودفاعه ، فهو المحامي الثاني له بعد الله عز وجل ، بل قال بمقالتهما خلق كثير وجمع كبير من المؤرخين والمحدثين الذين لاتأخذهم في الحق لومة لائم ، مثل ابن ابي الحديد وابن الجوزي والزمخشري وغيرهم .

ومن هنا تتجه مقالة القائلين بأن حب ابي طالب رضوان الله عليه إيمان وبغضه كفر ونفاق ، المقالة التي تحدث عنها السيد البرزنجي في المختصر وزيني دحلان في أسنى المطالب ، وما ذلك إلا أنه أحب الله ورسوله فأحبه الله ورسوله ، فنصر الدين والنبي صلى الله عليه وآله لحبه إياهما واعتقاده بهما ، لذا استحق تقريض رسول الله بأن كان حبه ايمان وبغضه الكفر والنفاق بعينه .

نقل البخاري في صحيحه في باب حب النبي صلى الله عليه وآله بطريقه الى انس بن مالك عن رسول الله انه قال : لايؤمن احدكم حتى اكون أحب اليه من ولده وولد ولده ، كما لايؤمن احدكم حتى تكون اسرتي وأهل بيتي أحب اليه من اسرته وأهل بيته .

أقول : ومما لايخالجه الشك ولا يخالطه الوهم ان زعيم الهاشميين ابا طالب كان في وقته شيخ اسرة النبي وسيدهم المطاع فيهم ، كما كان حاميه ومربيه وكافله والمقتفي اثره في كل ادواره وأحواله ، فحق اذاً أن يكون حبه علامة للإيمان وبغضه علامة على الكفر والنفاق .

وفي صحيح البخاري في نفس الباب والصفحة وعن الراوي نفسه نقلاً عن

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : ثلاث خصال من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :

أولاً ـ ان يكون الله عز وجل ورسوله احب الى الانسان ممن سواهما .

ثانياً ـ ان يحب الانسان في الله ولله تعالى .

ثالثاً ـ ان يبغض الانسان ويغضب في الله ولله سبحانه .

أقول : قد تكرر هذا الحديث في كتب التاريخ والحديث ، ومرجعه ومؤاده هو لزوم كون الانسان اذا أحب ان يحب من احب الله ورسوله وأحبه الله ورسوله ويبتعد عمن ابغض الله ورسوله وابغضه الله ورسوله ، ولما كان عم النبي الكريم ابو طالب قد نصر الله فسحق الأوثان واطاح بالأصنام كما اعلى كلمة الله وجاهد في سبيلها ودحر عباد الوثنية وسخف اطاعة الأصنام ، ثم انكفأ الى ملازمة رسول الله ومساندته وكف الأذى عنه ، واعلن مراراً عن تمسكه بنبوته وشريعته وحاول تركيزهما ونشرهما ، كما توفق الى ذلك . وكل هذا دليل قطعي على انه رضي الله عنه أحب الله واحب رسول الله في الله ولله ، ولازمه ان يكون الله عز وجل قد أحب ابا طالب ، لذا قد أمر النبي ان يظهر للناس ان حب ابي طالب ايمان وبغضه كفر ونفاق .

وما حب رسول الله صلى الله عليه وآله لعمه ابي طالب إلا من تلك الناحية لاغير . وعلى فرض نسبة الممات على الكفر اليه يقتضي ان لايكون محبوباً لله ، بل يقتضي ان يكون بعيداً عن الله كأبعد مابين السماء والأرض ، وعليه يستحيل على رسول الله ان يحب المبغوض الى الله أو يحب عدو الله تعالى ، فمن حب النبي المحقق لعمه يستكشف حب الله له ، وهو الحق والحق أحق ان يتبع .

ويحدثنا الحافظ ابو نعيم في حلية الأولياء ٤ / ٤٢ بسنده الى عبد المنعم

ابن ادريس عن ابيه عن جده وهب انه قال : كان في بني اسرائيل رجل قد عصى الله مائتي سنة ثم مات ، فأخذ الناس برجله فرموه على المزبلة في البلد اهانة له واحتقاراً لأعماله الاجرامية ، فعند ذلك امر الله نبي ذلك الزمن ـ وهو موسى بن عمران ـ أن يخرج الى ذلك الانسان فينقله عن المزبلة ويغسله ويكفنه ويصلي عليه ويشيعه ثم يدفنه .

فقال موسى : يارب ان بني اسرائيل يشهدون انه عصاك قرابة المائتين سنة واعرض عنك وعن عبادتك ، وتأمرني الآن ان أقوم له بذلك التكريم وتلك الحفاوة .

فقال تعالى : نعم انه كان كما يقولون ، إلا انه كانت فيه خصلة لأجلها امرتك ان تفعل به مابينته لك .

قال موسى : يارب وما الخصلة ؟ .

قال : هي انه كان كلما نشر التوراة ووقع نظره على اسم محمد المكتوب فيها يقبله بلهفة ويضعه على رأسه ثم يمره على عينيه ويصلي عليه وآله ، فشكرت له ذلك وغفرت له ذنوبه كرامة لاسم محمد .

وتحدث مسلم في مسنده في كتاب الايمان في باب وجوب محبة النبي صلى الله عليه وآله ، بسنده الى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : لايؤمن العبد حتى اكون انا واهلي أحب اليه من نفسه وأهله وماله وولده ومن الناس اجمعين .

* * *

أقول : اذا كان عصيان الله مائتى سنة يغفره الله كرامة لمن يتبرك باسم محمد ويقبله ـ كما هو منطوق حديث البخاري آنف الذكر ـ كيف ياترى يكون الحال وبالنسبة الى من افنى عمره الطويل في حب محمد ، ومن واساه في السراء والضراء ، وكان محمد عنده ريحانته من الدنيا ، فيطبع على

جبينه القبلات بلا حساب ، واخيراً حماه من عدوه واستمات في سبيل الحفاظ عليه ، ذلك عمو ابو طالب ، ابو طالب الذي لم يعص الله طرفة عين ولم يشرك بعبادته احداً ، فماذا يستحق اذاً من تكريم الله وتوقيره يوم القيامة.

نعم والله يستحق كل كرامة ، يستحق مجاورة رسول الله صلى الله عليه وآله في الفردوس الأعلى ، وهناك يفرح المؤمنون .

وذكر السيد زيني دحلان في أسنى المطـــالب فقـال : لقد تواترت الأخبار أن ابا طالب كان يحب النبي حباً جماً ، وكان يحوطه ويؤازره ويعينه على تبليغ رسالته ، كما كان يصدقه فيما يقوله ، ويمتدحه بشعره ونثره بما يدل على ذلك ، كما امر ولديه علياً وجعفراً بالدين ولزوم خدمته واتباعه في كل اموره .

وقال القاضي في المواهب ص ٧٠ : ان ابا طالب رضي الله عنـــه كان شـــديد الحب الى رسول الله ، بحيث لايحلو له إلا التحدث بذكره العطر ، كما لايحلو له إلا التحدث بفضائله ومفاخره صلى الله عليه وآله ، وقد عرف عنه انه كان يروي عنه مناقبه وكراماته ، فكـان من ذلك انه كان يقول : خرجت مع ابن اخي محمد الى خارج مكة حيث طلب الي ذلك لغاية التروح والتنزه ، اذ مر بنا راهب وما أن وقـع نظره على ابن اخي حتى توقف عن المشي فجأة وخانته رجلاه ، فما استطاع ان ينقلهما ابداً من مكانهما . ثم اخذ يحدّ النظر من محمد ويمعنه في وصفه وجسمه ، ثم انطلق قائلاً : ألست ايها الغلام انت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ .

قال محمد : نعم انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

الراهب : عندي مسائل ارغب ان اوجهها لك لتجيبني عليها ، فأقسم عليك باللات والعزى إلا ما أجبت .

النبي : ان كنت تقسم علي بهذا القسم النحس فلا تسألني عن شيء

واذهب عني ، فوالله ما ابغض عليّ منه .

ابو طالب : ايها الراهب ان كان كلا ولا بد مساءلة محمد أقسم عليه بالله فانه يجيبك .

الراهب : إني اقسم عليك بالله يامحمد إلا ما اجبتني .

النبي : اما الآن فاسأل عما بدا لك .

الراهب يسأل والنبي يجيب وهو يقول : صدقت يامحمد .

الى ان قال : بقـي في نفسي شيء واحد أريـد ان اقف عليه واتأكـد منه .

النبي : وما ذاك ايها الراهب ؟

الراهب : اريد ان تكشف لي عما بين كتفيك ؟

النبي : قد رفع له ثوبه حتى ظهر مابين كتفيه صلى الله عليه وآله .

الراهب : يرى خاتم النبوة المنطبع بين كتفيه ، فيهوي عليه لثماً وتقبيلاً وتبركا .

ابو طالب يقول : لقد حاذرت على ابن اخي من الراهب ، فأخذت الحيطة وصرت أتحرى حركات الراهب وسكناته .

الراهب يستشعر ذلك من ابي طالب ، فيقول له : لاتخف مني على ابن اخيك ، فإني ارقبه واعلم انه النبي الذي وعد الله به هذه الأمة ، وان له ياابا طالب شأناً عظيماً .

ابو طالب : وانا اعرف ذلك ايضاً وارقبه منذ زمن .

الراهب : احتفظ بابن اخيك من كل الناس ولا سيما من اليهود ، فانهم ان استظهروا منه ماقد استظهرته أنا لايولون عنه حتى يلحقوا به الأذى او يغتالوه .

ابو طالب : نعم ايهـا الراهب الأمر كما تظن وتتكهن ، وأنا يقظ

حذر تمام الحذر واليقظة .

قال السيد زيني دحلان في أسنى المطالب : لما عرف اليهود المجرمون صفات النبوة ـ وقد توفرت في محمد بن عبد الله ـ قامت قيامتهم وجن جنونهم ودعوا بالويل والثبور ، واخيراً صمموا على قتله والاستراحة منه ، لولا ان يحميه الله بعمه ابي طالب .

وقال الطبري في تاريخه والبلاذري وابن شهراشوب في المناقب والنقدي في المواهب : ان الله عز وجل قد حمى نبيه محمداً من كيد العدو ودس المجرمين اليهود ومحاولاتهم بعمه ابي طالب ، فهو أول من بذل الجهد لدين محمد وشريعته ، وهو أول من كانت له المساعي المشكورة في الاسلام ، ولما نزل قوله تعالى يخاطب نبيه « فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين » صدع رسول الله بالدين الحنيف وامتثل امر ربه ، فنادى في قومه بالاسلام فبشر وانذر وصار الى بث رسالته ، فالتف حوله جمع من الناس حتى اذا نزل قوله تعالى « إنكم وما تعبدون من دون الله » اجمع القوم على تكذيبه وعقدوا المؤامرات عليه ، ورموه بالسحر والشعوذة ، وقالوا يريد محمد أن يجعل الآلهة الهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب . وكان في مقدمة هؤلاء اليهود القذرون وفي مقدمة قريش عتبة وشيبة والوليد وابو جهل المخزومي وامثالهم .

ولما انحاز ابو طالب الى جانب رسول الله وصار الى مساندته ومعاضدته ودفع الأذى عنه تقرحت جفون المشركين وقلوبهم ، وتحققوا خسران المعركة .

ونقل الطبري والبلاذري وابن شهراشوب والقاضي في المواهب بطريقهم الى السدي كما قال ابن بابويه القمي في مؤلفه النبوة بطريقه الى الامام علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام أنه قال : اجتمعت قريش

بمعونة اليهود ، فجاؤا الى ابي طالب - والنبي كان حاضراً عنده - ولما استقر المجلس بالقوم قال بعض زعمائهم : يا ابا طالب نسألك النصف من محمد .

قال ابو طالب : وما تعنون بالنصف ياقوم ؟

قالوا : نريد منك ان تمنع محمداً عنا فيكف عنا ونكف عنه ، فلا يكلمنا ولا نكلمه ولا يقاتلنا ولا نقاتله ، وبذلك تندفع جميع المحاذير والعواقب السيئة .

ولما مخض ابو طالب الحديث وفهم مايريدون وقرأ الغاية التي من أجلها قصدوه ، رغب ان يكون جوابهم على لسان رسول الله ، فقال : أتسمع مايقول هؤلاء يابن اخي .

فقال صلى الله عليه وآله : نعم قد سمعت ، ولكنهم غير صادقين في دعواهم النصف ، ولو كانوا صادقين لأنصفوني من أنفسهم واجابوا دعوتي وقبلوا نصيحتي ، فاني لاأدلهم إلا على خير ولا اهديهم إلا سبيل الرشاد ، فان الله عز وجل قد امرني ان ادعو الى توحيده وان اصدع بدينه دين الحق والهدى دين الحنيفية ملة ابينا ابراهيم الخليل ، فمن اجابني منهم على دعوتي كان له عند الله سبحانه الرضوان والخلود في الجنان ، ومن عصاني منهم اقاتله حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين .

فقال ابو طالب للقوم : هذا جوابكم .

قالوا : اذاً قل له فاليكف عن شتم آلهتنا وسبها ولا يتعرض لها بسوء ، اذ يقرأ عليهم النبي « قل افغير الله تأمروني أعبد ايها الجاهلون » .

فسكتوا ملياً واطرقوا برؤوسهم الى الأرض هنيئة ، ثم رفعوا رؤوسهم وقالوا : يا ابا طالب قل لابن اخيك ليخبرنا عمن يؤمن منا به وعمن لم يؤمن فإن وجدناه صادقاً آمنا به .

وعلى اثر مقالتهم هذه نزل على رسول الله قوله تعالى « وما كان

الله ليذر المؤمنين » .

قالوا : والـــلات والعزى لنشتمنك واهلك ، فنزل قوله سبحـــانه « وانطلق الملأ » .

ثم قالوا : يا ابا طالب قل لابن اخيك أن يعبد مانعبده نحن مـــدة ونعبد مايعبده مدة ، فنزل قوله تعالى « قل يا ايها الكافرون ، لا أعبد ماتعبدون » الى قوله « لكم دينكم ولي دين » .

قالوا : قل له يا ابا طالب أرسله ربه إلينا خاصة ام الى الناس كافة . فقال صلى الله عليه وآله : ياعم اني بعثت للناس كافة ، بعثت الى الأسود والأبيض ولمن في رؤوس الجبال ولمن في لجج البحار ، ولأستولين عمـــا قريب على الروم والفرس . يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً .

فلما سمعوا منه ذلك قال قائلهم : لوسمع الروم والفرس هذا من محمد لاختطفونا من أرضنا ولأزالونا عن مواضعنا ، ثم لقلعوا الكعبة حجراً حجراً ، فنزل على اثر هذه المقـالة قوله تعالى « ألم تر كيف فعـــل ربك بأصحاب الفيـــل » .

ثم تكـــلم مطعم بن عدي ـ وهو احد شخصيات القوم ـ فقـال : ياابا طالب لقد أنصفك قومك وجهـدوا على ان يتخلصوا منك ويبتعدوا عما تكرهه ، فما اراك ان تقبل منهم شيئاً .

قال ابو طالب : والله يامطعم ما انصفني قومي ولا انصفتني انت ، ولكنك قد اجتمعت مـــع القوم على خـــذلاني ومظاهرتهم علي ، فاصنع ما انت صانـع .

ثم انفض القوم واصروا وصمموا على مقاومة ابي طالب ورسول الله ، وصاروا إلى تعذيب من في طوائفهم من أفراد المسلمين .

ولما تحسس ابو طالب منهم ذلك جمع كافة آل المطلب وبني هاشم ،

فأخبرهم بتسدبير الشرك والكفر واليهود ، وأمرهم ان لاينفصلوا عن محمد أبداً ، وان يلازموه في كل أحواله ويحافظوه من اعدائه ، وان يقتصوا من كل احد يحاول التقرب اليه بأذى مهما كان من العظمة والسيادة . فأجاب الجميع الى ذلك وانصرفوا ممتثلين .

وقال السيد زيني دحلان في أسنى المطالب : انظر واعتبر أيها الواقف على احوال ابي طالب وخدماته للنبي ، وكيف قد وطن نفسه على شد أزره والدفاع عنه بنفسه وولده واسرته .

كما أريد منك قارئي الكريم ان تتصور بدقة وتفكير عميق وتمعن النظر في وصية عم الرسول العظيم ابي طالب ، وتقف دارساً لمعطياتهـا وجليل معناها ومغزاها ، تجدها مفعمة بالدين الواقعي والولاء الصادق لله ورسوله ثم الاستماتة في سبيلهما ، كما اجدك لاتخرج منها الا وأنت مكبر في ابي طالب روح الايمـان والاعتراف بالنبوة ، ثم الجهاد الخـالد والمساعي المشكورة المتواصلة حتى آخر لحظة من لحظاته وآخر ساعة من ساعات الدنيا .

يحدثنا ابن بابويه في أماليه بطريقه الى محمد بن سنان عن عمرو بن ثابت انه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على عمه ابي طـالب وهو مريض مسجى ، فبكى رسول الله لحالته وقال : ياعم جزاك الله خيراً ، فقد كفلت يتيما وربيت صغيراً وآزرت كبيراً ، والله لايضيع عنده اجر المحسنين .

وحدث المجلسي في البحار والشيخ المفيد في الارشاد والقـاضي في المواهب ص ١٣٨ بطرقهم الى النبي صلى الله عليه وآله انه قال عند مجيء امير المؤمنين علي بن ابي طالب يخبره عن وفاة ابيه : بكى رسول الله بكاءاً عالياً وتألم تألماً عظيما ، وقال : لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إنا لله وانا اليه راجعون ، إمض ياعلي فتول امر تجهيزه وتشييعه رحمه الله ،

ثم اعلمني بعد أن يتم ذلك .

فقام علي بأمر النبي ، حتى اذا ماأشرف على النهاية ارسل الى النبي من يعلمه الحال ، فحضر التشييع والحزن والأسى باديان على وجهه الكريم وهو يردد قوله « وصلت رحماً ياعم ، جزاك الله خيراً ياعم » وأراد ان ينزل عمه بيده الى حفرته ولكن علياً ابي إلا أن يقوم هو بدلاً عنه محافظة على النبي .

وبعد ان تمت مراسيم الدفن قام رسول الله على القبر الشريف مؤبناً عمه العظيم ، فكان مما قاله : والله ياعم لأشفعن فيك شفاعة يعجب منها الثقلان .

وروى ابو الحسن البكري في كتابه مولد علي والقاضي في المواهب ص ١٣٥ قالا : قال ابو مخنف : لما حضرت ابا طالب الوفاة دعى اولاده وعشيرته من بني هاشم وبني عبد مناف ، فأمرهم بالمحافظة على النبي واتباعه فيما يقول ثم المحاماة والدفاع عنه بكل غال ونفيس ، ثم استدعى رسول الله وعلياً فضمهما الى صدره واخذ يشمهما ويقبلهما ويبكي لفراقهما ، وهو يقول : يعزّ علي والله فراقكما ولكن امر الله لابد منه ، كما لابد من ملاقاة الله عز وجل وملاقاة امره بالقبول والرضا ، وانا لله وانا اليه راجعون .

ثم التفت الى ولديه عقيل وجعفر فأوصاهما بصورة خاصة بابن عمهما النبي ، ثم ادار عينيه في اهل بيته عامة وقال : استودعكم الله ، الله خليفتي عليكم وكفى به خليفة . ثم غمض عينيه واسبل يديه ورجليه وصار الى روح الله وريحانه ، والنبي يقول : رفقاً ياملائكة ربي بعمي .

ثم صار النبي وعلي يغسلانه ، فكان النبي هو يغسله وعلي يصب الماء ، فكان تغسيله بالسدر والكافور الذي جاء بهما جبرئيل من الجنة كهدية للنبي صلى الله عليه وآله ، وبعد الانتهاء أدرجاه بأكفانه ، ثم شيع بأفضل تشييع

وكانت مكة ضجة واحدة ، فما ترى إلا باكياً وباكية ، النساء قد شققن الجيوب ونشرن الشعور ، وهن بهتاف مستمر : وداعاً وداعاً لك ياعم رسول الله الحبيب ، حتى أوصلوه الى مقره الأخير فأنزلوه في حفرته ثم اهالوا عليه التراب .

فجلس رسول الله على القبر واخذ يردد : وا أبتاه وا عماه وا ابا طالباه وا حزناه عليك ياعم ، آه آه لفراقك ياعم ، كيف اسلو عنك أم كيف انساك يامن ربيتني صغيراً واجبتني كثيراً ونصرتني ووازرتني كبيراً وحافظت علي وحميتني من عدوي ، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد ، رحمك الله ياعم وجزيت عني خيراً ، والله لأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان .

ثم اقبل الناس يهرعون الى رسول الله يسلونه ويخففون عليه المصاب ، وهو آخذ في البكاء والنحيب ، وهو يقول : ما أسرع مافقدتك ياعم ، إنا لله وانا اليه راجعون . ثم التف حوله بنو هاشم فأقاموه من القبر وجاؤا به الى البيت .

ونقل ابو الفداء في تاريخه بطريقه عن ابن عباس وابي بكر بن ابي قحافة انهما وقفا على قبر ابي طالب وابناه بما يستحق من التعظيم والتكريم ، وكان من جملة حديثهما : إنا نشهد ياعم رسول الله أنك جاهدت في سبيل الله ونصرت رسول الله ، ومضيت مؤمناً بالله مصدقاً لرسول الله ، فعشت سعيداً ومت حميداً مجيداً ، فرضي الله عنك وأرضاك وأعطاك من جنانه ورضوانه ماتقر به عيناك . ثم قال ابو الفداء : مات ابو طالب في السنة العاشرة من البعثة .

ونقل في اسنى المطالب بسنده الى النبي صلى الله عليه وآله انه كان يقول : مانالت مني قريش من الأذى حتى مات عمي ابو طالب .

ونقل القاضي في المواهب بطرق متعددة كلها تستند الى النبي صلى الله عليه وآله من انه كان يقول بعد موت عمه ابي طالب : لقد نالت مني قريش من الاضطهاد والأذى مالم تكن تطمع به ابداً في حياة عمي ابي طالب .

وتحدث الامام ابو الحسن البكري في مؤلفه الأنوار في مولد النبي محمد ص ١٣٢ بسنده الى عمر الشيباني وجماعة من أصحاب الحديث وجماعة من أرباب السير انه من جملة نعم الله على ابي طالب أن جعله ملاذاً لرسوله، وحصناً منيعاً يقف دون كل من يحاول السوء والشر به ، كما انه قد وقف نفسه ونذرها للمحاماة والدفاع عنه من حين ولادته صلى الله عليه وسلم وحتى آخر لحظة من لحظاته ، نزولاً منه عند وصايا ابيه عبد المطلب المتكثرة بمحمد أولاً ، وعلماً منه بما سيؤول اليه امر محمد من البعثة والتنبؤ ثانياً ، وما موقفه هذا الموقف الكريم الذي عبر فيه عن شعوره نحو النبي وأحاسيسه بفضائله ومفاخره المرتقبة .

واليك ايها القارىء الكريم هذا الموضوع ، ومنه تعرف مالأبي طالب من المفاداة والتضحية في سبيل الله ومحمد رسول الله فاعلم :

لقد احتضن العالم الجاهلي عالمين كبيرين وكاهنين عظيمين كانا قد فاقا اهل ذلك الزمن ذكاءً وفطنة واضطلاعاً بأخبار الماضين وآثار الأمم السالفة :

اما العالم الأول فهو ربيعة بن مازن المعروف بسطيح ، واما الثاني فهو وشق بن واهلة بن زيد اليماني .

اما سطيح فقد خلقه الله قطعة لحم لاعظم فيها ولا عصب فيطوى وينشر كما يطوى الثوب ، لاينام من الليل الا شطره ، يقلب طرفه في السماء ويقصر نظره في النجوم والكواكب ، فيستفيد من سيرها وحركاتها علما جماً وعليه صار يقصد من كافة ارجاء العالم يسألونه عما يهمهم وعن الأسرار

التي يخونهم التعرف عليها وفهم حقائقها وغالباً مايصيب في أخباره ومعلوماته فبينما هو يفكر في الكواكب اذ لمعت في الأفق لمعة وبرقت في السماء برقة، فلاحت له شمائل مكة ونظر الى نور ينزل من عنان السماء فيغمرها ثم منه قد استضاء العالم ، ثم رأى بعض الكواكب تتساقط وبعضها الآخر يضرب بعضه ببعض فيخرج بعد ذلك دخان عظيم ، الأمر الذي ادى الى ارتباكه واضطرابه وتشتت آرائه وتفكيره . ثم قال : كواكب تظهر بالنهار ، وبرق يلمع بالأنوار ، إن دل هذا على شيء فإنما يدل على عجائب وأخبار .

وظل يومه يفكر فيما عاينه وقرأه ، حتى انقضى النهار فأمر غلمانه ان يصعدوه على قمة جبل عال كان بالقرب منه ، فحملوه اليه ثم صار يقلب طرفه في السماء فشاهد أشياء ثم قال : انزلوني انزلوني فقد حار لبي وطار عقلي مما رأيت ، وظني لقد قرب خروج الهاشمي ، واذا ماخرج فعلى الوطن السلام .

ثم كتب الى زميله وشق بن واهلة بالأمر وأطلعه على مارأى وانه قلق للحادث وقد لازمه السهاد وشرد عنه الرقاد .

فأجابه ابن واهلة : ان النور الذي ذكرته ورأيته والأحداث التي نوهت عنها هي رموز وأسرار لا استطيع حلها والكشف عن غوامضها ، فأملي اعفائي عن البت فيها ، فراجع بها غيري .

وبعد هذا كتب الى الزرقاء - زرقاء اليمامة - يعرفها القصة ويحكي لها مشاهداته ومعايناته ، ثم طوى الكتاب وأعطاه لرجل من قومه اسمه صبيح ، وأمره ان يجد السير حتى يوصل الكتاب ، وكانت الزرقاء بعيدة النظر تنظر من مسيرة ثلاثة أيام ، وكانت جالسة في مقصورتها فنظرت فعرفت رسول سطيح ورأت كتابه وقد وضعه في طيات العمامة ، فتشأمت من الوضع وبقيت ترقب وصول الرسول والكتاب ، حتى اذا وصل فطرق عليها الباب

فقامت الى فتحه فدفع اليها الكتاب ، فلما قرأته وعرفت مافيه قالت: خبر قبيح أتى به صبيح ، من كاهن اليمن سطيح ، عن أنوار ساطعة وضياء لامع ، ذلك ورب الكعبة من دلائل مخرب الأوطان وميتم الأطفال ومحطم الأوثان والأصنام من بني عبد مناف محمد بن عبد الله بلا خلاف .

ثم كتبت الجواب : من الزرقاء الى سيد الكهان وشيخ بني غسان المعروف بسطيح صاحب القول الفصيح والعلم الرجيح ، اما بعد : فقد وردني كتابك وقدم علي رسولك ، وذكرت لي اشياء قد رأيتها فهي ان دلت على شيء فإنما تدل على علامات وآيات ظهور الهاشمي ، فأيقض نفسك واحذر من الغفلة والتقصير ، وبادر الى المسير الى مكة فإني مزمعة اليها لأعرف اهلها على الحقيقة ، فلعلنا نتعاون على الحيلة للقضاء على هذا المولود الذي ينذر تولده بالأخطار العظام ، فنخمد ناره ونوره قبل اشراقهما .

ثم ختمت الكتاب ودفعته الى الرسول وامرته بأن يبادر في ايصاله الى سطيح ، ولما وصل بالكتاب اليه ففضه وقرأه ، ثم صار يبكي بكاءً عظيما وأنشأ :

لاصبر لاصبر اضحى بعد منزلة ... تدع الجلادة كالمستضعف الوهن

ان كان حقاً خروج الهاشمي دنا ... فارحل بنفسك لاتأسف على اليمن

ثم اجعل القفر اوطاناً تسير بها ... وارحل عن الاهل ثم الدار والوطن

فالعيش في مهمه من غير ماجزع ... اهنى من العيش في ذل وفي حزن

ثم اخذ في اهبة السفر الى مكة ، وقال لقومه : اني سائر الى نار تأججت ، فاذا أدركت اخمادها رجعت وان كانت الأخرى فالسلام عليكم ، واني لاحق بالشام لااخرج منها حتى اموت .

وبعد ان وصل الى مكة واستقرت به الدار تسامعت به قريش ، فجاؤا اليه زرافات ووحداناً يرحبون به ويسلمون عليه ، وظن ان رسول الله معهم

وانه قد ولد ، ولكنه صلى الله عليه وآله بعد لم يولد بل هو حمل في بطن امه ، وكان من جملة من زاره من شخصيات قريش ابو جهل بن هشام وابو البحتري وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والعاص بن وائل ، فقالوا : ياسطيح ما الذي اقدماك علينا ، افهل من حاجة فتقضى ؟

فقال سطيح : بورك فيكم مالي اليكم من حاجة . قالوا : اتمضي معنا الى منازلنا . قال : لا بل انزل على من اليهم قصدت وبفنائهم أنخت ، وقد علمتم فضلي ولكني جئتكم أخبركم بما كان او يكون بالهام ألهمته ، فأين المقدمين بالعهد ومن لهم السابقة بالمجد والحمد ، أعني أفضل قريش من بني عبد المطلب ، جئت ابشرهم بالبشير النذير والسراج المنير وقد قرب ظهوره .

ثم نادى برفيع صوته : اين عبد المطلب وسلالة الأشبال من هاشم ؟

فعظم الأمر على ابي جهل وجماعته ، وقد اربدوا واسودت وجوههم واخذهم مثل الإفكل . ثم تفرقوا عنه منذهلين لهول الخبر فزعين من الحادث فاتصل الخبر الى بني هاشم ، فجمع ابو طالب اخوته واسرته فخطب فيهم وقال : إعلموا ان هذا القادم عليكم هو كاهن اليمن وسيدها ، وكان قد قدم على أبيكم من قبل عبد المطلب فأخبره بالوليد الذي يخرج من ظهره ، مبارك في عمره يملك الأقطار ويدعو الى عبادة الواحد القهار ، وها هو قد قدم الينا فهيا بنا ننطلق اليه لندعوه الى منازلنا ولنأخذ الأمر على حقيقته منه ، فإن كان صادقاً فقد استوجب الاحسان وان كان كاذباً حصل على الذل والهوان ، والذي اراه أن نخفي عليه نسبنا وحسبنا الى ان يتم لنا مانريده ونحاوله .

فقالوا جميعاً : سر بنا إن شئت ياشيخ الأبطح فإنا ممتثلون لانعصي لك أمراً ابداً .

فساروا حتى دخلوا على سطيح وكان جالساً في ظل الكعبة والناس

من حوله ، ولما نظره ابو طالب نزع سيفه ورمحه وأعطاهما لغلام سطيح وقال : انهما هدية مني لك ، ثم قصد ابو طالب سطيح فقال : حييت بالكرامة وخلدت النعم الى يوم القيامة ، فإنا قد أتيناك زائرين وبواجب حقك معترفين .

فقال له : جللت بالسلام واتحفت بالإنعام ، فمن أي العرب انت وجماعتك ؟ .

فأراد ابو طالب أن يقف على مقدار علم سطيح قال : نحن من بني حجج الكرام أهل المفاخر العظام .

فقال له سطيح : أدن مني أيها الشيخ ، وضع يدك على وجهي ، فان لي اليك حاجة .

فدنا منه ابو طالب ووضع يده على وجهه ، وعنده اخذ سطيح يتكلم : وحق عالم الأسرار ، المحتجب عن الأبصار ، غافر الخطيئة ، وكاشف البلية ، انك صاحب الذمم المرضية ، والأخلاق العلية ، المعطي لغلامي الهدية ، قناة خطية وصفحة هندية ، وانكم لأشرف البرية ، وان لك ولأخيك اشرف الذرية ، يلقى معاديكم الرزية ، وانكم ومن معكم من سلالة هاشم الأخيار ، وإنك من غير شك عم النبي المختار ، المنعوت في الكتب والأخبار ، فلا تكتموا علي نسبكم فإني عارف به .

فتعجب ابو طالب من حديثه وقراءته وقال : صدقت ياسطيح في المقال وأحسنت الخصال ، وإنا نريد منك ان تخبرنا بما يكون في زماننا وما يجري علينا .

فقال : والدائم الأبد ، ورافع السماء بلا عمد ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، ليبعثن من هذا - واشار الى عبد الله بن عبد المطلب - نبي هذه الأمة عما قريب ، يهدي الى الرشاد ، ويهدم كل صنم ، ويهلك عباد الأوثان ،

يعينه على ذلك ابن عم له ، له صولات عظـام ، وضربات جسام ، ابوه بلا شك ابو طالب ، وهو أنت ايها الشيخ .

فقال ابو طالب : ياسطيح نحب أن تصف لنا هذا النبي وتبين لنـا فضلـه .

فقال : نعم اسمعوا مني كلاماً فصيحاً ، سيظهر منكم عن قليل رجل نبيل ، رسول الملك الجليل ، وإن لسان سطيح عن وصفه لكليل ، هو رجل لابالطويل الشاهق ، ولا بالقصير اللاصق ، حسن القامة ، مدور الهـامة ، بين كتفيه علامة ، على رأسه غمامة ، تقوم له الدعامة ، الى يوم القيامة ، ذاك والله سيد بني تهامة ، يزهر وجهه في الدجى ، اذا ابتسم أحسن من نشا ، واكرم من مشى ، حاو الكلام ، طلق اللسان ، قوي الجنان ، زاهد عابد راكع ساجد ، لامتكبر ولا متجبر ، إن نطق أصاب ، وان سئل أجاب ، طاهر الميلاد ، بريء من الفساد ، رحيم بالعباد ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ، وبالنور محفوف ، وعلى أصحابه عطوف ، أسمه في التوراة والانجيل معروف ، يجير الملهوف ، وبالكرامة موصوف ، اسمه في السماء احمد ، وفي الأرض محمد ، وفي الجنة ابو القاسم .

ثم سكت سطيح فقال ابو طالب : نرغب اذا لم يكن في ذلك صعوبة عليك ان تبين لنـــا صفة الانسان الـذي يعاونه ويقوم معـه ويؤازره على اداء مهمته .

قال سطيح : هو غلام همام ، وليث ضرغام ، وقائد مقدام ، وقشعم جزام ، كثير الانتقام ، يسقي اعداءه كؤوس الحمام ، عظيم الجولة ، شديد الصولة ، كثير الذكر في الملاحم ، يكون لمحمد وزيراً ، ويدعى بعد موته اميراً ، اسمه في التوراة إليا ، وفي الانجيل طابريا ، وفي الزبور سيداً بريا ، وفي كتاب المصطفى عليا .

ثم امسك عن الكلام وسكت ملياً والناس تنظر اليه وتنتظر أن يكون مستمراً في الحديث ، ثم انفجر وكأنما نشط من عقال او انتبه عن غفوة وسبات عميق وقال : يا ابا طالب ضع يدك على وجهي مرة اخرى .

فقام ووضع يده على وجهه ، فتنفس سطيح الصعداء ، وأنَّ أنيناً متزايداً ، وقال : ياشيخ الأبطـــح ، خذ بيد اخيك عبد الله ، فقد ظهر مجدكما ، وابشرا بعلو منزلتكما في هذه الدنيا ، ورفيع مقامكما في الآخرة ، فالغصنان من شجرتكما ، فمحمد لأخيك وعلي لك .

فبهت ابو طالب من حديثه ، وشاع الخبر في ارجاء مكة ، فامتلأ الأبطح بالنـاس يعلوهم الوجوم ويسودهم التفكير في الموضوع ، ولم يسع ابا جهل إلا ان يقول : يامعاشر العرب ويا جحافل قريش ماهذه الحادثة التي نزلت بنا من بني هاشم ، فليس الصبر من شيمنا ، ولا الإمهال من عاداتنا ، وقد سمعتم نبأ سطيح يخبر غير رجيح ، ويوعد بضيق الفسيح ، وظهور غلامين يخرجان من عبد الله وابي طالب تكون على يديهما نهايتنا وقتل ابطالنا ونهب أموالنا وسبي نسائنا ، ثم تردي احوال آلهتنا ومقدساتنا للولدين نار تحرق وصاعقة تطبق .

ثم قهقه في ضحكة عالية استخفافاً وهزءاً ، وبينما هم كذلك اذ أقبل عليهم عم النبي الزعيم ابو طالب ، فوقف بين الجماهير فعرف كل شيء ، فنادى بالناس فقال : يامعشر قريش اصرفوا عن قلوبكم الزيغ والطيش ، ولا تتنكروا لما سمعتم ووعيتم من حديث سطيح ، فهو محقق وواقع لامحالة انشاء الله . ثم اعلموا أنا اولى بخدمة الكعبة ، ونحن اولى بدفع الأذى عن حرم الله ، وعلى ايدينا نبعت زمزم ، فوالله الذي لااله سواه ماسطيح بكاذب ، وإنه في كلامه لصائب ، وما نطق بكلمة قط إلا وظهر برهانها .

أوليس هو المخبر لكم ان سيطلع الى أرضكم هذه رايات الجيش ،

وتلوح لكم سيوف العساكر ، وأخيراً مامضت الا قلائل من الأيام حتى رأيتم بأم اعينكم جيوش ابرهة الحبشي ، الجيوش الجرارة ؟ ؟

أوليس هو الذي أخبركم عن توجه سيف بن ذي يزن ، وبالتالي وفي اليوم نفسه تحققتم صدق خبره وتبينتم صحة حديثه ؟ !

والآن ياقوم يخبركم عن قرب مولد النبي الموعود ، وانه من أحفاد عبد المطلب ، فلماذا لاتصدقوه ، فوالله ياقوم انه لصادق أمين ، وحكيم موفق ، وعن قريب سيظهر الله نبيه ورسوله على رغم الحاسدين والملحدين كما ستخمد نار المنافقين والمعاندين .

ثم أمر ابو طالب بأن يحمل بنو هاشم سطيح الى منزل ابي طالب ، ولما أوصلوه رفع مقامه وعظم مجاسه واكرم مثواه ، وخلع عليه الخلع الثمينة واهدى اليه الهدايا العظيمة ، ثم صار الى توفير أسباب الراحة والهدوء له . وباتت مكة على اشد مايكون من الوجل والاضطراب ، فكانت تموج بأهلها حقداً للبيت الهاشمي وحنقاً على سطيح حيث بشر الهاشميين بمولد النبي العظيم

ولما برق الصباح وبزغت الشمس كان اول من وصل الأبطح ابو جهل ، ثم صار يرسل رسله الى الزعماء والشيوخ والوجهاء ، حتى اذا اكتض المكان بالناس قام ابو جهل بينهم خطيباً والتذمر والانفعال باديان على ملامحه ، فقال فيما قال : ياآل غالب ، ياذوي العلى والمراتب ، أترضون لأنفسكم ان ترموا بالمناكب ، كما ذكره ابو طالب ، ان هذا من العجائب ، فواللات والعزى لننقل جلاميد الحصى الى البحر الأقصى أهون مما ذكره سطيح من ان سيظهر عليكم رجل من بني عبد مناف ، يرميكم بالبوار والتنكيل ، ويوعدكم بالذل الطويل ، فتباً لكم ان كانت أنفسكم بما ذكره راضية ، والى ما اخبر به وحدث عنه داعية . وعليه ان رضيتم بهذه النهاية السيئة والمصير المظلم فمن الساعة عليكم مني السلام مابدت الأيام ، فها أنا راحل عنكم

وخارج عن أرضكم ، فمجاورة الوحوش أحب إلي من المقام بهذه الدار التي سيحل بها الهوان والاذلال والصغار .

ثم تركهم ومضى الى منزله ليتهيأ للسفر ، ولكنه أحـــدث ضوضاء وبلبلة في البلد ، كما احدثت حركته هذه ضجة وتغيراً في الوضع الجاهلي الكافر ، الأمر الـذي لزمهم على اثره التجمع والتصميم على الاجتماع بأبي جهل ومنعه عما اعتزمه وصمم عليه ، واخيراً مضوا اليه وقالوا له : يا ابا الحكم ماهذا الأمر الذي حاولته والحال الذي عزمت عليه ، فأنت السيد فينا والمقدم علينا ، فأمرنا بأمرك وانهنـــا بنهيك تجدنا عند ذلك ولا نحيد عما تريد قيد شعرة .

قال : اذاً الرأي أن تقوموا معي الى نادي ابي طالب ، فترجونه ان لايعطي مجالاً لهذا الكاهن الذي قد آواه واكرمه فعظمه وانعم عليه ، فأما ان يسلمه اليكم او يخرجه عن ارضنـــا ، والا كان السيف أقضى والموت امضى .

وقبل ان يصلوا إلى ابي طالب بلغه الخبر ارسل فوراً على كافة بني هاشم وأمرهم بحمل السلاح الكافي ، ولما جاؤه قصد بهم الى الأبطـح ، وعند وصولهم شخصت الى ابي طالب الأبصار ومدت الأعنـــاق وكمت الأفواه وخرس كل لسان فصيح ، فجلس كل قائم واستوى كل نائم هيبة من ابي طالب وفزعاً من شأنه وسطوته وخوفاً من بأسه وثورته ، ثم تخطى القبائل وتجاوز المحافل حتى توسط المجتمع ، ثم رفع صوته وقال : ياسكان الأبطـــح والصفا وزمزم ومنى وابي قبيس ، ايكم الثالب لبني عبد المطلب اهـــل المكرمات والمراتب ، حتى أحل به الويل والثبور والحزن الطويل ، أما انا لاأعرفه ولو كنت اعرفه لنال مني مصيره الأسود ، ولكني انكره واجحده كائناً من كان ، وإني احذركم اجمعين من يوم عبوس ، تطير فيه

الأيدي والرؤوس ، ويكون على ايدينا هلاك النفوس ، واني قائل لكم : وحق إله الحرم وباريء النسم اني لأعلم عما قليل سيظهر الموت في التوراة والأنجيل ، والموصوف بالكرم والتفضيل ، والذي ليس له في عصرنا أي مثيل ، والذي قد تواترت به الأخبار ، وانه يبعث في هذه الأعصار ، وانه رسول الملك الجبار ، المتوج بالأنوار ، المؤيد بالسكينة والوقار .

ثم قصد ابو طالب الى الكعبة ، فتبعه الناس إلا ابو جهل ، فانه قد بقي في مكانه وحده يتخبط بالشنار ويتعثر بالمذلة والعار ، ولما دنى ابو طالب من الكعبة اخـذ يقول : اللهم رب هـذه الكعبة العلية ، والسماء المبنية ، والأرض المدحية ، والجبال المرسية ، إن كان قد سبق في علمك وغامض مشيئتك ان تزيدنا شرفاً الى شرفنا وعزاً مضاعفاً الى عزنا بالنبي المشفـع والنور المستودع الذي بشر به تبع فأظهر لنـا ياربنا بيانه وبرهانه ، وعجل لنـا يالهنا بزوغه وتبيانه ، واصرف عنا بغي الحاسدين والحاقدين يا ارحم الراحمين .

ثم جلس وأحدق به الناس من كل جهة وجانب ، ولم يستطع أي واحد أن ينطق ولا بكلمة واحدة .

واخيراً وبعـد صمت طويل قد ابتدر الى الـكلام منبه بن الحجاج - وكان ذا قوة وجسارة - فقال : يا ابا طالب قـد ظهرت عزتك وانارت طلعتك وابتهج شكرك وذكرك بالكرم السني والشرف العلي ، وقد علمت رؤساء القبائل وأهل النهى والمحافل أنكم أهل الشرف العظيم والفضل الجسيم من حاضر وقاصي ، وانت يا ابا طالب السيد المطاع الطاهر الحبيب ، فلا ينبغي لمثلك أن يسمع الى ماينطق به الكهان والمشعوذين ، وأنت تعلم انهم اوعية الشيطان يأتون بالكذب والبهتان ، فلعلك تصير سطيح الينـا لنتبين مدى صدقه ، فإن النبوة التي قد عرف عنها وذكرها في اكثر من مرة لها

دلائل وآثار لاتخفى على العقلاء كما لاتنزوي عن النبلاء .

ولما فرغ منبه من حديثه أمر ابو طالب أن يحضروا سطيحاً بفناء الكعبة ، فأحضروه وبمجرد أن وقع بصره على الناس عرف مايدور فيما بينهم اذ ينفجر قائلاً رافعاً صوته : يامعاشر قريش لقد اكثرتم الاختلاف ، ودبّ في قلوبكم الارتجاف ، ومددتم ألسنتكم الى بني عبد مناف ، تكذبونهم فيما به صدقوا ، وكذبتموهم بما نطقوا ، وارسلتم الي تسألوني عن الحال الظاهر وأمر النبي الطاهر ، صاحب البرهان وقاصم الأوثان ومذلل الكهان ، وأيم الله مافرحنا بظهوره لأن الكهانة عند مولده تزول ، وأثر الدلائل عند موالده الى افول ، واذا كان ذلك كذلك فلا خير في حياة سطيح ، فالموت خير له من الحياة ، ولكن الحق لابد أن يسمو وان يظهر ، ومولد النبي حق وانه سيكون عما قريب ، وان كنتم في شك وريب مما اقول فأتوني بنسائكم وامهاتكم وبناتكم لترون مني العجب العجاب ، لترون مني مايبهركم وترون شيئاً لايدخله الكذب ولا يدنو منه التردد والريب ، واوقفكم بالفعل على المقصود ، وأعرفكم بالساعة نفسها على ام المولود الحاملة به المولود الذي يدعو الى المعبود الواحد الأحد .

فانتدب اليه رجال من قريش فقالوا : إدعيت ياسطيح انك تعلم الغيب وتخبر عن المجهول .

فقال : لا ، لاأقول اني اعلم الغيب ولكني اسيطر على قسم من الجن فهو يسترق السمع ويتجسس الأحداث فيأتيني فيخبرني بما عاين وتحسس ، فالنبي لابد من أن يظهر وهو من بني عبد مناف .

واخيراً تداول الناس وتراجعوا فيما بينهم ، وبالتالي ترجح لديهم أن يأتوه بالأمهات والبنات والنساء ، وانفضوا على هذا الرأي .

أما ابو طالب فقد منع ام رسول الله عن الخروج ، كما منع زوجته

فاطمة بنت اسد عن الخروج ايضاً .

وعلى الموعد حضرت النساء والرجال بصورة عامة ، ولما اجتمعوا وهم في ترقب وانتظار وتلهف واستطلاع ، فرمق سطيح النساء بطرفه وأخذ ينظرهن يميناً وشمالا ، ثم قال : اعزلوا الرجال عن النساء ، فانتحى الرجال ناحية وبعدوا عن النساء ، فأطال سطيح النظر اليهن ، ولما اعياهن التعب والوقوف قلن له : ياسطيح أخرس اسانك وخاب ظناك .

قال : والله ماخرس لساني ولا كلّ بياني وما خاب ظني . ثم رفع رأسه الى السماء بعد أن قرب اليه ابا طالب وبعض اشخاص من قريش وقال : وحق الحرمين لقد تركتم من نسائكم اثنتين ، احداهن الحامل بهذا المولود الداعي الى خير معبود محمد ، والثانية ستحمل بعد حين من الزمن ولداً أميناً قوياً مكيناً يدعى امير المؤمنين وسيد الوصيين ووارث علم النبيين .

فبهت الناس وأطرقوا برؤوسهم فكأنما على رؤوسهم الطير ، فكانوا حيارى سكارى قد خالطهم الهلع والجزع واصابهم الخوف من كل مكان .

أما ابو طالب فقد انطلق بعد حديث سطيح هذا ، فجاء بزوجته وزوجة عبد الله أخيه ، فجلسن مع النساء ، وما أن وقع بصر سطيح عليهما حتى صاح قائلاً : ياذوي الشرف الرفيع والمفاخر الرضية ، ياآمنة يابنت وهب انت والله الحاملة بسيد الأنبياء والمرسلين ، ألست حاملة فعلا ؟ قالت : نعم اني حامل لثلاثة اشهر .

فالتفت سطيح الى الناس وقال : الآن شهد قلبي وثبت لبي وأصدقني صاحبي ، يامعشر قريش اعلموا ان آمنة بنت وهب هذه هي سيدة نساء العرب والعجم ، وهي الحامل بأفضل الأمم المدمر لكل وثن وصنم . يامعاشر قريش قد دنى ظهور محمد الأمين رسول رب العالمين ، وكأني أرى من يخالفه قتيلا وعلى الأرض جديلا ، وكأني ارى عزكم يحول وشرفكم يزول

إن انتم لم تلتزموا جانب محمد وتقتفوا أثره ، فطوبى لمن آمن به وصدقه ، وطوبى ثم طوبى لمن تبعه ونصره ، فمن تبعه على الحق الذي يجيء به من ربه فقد استمسك بالركن الوثيق ونجى من كل حرج وضيق .

ثم قال سطيـــح : وانت يابنت اسد يافاطمة اعامي وليعلم كل من حضر أنت ام السيد الامام الذي يكسر الأصنام ويبيد الأوثان ويحطم الجاهلية بلا استثناء ، وهو الامام المبين الذي لايعترض عقله الخلل والطيش ، مخرب الأطلال وميتم الأطفال ، سيفه على رقاب الكفرة والمشركين غير مردود ، قاتل الشجعان ومردي الأبطال والأقران ، الفـارس الكمي والضيغم الجري المسمى بعلي ابن عم النبي . ثم قال : آه آه .

ولما سمعت قريش منه ذلك تحفزوا عليه ووثبوا ليقتلوه ، فانتدب اليه ابو طالب وبنو هاشم فمنعوه وحاموه ودفعوا عنه كيد المعتدين .

هذا ، وابو جهل يصرخ : افسحوا لنا المجال يابني هاشم لنصل الى هذا الكاهن المجرم ، فنسقي سيوفنا ونشفي غليلنا وصدورنا من دمه ، والا لنحل بكم الدمار ونوردكم البوار .

فقال له ابو طالب : ويحك يا اخس العرب وأرذلها ، ما اراك إلا انك تحب الفرقة بين العشيرة الواحدة ، وتريد ان تلقي البغضاء في الأسرة الواحدة ، ومثلك لايتكلم بما تكلمت ، فأنت أخس اللئام .

ثم همّ به لولا ان يخلصه من يده بعض زعماء قريش بعد أن اصابته ذبالة السيف فشجت رأسه وسال الدم على وجهه ، وصار يهتف بجماعته المشركة الكافرة : يامعشر قريش يا اهل المحافل ويا رؤساء القبائل والفضائل اترضون لأنفسكم تحمل العار وتتقبلون الخزي والدمار ، فدونكم سطيح وآمنة بنت وهب وفاطمة بنت اسد فاقتلوهم واريحونا منهم .

ثم جردت السيوف وشرعت الرماح من قريش وبني هاشم ، فثـار

الغبار وطار الشرار وارتجت الأرض بطولها والعرض .

قالت آمنة : وحين رأيت الموقف وشاهدت لمعان السيوف وبريق أسنة الرماح والملأ يريد قتلي ذهلت واسقط في يدي ، وبقيت لاالوي على شيء ، وبينما انا كذلك إذ اضطرب الجنين الذي في بطني واخترق سمعي صوت يماثل الأنين ، واذا بالقوم وقد صاح بهم صائح وهتف بهم هاتف وصرخ بهم من السماء صارخ ، ذهبت الصرخة بالعقول والألباب وصار الناس يضرب بعضهم بعضاً من حيث لايشعرون ، واخذوا يتساقطون على الأرض بلا حراك كأنهم اموات .

قالت آمنة : ورفعت بصري نحو السماء فرأيت ابواب السماء وقد فتحت ، واذا أنا بشيخ قد نزل من السماء وبيده حربة من نار وهو يقول : ايها الطغاة لاسبيل لكم اليوم على رسول الملك الجليل وانا اخوه جبرئيل ، اخمدوا جميعاً عن خاتم النبيين .

قالت آمنة : فعند ذلك سكن قلبي ورجع الي لبي واطمأننت على نفسي وجنيني ، وتحققت دلائل النبوة من ولدي والكرامة التي أراني الله تعالى لها .

ثم اخذ ابو طالب بيد أخيه عبد الله وجاء بنا الى المنزل ، وتركنا القوم صرعى تحسبهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

كل هذه الكرامات والفضائل والقوم مازالوا مصرين على عنادهم ، فهم في طغيانهم يعمهون .

وبعد ايام مما شعروه ووعوه جاء بعضهم الى ابي طالب يقدمهم منبه ابن الحجاج ، وبعد ان استقر بهم المجلس قال : ياشيخ الأبطح يا ابا طالب يامن لم تزل عالياً في المراتب ولمن عاداك غالب ، نريد منك ان تصرف عن بلادنا هذا الكاهن الكاذب ، فان جميع ماوقع بيننا من بغض وعداء

واصطدام وشحناء هو من اثر كهانته وشعوذته ، ونحن ياشيخ الابطح غير متحققين صدقه ، ولو كنا قد تحققناه لكنت انا اول من يعاضده ويسنده على احاديثه تلك ، ثم انشأ :

ابا طــالب انا اليك عصـــابة لنرجوك فارحم من اتى لك راجيا
ونحن فجيران لـــكم ومعاضد على كل من اضحى وامسى معاديا
ابا طالب أتحفت بالرشد والهــنا ووقيت صرف الدهر لازلت باقيا
فان كان رب العرش أرسل منكم رسولا الينـــا وهو للحق داعيـــا
فنحن لنرجو أحمداً في زماننـــا نجــاهد عنـه بالسيوف المواضيـــا
ابا طـالب اصرف سطيحاً فإنه اتى منـه آت بالأذى والـدواهيـــا
فدع عنك حرب الأهل والطف تكرماً ولا تتركن الدم في الأرض جاريا

فلما سمع ابو طالب الأبيـــات فكأنه رق للحالة واخذته الرأفة على الأطفال والنساء من إثارة الحرب والمقـــاومة المسلحة ، اجابهم الى تسفير سطيح والترجيح له بمغادرة مكة .

ثم قال : يامنبه إن جميع ماقاله سطيح ليس فيه شك أبداً ، وستجدون نتيجة جميع حديثه وتكهنه عما قريب . ثم امر بعض بني هاشم أن يحملوا اليه سطيحاً ، فأحضروه بين يديه ، فقال له ابو طالب : أتدري لأي شيء احضرناك ؟ قال : نعم تسألوني الخروج من مكانكم والارتجاع عن بلادكم فانا على ما اردتم عازم وبالخروج جازم ، يا ابا طالب اذا ظهر فيكم البشير النذير فاقرأوه مني السلام الكثير وقولوا له إن سطيحاً أخبرنا بخبرك فكذبناه وطردناه . يامعاشر قريش سيأتيكم بشر آخر اكثر مني دقة وصحة واوفر مني حديثاً ومعرفة ، فهو إما قد دخل بلادكم هذه او يدخل عما قريب .

ثم قال : يا ابا طالب ياعم رسول الله هيء راحلتي فإني قد عزمت السفر .

فقام ابو طالب له بهدايا ضخمة وأموال فخمة، وسيره مع نفر من غلمانه معززاً مكرماً ، ولكن قريشاً لم ترتح تماماً كما لم تهدأ لسفر سطيح باعتبار أنه شوشهم بتوجه من هو اكثر منه كهانة ومعرفة الى بلادهم ، الأمر الذي من اجله لعبوا لعبتهم من طلب تسفير سطيح ، فظلوا قلقين مرتبكين ، الآلام تحز في نفوسهم والأوهام تأخذ منهم مأخذاً عظيما . فبينما هم على هذا الحال ونحوه فاجتمعوا ذات يوم في النادي اذ يرون راكباً من بعيد ترقل به ناقته ، فتطاولت اليه الأعناق ومدت اليه الأبصار ، فحققوا النظر وإذا بالراكب على الناقة امرأة ، فصاروا ينتظرون مجيئها حتى اذا قربت اسرع الى ملاقاتها ابو قحافة عمر بن عامر ، وهو اول مابادر اليها فعرفها ، ثم رجع الى جماعته ينادي بالويل والثبور ، وهو يقول : يا اهل الأبطح لامقام لكم به ، لقد اتتكم الداهية الدهماء والطامة العظمى ، هذه المرأة القادمة هي الزرقاء كاهنة اليمامة .

وما شعروا إلا وهي في وسطهم وكأنها عرفت كل شيء عندهم ، واذا بهاتهتف عالياً : يامعاشر قريش حييتم بالعيش والإبكار ، وعمرت بكم الديار ، فإني قد فارقت اهلي ووطني وقصدت بلدكم هذا لأحوال قد أتت واشياء قد دنت ، واني مخبرة لكم عما يخرج عن دياركم من العجب العجيب ، فإن أذنتم لي بالنزول نزلت وان احببتم الرجوع رجعت من حيث اتيت ، ثم انشأت :

انى لأعلم مايأتي من العجب ... بأرضكم هذه يامعشر العرب
لقد دنا وقت مولود لأمته ... محمد المصطفى المنعوت في الكتب
فعن قليل سيأتي وقت مولده ... يرمي معانده بالذل والحرب
يدعو إلى دين غير اللات مجتهداً ... ولا يقول بأصنام ولا نصب
وقد اتيت لأخبركم ببينة ... لما رأيت من الأنوار والشهب

عما قليـــل ترى الأنوار زاهرة ببطن مكة ترمي الجمع بالشهب
فان اردتم والا رحت راجعـــة وتندمون اذا ماجاء بالعطب
وآخر بذباب السيف يعضده قرن يدانيه بالاحسان والنسب

ولما سمعوا منها ذلك امروها بالنزول والجلوس معهم لغاية الوقوف على ماعندها من غوامض واسرار ومعارف وتكهنات، وهل هي تنحو منحى سطيح او تختلف عنه؟

فنزلت وجلست في وسطهم ، وبعد ان استقرت تقدم اليها عتبة بن ربيعة قائلا : أهل راعك احد ياسيدة اليمامة ، وهل لك حاجة فتقضى او ملمة فتمضى ؟

فقالت : ما انا بفقيرة الحال ولا انا قليلة المال ، ولكني جئتكم لأبشركم واحذركم ، وليست البشارة تعود لي بل هي علي وعليكم ، اذ فيها هلاكي وهلاككم .

فقال عتبة : اراك توعدين نفسك وايانا بالدمار .

قالت : يا ابا الوليد وساطح البلاد ومن هو عالم بالمرصاد ، ليخرجن من هذا الوادي نبي يدعو الى الرشاد وينهى عن الفساد ، نوره يتجدد واسمه محمد ، وكأني به عن قريب سيولد ، ويساعده على ذلك مساعده ويقارنه في الحسب ويدانيه في النسب ، يبيد الأقران ويدمر الشجعان ، أسد ضرغام وسيف حسام ، جسور في الغمرات هزبر في الغارات ، له ساعد قوي وقلب جريء اسمه علي .

ثم قالت : آه آه يوم القســاه ، واعظيم مصيبتاه ، ولو أني ادركته لكانت لي معه قصة عجيبة ومصيبة عظيمة ، ولو أردت النجاة لسارعت الى الاجابة وتركت ما انا عليه من المكيدة ، ولكني أرى خوض البحار ونقل الأحجار والتلوح على النار وقطع الأشجار اهون علي من الذل والصغار

فلا انا مشترية بعزي ذلاً ولا بعلمي جهلاً ، ثم انشدت :

ذرى القبائل والسادات ويحكم   اني اقول مقالا كالجلاميد
لو كنت من هاشم او عبد مطاب   او عبد شمس ذوي الفخر الصناديد
او من لوي سراة الناس كلهم   أهل السماحة والتفضيل والجود
او من بني نوفل او من بني اسد   او من بني زهرة الغر الأماجيد
لكنت اول من يحظى بصاحبكم   اذا جرى ماؤه في يابس العود
لكنما اجلي قد حان موعده   لما دنى مولد ياخير مولود

ثم قالت : وخالق الشمس والقمر ، ومن تصير اليه كافة البشر ، لقد صدقكم سطيح الخبر .

فلما سمعوا كلامها حارت عقولهم ، وتجددت عليهم المصائب والأحزان .

ثم ان الزرقاء ادارت ببصرها نحو الحشد الكبير ، فنظرت ابا طالب فأطالت النظر اليه ، وكان معه اخوه عبد الله بن عبد المطلب ، وكانت تعرف عبد الله من قبل ، لأنه قد سافر مع ابيه عبد المطلب الى اليمامة وبقيا هناك اياماً ، وكانت السفرة من قبل ان يتزوج عبد الله بآمنة بنت وهب ، وكانا قد نزلا في قصر مجاور الى قصرها .

فلما نظرت الى عبد الله والأنوار تسطع من غرته والمهابة والوقار يعلوانه أحبته واكبرت مقامه ، وعرفت ان النبي الموعود والذي يبعث في مثل تلك الظروف فهو من صلبه ، فهو عبد الله وابن عبد المطلب ، فخرج عبد المطلب ذات يوم من القصر فانتهزت خروجه فرصة لأنه ترك عبد الله وحده ، فأسرعت الى القصر وبيدها كيساً مماوءاً من الورق ، فدخلت عليه وقالت : حييت بالسلامة واتحفت بالنعمة والكرامة ، فمن اي العرب انت فما رأيت اجمل منك وجها ؟ .

فقال : انا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف سيد الأشراف

ومطعم الأضياف ، انا من قـوم هم سادات الحرم ، ومن لهم السابقة والقـدم .

قالت : صدقت لأنك أنبل وأفضل واكمل مما ذكرت ، وهـل لك من فرحتين عاجلتين ؟

قال : وما هما . قالت : أبذل لك مائة من الأبل وناقة محملة تمراً وسمناً وهذا الكيس مملوء ورق ونقود .

قال : على اي شيء ؟ قالت : ان اضطجع معك فأونسك .

فلما سمع منها هذا الـكلام وفهم منها ماتريد منه غضب وتألم وظهر منه الاستياء وقال لها بازعاج : اليك عني فما أشر غرتك وما اقبح طلعتك أما علمت اننا قوم لانرتكب المعاصي ولا نقترب من الفجور والآثام ، اذهبي عني ياويلك وإلا قمت اليك بهذا السيف .

وكلما حاول ان تخرج عنه فيتخلص من شرورها لم يستطع ، فما هي إلا جادة في رأيها ، واخذت تضاعف له المال وتطمعه في الثروة الطائلة ، واخيراً قام اليها بالسيف ، فلما عرفت صدقه وانه يقتلها إن هي لم تخرج من القصر لاذت بالهزيمة وتمنعت بالفرار وعادت الى قصرها خائبة خاسرة ، واخذ عبد الله مكانه وهو على حالته من الحـدة والغضب ، وجعل سيفه على فخذيه . وبينما هو كذلك اذ دخل عليه ابوه ، فوجده على تلك الحالة المؤلمة ، وبمجرد ان وقع نظره على ابيه بكى وانشأ :

أنرتـكب الحرام بغير حـل ... ونحن ذوي المفاخر في الأنام
انركـن للحرام ونحن قوم ... جوارحنا تصان عن الحرام
معـاذ الله انا من اناس ... اماجيـد جحاجحة كرام

فقال له : ما الذي دهاك وما جرى عليك من بعدي ؟ فنقـل له القصة ووصف له المرأة التي راودته عن نفسه ، فعرفها عبد المطلب وقال :

يابني هذه هي الزرقاء كاهنة اليامة ، فقد نظرت النور الذي يسطع في جبينك وطلعتك البهية ، فعلمت انه الشرف الأكيد والعز الذي لايبيد ، فأرادت ان تسلبه منك ، فالحمد لله الذي عصمك منها .

ثم بادر الى الرحيل فرجع الى الوطن بولده ، فزوجه من آمنة بنت وهب .

فلما رأته مع اخيه ابي طالب عرفته وتذكرت قصتها معه ، كما علمت أنه قد تزوج بآمنة ، فقالت له : ألست بصاحبي في اليامة ؟ فقال لها عبد الله : نعم لااهلا ولا سهلا بك ياقبيحة .

فقالت : مافعل بالنور الذي كان يسطع من وجهك ؟

فقال : ان ابي زوجني من آمنة بنت وهب فانتقل النور من جبيني الى جبينها .

قالت : صدقت ولا شك فيما ذكرت .

ثم صرخت هاتفة في الجمع : يا اهل العز والمراتب والمفاخر إن الوقت لمتقارب وإن الأمر لواقع ماله من راد ولا دافع ، فتفرقوا فلقد دنا المساء وآتوني غداً لتسمعوا مني الأخبار وتقفوا على الحقيقة والآثار .

وحينئذ تفرقوا عنها وذهب كل على شاكلته ، حتى اذا ذهب من الليل شطره التحقت بسطيح على مراحل من مكة ، وبعد ان اجتمعت به قالت : ياسطيح ما الذي تراه من الرأي ؟

قال : ارى العجب العجاب ، وان الوقت قريب ، وأخبرها بما جرى له من اوله الى آخره .

قالت : وما انت صانع ؟ قال : إني قد كبر سني وخمد ذكري ، ولولا مخافة العار لعجلت على نفسي بالفناء والدمار ، وأمرت من يجرعني كؤوس الردى والبوار ، وقد عزمت بازرقاء الهجرة الى الشام حتى يأتيني

الحمام ، فان المولود الجديد منصور ومن عاداه لامحالة مقهور .

قالت : ياسطيح اين اصحابك واعوانك لِمَ لايساعدوك على خنق هذا الأمر مادام في المهد ومن قبل أن تلد آمنة فتقتلوها ، واذا ماقتلتموها قتلتم الجنين الذي في بطنها .

فقال : ويلك ومن الذي يقدر على قتلها ويقوى على اغتيالها والحافظ لها الله سبحانه ، ثم ابو طالب يرعاها ويحميها ، وهو العليم بحال جنينها وما سيؤل اليه امره من العظمة والسؤدد ، فدعيني واذهبي عني فاني مشرف على الموت فاني ارقبه فهو مني قريب .

ولما أيست من معاونته كرت راجعة الى محلها من مكة ، ولما أصبح الصباح اجتمع الناس وكلهم تطلع الى أخبارها وأحاديثها ، ثم اقبلت فأخذت مجلسها من الندوة ثم سألت عن ابي طالب والهاشميين . فقيل لها : ههنا كلهم حضور . فعينت مكانهم ، فقامت تمشي حتى وقفت على رؤوسهم فقالت :

أنعم الله لكم الصباح ، وأشرقت بكم البطاح ، وأنارت بكم المحافل ، وعلوتم القبائل ، ويزداد شرفكم علواً ورقياً ، اذا ظهر فيكم المنعوت في التوراة الموصوف بالانجيل ، فالويل لمن عاداه وطوبى لمن تبعه . واعلموا يابني هاشم ماقصدت بلادكم هذه إلا لأن ابشركم بالبشارة التي هي اعظم البشائر واجملها .

فقال لها ابو طالب : جزيت خيراً يازرقاء ، وقد وجب حقك علينا فهل لك من حاجة فتقضى وملمة فتمضى ؟

قالت : حاجتي إليك ياشيخ الأبطح ان تجمع بيني وبين آمنة بنت وهب زوجة اخيك عبد الله لأتحقق ماجئتكم به من البشارة السارة .

فقال ابو طالب : ما اسهل ماطلبت حباً لك وكرامة ، قومي معنا

الى المنزل فأنت في ضيافتنا محترمة موقرة ، ثم تجتمعين هناك بآمنة .

ولما دخلوا الدار خصص للزرقاء مكاناً محتشماً ، وامر ابو طالب الجواري بخدمتها وتهيئة أسباب الراحة لها وان يدخلوا عليها آمنة . ثم عرضوا عليها الطعام فأبت ان تأكل معتلة بأنها راغبة بالاجتماع بآمنة ، ومتى ما اجتمعت وعرفت منها ماتريد عند ذلك تتناول الطعام والشراب .

ولما اجتمعت بآمنة تحققت ان الجنين الذي هو في بطنها هو النبي الذي سيبعث فتخرج عند مولده العجائب فتتساقط الأصنام وتتحطم الأوثان وتخمد النيران ، فأخذها الحقد والحسد والتعصب للجاهلية ، فرأت ان لاقرار لها في الدار ولا راحة لها مادامت ترى آمنة وهي حامل بمحمد ، ثم اصرت على الخروج من دار ابي طالب ، وبالتالي فقد خرجت الى محلها وهي مفكرة حيرانة كئيبة حزنانة ، وبقيت أياماً وهي تفكر في تدبير الحيلة للقضاء على آمنة كي تستريح منها ومن جنينها ، وأخيراً قد تعرفت على ماشطة آمنة ـ وهي امرأة من الخزرج تعرف بتكنا ـ فأخذت تتردد عليها وتبدي لها الوداد والاخلاص ، ثم حسنت لها الانتقال الى المكان الذي هي فيه ، فوافقت تكنا على ذلك فبقيت عندها مدة لم تر منها شيئاً ضائراً ، فاستيقضت تكنا ذات ليلة فرأت حول الزرقاء شخصاً وهو يخاطبها بهذه الأبيات :

كاهنة جاءت من اليمامة	أزعجها ذو همة همامة
لما رأت نوراً على تهامة	وهو لاظهار النبي علامة
محمد الموصوف بالكرامة	ستدرك الزرقا به الندامة
فهي على سيدة اليمامة	إذا أتاها صاحب الغمامة

وإذا بها تقول له : لقد كنت لي محباً وأنت صاحب الوفاء ، فما الذي حبسك طوال هذه المدة وأنا في هموم متواترات وزفرات وحسرات متتاليات ؟

فقال لها : ويحك يازرقاء لقد نزل بنا أمر عظيم ، أجل وأعظم مما نزل بك ، ولقد كنا نصعد إلى السماوات نسترق السمع إلى أن بعث عيسى ابن مريم طردنا من أربع ، فكنا طيلة هذه المدة نسترق السمع من ثلاث سماوات إلى هذه الأيام طردنا حتى من الثلاثة ، ونسمع مناديا ينادى في السماوات العلا : إن الله يريد أن يظهر عبده وحبيبه محمداً ، فخرجت علينا الملائكة وحرمت علينا الصعود وجئنا اليك كي نحذرك .

فلما سمعت حديث الجني هذا قالت : اليك عني فاني لا بد أن اجهد جهدي واعمل حيلتي فأهلك المولود وأمه ، فتولى عنها بعد أن أنشدها :

إني نصحتك بالنصيحة جاهداً	فخذي لنفسك واقبلي من ناصح
لا تطلبي أمراً عليك وباله	فلقد اتيتك باليقين الواضح
هيهات أن تصلي إلى ما تطلبي	من دون ذلك كل خطب فاضح
فالله يحفظ عبده ورسوله	من كل ساحرة وأمر فادح
عودي إلى ارض اليمامة واحذري	من شر يوم سوف يأتي كادح

ثم إن الجني قد اختفى عنها وتركها على ما بها من الحيرة والذهول .

تقول الماشطة تكنا : ولما أصبحنا وجدت الزرقاء مهمومة مغمومة يسود عليها الوجوم ويخيم عليها الإرتباك ، فجئت اليها وجلست بين يديها وقلت : ياسيدتي مالي أراك مفكرة مضطربة مهمومة مغمومة ، فان كانت لك مهمة اذكريها لي لعلي استطيع تذليلها لك ومعاونتك على تسهيلها .

فقالت : يااختاه ان كل ما اعتراني واصابني هو من جراء مولود يتولد عن قريب ، يكسر الهام ، ويحطم الأوثان والأصنام ، يذل الكهان ، ويخرب الديار ، ولعلك تعلمي ان التلوح على النار أيسر من المذلة والصغار . آه لو وجدت من يساعدني على قتل آمنة لبذلت له المنى واجزلت عليه الغنائم ثم عمدت إلى بدرة من الأموال فصبتها امامي .

تقول تكنا : لما رأيت المال سال له لعابي واغراني الشيطان كما لعب بعقلي وهيمن على اعصابي ، ثم قلت لها : إنك يازرقاء تحاولين أمراً خطيراً ومعنى عظيما صعب المنال ، وكأنك تعتزمين ان يكون على يدي ، فاعلمي يازرقاء اني ماشطة بني هاشم وآل ابي طالب ، ومن المستحيل ان يدخل عليهن غيري ابداً ، ولا آمن العواقب الوخيمة ان ظهر مني شيء يشعر بالاساءة .

فقالت الزرقاء : أنا ادبر لك الكيفية التي يمكنك التوصل بها الى قتل آمنة ، وذلك اذا دعتك آمنة للتمشيط اعلميني فأعطيك خنجراً صغيراً يمكنك اخفاؤه بصورة سهلة ، فاذا دخلت في التمشيط اغرزي الخنجر في عنقها فإنه فوراً يقضي عليها لأنه مسموم ، ثم حاولي التظاهر بأنك لا تعلمين بأي شيء من الحادث ، وان شملتك التهمة واستحقت عليك الذمة فاني ادفعها عنك مهما كانت ومهما بلغت ، حتى ولو كانت عشر ديات تترتب عليك ، هذا غير الجعالة والهدية التي اضمرها لك إن أنت اتممت العملية وقمت بالطلب

فصممت الماشطة على القيام بالمهمة ، وبقيت تتحين الفرصة ، فاتفق ان ارسلت عليها آمنة فأسرعت الى الزرقاء وأخبرتها بذلك فأعطتها الخنجر ثم توجهت الى دار ابي طالب ، ولما دخلت على آمنة رحبت بها وعاتبتها على انقطاعها مدة غير مألوفة ، فأخذت تحتج بحجج معذرة ، ثم دنت الى آمنة على عادتها لتسرح شعرها وتمشطه .

تقول تكنا : كلما أحاول ان اغرز الخنجر في رقبتها اشعر بقابض يقبض على يدي يمنعها عن الحركة ويشلها عن الاستطاعة ، وحاولت وحاولت فرأيت انها فاشلة ، فارتبكت فجأة ووقعت لوجهي من شدة الارتباك ، وفشل المحاولات ، فسقط الخنجر من يدي ، الأمر الذي استفز آمنة واهالها وادى بها الى ان تصيح وتهتف بنساء بني هاشم ، فدرن على الأثر مـــن

حولها وصرن يخففن عليها القصة ويمنينها السلامة ، الى ان اطمأنت وهدأت حمدت الله على نجاتها من الموت المحتم لو لا ان يسامها الله عز وجل .

فقالت النساء لتكنا : ما دعاك الى ان تقومي بما اردت القيام به ؟

قالت : الطمع والاغراء بالأموال ، والزرقاء هي التي سولت لي ذلك ومهدت لي الطريق ووعدتني بالأموال المسيلة للعاب ، فلا تفوتكم الزرقاء فدونكم هي فاقتلوها من قبل ان تعلم بفشل مؤامرتها فتهزم وتسلم منكم .

وسقطت تكنا على الأرض فحركوها فاذا بها ميتة . فتعالت الضجيج في بيت ابي طالب فوصل إلى ناديه فسمع فبادر الى الحرم فرأى الماشطة ميتة ، فسأل عن السبب فأخبر به ، فصاح ابو طالب بغلمانه دونكم الزرقاء اقتلوها اقتلوها قتلها الله ، عجلوا عليها ، ولكنها استشفت الخبر فخرج بها شياطينها من مكة وأسرعوا الى اخفائها عن بني هاشم ، فتبعها الهاشميون فلم يقفوا لها على اثر .

الى ان قال ابو الحسن بن عبد الله البكري :

ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان ما كان من أحداث ووقايع يوم ولادته كانت الزرقاء في حفدة من جواريها ووصائفها ، واذا بها تصرخ صرخة عظيمة وغشي عليها ، فلما افاقت انشأت تقول :

أما المحال فقد مضى لسبيله ومضت كهانة معشر الكهان
جاء البشير فكيف لي بهلاكه هيهات جاء الأمر بالاعلان

ثم دخل عبد المطلب على آمنة يهنئها بوليدها المبارك ، ثم قال : الحمد لله الذي صدقنا وعده واخرج لنا وليده ، اذاً لا ابالي بالموت بعد اليوم ؛ فاحتفظي يا آمنة بولدك فانه قرة عينك ، وسيكون له شأن عظيم ومكان كبير .

ولما مضى على المولد الكريم سبعة أيام أولم عبد المطلب في اليوم السابع

وليمة عظيمة ، ذبح فيها الذبائح ونحر فيها الابل ودعى اليها الناس من كل مكان ، وفضل من الطعام شيء كثير قدموه للوحوش والطيور .

* * *

اقول : ان لم يكن هناك موقف مشرف لأبي طالب الا هذا الموقف المستنبط من حديث الشيخ هذا لكان وافيا ومدللاً على مدى اخلاصه للنبي من قبل أن يولد ، ومدى تحسسه بنبوته كذلك ، لذا لم تزوده كثرة التكهن علماً بما سيئول اليه امره ، بل كان وكأنه يرتقبه ويأمله ويعرف عنه كل شيء وقد جهد كل الجهد على ان يدفع عنه الشرور والاذى والدواهي العظام ، وهو حمل في بطن امه ، وحرص كل الحرص على ان يفديه ويحميه من عدوه بعد ولادته ، واخيراً صدق وآمن به ووازره بعد تنبؤه وبعثته .

واليك قاريء الكريم ملخصاً للقضية الثانية ، القضية التي ذكرها البكري والتي يتجلى بها موقف عم النبي العظيم ابي طالب اتجاه رسول الله ، ومحاولة اظهاره بالمظهر اللائق المناسب لقداسة الرسالة ، والملائم لكرامة النبوة والجلالة من حين طفولته ونعومة اظفاره :

قال القاضي النقدي في مواهبه : إن موقف عم النبي العظيم ابي طالب لا يسد مسد أي موقف آخر ، لذا قد تمنى صلى الله عليه وآله الموت والخلاص من الدنيا بعد وفاة عمه الكريم ، فقد التجأ الى التخفي عن قريش والمجرمين من اليهود لأنهم أمنوا العقوبة وانتهزوا الفرصة ، وخلا لهم الجو فاستعملوا معه جميع أنواع الأذى والايلام ، وجهدوا كل الجهد واعملوا الحيل ودبروا المؤامرات على قتله ، إلا ان الله يمنعهم عنه ويحميه من القتل .

فقد ظفروا به مرة وحده فاحتوشوه ، فشج رأسه ابو جهل بحجر حتى سالت الدماء على وجهه الكريم ، وضربه آخرون على ساقيه فأدموهما حتى اضعفوه عن المشي ، واذا بجبرئيل يأخذ بعضده فيصعده على جبل كان

قريباً من المكان الذي كان فيه ، فخاصه من الطغاة ولكنهم لازموا سفح الجبل برجاء أنه ينزل فيأخذوا منه حيفهم ويتموا فيه مأربهم ، ولكن الله عز وجل أعجزهم عن صعود الجبل ، كما ألقى عليهم النعـــاس والتعب ، فقرروا الرجوع الى منازلهم والتحين بمصادفة اخرى . أما رسول الله صلى الله عليه وآله حين رأى نفسه على قمة الجبل ألقى بنفسه على سطحها والدماء تسيل من بدنه الشريف .

وقصد رجل علياً وكان وقد وقف على صنع القوم مع النبي الأمر الذي اضطره الى صعود الجبل وما يدري أهو حي ام ميت ، فأهال الحديث علياً وكبر عليه ، فبادر الى بيت ام المؤمنين خديجة ليستعين بها على الفحص عن رسول الله فطرق الباب عليها فقالت : من الطارق ؟ قال : أنا علي ابن ابي طالب . قالت : هل لك علم بالنبي ياعلي ، فما احب ان يفاجئها بما عنده فقال لها : لا ولكن أرغب أن نخرج معاً للفحص عنه .

فخرجت معه وصارا يفحصان حتى اذا وصلا الى الوادي القريب من الجبل ، قال علي : يا ام المؤمنين استبطني الوادي وانا استظهره . قالت : نعم .

أما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد فاق من غشيته ، فرأى جبرئيل عنده وهو يبكي لحالته ، ولما وقع نظره عليه بكى هو الآخر وقال : أما ترى يا جبرئيل ما صنع بي قومي ، فقد كذبوني وطردوني وتألبوا علي وصيروني الى ما ترى ، فأخذ بيده جبرئيل فأقامه واستخرج من تحت جناحه درنوكاً من الجنة منسوجاً من الحرير مطرزاً بالذهب والأحجار الكريمة ، ففرشـــه وقال : أجلس يا محمد . فجلس صلى الله عليه وآله فصـــار جبرئيل الى ملاطفته وتسليته ، ثم قال : يا محمد أتريد ان تنظر الى كرامة الله تعـالى عليك وكرامتك عليه ، قال : نعم ياحبيبي ، فأراه بقدرة الله عظمته في

الدنيا وما سيحصل عليه عما قريب من الاستيلاء على الدنيا وما فيها من ملوك وعظماء ، كما اراه مقامه الكريم ومنزلته الرفيعة في الدار الآخرة . فهدأ صلى الله عليه وآله مقداراً ما .

ثم ارسل الله وفوداً من الملائكة لتكون طوع ارادته ورهن اشارته ، يأتمرون بأمره وينتهون بنواهيه ، فتقدم اليه الملك الذي عهد الله اليه امر الشمس فقال : يارسول الله انا مأمور ان اطيعك ، فان امرت ان اسلط اشعة الشمس على المجرمين فوراً فأحرقهم فعلت .

وتقدم الملك الموكل بالأرض فقال : أنا يارسول الله طوع ارادتك ، فان امرت ان اطبق الأرض على الكفرة فعلت .

وتقدم الملك الموكل بالماء فقال : اتأمرني يارسول الله ان اغرقهم اجمعين وليس لأحد عندي هوادة . ثم صار الملائكة يتقدمون واحداً بعد واحد يعرضون انفسهم وخدماتهم وحضورهم واستعدادهم لكل الأوامر والمتطلبات ، حتى اذا انتهوا امرهم رسول الله بالهدوء ، ثم قال : ياملائكة ربي وكريم مخلوقاته أنتم امرتم باطاعتي وامتثال اوامري ؟ قالوا : نعم يارسول الله صلى الله عليك وعلى آلك ، قد أمرنا الله عز وجل بذلك .

فعند ذلك رفع النبي يديه الى السماء وقال : اللهم ياارحم الراحمين تعاليت وتباركت ، انك يالهي تعلم اني لم اخلق عذاباً ونقمة ، ولم ابعث إلا رحمة للعالمين وخيراً للخلق اجمعين ، ياملائكة ربي ألحقوا بصفوفكم واماكنكم التي رتبكم الله فيها ، فلا حاجة لي فيكم ، دعوني وقومي فانهم لا يعلمون . فعند ذلك تفرقت الملائكة وعرجوا الى السماء نحو اماكنهم وصفوفهم .

ولم يبق عند النبي الا جبرئيل عليه السلام ، اذ يلتفت فيرى خديجة تجوب الوادي باكية حزينة تهتف وتقول في هتافها : بأبي وامي أنت يا رسول

الله ، أميت انت يارسول الله ، فدتك نفسي يارسول الله .

فبكى جبرئيل لحالتها وقال : استأذنك يارسول الله بالعروج ، فهذه خديجة مدهوشة ذاهلة ، فادعها اليك لتراك والا تموت من شدة الوجـــل عليك .

فعرج جبرئيل ونادى رسول الله خديجة ، فسمعت صوته وجاءت على اثره ، فعرفت انه من فوق الجبل ، فصعدت الجبل فوجـدت النبي بتلك الحالة المؤلمة المشجية ، وهو يحاول ان لا يقع على الأرض شيءمن دمه المقدس . فسألته خديجة عن محاولته تلك وعن السبب الداعي اليه ؟ قال لها صلى الله عليه وآله : ياخديجةاني اخشى ان وقع من دمي شيء على الأرض يغضب الله على من في الأرض فيخسفها بهم فيهلكون عن آخرهم .

ثم قالت خديجة : يارسول الله اسأل الله ان يهدي الى مكانك علي ابن ابي طالب فانه يكاد يشرف على الموت من اجلك وقد خرجنا سوية لغاية الفحص عنك .

فسأل ربه ذلك ، ولم يمض من الوقت الا قليل حتى انتهى الفحص بعلي الى قمة الجبل ، فوجد رسول الله وبخدمته ام المؤمنين خديجة ، فبكى بكاءً شديداً حين وقع بصره على النبي ورآه بما هو فيه من الجراح وسيل الدماء ، وبقوا ثلاثتهم الى ان مضى من الليل شطره ، وقد نامت العيون وهدأت الأصوات ، انزل علي وام السيدة الزهراء خديجة النبي ، وجاءوا به الى الدار ، وكان المشركون قد وضعوا كميناً في جنح الظلام يراقب نزول رسول الله من الجبل ويعلمهم بنزوله ليقضوا فيه تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالآلهة احراراً آمنين .

فخرجوا حين اخبرهم الجاسوس ، فما ادركوه في الطريق وتبينوا أنه صلى الله عليه وآله قد دخل البيت ، فحفزهم حقدهم الدفين وثأرهم للاصنام

ان يرموا بيت رسول الله بالأحجار ، فتكثر الرمي على البيت النبوي وصار علي وخديجة يقيان رسول الله بجسميهما عن الأحجار ، الى ان اخذهما الألم والدم ورأيا ان لا انقطاع لهذا العمل الاجرامي الخطير ، ترجح لخديجة ان تتستر وتخرج اليهم ، فخرجت فعلا وخاطبتهم قائلة : تباً لكم ايتها الجماعة وترحاً ، أما انكم قد فعلتم معنا فعل الأجلاف الجفـاة فأسأتم الى انفسكم والى العرب بصورة عامة ، ما لكم كيف تحكمون ، الله اكبر اترمى الحرة في بيتها ، فوالله ان لم تتفرقوا عن داري الآن اوجه الى اسرتي وقومي من يخبرهم بفعلكم التي تترفع عنها حتى الوحوش وضواري البر .

فلما سمع القوم من خديجة ذلك خافوا من التهديد ، كما خافـوا من وصول خبرهم الى اسرة خديجة فيكبسوهم في مكانهم ويفنوهم عن آخرهم وعندها تحل بهم فتنة كبرى لا قبل لهم بها ولا ينفعهم اذ يندمون .

وبالتالي اعطوا سيقانهم للريح فانهزموا ولاذوا بالفرار ، ثم رجعت خديجة الى رسول الله ، فنقلت له قصتها وحديثها مع المجرمين . ثم بكى رسول الله بكاءً شديداً ، وصار يخاطب عمه ابا طالب وهو في قبره فقال : رحمك الله ياعم ، لو كنت حياً لما بلغ الشرك مني هذا المبلغ ، ياعم لو كنت موجوداً لما تجاسر الكفر على بيتي ورموني بالأحجار ، ياعم لقد كنت في حياتك منيع الجانب مهيباً مصاناً ، ولكني بعد فقدك صرت مهـدور الكرامة تتحاوشني الذئاب من كل مكان ، فالمستعان بك يا الله ، ولا حول الا بك ياغياث المستغيثين ، وانا لله وانا اليه راجعون .

ونقل صاحب إعلام الورى وصاحب دلائل النبوة والقاضي في مواهبه ص ١٤٣ بطريقهم الى الزهري انه قال : اشتد تجهم الوضع على رسول الله واكفهر وكشر الكفر عن انيابه بعد موت حامي النبي وكافله عمه ابي طالب ، كما حاكوا عليه المؤامرات واكثروا عليه الايذاء ، الأمر الذي قد اضطره

صلى الله عليه وآله الى ان يعرض نفسه المباركة على الأسر والقبائل العربية ، مستجيراً بالرؤساء والزعماء على امل ان يحميه منهم أحد عن صولة الشرك وجولة الكفر وعبث اليهود الفجرة ، ولكنه صلى الله عليه وآله لم يجد الا الصدود ولم يحصل الا على الإعراض والامعان في الاساءة ، واخيراً يرجع منزعجاً مألوما آسفاً على فقد عمه ابي طالب .

وترجح عنده ذات يوم ان يقصد ثلاثة من الزعماء وكانوا اخوة ، وهم ياليل بن عمرو وحبيب بن عمرو ومسعود بن عمرو ، فظن صلى الله عليه وآله بهم خيراً ورجا فيهم أن يحموه من مكائد اعدائه ، ولكنه لما حل بين ظهرانيهم لاقى منهم من السخرية والاستهزاء والايذاء ما هو أشد واكبر من اذى الكفرة واليهود ، فقال له كبيرهم : أنا اسرق استار الكعبة ان كان الله قد بعثك . وقال الآخر : اعجز الله ان يرسل غيرك وانت يتيم ابي طالب . وقال الثالث : ان كنت نبياً كما تزعم لأنت اعظم شرفاً من ان اكلمك ، وان كنت كاذباً فأنت أشر من اكلمك واقل من ان احدثك .

وما كفاهم كل ذلك بل اوعزوا الى صبيانهم واطفالهم ان يرموه بالحجارة ان قام من مجالسهم وناديهم ، فلما يئس منهم قام صلى الله عليه وآله ليرجع الى منزله ، اصطف له الاطفال وصاروا الى رميه بالأحجار حتى بعد عنهم وخلصه الله تعالى من شرهم .

وبينما هو في الطريق شعر أنه متعوب يحتاج الى الاستراحة والجلوس قليلا ، واستظل بظل بستان كان يمشي بقربه ، فجلس مفكراً مهموماً يتصور مقام عمه ابي طالب وانه كل ما يلاقي وما اصابه من ضر جره عليه فقده لأبي طالب ، ذلك العم الحنون الذي كان وحده هو الشوكة في عيون العدو ، كما هو وحده كان السد المنيع الذي يحول بينه وبين ايذاء الطغاة المتمردين واليهود الأشرار ، ثم يسترجع ويسلم امره الى الله الواحد القهار .

فالتفت صلى الله عايه وآ له الى ناحية من نواحي البستان فرأى عتبة وشيبة ابني ربيعة وعبداً لهما وقد استظلوا بظل البستان ، فتعوذ بالله منهما ومن الشيطان الرجيم ، وتبين انهما يحاولان ايذاءه والدنو منه بسوء ، فاستجار بالله منهما ورجاه الخلاص والنجاة من ايذائهما . واخيراً قد استدعى عتبة وشيبة عبدهما عداس وانتدباه لايذاء رسول الله والتشويش عليه ، فتقدم العبد وجلس بين يدي النبي وهو ينوي ان يقوم بما أمره مواليه ، فكلمـــه رسول الله واحسن له في الحديث ، ثم سأله من اين انت ومن اي بلد تكون ؟

قال : انا عداس ادين بالمسيحية وبلدي نينوى .

فقال النبي : اكرم بها من بلدة ، فانها مدينة العبد الصالح يونس ابن متى .

فقال عداس : يامحمد ومن اين عامت ذلك ؟

قال النبي : ربي أعلمني به ، يونس كان نبي ذلك الزمن ، وقد بلغ رسالة ربه كما يريد ، وقد لاقى في سبيل ذلك من قومه من المحن والشدائد والمصائب والصاعب كما لاقيت انا من قومي حين امرني ربي باظهار النبـوة والافصاح عن البعثة .

قال عداس : أو أنت نبي يا محمد ؟

قال : نعم ياعداس ، انا نبي هذه الامة .

ولم يزل صلى الله عليه وآ له يحدث عداساً بأخبار الماضين واحـوال الأمم السالفة حتى اذعن عداس وايقن ، فينقلب فجأة الى احترام رسول الله والتأدب امامه ، ثم اهوى على قدميه يقبلهما وهو يقول : اشهد ان لا إله الا الله وانك رسول الله حقاً ، يارسول الله المعذرة الى الله واليك فاعفو عني وسامحني يارسول الله صلوات الله عليك .

فلما شاهد عتبة وشيبة من عبدهما الانصياع الى النبي واحترامه والانعطاف

على قدميه يقبلهما كبر عليهما الأمر وثقل عليهما الوضع وندما على ما فرط منهما من ارساله الى محمد ، وقد قال عتبة لشيبة : اظن انه اسحره محمد ، فادعه فليأت الينا مسرعاً ، فدعاه فأقبل حتى جلس من حولهما ، فقالا له : ما الذي دعاك لأن تسجد لمحمد وتخضع له وتهوي على قدميه تقبلهما ، وكأنك تريد أن تقطع منهما قطعة .

قال عداس : ليس في الحق مغضبة ، إني تحققت من محمد أنه نبي هذه الامة ، الأمر الذي ادى الى غضبهما وانتفاضتهما وزجرهما لعداس وقولهما له بل كذبت وكذب محمد ، فانه قد استولى عليك بسحره وشعوذته فإياك ان تقرب اليه بعد ، فانه يفتنك عن دينك وطريقتك المثلى الطريقة التي كان عليها اباؤك واجدادك من اقدم العصور وسالف الدهور . ثم اخذا بيده ورجعا الى منازلهما .

* * *

لقد شاءت ارادة الله التي لا تقهر لحبيبه محمد صلى الله عليه وآله أن ينجو من شر المجرمين الخطيرين عتبة وشيبة بإشغالهما بقصة الخادم عداس وإلهامهما الابتعاد به عن النبي حذراً من ان يصبو لدين محمد وينخدع بأقواله السحرية وحديثه الجذاب ، فبدا لرسول الله ان يرجع الى منزله لفراغ الطريق وبطئه على اهله ، فتوكل على الله وقام وواصل السير الى البيت ، ولما دخل وجد خديجة ومن حولها علي بن ابي طالب وهما على احر من الجمر انتظاراً له ووحشة واستبطاءً للموعد المعتاد لحضوره ، فعرفا من ملامحه الاستياء والتأثر ، فقالا له : بآبائنا وامهاتنا يارسول الله الى متى تبقى في هذه الشدة والضيق ، فاسأل الله تعالى لك الفرج والخروج من هذه البلدة الظالم اهلها .

وكأنه صلى الله عليه وآله قد استحسن الطلب واستملحه ، فرفع يديه الى السماء طالباً من الله القدير ان ينقذه من هذا البلاء ويخرجه من ذلك العناء اذ يوحى الله تعالى اليه : ان اخرج يامحمد من مكة فما لك بها من ناصر

بعد عمك ابي طالب ، وعندها قد اعتزم الهجرة ووطن نفسه على مغادرة مكة .

ففاوض علياً عليه السلام بما صمم عليه واضمره ، وأمره ان ينام على فراشه ، وخرج في جوف الليل يجدّ السير حتى بعد عن مكة ، فصار يعرض نفسه المباركة على القبائل المتصلة طوال الطريق ، لعله يعثر على من يسانده ويعضده ويحميه ، لم يلق الا ما يكرهه ويسوؤه حتى وصل المدينة المنورة ، فلما استشعر أهلها بمقدمه الكريم خرجوا إليه عن بكرة ابيهم فرحين مستبشرين يهللون ويكبرون ويرحبون به صلى الله عليه وآله اجل الترحيب واجمله ، وبايعوه على أن يفدوه بأنفسهم ، ويفدوا عائلته وذريته بعوائلهم وذراريهم :

وكان اول منزل نزله هو منزل ابي ايوب الأنصاري رضـوان الله عليه ، وبعد أن استقر كتب لعلي امير المؤمنين ان يقدم عليه بالعائلة النبوية فأقبل علي بالعائلة جهاراً وعلانية . وبالرغم من المحاولات العظيمة المانعة والتي وقفت مستأسدة دون حماها ، وبالتالي اوصلها علي الى المدينة آمنـة مطمئنة : وكان النبي صلى الله عليه وآله قد بنى له بيتاً مجاوراً للمسجد ، كما قد بنى بيتاً لعلي في جواره .

وهناك اطمأن رسول الله وهدأ باله وصلحت احواله وانتشرت كراماته وفضائله ، كما قد علت كلمته ورفرفت على المؤمنين والمسلمين رايته وتوسعت حركته ودعوته ، وصار الأنصار والأعوان يتهافتون عليه زرافات ووحدانا ، وأهل المدينة برمتهم يصاحبونه ويماسونه ويفدونه بالآباء والأمهات ، ولكنه صلى الله عليه وآله كلما رأى ذلك يتأوه ، فيذكر عمه وحاميه ويتصور ما لاقاه في سبيله وما لاقاه هو من العذاب والتنكيل بعد موته ، يبكي ويتألم ثم يسترجع ويدعو له بالرحمة والغفران .

قال المحقق الخنيزي في مؤلفه مؤمن قريش ص ١١٩ :

أخرج ابن عساكر بطريقه عن جلهمة بن عرفطة في حديث يطول — الى ان يقول — : كان والله ابو طالب يتحلى بالصفات الفضلى .

ثم قال الخنيزي : ما لنا وللتعليق ، فلندع المجال للساني صاحبي السيرة الهشامية والحلبية هما يحدثان مباشرة عن لسان جلهمة وبلا واسطة ، فقالا : قال جلهمة كان والله ابو طالب يتحلى بفضلى الصفات ويتميز بخير السمات ، تحيطه بهالة من الإكبار والتقدير ، وتفرده عن كل من حوله من عظماء الرجال ووجهاء الجاهلية ، فهو نبعة الخير ، والكهف الحصين الذي بقي من الطواريء ، فاليه يلجأ الضعيف المضام ، ومن كفيه النديان ينتهل العدوم فتعود له الحياة المخضرة ، وبه يتوسلون حين ينقطع من السماء قطرها المدرار ، وهو الوصول للرحم ، الكشاف للكرب ، البر الرحيم ، الجواد بما يملك من غير منة ، والسمح بما يستطيع من دون طلب .

كان قوي الارادة ، كما هو منطيق يتدفق بلاغة ، كما هو حديدي ثبت الجنان جميل الطلعة مهيب الجانب موفور الاحترام والتعظيم ، وان له بالتشريع لدراية ومعرفة شاملة وعلماً عميقاً ، فحرم على نفسه شرب الخمور ومفارقة الموبقات وكل ما حوله من اوضار الجاهلية وارجاس الشرك وآثام الوسط المنحط ، فترفع بروحانيته الى افق واسع رفيع المستوى مديد الرفعة نقي الجواء على صفاء وطهارة . وكان هو اول من سن القسامة في دم عمرو ابن علقمة ، فأقرتها السنة النبوية فيما بعد . . .

والى ان قال الخنيزي : راجع السيرة لابن هشام ١ / ٧٩ و ١ / ١٣٤ و ٢ / ١٩٦ من السيرة الحلبيةمن صحيح البخاري .

وتحدث القاضي في مواهبه فقال : كان ابو طالب رضوان الله عليه كأبيه شيبة الحمد يفرش له فراش بجانب الكعبة ، ولم تكن هذه الميزة الخصوصية الا لهما ، فلا تتعداهما الى غيرهما ابداً ، وقد يجيء رسول الله

صلى الله عليه وآله فيجلس الى جنب عمه ، فيمتعض ابو لهب وينكمش من جلوسه ، ولا سيما اذا لم يكن ابو طالب حاضراً ، ويأتي رسول الله فيجلس في مجلس عمه ويتكيء على وسادته ، وفي يوم من الأيام جاء رسول الله صلى الله عليه وآله واراد الجلوس مع عمه على فراشه صده ابو لهب وحاول منعه عن ذلك ، فغضب ابو طالب واستقدم ابا لهب اليه ، فأخذه من انفه ولطمه على وجهه وقال له : إياك أن تتعرض لمحمد بعد هـذا وإياك ان تقترب اليه بما يسوؤه ويؤذيه ، فمحمد حر في جميع التصرفات حر في جميع ما يفعل ويترك ، فان محمداً يستشعر ان له مقاماً كريماً وشأناً عظيماً ومستقبلاً وضاءً ، والله ياابا لهب لان تعرضت الى محمد بأقل شيء عرضت نفسك إلى الاهانة والتوبيخ ، وسخط الله عز وجل وعقوبته . فأدار ابو لهب بوجهه ورجع الى ورائه ولم يستطع ان يتفوه ولا بكلمة واحدة .

* * *

وقال الجاحظ في رسالته التي ذكرها ابن ابي الحديد في الجزء الثالث من شرح النهج ، الرسالة التي تفصح عن العداء لآل البيت النبوي الكريم ، آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وتصرح بالبغض لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب بصورة خاصة . نعم ذكرها ابن ابي الحديد كاملة غير منقوصة ، كما ذكر الجواب عليها ، الجواب الذي تحفز اليـه ابو جعفر الاسكافي .

وكيف كان الأمر تعرض الجاحظ من حيث يدري أولا يدري الى ذكر ابي طالب بكل خير ، وكان من حديثه : أو لست تعـلم أن قريشاً خاصة وأهل مكة عامة لم يقدروا على اذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان ابو طالب حياً .

اقول : ان مقالة الجاحظ هذه في تقييم موقف عم الرسول العظيم من النبي الكريم ، وانه لو لا موقفه وانحيازه اليه لما استطاع البقيا على حياته

والاستمرار في اداء رسالته ، فبه احتمى رسول الله من ثورة الشرك والكفر وغليان مشاعر اليهود القذرين ، وبه تمكن الاسلام من الانتشار والظهور والتوسع والشيوع .

وعلى اي حال ان قولة الجاحظ هي حق وصدق ، والحق لا بد من ان ينتصر ، والحق لا بد وأن يعلو ، ولا يمكن أن يعلو عليه اي شيء ، كما لا يمكن ان يستر بالراح ويحجب بالبراقع والأستار ، لذا ربما يظهره الله حتى على ألسنة اعدائه وجاحديه ، كما ظهر على لسان الجاحظ فقال ما قال في رسالته المشئومة ، الرسالة التي أعلنت بالحقد والحسد لعلي بن ابي طالب والحط من قدره ومنزلته ، والتي حاولت تفضيل مبيت الخليفة ابي بكر مع النبي في الغار على مبيت علي على فراش النبي ليلة الهجرة ، المبيت الذي باهى الله عز وجل به ملائكة السماء ، المبيت الذي إن دل على شيء فإنما يدل على افضل انواع المفاداة واجمل مصاديق التضحية والمواساة . وعلى اي حال قال الجاحظ في بعض ما قاله كما مر عليك والفضل ما شهدت به الأعداء .

ثم قال الخنيزي : قال الانطاكي في ترجمة ابي طالب وبعد اعطائه ما يستحقه من الاكبار والتقدير والاعظام والتوقير — قال : وقد اختلف المؤرخون في اسلام ابي طالب وبقائه على الشرك ، ولكل فريق أدلة يركن اليها يستشهد بها على دعواه ، وليس لمثلي ان يبت في مثل هذا الأمر الخطير ، وانما الاستدلال من واقع الحال يرجح قول الذين يذهبون الى ايمانه واسلامه ، لان الانسان مهما تعالى في صلة رحمه وفي حبه لابنه او ابن اخيه او نسيبه لا يسعه ان يغض الطرف عن ذلك الحبيب اذا رآه يتعدى على دينه او يحاول ان يدك حصونه ويوهي اركانه ويقيم في موضعه ديناً آخر ان لم يكن هو معه في الاعتقاد ، ولما نعلم من تمسك الناس بأديانهم ومبالغتهم بتقديسها

وتفضيلهم لها على اي اعتبار آخر ، حتى ان المؤمن ليقتل ابنه واباه اذا رآه يحقر دينه ويسخر بمعبوده .

واذا صدق هذا على عامة الناس فبالأولى ان يصدق على مثل ابي طالب الذي كانت له المكانة العليا في قريش ، فهو ملزم من جهة نفسه وجهة مركزه عن الدين الذي يدين به هو وقومه ، كي لا تسقط مكانته من عيونهم ، وكي لا يعرض نفسه فيخسر آلهته .

وعلى هذا فابو طالب لا بد وأن يكون قد آمن بالله ، كما وانه لا بد وان يكون قد آمن برسالة ابن اخيه عليه الصلاة والسلام في قلبه ، ولكنه لم يجهر بها لاعتبارات تقتضيها الحكمة وتدعو إليها السياسة ، فانه لو جهر بايمانه في بدء الدعوة وفجر البعثة لانقلبت عليه قريش بجملتها ، واسقطته من حالق مجده ، وعبثت بحرمته ، وحينئذ يعجز عن رد الأذى عن ابن اخيه وهو لا يزال ضعيفاً ، وهذا الذي جعله يكتّم ايمانه .

أما ظاهر اعماله وقصائده وخطبه فهي تظهر بأجلى بيان اذ رأيناه يدافع عن المصطفى بنفوذه وجاهه ويمدحه بشعره وخطبه حتى آخر لحظة من حياته على ما رأيت من وصيته ، وعلى هذا فيكون ابو طالب من خيرة الصحابة والأنصار بغير جدال ، وحبذا لو وفق الله الاسلام في عصر الناس هذا الى من يحمون ذماره ويعاون كلمته ، كما فعل ابو طالب ووالد سيدنا امير المؤمنين علي يعسوب الدين اسد الله الغالب ابو طالب الذي ربى هذين السيدين النيرين فأضاءا في سماء الدنيا والدين .

ثم قال الخنيزي بعد انتهائه من حديث الانطاكي : ولا نرى حاجة للتعليق على هذه القولة الواضحة الحجة الناصعة البرهان .

اقول : أما انا فأجدني بحاجة ملحة الى التعليق على مقالة المؤرخ الانطاكي ، فهي وان جاءت حاكية عن الحقيقة وكاشفة عن الواقع ، كما وهي

قد كانت على درجة مثلى من المتانة والرصانة والاعتماد على الاسس المستقيمة ، مدعمة بحكم العقل معتضدة بالوقائع والأحداث القطعية ، مبتنية على معرفته وتفهمه لواقع عم الرسول ودراسته غير المشوبة لجهوده وجهـــاده في الله وحمايته لرسوله العظيم صلى الله عليه وآله ، الأمر الذي ادى به لأن يحكم عليه بأنه من خيار الصحابة وعظماء الأنصار ، إلا ان الذي يحدوني الى التعليق امران يخيل لي انهما لهما مكانتهما في سماء التعليق ودنيا البحث والتنقيب :

اولهما تأييد نسبة القولين المتنافيين المتعارضين منطوقاً ومفهوماً الى الرسول العظيم ، وذلك من المستحيلات الأولية ، اذاً لا بد وان يكون احد القولين صادراً عنه صلى الله عليه وآله والآخر ملفق عليه ، والنافي لايمان ابي طالب يكذبه عمل النبي صلى الله عليه وآله مع عمه حياً وميتاً ، ففي حياته كان موضع ابراره وتقديره ، وفي مماته كان موضع ترحمه واستغفاره وكل من الأمرين يعطي ويفيد بأنه رضي الله عنه كان مؤمناً مسلما قد استكمل الايمان والاسلام ، اذ يستحيل على النبي الحكيم أن يثني على المشركين او يحترم الكافرين ، ولا سيما مع علمه صلى الله عليه وآله بالنصوص القرآنية الناهية المانعة عن ذلك ، حتى ولو كانوا آباءً للمسلمين وأقرباء للمؤمنين .

هذا بالاضافة الى الروايات الدالة بوضوح على ايمانه وتدينه ، كثير منها يستند الى آل البيت ، وهم الذين نزههم القرآن الكريم فاذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، ويستند القسم الآخر الى اجلاء الصحابة وعظماء الاسلام ، مثل ابن عباس والخليفة ابي بكر ونظرائهما .

وبمقتضى هذا إن يلتزم الانطاكي هذا الجانب فيؤيد ايمان ابي طالب من هذه الناحية ، ثم يضم ما قد استفاده واستنبطه من الآثار وظواهر الحال الى ذلك .

وأما ثانياً ـ فالقواعد العلمية والوثائق المعتبرة عند العقلاء تستلـــزم

الرجوع في مقام تعارض الخبرين وتنافيهما الى الرجحان ، من حيث قوة المتن او قوة السند ، او من حيث موافقة الكتاب والسنة وعدمه ، وإلا فان فقدا كل ذلك سقطا معاً عن الاعتبار والمقبولية . وما دام بالنسبة الى ما نحن فيه باب التعادل والتراجيح مفتوحاً على مصراعيه فلا بد اذاً من تحكيمه وإعماله ، ثم النظر الى مايقتضيه ويستلزمه من تقديم وتأخير .

ومما لا شك فيه ان الأحاديث الايجابية الدالة على ايمان ابي طالب تتحلى بنوع جليل من الوثوق ، وتتجمل بنوع كبير من الاطمئنان من حيث المتن والسند ، وإليك قارئي الكريم بعضاً مما ذكر محققاً عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : رحم الله عمي ابا طالب لو ولد الناس كلهم لولدهم شجعاناً ، ما نالت مني قريش حتى مات عمي ابو طالب .

فان هذا والكثير من أمثاله يدل بحسب لفظه وحقيقته انه صادر عن مثل رسول الله العظيم ، وهكذا الحال بالنسبة الى ما صدر عن آل بيته البررة .

وأما من حيث سلسلة السند فمصدرها آل بيت النبوة ومهبط الملائكة ، اول السند علي امير المؤمنين ، ومنه اخذ اولاده الطاهرون ، ومنهم اخذ علماء امتهم .

ومما لا يعترضه الريب والشك ان علياً واولاده الأطايب هم سادات الثقات وزعماء الرواة ، وليس لقائل فيهم اي مهمز ولا ملمز . وكيف وقد شهد الله العلي القدير بقرآنه المجيد بطهارتهم ونزاهتهم ، وعليه من المستحيل عليهم اذاً أن ينجروا إلى خلاف الواقع وينساقوا إلى غير الحق ، فلا بد والحالة هذه من ان تكون مدعياتهم ورواياتهم اكثر وثوقاً مما يخالفها او مما يستند الى غيرهم ، لأن الغير مهما كان من القداسة والنزاهة لم يحصل على مثل ما قد حصلوا عليه واختصوا به من توثيق الله العظيم وتنزيهه الجميل .

هذا اذا ما اضفنا الى ذلك عظماء الصحابة مثل العباس بن عبد المطلب

وعبد الله بن عباس والخليفة ابي بكر ، وما الى ذلك من الأقران والأمثال .

ولعل الانطاكي نفسه لا يعزب عنه الأمر ، كما لا يكاد يخفى عليه الحال ، لذا أشار اليه من طرف خفي بقوله : وليس لمثلي ان يبت في هذا الأمر الخطير في حال انه كان يستلزمه ان يبت فيه ويحكم بما تقتضيه طريقة العلماء العقلاء وما تفرضه القواعد العلمية من ترجيح ما هو اقوى سنداً واوثق طريقاً وواسطة .

هذا مضافاً الى ما لا بد من ان يكون قد وقف عليه الانطاكي وتحققه من الكثرة في جانب الأخبار الايجابية ، فهي اذا ما قيست نسبتها الى غيرها من السلبية لتضاءلت الثانية الى حد بعيد ، ومتى ما تم له ذلك لزمه أن يؤيد جبهة الايجاب من هذه الناحية ، ثم يعزز ذلك بظاهر الحال وقرائن المقال ، لكان ذلك اقبل وافضل .

ولكنا بعد التأمل الدقيق والنظر العميق في مقالة الشيخ الانطاكي وجدناه وهو يحوم حول النتيجة التي حققناها والثمرة التي رمنا من طريقها الوصول الى اثبات ايمان عم النبي الزعيم ابي طالب تأخر عن الابانة الواضحة ، لما كان يخالجه من ان التقديم والتأخير والتأييد والترجيح من شئون المسلمين أنفسهم واختصاصاتهم ، وبما انه مسيحي المبدأ فيعتبر نفسه متطفلا على الموضوع ، لذا قد انتحى ناحية المصير الى الآثار وظواهر الحال والمقال ، فهي بعيدة عن كل ايراد وقيل وقال : ولكنا ومع هذا كله نجد أن الحق لا بد وأن يكون رائد كل انسان يتمتع بمكانة علمية ونمو عقلي وتفكير سديد ، بغض النظر عن الاديان والمعتقدات ، فالحق أحق ان يتبع ، ولا سيما اذا كان واضحاً وضوح الشمس ، بيناً بيان الكوكب الدري في الظلام الحالك .

وأما ما ذهب اليه من تأييد مقالة القائلين بايمان ابي طالب الخفي حسب

مقتضيات السياسة ومتطلبات الحكمة والفراسة فهو لا يلتئم كما لا يمكن ان يجتمع مع ما قد استظهره واستنتجه من ما جريان الأحوال وقرائن المقال الشعري او الخطابي ، ومقتضى ذلك التصميم على الاعلان بالتدين والايمان .

ولا اراني بحاجة الى التوسع في الموضوع لانه قد مر البحث فيه والكلام عليه ، ولكن شيئاً واحداً وجدتني راغباً الى بيانه ، وهو بيان شعري لم يكن يذكر فيا سبق قد قاله بمناسبة استسقاء أبيه عبد المطلب حين استنجده الناس واستغاثوا به ، ففرح ابو طالب واستبشر حين استجاب الله دعاء والده الكريم فأمطر الناس واغاثهم ، وبالمناسبة أنشأ الأبيات هذه :

ابونا شفيع الناس حين سقوا به ... من الغيث رجاس العشير بكور

ونحن سنين المحل قام شفيعنا ... بمكة يدعو والمياه تغور

فلم تبرح الأقدام حتى رأوا بها ... سحابات مزن صوبهن درور

وقيس اتتنا بعد لأي وشدة ... وقد عضها دهر اكب عثور

فما برحوا حتى سقى الله ارضهم ... بشيبة غيثاً فالنبات نضير

أقول : افهل يستفاد من منطويات الأبيات محتوياتها معاني الشرك ، وهو يستشف من ظواهرها وألفاظها عين الكفر واثر الانتماء الى الأصنام ، ام هل يعرف منها التكتم في الايمان ؟ !

ما اظنك اناك قارئي الكريم إلا ان تقول معي : لا ، لا يستفاد من هذه الأبيات إلا الوثوق بالله والركون اليه ، مصرحاً بهما لايعرف التخفي والتستر ابداً .

وقال الخنيزي : قال عبد العزيز المعروف بسيد الأهل في ترجمة ابي طالب : وليس من المحمود للناس في سبيل رجل رعى النبوة وحماها اكثر من اربعين عاماً ان تقتضب أخباره كما اقتضبت ، وان تنثر وتبعثر كما انتثرت وتبعثرت ، وان يقل رواتها ويضطربوا كما قلوا واضطربوا ، ثم ينسى فضله كله ويقف

التاريخ أمامه في ساعة الموت موقفاً واهناً عجيباً ، يتحدث عن الرجل الذي حمى النبوة نافح عنها بقوة وتضحية وايمان وكأنما يتحدث بلسان خلق من الهوى عن رجل دخيل او عن وافد غريب

أنفذ ابو طالب حياته كلها في نصرة النبي وألزم اهله واتباعه وانفق جهده وحبه وماله ، وخاصم اعداءه وضربهم وقهرهم ، وأعد من نفسه عزمة صادقة تخف الى المستغيث في طريق الهموم ، وكأن وجـود ابي طالب لنصرة النبي ضرورة من ضرورات الخالقة وسنداً لا بد منه لظهور البعثـة وانتشار الدعوة كما يقول ابن خلدون في كتابه ابو طالب شيخ بني هاشم في ٦ / ٥٥ وتلك مشيئة الله ، فليس ينصر رجل يدعو الى اي مبدأ ودين ما لم يستند الى ما يشد أزره وينصره من العصبية المهيبة ، كما ينتصر بالاتباع والاعوان ، وابو طالب لم يفته ان يعرض الواجب الذي انيط بـه ، ولم يثقله العبء الذي ألقي عليه ، فنصر النبي وخاصم الناس جميعاً فيـه ، ولم تأخذه العزة بالاثم كما اخذت غيره من الكبراء الذين أضلوا الناس السبيل وقد كان ابو طالب غير مدافع عن سيادة قريش جمعاء الى ان يقول ابن خلدون كما بكى رسول الله لنعي عمه ، ومن الذي يبكي رقة ورحمة ووفاءً اذا لم يبك محمد وقد أحسن ربه تأديبه ، بكى عماً كفله ورباه ونصره وتقصى عذره في التحمل ، وكان له اباً رحيماً حين فقد الأب ، وكان له عضداً حين احتاج الى النصير ، وكان له حزباً حين احتاج الى حق قوي يقهـر الباطل ويمحق الطغيان راجع مؤمن قريش طبعه ٢ / ٢٧٧ .

ويحدثنا مسلم في صحيحه ١ / ٤٨ بطريقه الى الشريد انه قال : ردفت رسول الله ذات يوم اذ يلتفت الي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : هل تحفظ يا شريد من شعر امية بن الصلت شيئاً ؟ فأنشدته فقال : استمر ، فبقيت انشده حتى كملت عليه قراءة مائة بيت . فقال صلى الله عليه وآله

وسلم : انه كان يسلم في شعره هذا .

وتحدث صاحب السيرة النبوية ١ / ٩٦ ان زيد بن عمرو بن نفيل خرج مهاجراً الى الشام يطلب الحنيفية دين ابراهيم الخليل عليه السلام ، ولكنه لم يقدر له أن ينجح في مهمته ولم يكتب ان يفلح في سفرته ، ففاجأه الأجل في اثناء الطريق ، فصح الحديث عن ام المؤمنين عائشة انها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مناسبة جرى فيها ذكر زيد بن عمرو وقال : دخلت الجنة فوجدت لزيد درجتين في الجنة .

وفي السيرة ايضاً ١ / ٧٣ ان سعيد بن زيد وعمر بن الخطاب ابن عم سعيد قالا : قال للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : يارسول الله استغفر لزيد بن عمرو وترحم عليه . قال : نعم سأستغفر له واترحم عليه ، وانه يبعث يوم القيامة امة وحده .

وقال في السيرة ايضاً ص ٧٣ و ٧٦ قال رسول الله في مجلس ذكر قس بن ساعدة فيه : رحم الله قساً يحشر يوم القيامة امة وحده .

الى كثير من هذا اللون مما نسب اليه صلى الله عليه وآله وسلم .

اقول بناءً على مقتضيات هذه الأحاديث وتمشياً على ضوء معطيات هذه الأخبار فالجنة هي المأوى لأبي طالب بصورة اولى وأحق ، لأنه رضي الله عنه ادرك الاسلام واستنار بأنواره ، كما حماه وجاهد دونه .

وأما الشريد وزيد بن عمرو وقس بن ساعدة فانهم ماتوا في الزمن الجاهلي ، وما ادركوا الفرض الذي شع فيه نور الاسلام ورفرفت فيه أعلام الدين ، وقد حكم عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم من أهل الجنة ومن البديهي ان الجنة محرمة على غير المؤمنين وغير المتدينين .

ثم اذا كان الشريد انما حكم عليه النبي بأنه من أهل الجنة المستلزم لأن يكون من أهل الايمان كل ذلك لمناسبة هجرته لطلب الدين الحنيفي

دين ابراهيم ولم يوفق له فمات قبل ان يصل الى شيء مما يبتغيه فاستحق بالهجرة وبها فقط كان من اهل الجنة والايمان بالملازمة ، فما الظن بانسان كان على ملة ابراهيم ودينه الحنيف طوال حياته ومدة عمره ثم ادرك الزمن الاسلامي ، فانحاز الى نبي الاسلام ولازمه ودافع عنه دفاع المستميت ، ثم صدق النبي في كل أقواله واحاديثه ودلل على تمسكه بآلاف من المستمسكات والوثائق من شعر ونثر ، كما كان ذلك من ابي طالب رضوان الله عليه ، فلماذا إذاً ذاك التشكيك في ايمانه ؟ ! ولماذا إذاً ذاك التردد في تدينه ؟ ! مضافاً الى استغفار الرسول له وترحمه عليه وذكره بخير طوال حياته .

ويحدثنا المؤرخ جورج جرداق في مؤلفه الامام صوت العدالة الانسانية ١ / ١٥٤ عن بعض ما لعم النبي العظيم ابي طالب من المقامات الخالدة والمواقف الحميدة والخدمات الجليلة وما اختص بـــه من مؤازرة الرسول والمحاماة عن الاسلام الى ان يقول : وقد كفل ابو طالب محمداً ، فصار يحيا في جو الحنان والدعة وحسن التربية الذي خلفه الأب الراحل للابن المقيم ، وما ذلك منه الا استيناساً بما يعرفه من أمره وما يدركه من نفسيته المنطبعة على حب محمد والتفاني في سبيله ، وان كان ذلك لا يفقده اكثر ابنائه ، إلا ان الذي يحمله ابو طالب ناشيء عن تفهم وتعقل لحقيقة محمد وتصور لواقعه المرتقب ، لذا كان اسناد الكفالة اليه خاصة دون غيره من الأبناء الكرام .

والى ان يقول : وشخصية ابي طالب شخصية جميلة ، تطالعنا بحكمة الشيخ المجرب الذي يضع كل ما أوتي من طيبة وامانة وتجربة موضع العمل والتنفيذ ، حتى لكأن الله عز وجل لما اختار رسوله من بني عبد المطلب اختار لتنشئته هذا العم الكريم ، وكأن قوة الوجود الشاملة هيأت لأبي طالب ان يعلم من أمر ابن اخيه ما لا يعلمه غيره . فاذا ما في ابي طالب يشف

في نفس محمد ، فاذا هي جزء من ذاته يتكون وينمو تحت نظـرة العم المحب ، وكان ابو طالب اول من قال الشعـر في الاسلام يفيض بالحب لمحمد ويدعو لنصرته .

والى ان يقول : ولم ينس ابو طالب دقيقة واحدة في حياته ، وانما هو عبقرية الخلق التي تميز بها بصورة عفوية واخوه عبد الله وابوهما عبد المطلب الذي شعر رسول الله بفقده انه فقد أعظم ركن يستند اليه ويدفع عنه اذى قريش ، وما كان الشعور والاحساس الا تدليلا ، الا على تجاذب اسباب الخير بين محمد وعمه رب البيت الذي نشأ فيه وسما فيه خلقه ...

واذا كان من اسباب هذا الشعور بخسارة ابي طالب ان محمداً فقد به نصيراً يفديه بدمه ويدفع عنه الأذى ، وملجأ ضد قريش والمستبدين من الغلاة ، حتى انه قال « ما نالني من قومي سوء حتى مات عمي ابو طالب » فما تعليل هذا الحزن العميق الذي غزى قلب محمد بموت عمه ، وما علة هذه الكآبة ، وما كان محمد الا صبوراً حازماً واثقاً بنصر رسالته مهما كثر العدد وقلّ الصديق ، ومهما كان من شأن الأخيار والاشرار ؟

اجل ما علة هذه الكآبة ان لم تكن الكـارثة التي حلت بمحمد هي كارثة الانسان بأعز من يعطف عليه ويحميه ، وما تكون هذه الدموع الغزار إن لم تكن شاهداً على ان النبي كرجل أحس بأنه فقد من ذاته من حاضره وماضيه .

والى ان يقول جورج : وتستمر صلة المودة والإخاء بين محمد وعلي ويستمر بينهما تعاطي الخير على انجاح الرسالة ، هذا التعاطي الذي يتماسك في اعماقه ويتحد منذ أن عرف محمداً ، ومنذ ان اجتمع الثلاثة في بيت واحد قام على مزايا الشهامة ، وما كانت خصائص البيت الطالبي إلا حافزاً لأبي طالب وابنه على فهم عبقرية محمد ، فهماً يتمثل لدى الأول شعوراً

وتضحية ولدى الثاني فكراً جباراً وشعوراً عميقاً شاملاً اشبه بصنع المعجزات

وذكر ابن الصبان الشافعي في مؤلفه المطبوع على هامش نور الأبصار للشبلنجي ص ۹ : لقد كان عبد المطلب قد كفل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتهاء مدة رضاعه ، ولقد اجاد الكفالة واحسن التربية ، وقدمه على اولاده واحبائه ، وعندما حضرته الوفاة اوصى به وعهد بأمره الى عمه ابي طالب لفخامته ومكانته في النفوس ، ولكونه شقيق عبد الله والد رسول الله ، وكان ابو طالب يفتخر بشرف كفالته وتربيته ، وكان يرى منه الخير والبركة كشبع عائلته فيما اذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . الى ان يقول ابن الصبان : وقد زوج ابو طالب النبي من خديجة بنت خويلد على صداق يتكون من اثني عشر اوقية من الذهب الأحمر ، قام به وحده من دون سائر اخوته .

وقال الشبلنجي في نور الأبصار ص ٤٠ بمناسبة تعرضه الى تعداد زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم الزوجات اللاتي دخل بهن فقال : اولهن خديجة بنت خويلد ، وكان تزويجه بها بنظرية عمه ابي طالب وترجيحه ، وكان صداقها اثني عشر أوقية ونصف الأوقية من الذهب ، قام به وحده من خالص امواله .

وقال ايضاً : لقد توفى عبد المطلب عن اثني عشر ولداً ، وكان عبد الله والد رسول الله هو الأخير ، كما كان ابو طالب هو كبيرهم ، لذا قد جعله وصياً له وعهد اليه امر الكعبة وامر النبوة والوصاية بالمحافظة على رسول الله واحاطته ، وكل اولاد عبد المطلب أدركوا الاسلام ولكن ابا لهب بقى مصراً على نكران النبوة ورفض البعثة والرسالة ومقاومة رسول الله حتى مات .

ويحدث اليعقوبي في تاريخه ١ / ٢٦ بعد ان يصل الى ترجمة عم الرسول العظيم ابي طالب ويذكر مقداراً من خدماته وتضحياته في سبيل الدين والاسلام ومساندته لرسول الله ومؤازرته له على اداء رسالته ثم ايمانه به وامر ولده واسرته باتباعه واقتفاء اثره ، ثم قال : توفي ابو طالب عن عمر يناهز التسعين عاماً ، قضاها بخدمة بيت الله الحرام وسدانة الكعبة وخدمة رسول الله ، ولما اخبره علي بن ابي طالب بوفاة عمه بكى كثيراً وتوجع عليه قلبه واشتد لفقده حزنه ، ثم نهض صلى الله عليه وآله وسلم مسرعاً ، فجاء الى دار عمه فوجده مسجى ، فمسح جبينه بيده الشريفة ثم قال : رحمك الله ياعم ، فقد ربيت صغيراً وكفلت كبيراً ، فجزاك الله عني خيراً . وبعد ان رفعت الجنازة مشى خلفها رسول الله وهو يردد : وصلتك رحم ياعم ، وجزيت خيراً ياعم . اعلموا أيها الناس ان الله سبحانه وعدني في اربعة ان لا تمسهم النار : ابي عبد الله ، وامي آمنة بنت وهب ، وعمي ابي طالب ، واخ كان لي في الجاهلية .

إلى ان يقول اليعقوبي : وقد اجترأت قريش وعملائها على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موت عمه ابي طالب ، كما طمعوا فيه وهموا أن يقتلوه المرة تلو الاخرى ، لذا قد اضطر الى ان يعرض نفسه على القبائل العربية ، فلم ير منهم الا ما يؤذيه ويسوءه ، وقد تآمرت عليه وكانت هي خاتمة المطاف ان تقتله في فراشه ليلاً لتستريح منه ومن دينه ، ولكن الله عز وجل انقذ نبيه منها وامره بالهجرة من مكة بعد أن ينيم علي بن ابي طالب في مكانه وفي فراشه ، وهكذا تم خلاص رسول الله وتحققت نجاته من مكائد الكفر ودسائس اليهود المجرمة ، فخرج صلى الله عليه وآله من مكة مرغماً مكرهاً ، وقد خاطبها عند الخروج بقوله : يعز علي والله فراقك يامكة ، يعز علي ان اغادرك وما عن قلاً كان فراقي لك .

ثم تصور عمه ابا طالب وقال : ما اسرع ما فقدتك ياعم ، ولو لا فقدي اياك ما بلغ الحال بي الى ما هو الآن ، لا مستعان الا بالله ولا ملجأ الا اليه ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ونقل اليعقوبي ٢ / ١١ بطريقه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ذات يوم لعمه ابي طالب : ياعم اني ارى في منامي رجلاً يأتيني ومعه رجلان آخران فيقولان عني هذا صاحبنا هو هو والله فاذا بلغ فشأنك به ، والرجل الساكت لا يتكلم . فسكت ابو طالب ملياً واطرق هنيئة ثم رفع رأسه الى النبي وقال : يابن اخي هذه الروح الطيبة ، وانت يامحمد نبي هذه الامة ثم التفت الى ابنه علي وقال : يابني اكتم فعلاً هذا الامر على ابن عماك كي لا تفتك به قريش ، واعلم يابني اني على تحقق من ذلك من جدك عبد المطلب ، فانه قال لي يوماً : يا ابا طالب ان ابن اخيك محمداً هو النبي المبعوث في هذا الزمان .

وحدث ابن عبد ربه الاندلسي في العقد الفريد ٣ / ٥٩ في باب ترجمة النبي صلى الله عليه وآله فقال : هو محمد بن عبد الله ، ولم يكن لعبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كفله جده عبد المطلب بعد أن ولد ، وكان قد مات عبد الله ومحمد حمل في بطن امه ، ثم كفله بعد عبد المطلب ولده ابو طالب ، وهو شقيق عبد الله والد رسول الله ، ومن ذلك كان اشفق عليه من جميع اعمامه واكثرهم خدمة له ، فلقد حماه ودفع عنه المكاره وامتدحه بالشعر وصدقه فيما يقول وعاضده على دعواه .

وذكر ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني بسنده الى النبي صلى الله عليه وآله انه قال : اذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وامي وعمي ابي طالب واخ كان لي في الجاهلية .

ونقل ابن ابي الحديد ٣ / ٣١١ بطريقه الى الرسول الاعظم صلى الله

عليه وآله وسلم انه قال : هبط علي جبرئيل فأخبرني عن ربي انه يقول : يا محمد اني مشفعك في بطن حملك آمنة بنت وهب ، وصلب انزلك عبد الله بن عبد المطلب ، وبيت آواك جدك عبد المطلب ، وحجر كفلك عمك ابي طالب ، وثدي ارضعك حليمة السعدية . واخ كان في الجاهلية .

وقال ابن ابي الحديد في نفس الصفحة والجزء قلت لأستاذي النقيب ابي جعفر الاسكافي : اهل صح عندك هذا الحديث؟ قال : نعم اخرجته الصحاح والمسانيد . قلت : أفهل كان للنبي اخ في الجاهلية ، وهل هو من ابيه او من امه ؟ قال : لا ولكنه اخاً في المودة والصحبة . قلت : أتعرف له اسماً ؟ قال : است ادري .

وحدث الشيخ المجلسي في البحار ٩ / ٢٩ فقال : قد اجمعت الشيعة على اسلام عم النبي العظيم ابي طالب رضوان الله عليه ، وانه آمن بالنبي وصدقه في دعوته ووازره على اداء دينه وشريعته ، واما قصة الايمان بالله في الزمن الجاهلي فهي لا تخص ابا طالب وحده ، بل هي تسري الى كافة آباء النبي واسرته الكريمة ، فانها ماسجدت لصنم قط ومـــا عبدت لوثن ابداً ، بل كانوا من الأزل على عبادة الله وملة ابراهيم ، ولا نغالي فيما اذا قلنا ان على ذلك اكثر المؤرخين ، وقد ألفوا في ذلك مؤلفات خاصة مستدلين بأوثق المصادر ومعتمدين على أهم المستندات .

وقال ابن كثير في جامع الأصول : ولم يسلم على يدي النبي من اعمامه الا ثلاثة نفر ابو طالب والعباس والحمزة بن عبد المطلب ،

ونقل المجلسي في بحاره عن تاريخ الطبري انه قال : وشعر ابي طالب يدل على ايمانه وتدينه ، وهو اكثر من ان يذكر .

وقال يحيى بن بطريق في المستدرك في ترجمة ابي طالب وبعـد كلام طويل قال : وقد أيد ابو طالب النبي في بعثته ورسالته ، كما صدقه في جميع

اقواله وحديثه .

وقال ابن اسحاق في المغازي بعد ان ذكر كثيراً من شعر ابي طالب ونثره الاسلاميين : ان هناك مواقف لأبي طالب تدل بوضوح على ايمانه ودينه ، مضافاً الى شعره وخطبه ، فمن تلك المواقف تبين السرور والفرح على ملامحه عند كل بشارة تصله او يسمعها من الرهبان والأحبار والعرفاء والكهان عن مولد محمد ونبوته ، وقد انشأ على اثر نصيحة الراهب بحيرا بعد إخباره بتنبؤ رسول الله لأبي طالب فقال :

ان ابن آمنـــة النبي محمداً　　عندي بمثل منازل الأولاد
فأمرته بالسير نحو عمومة　　بيض الوجوه مصالت الانجاد
ساروا لابعد طية معاومـة　　لاقوا على شرك من الرصاد
حبراً فأخبرهم حديثاً صادقاً　　عنه ورد مكايد الحســـاد

وذكر الحجة الطبسي في كتابه ذرايع البيـــان ص ١٠٨ : وروى صاحب المناقب ١ / ٤٢٥ وصاحب روضة الواعظين قالوا جميعاً بطريقهم الى فاطمة بنت اسد أنها قد حدثت زوجها ابا طالب بما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله حين ولادته من البراهين والآيات وسمـــاع حفيف اجنحة الملائكة الى رؤيا قصور كسرى وقيصر ، فقال لها ابو طالب : ولا من عجب يافاطمة ، ان محمداً نبي هذه الامة ، فانتظري سبتـــاً ستلدين وزيره ووصيه ، فحسبوا ثلاثين سنة فولدت فاطمة علياً .

وتحدث الطبسي اخذاً عن كتاب مولد علي للبكري عن ابن بابويه القمي أنه قال : رقد ابو طالب ذات يوم عند الحجر الأسعد ، فرأى فيما يرى النائم كأن باباً قد انفتح عليه من السماء فنزل منه نور فغمره ، فانتبه فزعاً مرعوباً للحادث ، فقصد كاهن الجحفة فقص عليه ما رآه ، فأنشأه الراهب عند سماعه ذلك منه :

ابشر أبا طالب عن قليل　　بالولد الحلا حل النبيل
يالقريش اسمعوا تأويلي　　هذان نوران على سبيل
كمثل موسى واخيه السؤل

قال ابو طالب : وما تأويل ذلك ايها الراهب ؟ فقال : يولد لك مولود يا ابا طالب عظيم أمره جليل خطره ، يكون لمحمد كما كنت له .

ففرح ابو طالب للخبر وابتهج ايما ابتهاج ، وتوجه الى الكعبة متوسلاً الى الله عز وجل ان يحقق الخبر وينجز الأمر ، ثم صار يطوف بالبيت الحرام وهو يردد :

اطوف لله حول البيت　　ادعوك بالرغبة محيي الميت
بأن تريني السبط قبل الموت　　اغر نور ياعظيم الصوت
منصلتاً يقتل اهل الجبت　　وكل من دان بيوم السبت

وهكذا ظل يطوف ويقرأ الى ان شعر بالتعب والاعياء ، فعاد الى الحجر فالتف بعباءته ونام ، فأغفى فرأى في منامه وكأنه قد ألبس اكليلاً من ياقوت ودر ، وسمع كأن قائلا يقول : قرت عيناك يا ابا طالب ، وظفرت يداك ، وحسنت رؤياك ، فأعطيت الولد ، مالك البلد ، عظيم المجد ، على رغم من حسد فانتبه هذه المرة فرحاً مستبشراً شاكراً لله تعالى على نعمائه وتحقيق مبتغاه ومراده ، فعاود الطواف وهو يردد :

ادعوك رب البيت والطواف　　والولد المحبوب بالعفاف
تعينني بالمنن اللطاف　　دعاء عبد بالذنوب واف
ياسيد السادات والأشراف

ولما ان صدقت رؤياه وتحقق حلمه وظهرت الى الوجود غايته وولد له سيد الأولين والآخرين بعد النبي الأمين صلى الله عليه وآله ذاك هو علي بن ابي طالب امام المتقين وأمير المؤمنين ، فبادر ابو طالب فلازم

الطواف حامداً لله وشاكراً فضله وانعامه ، وهو ينشيء :

قد صدقت رؤياي بالتعبير ولست بالمرتاب في الأمور
ادعوك رب البيت والنذور دعاء عبـــد مخلص فقير
فاعطني ياخـــالقي سروري بالولد الحلا حل الذكور
يكون للمبعوث كالـــوزير ياالها ياالها من نـــــور
فيطحن الأرض على الكزور طحن الرحى للحب بالتدوير
ان قريشـــاً تبيت بالتكبير منهوكة بالويل والثبـــور
فما لهـــــا من حـــائط مجير من سيفـــــة المنتقم المبير
وصفوة الناموس في السفير حسامه الخاطف للكفـــور

قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣ / ٣١٥ : ان شعر ابي طالب قد أصبح متواتراً حتى ولو كانت آحاده غير متواترة الا ان مجموعه كان متواتراً ، يدل بواسطته على امر مشترك واحد ، هو تأييـــد رسول الله وتصديقه ، نظير قتلات علي بن ابي طالب ، فانها وان نقلت آحاداً ولكن المجموع من حيث المجموع يفيدنا العلم بثبوت شجاعته عليه السلام ، وكذلك القول فيما يروي من سخاء حاتم الخ .

* * *

اقول لا مجال الى تردد ابن ابي الحديد هذا وتشكيكه ابـداً وبأي حال من الأحوال ، بل ان شعر ابي طالب آحاده متواترة كتواتر مجموعه ، اذ لا نعني بالتواتر وكما هو معروف لدى اهل العلم والفقهاء من اخبار جماعة من المحدثين بخبر متحد لفظاً او مضموناً يمتنع منه عادة التواطؤ على الافتراء والاختلاق والكذب والافتعال ، وهو متحقق ذاتاً وروحاً بالنسبة الى ما ذكره المؤرخون من شعر ابي طالب رضوان الله عليـــه ، وهكذا الحال بالنسبة الى ضربات امير المؤمنين علي ، فان آحادهما اشهر من ان

تذكر واجل من ان توصف ، وقد سجلها المخالف والمؤالف ، اللهم إلا ان يكون للمتواتر عند ابن ابي الحديد معنى خاصاً ومصطلحاً متميزاً لا نعرفه ولا نتميزه .

ونقل الطبسي في الذرايع ص ١٠٤ بطريقه الى مقاتل انه قال : لما رأت قريش النبي وقد علا امره وانتشر صيته وظهرت دعوته ، تداولوا امرهم فيما بينهم وقالوا : لا نرى محمداً الا ازداد تكبراً وتجبراً ومعنوية ، وما هو الا ساحر كذاب ، فلنعقد النية من الآن على قتله اذا مات ابو طالب ، في حال ان ابا طالب كان مريضاً وعلموا ببدو امارات الموت عليه .

فهم ابو طالب بما نووه وبيتوه للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، اذ يجلس وكأنما قد نشط من عقال ، ثم ارسل على جميع بني هاشم ، فحضروا كافة فعرفهم على مؤامرة الشرك والكفر وأوقفهم على جلية تصميمهم من قتل محمد رسول الله ، الأمر الذي يحدوهم الى التعاضد والتكاتف ومساندة محمد وصيانته من عبث العابثين ودسائس المجرمين اليهود : ياقومي واسرتي يااولادي واحبتي ان ابن اخي محمداً نبي هذه الامة ورسول هذا الزمن ، وانه نبي صادق وامين ناطق ، وان له شأناً عظيماً ، وان مكانه من الله اعلا مكان ، فأجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته وقاوموا عدوه وسيروا وراء حوزته ، فانه الشرف لكم ما بقي الدهر .

ونقل الطبسي في الذرايع ص ٩٠ نقلا عن السيرة الهاشمية ١ / ١١٣ عن ابن اسحاق انه قال : كان ابو طالب لا يفارق النبي ابداً في حله وترحاله ، حتى انه حمله معه في سفرة تجارية الى الشام ، فحطت القافلة اثقالها في اثناء الطريق ، فانتحى ابو طالب برسول الله ناحية ففرش له واجلسه ، واذا براهب يستطرق ، فرأى غمامة تضلل النبي عن حرارة الشمس ،

فاستفزه الحادث فصار يتأمل في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله مدة ثم اقبل اليه مسرعاً فجثى بين يديه خاضعاً خاشعاً ، ثم اهوى على يديه ورجليه يقبلها وقال ألست انت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟

قال النبي : نعم انا محمد بن عبد الله .

قال : يامحمد عندي عدة اسئلة اود ان تجيبني عليها .

قال : نعم سل عما بدى لك .

فصار يسأل والنبي يجيب وهو يقول : صدقت يامحمد هكذا كان في التوراة ، لكن بقي عندي شيء واحد ارغب ان تطلعني عليه .

قال : وما ذاك ايها الراهب ؟

قال : ان تكشف لي عما بين كتفيك ، فسكت النبي وتأمل ، فقال الراهب : يا ابا طالب ان ابن اخيك حاذر مني قم انت تول ماطلبته .

فقام ابو طالب فرفع الثوب عن كتفي رسول الله ، واذا بخاتم النبوة مطبوع بين كتفيه ، فأهوى عليه يقبله ويتبرك به وهو يقول : ياابا طالب قدم الحفاظ على حياة محمد على كل عزيز عندك وغال عليك ، اني ارى لك ان ترجع عن سفرتك بابن اخيك هذا الى وطنه ، فاني احذر عليه واخاف عليه من اليهود ، فانهم ان وقفوا منه على ما وقفت انا عليه منه لا يستدبرونه حتى يقتلوه . فسمع ابو طالب نصيحته وعاف ثروته وتجارته وكر راجعاً الى مكة .

قال ابن هشام : وكان خاتم النبوة المنطبع بين كتفي النبي مثل اثر الحجامة .

وقال ابو سعيد الواعظ في مؤلفه شرف المصطفى والقاضي في المواهب : لما دنت الوفاة من عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وآله ادنى اليه ولده الأكبر ابا طالب ، وكان يعتمده في مهامه وقضاياه ، فقال له

يابني يوشك عما قريب ان افارق هذه الدنيا واكون في جوار ربي ورحمته ، وفي نفسي شيء يهمني ويعنيني كثيراً هو المحافظة على محمد وصيانته والحرص على سلامته وراحته .

فقال ابو طالب : ياابتاه جعلت فداك ومن كل مكروه وقاك ، الله يعلم ويشهد لم يكن عندي شيء في هذا الوجود اعز علي او اهم عندي من محمد ، فهو روحي التي بين جنبي ونور عيني ، فقر عيناً ياابتاه وطب نفساً ، فاني سأقوم بكل ما يسرك من خدمتي الى محمد ومحافظتي عليه ومفاداتي اياه بدمي وحياتي وكل عزيز علي .

وحدث صاحب البحار وجاء في المناقب كما حدث ابن وكيع في تفسيره عن سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم عن ابيه عن ابي ذر الغفاري انه قال : كان ابو طالب مجموعة معارف واضمامة من الفضائل والمآثر ، له احاطة واسعة بشتى اللغات ، ولا سيا اللغة الحبشية ، ووالله الذي لا إله إلا هو ما مات ابو طالب الا مسلماً مؤمناً ، وقد استظهر الحبشيون منه اسلامه وايمانه بلغتهم .

وقال صاحب الكافي بطريقه الى اسماعيل بن زياد عن الامام الصادق عليه السلام ان ابا طالب لشدة تمسكه بالدين وحرصه عليه ورغبة منه بالابانة عنه بكل صورة ووسيلة تحتمها المناسبات وتفرضها الظروف الخاصة ، قد دلل على ذلك أمام جماعة لهم إلمام بعلم العقود ومعطياتها ، فوجدوا قد عقد بيده ثلاث وستين عقداً ، فقالوا : انه قال اشهد ان لا إله الا الله محمد رسول الله ، فعقد الخنصر والبنصر وعقد الابهام على الوسطى يكون ثلاثة وستين عقداً يرمز بالشهادة لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة .

ومما يؤيد ذلك ما رواه شعبة عن قتادة كما نقله القاضي في المواهب

والطبسي في الذرايع في حديث طويل نقتطف منه مايخص الموضوع قالوا جميعاً : قال الحسن البصري : لما حضرت ابا طالب الوفاة ادنى اليه رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يشمه ويلثمه وهو يبكي ويقول : سوف اخرج من الدنيا الى رحمة ربي ولا غم يلم بي الا غمك ولا هم يهمني الا همك . فقال له رسول الله : ياعم لا تكن في ضيق من اجلي ، الله ياعم ارحم الراحمين ، فجزاك الله عني ياعم خير جزاء المحسنين ، لقد كفلت وأديت وناصرت وحاميت ، وفي نفسي شي اريد ان تجدد به العهد وليكون ذلك سنة باقية وليكون آخر نطق تخرج به من عالم الدنيا ، هو ان تشهد الا إله الا الله وان محمداً رسول الله .

قال العباس بن عبد المطلب للنبي : يابن اخي لقد قال عمك الكلمتين اللتين امرته بهما . ثم عقد ابو طالب بيده ثلاثة وستين عقدة ، فقال علي عليه السلام حين رأى عماية العقود تلك وكأنه قد فهم مراد ابيه : الله اكبر ، فوالذي بعثك بالحق يارسول الله نبياً لقد شفعك الله في عمك ، ثم التفت الى ابيه وقال : شاء الله لك ياابتاه ان تسودنا في الجنة كما سدتنا في الدنيا .

ونقل النقدى في المواهب والطبسي في الذرايع عن جملة من المفسرين انهم قالوا : نزل على اثر وفاة ابي طالب على رسول الله قول الله تعالى : « ياعبادي الذين آمنوا إن ارضي واسعة فإياي فاعبدون » فاستفاد رسول الله منها انها ترجيح له بالهجرة عن مكة ، لغاية ان يتخلص من اذى الشرك ومؤامرات اليهود الكافرة ، وبالتالي صمم صلى الله عليه وآله على مغادرة مكة وواصل السير الى المدينة .

وذكر صاحب اكمال الدين والعال بسنده الى محمد بن احمد الداوردي عن ابيه انه قال : كنت قد حضرت مجلساً عند ابي القاسم الحسين بن روح

اذ سأله رجل فقال : ياسيدي ما معنى قول العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وآله في مناسبة جرى فيها ذكر ابي طالب : ياابن اخي كنت انا واخي ابو طالب في مجلس يحتوي على جماعة يزعمون انهم على اطلاع بعلم العقود وحساب الجمل ، اذ يعقد ابو طالب بيده ثلاثة وستين عقداً، فقال الحاضرون ان معنى ذلك إله أحد جواد . فقال الحسين : نعم الأمر كذلك وانا شارح كيف ان عمل عم الرسول يشير الى ذلك بالتفصيل : فالألف واحد ، واللام ثلاثون ، والهاء خمسة ، والألف واحد ، والحاء ثمانية ، والدال اربعة ، والجيم ثلاثة ، والواو ستة ، والألف واحد ، والدال اربعة ، فذلك ثلاث وستون .

اقول : ان هذه الفكرة من عم الرسول العظيم إن دلت على شيء فهي انما تدل على انه رضي الله عنه كان يتفنن باظهار ما يدل على ايمانه وتدينه ، ويتكيف حسب الظروف والمناسبات ، وهذه القضية لم تكن مقصورة على ذكر صاحب اكمال الدين فقط ، بل ذكرها جملة من المحدثين والمؤرخين ، مثل ابن الجوزي في التذكرة وابن ابي الحديد في شرح النهج والمجلسي في البحار والصدوق والسيد علي خان في درجاته والسيد ابن فخار الموسوي في الحجة والقاضي في المواهب .

* • *

ورأينا ان نصير الى ماقيل في حق ابي طالب وفضله من الشعر الراقي والنظم الكريم ، وقد اخترنا من ذلك ما يلي بعد هذا البيان القصير . فنقول : لقد مجد الكثير من عباقرة الشعر والأدباء العباقرة شخصية عم الرسول الهاشمي ابي طالب ، وعددوا قسماً من فضائله وجملة من محامده ومحاسنه ، واخباره مما يتمتع به من مزايا وتضحيات في سبيل اعلاء كلمة الله والحفاظ على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله .

نعم نظموا الشيء الكثير . جمعه يتوقف على تحضير مجلد كبير ، ولكن تمشياً مع سيرتنا في مؤلفنا هذا من الاختصار نقتطف بعض ما قيل قديماً وحديثاً ، ولعلنا نوفق الى مجموع ما ندت به شفنا الشعراء الأماجد ، فنخصص له مؤلفاً منفرداً انشاء الله .

واول مقطوعة تطالعنا فهفت لها نفوسنا ومشاعرنا هي مقطوعة لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، قالها راثياً اباه العظيم بعد وفاته :

أرقت لنوح آخر الليل غـــردا	يذكرني شجواً عظيمــاً مجددا
ابا طالب مأوى المساكين والندى	وذو الحلم لا خلفاً ولم يك قعددا
أخا الملك خلى ثامة سيسدهـــا	بنو هاشم او يستباح يهمـــدا
فأمست قريش يفرحون بموته	ولست ارى حياً يكون مخلـدا
ارادت اموراً زينتهــا حلومهم	ستورد لهم يوماً من الغي موردا
يرومون تكذيب النبي وقتلــه	وان يفترى قدماً عليه ويجحدا
كذبتم وبيت الله حتى نـذيقكم	صدور العوالي والصفيح المهندا
ويبدو منظـــــر ذو كريهة	اذا ما تسربلنا الحديد المهنـدا
فاما تبيدونا وإما نبيــــــدكم	وإما تروا سلم العشيرة ارشـدا
وإلا فان الحي دون محمـــــد	بنو هاشم خير البرية محتـــدا

وله ايضاً الأبيات التالية يشرك فيها بالرثاء بين ابيه الزعيم وزوجة رسول الله ام المؤمنين خديجة بنت خويلد ، من حيث انهما قد انتقلا الى رحمة الله ورضوانه في عام واحد :

أعيني جـــودا بارك الله فيكما	على هالكين ما نرى لهما مثـــلا
على سيد البطحاء وابن رئيسها	وخيرة النســوان أول من صلى
فبينهما اوصي الى الحق والهدى	فبت أقاسي فيهما الهم والثكلى
هما نصرا في الله دين محمـــد	على من بغى في الدين رام به إلا

وقال السيد زيني دحلان في اسنى المطالب : وقد قيل في فضل عم الرسول ابي طالب هذه الأبيات ، ولله در قائلها ، واكثر الظن انه هـو قائلها :

قفا بمطلع سعد عـزنا وبه • وامليا شرح شوقي في مغانيه
واستقبلا مطلع الانوار في افق • الحجون واحترسا ان تبهرا فيه
مغنى به وابل الرضوان منهمر • ونائرات الهدى دلت مناديه
قفا فذا بلبل الافراح من طرب • يروي بديع المعاني في اماليـه
واستمليا الأحاديث العجائب عن • بحر هناك بديع في معانيـه
حامي الذمار مجير الجار من كرمت • منه السجايا فلم يفلح مباريـه
عم النبي الذي لم يثنـه حسد • عن نصره فتعالى في مراضيه
هو الذي لم يزل حصنا لحضرته • مرفقاً لرسول الله يحميـه
فكل خير ترجاه النبي لـه • وهو الذي قط ما خابت مساعيه
قد خصك الله بالمختـار تكاؤه • وتعتز به فخراً وتطريـه
عنيت الحب في طه ففزت به • ومن نيل حب طه فهو يكفيه
كما شمت آيات صدق يستضاء بها • فتملأ القلب ايمـاناً وتحييه
من الذي فاز في الماضين اجمعهم • بمثل ما فزت من طه وباريـه
كفلت خير الورى في يتمه شغفاً • وصرت بالروح والابنا تفديـه
عضدته حين عادته عشيرتـه • وكنت صائنه من بغي شانيـه
نصرت من لم يشم الكون رائحة الوجود او لم يقدر كونه فيـه
إن قمت في تأييد شرعتـه • هو الذي لم يكن ابداً شيء يساويه
ان الذي قد احببت طلعتـه • حبيب وكل شيء في اياديـه
لله درك من قناص فرصتـه • حين شممت بروق امان من نواحيه
يهنيك فوزك ان قدمت مناك يداً • الى وفي صفي عظيم في نواحيه

من يسد أحسن معروف لأحسن مخلوق

ينـــل فوق ما تبغي امانيـــه

فيا سعيد المساعي في متاجره قد صبت ربعك استهمي غواديه

مستمطراً منك مزن الخير معترفاً بان غرس المنى يعنى بصافيـه

وحدث اهل السير والتراجم – منهم الحلبي وابن هشام في سيرتيهما – ان جماعة من الأعرب المجاورين الى مكة المكرمة قد منـوا بقحط شديـد وازمة اقتصادية حادة ، وذلك على اثر انحباس المطر عنهم ، فأوقف سير حركتهم المعاشية ، فقصدوا رسول الله ليستسقي لهم حتى ينكشف ما بهم من ضر مسهم وكانوا قد صوروا حاجتهم تلك بأبيات كان مطلعها :

اتيناك والعذراء تدمى لبانهـا وقد شغلت ام الصبي عن الطفل

فاستصحر رسول الله صلى الله عليه وآله يسأل الله عـز وجل لهم الفرج والغوث ، وما ان استتم دعاءه حتى امر الله السماء أن تلقي عزاليها ، فنزل المطر كأفواه القرب ، فاستبشر الناس وفرحوا فرحاً عظيماً ، فتبسم رسول الله عند ذلك وقال : رحم الله عمي ابا طالب ، لو كان حياً لقرت عينه . فقام الشاعر عند سماعه هذه الكلمة من النبي في حق عمه العظيم ابي طالب ، فانشأ بين يديه وقد شرك في المدح بينه صلى الله عليه وآله وبين عمه ابي طالب فقال :

لك الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجه النبي المطـر

دعا الله خالقه دعـــوة واشخص منه اليه البصر

فلم يك الا كالقاء الـرداء واسرع حتى رأينا المطـر

فكان كما قاله عمه ابو طالب وابيض تسطع منه الغـرر

بـه الله يسقي صوب الغمام وهـذا العيان لذاك الخبر

فمن يشكر الله يلقى المزيـد ومن يكفر الله يلقى الغير

هذا والنبي صلى الله عليه وآله صاغ فرح بما يقوله ، وبعد ان فرغ فرضه رسول الله فقال له : ياكناني ان باك شاعراً يحسن الشعر فقد احسنت واجدت .

اقول : وقد علق السيد البرزنجي الشافعي في مختصره على قولة النبي صلى الله عليه وآله وسلم « رحم الله عمي ابا طالب لو كان حياً لقرت عينه » فقال : وتلك شهادة خير من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حق عمه الزعيم ابي طالب ، كما انها بيان عن واقع ابي طالب من انه كان يفرح بتكثر كرامات رسول الله وفضائله وبما يفتح الله على يديه من الخيرات والبركات ، وذلك من أفضل علامات الايمان .

وقال عبد الحميد بن ابي الحديد يمتدح ابا طالب وابنه علياً عليهما السلام :

ولولا ابو طالب وابنه ... لما مثل الدين شخصاً فقاما

فذاك بمكة آوى وحامى ... وهذا بيثرب خاض الحماما

تكفل عبد مناف بأمر ... واودى فكان يملي ختاما

فقل في ثبير مضى بعدما ... قضى ما قضاه وابقى شماما

فلله ذا فاتحا للهدى ... ولله ذا المعالي ختاما

وما ضر مجد ابي طالب ... جهول لغي او بصير تعاما

كما لا يضر آيات الصباح ... من ظن ضوء النهار الظلاما

وذكر السيد علي خان في درجاته الرفيعة : ابياتاً للسيد الشريف عبد الله ابن حمزة الحسيني رئيس الطائفة الزيدية يمتدح بها جده الأعلى ابا طالب ، نقتطف منها هذين البيتين لأنهما بيتا القصيد :

حماه ابونا ابو طالب ... واسلم والناس بعد لم تسلم

وقيل كان يكتم ايمانه ... وأما الولاء فلا يكتم

وذكر السيد زيني دحلان هذه الابيات للشعراني :

إن القلوب لتبكي حين تسمع ما ... أبدى ابو طالب في حق من عظما
فان يكن نسب الاصحاب ان له ... ناراً فلله كل الكون يفعل مــا
اما اذا اختلفوا فالرأي أن تردوا ... مورداً يرتضيه عقــل من سلما
تتابعاً لمثبتي الايمان من زمر ... في معظم الدين تابعناهم فكمــا
هم عدول ثقـات في مطالبهم ... فلا تقل انهم لم يبلغــوا عظما
لا تزدريهم اتدري من هم فهم ... هم عرى الدين قد اضحوا الزرعما
هما السيوطي والسبكي مع نفر ... كعدة النقبا حفاظ اهل حمــا
واهل كشف وشعرانيهم وكذا ... القرطبي والسحيمي الجميع كما

اقول : الذي يستشف من ذوق قائل الأبيات انه اشعري الطريقــة والمبدأ ، فانه اظهر في البيت الأول تألمه وتوجعه كلما اطلع او قــرأ عن مواقف ابي طالب وخدماته واستماتته في سبيل الله ، وازاء المحاماة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن الطبيعي لابد وان يكون لبكائـــه وتأثره دافع وسبب ، وما ذاك الا استبانة مظلوميــة ابي طالب وسكوت بعض المحدثين والمؤرخين عن واجب حقوقه ، وتقصد البعض الآخر الى الحط من قدره والنيل من سمعته وكرامته ، في حال انه يجب ان لا يذكر الا بخير وان لا يشار اليه الا بكفالة الرسول ونصرته لدينه وتأييده لشريعته ، وذلك لما يفرضه الواجب الانساني والأدبي ، والواقع الذي سجله التاريخ لعــم الرسول العظيم .

اما الشطر الأول من البيت الثاني فيفيد الاستنكار وعدم الرضا بمــا نسبه بعض المؤرخين من رواة ومحدثين من نسب تتنافى ومقــام عم النبي العظيم وقداسته .

وأما الشطر الثاني فمنه تظهر عقيدته الاشعرية الهادفة الى ان نسبة المياة

على غير الايمان الى ابي طالب . وان قال بها بعض الأعاظم من علماء وثقاة ـ الا ان الحكم لله وحده يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، لا يعارض في حكمه ولا ينازع في أمره ، يدخل الجنة من يشاء ويدخل النار من يشاء ، وعليه فمن الممكن اذاً ان يصدر الأمر منه تعالى بادخـال ابي طالب الى الجنة ، واذا كان كذلك يبطل استدلال الجماعة القائلين بأنه في ضحضاح من نار ، لأنه متى ما قام الاحتمال بطل الاستدلال .

ثم اظهر معتقده وأبان عن تأييده للجماعة الذين ذهبوا إلى ايمان أبي طالب ، لأنهم ممن لا يناقش في ورعهم وتقاهم ، ولا يخدش في وثاقتهم ورواياتهم ، اذاً قولهم الحق والصدق ، والحق احق ان يتبع .

وللسيد علي خان صاحب الدرجات الرفيعة هذه الأبيات :

ابـو طالب عم النبي محمـد ... به قام أزر الدين واشتد كاهله
ويكفيه فخراً في المفاخر كلها ... مؤازره دون الانام وكافلـه
لئن جهلت قوم عظيم مقامـه ... فما ضر ضوء الشمس من هو جاهله
أقر بدين الله جهـراً وشرعه ... فقال عدو الحق ما هو قائلـه
وماذا عليه وهو في الدين هضبة ... اذا عصفت من ذي العناد أباطله
وكيف يحل الذم ساحة ماجـد ... اواخره محمود واوائلـه
عليه سلام الله ماذر شـارق ... وما تليت أخباره وفضائلـه

وللحجة الشيخ محمد الحسين الاصفهاني قدس سره هذه الارجوزة :

نور الهدى في حق عم المصطفى ... في غاية الظهور في عين الخفا
في سره حقيقة الايمـان ... سر تعالى شأنه عن شـان
ايمانه يمثـل الواجب في ... مقام غيب الذات والكنز الخفي
آباته عند أولي الأبصـار ... اجلى من الشمس ضحى النهار
وهو كفيل خاتم النبـوة ... وعنه قد حامى بكل قـوة

ناصره الوحيد في زمانه ... وركنه الشديد في أوانه
عميد أهله زعيم أسرته ... وكهفه الحصين عند شدته
حجابه العزيز عن اعدائه ... وحرزه الحريز في ضرائه
فما أجل شرفاً وجاهاً ... من حرز ياسين وكهف طه
قام بنصرة النبي السامي ... حتى استوت قواعد الأسلام
جاهد عنه اعظم الجهاد ... حتى علا امر النبي الهادي
حماه عن قريش الكفره ... بصولة ذلت لها الجبابره
اكرم به من ناصر وحامي ... وكافل لسيد الانام
كفاه فخراً شرف الكفاله ... لصاحب الدعوة والرساله
لسانه البليغ في ثنائه ... أمضى من السيف على اعدائه
له من المنظوم والمنثور ... ما جعل العالم زاهي النور
ينبي عن ايمانه بقلبه ... وأنه على هدى من ربه
وأشرقت ام القرى بنوره ... وكل نور هو من نور طوره
وكيف لا وهو ابو الأنوار ... ومطلع الشموس والاقمار
مبدأ كل نير وشارق ... وكيف وهو مشرق كل شارق
بل هو بيضاء كل مجد ... مليك عرش اباً عن جد
له السمو كابراً عن كابر ... فهو تراثه عن الأكابر
ازكى فروع دوحة الجليل ... فياله من شرف اصيل
بل شرف الأشراف من عدنان ... ملاذها من نوب الزمان
له السمو ما يسمو على ... ذرى الضراح والسماوات العلى
ووالد الوصي والطيار ... وهو لعمري منتهى الفخار
بنوره اضاءت البطحاء ... بل وبه اضاءت السماء
كيف ومن غرته تجلى ... لأهله نور العلي الأعلى
وكيف لا وهو كفيل المصطفى ... ابو الميامين الهداة الخلفا

ساد الورى بمكة المكرمه فحاز بالسؤدد كل مكرمه
بل هو فخر البلد الحرام بل شرف المشاعر العظام
وقبلة الآمال والأماني بل مستجار كعبة الايمان
وفي حمى سؤدده وهيبته تم لداعي الحق امر دعوته
ما تمت الدعوة للمختار لولاه فهو اصل دين الباري
كيف وظل الله في الانام في ظله دعى الى الاسلام
وانتشر الاسلام في حماه مكرمة ما نالها سواه
رايته علت بعالي همته كفاه هذا في علو همته
مفاخر يعلو بها الفخار مآثر تحلو بها الآثار
ذاك ابو طالب المنعوت من قصرت عن شأنه النعوت
يجل من اي مديح قدره لكنه يجلو القلوب ذكره

والشيخ محمد الحسين قائل هذه الارجوزة العظيمة التي تتناسب ومقام عم النبي الكريم هو من اعاظم العلماء والعلماء الأعاظم ، له في كل فن يد طولى وإلمام لا يضاهى ، لقد برع في الفقه والأصول والفلسفة ، واوشك ان ترجع اليه الزعامة الدينية والتقليد العام في النجف الأشرف وغيرها من البلدان الاسلامية ، لو لا ان تفاجئه المنية فتحول دونه ودون الزعامة العامة

وللسيد الحجة العلم السيد ميرزا عبد الهادي الحسيني الشيرازي هذه الابيات :

ولي مدحة في مدحة الندب والد الائمة اعدال الكتاب اولي الامر
هو العلم الهادي ازين بمدحه شعوري ويزهو في مآثره شعري
ابو طالب حامي الحقيقة سيد تزان به البطحاء في البر والبحر
ابو طالب والخيل والليل واللوا له شهدت في ملتقى الحرب بالنصر
ابو الأوصياء الغر عم محمد تضوع به الأحساب عن طيب النجر

لقد عرفت منه الخطوب محنكاً ... تدرع يوم البأس بالبأس والحجر
كما عرفت منه الخطوب أخا ندى ... روين سداه الغمر ملتطم البحر
فذا واحد الدنيا وثان له الحيا ... وقل في سناه ثالث الشمس والبدر
وأنا يحيط الوصف غر خصاله ... وقد عجزت عن سردها صاغة الشعر
حمى المصطفى في بأس ندب مدجج ... تذل له الأبطال في موقف الكر
فلو لا نداه لم تنجح لطه دعاية ... ولا كان للاسلام مستوسق الأمر
وآمن بالله المهيمن والسورى ... لهم وثبات من يعوق ومن نسر
وجابه اسراب الضلال مصدقاً ... نبي الهدى اذ جاء يصدع بالأمر
كفى مفخراً شيخ الأباطح انـه ... ابو حيدر المندوب في شدة الضر
وصلى عليه الله ما هبت الصبـا ... برياتنا شيخ الأباطح في الدهـر

والسيد الشيرازي قدس سره علم من اعلام الدين وبطل من ابطـال العلم ، نبغ في شتى أنواع العلوم ، واشتهر بالتقى والصلاح والعدل ، وشاع ذكره في الآفاق الاسلامية ، فقلده المسلمون في امور دينهم ، الى ان انتقل الى رحمة ربه في سنة الف وثلثمائة واثنتين وثمانين هجرية ، ودفن في مقبرة آل الشيرازي في جنب الصحن العلوي الشريف ، يزار قبره الآن من قبل رجال العلم واهل الدين ، طيب الله ثراه وحشره في زمرة اجداده الطاهرين .

وللعلامة الكبير الشيخ محمد تقي صادق العاملي قدس سره هذه الأبيات :

بسيف علي قد اشيدت صروحه ... كما بأبيه قام قدماً بنـــاؤه
ابو طالب اصل المعالي ورمزها ... ومبدأ عنوان الهدى وانتهـاؤه
توحد في جمع الفضـائل والنهى ... وضم جميع المكرمـات رداؤه
وتنحط عنه رفعة هامـة السهى ... ويأرج في عرف الخزامى ثناؤه
حمى الخائف اللاجي ومربع أمنه ... وكعبة قصد المرتجي اللاجي وغناؤه
تحلق في جمع المكارم نفســه ... ويسمو بــه للنيرين رداؤه

اصاخ الى الدين الحنيف ملبياً ... لدعوته لما اتاه نـــداؤه

وباع لإعزاز الشريعة نفســـه ... فجل قدراً بيعـــه وشراؤه

وللعلامة الكبير الشيخ محمد علي الأردبادي طاب ثراه هذه الابيات:

بشيخ الابطحين فشا الصلاح ... وفي انواره زهت البطـــاح

براه الله للتوحيد عضبــــاً ... يلين به من الشرك الجمـــاح

وعم المصطفى لـسولاه اضحى ... حمى الاسلام نهبـــاً يستباح

نضا للدين منه صفيح عـزم ... عنت لمضائه البيض الصفـاح

واشرع للهدى بأساً مريعـــاً ... تحطم دونه السمر الصفـــاح

وأصحر في الحقيقة في قريض ... عليه الحق يطفح والصلاح

صريخة هاشم في الخطب لكن ... تزم لنبله الابـــل الصلاح

إخو الشرف الصراح اقام امرأ ... حداه لمثلــه الشرف الصراح

فلا عاب يدنســـه ولكـــن ... غرائز ما برحن به سجـــاح

ومنه الغيث إما عم جـــدب ... وفيه الغوث ان عن الصيـاح

مناقب أعيت البلغاء مدحاً ... وتنفذ دونها الكلم الفصاح

وصفو القول ان ابـــا علي ... له الدين الأصيل ولا براح

ولكن لابنه نصبوا عـــداء ... وما عن حيدر فضل يزاح

ونالوا من ابيه وما المعـــالي ... لكل محاول قصداً تبـــاح

وضوء البدر ابلج لا يوارى ... وإن يك حوله كثر النبـاح

وهبني قلت إن الصبح ليـل ... فهل يخفى لذي عينين الصباح

فدع بمتاهة التضليل قومـــاً ... بمرتبك الهوى لهم التيـــاح

فذا شيخ الاباطح في هـــداه ... تصافقه الأمانة والنجـــــاح

ابو الصيد الأكارم من لوي ... جحاجيح اماجدة وضـــاح

لهم كأبيهم إن جال سهم ... لأهل الفضل فائزه قـــداح

ومن لكناهور الهند هذه الأبيات ، فهي للعالم السيد علي نقي الكنهوي :

زهت أم القرى بأبي الوصي ... غداة غـدا يذب عن النبي
وقام بنصرة الاسلام فرداً ... يراغم كل مختال غـوي
وأبصر رشده من دين طـه ... فجاهد فيه في السر الخفي
وآمن بالإله الحق صـدقاً ... بقلب مـوحد بر تقي
بنى للسؤدد العربي صرحاً ... محاطاً بالفخـار الهاشمي
تلقى الرشد عن آباء صدق ... توارثه صفيـاً عن صفي
كأن الامهات لهم ابين الا ... يلدن سوى نبي اووصي
فكان على الهدى كأبيه قدماً ... ولم يبرح على النهج السوي
وكان به رواء الشرع بدءً ... وتم بنجله الزاكي علي

وللعلامة الكبير الشيخ عبد الحسين صادق العاملي هذه الأبيات مقتطفة من قصيدة طويلة :

لولاه ما شد أزر المسلمين ولا ... عين الحنيفية سالت في مجاريها
آوى وحاما وساوى قيد طاقته ... عن خير حاضرها طراً وباديها
ما كان ذاك الحفاظ المر أطـة ... ارحام وضرب عروق فاز عاليها
بل للالاه كما فاهت روايعه ... العصماء في كل شطر من قوافيها
ضاقت بما رحبت ام القرى ... برسول اللهمن بعدهواسود ضاحيها
فانصاع يدعو له بالخير مبتهلاً ... يدعو الى الحق لا ينفك داعيها
لولم تكن نفس عم المصطفى طهرت ... مافاه فوه بما فيه ينجيها
عام به قضى عمه فيه وزوجته ... قضاه بالحزن يبكيه ويبكيهـا
أعظم بمبكي المصطفى سنة ... أيامها البيض ادجى من لياليها
من صلبه انبثت الأنوار قاطبة ... فالمرتضى بدؤها والذخر تاليها

وللقاضي الشيخ محمد السماوي هذه الأبيات :

فؤادي بالغادة الكاعب غدا كبرة في يدي لاعب
كأني بدائرة من هوى فمن طالع لي ومن غالب
بليت بمن ضربت خدرها بمنقطع النظر الصائب
بحيث الصفاح وحيث الرماح فمن مشرفي الى راغب
لها منعة في ذرى قومها كأن اباها ابو طالب
فخار الأبي وعم النبي شيخ الاباطح من غالب
وأمنع لا يرتقي اجدل الى ذروة منه او غارب
اذا الرافع الطرف يرنو له يعود بتنحية الناصب
تهلل طلعته للعيون كما جرد الغمد عن قاضب
أقام عماد العلى سامكاً بأربعة كالسنا الشاقب
بمثل علي إلى جعفر ومثل عقيل الى طالب
اولئك لازمعات الرجال من قالص الذيل الى ساحب
ومن ذا كعبد مناف يطول على راجل ثم او راكب
حمى الدين في سيفه فانبرى بمكة ممتنع الجانب
وآمن بالله في جهره لأمر جلي على الطالب
وصدق احمد في وحيه وآخر مبد له كاذب
لنعم ملاذ الهدى والتقى ومنتجع الوافد والراغب
ومعتصم للدين في مكة إذ الدين منفرد الصاحب
ومانع حوزة اهل الهدى مدى العمر من وثبة الواثب
فلولاه ما طفق المصطفى ينادي على المنهج اللاحب

ولفضيلة السيد محمد جواد فضل الله اللبناني هذه الأبيات :

عصاني البيان وجف القلم وغاض الندى وتوارى النغم
وأحسست ان الشعور الطليق على افقه همسات السقم

وغارت عيون الخيال الرقيق وكانت الى الشعر خير الأرم
وقيثارة الوحي من وقعها توارى الغناء بطي العــدم
وصادحةالشعرهمس الخطوب على افقها لاح منه السأم
أمات بها النغمات الحسان شحل السكون بها وادلهم
هي الحادثات اذا ما اتت تخيم فوق الشعور الظلم
الى ان يقول :

ابا طالب ياسليل الأباة وشيخ الاباطح وأصل الكرم
تسامقت عرشاً بأفق الحياة فكنت به خالداً في الامم
مدى الدهر ذكراك في الخافقين ترق فتبعث منها الهمم
حياتك سفر به قد لمسنا الثبات تفيض منه عاينا الحكم
أبنت لنا فيه سر الحياة وكيف به عن الحق تجلى الغمم
وكيف تذب بهذي النفوس عن الحق حتى تذوق الحمم
ابا طالب هل يوفي القريض خصالا بها بلغت القمم
محمد هــــذا اليتيم الذي بنهضته هدّ عـرش الأمم
تكفلته وهو غصن طري وغذيته بابان الشمم
حنوت عليه وباريتــه حنو الامومة بل أهم
فكنت لــه خير ام رؤوم تباريه عند انسدال الظلم
وارشفته من كؤوس الحياة كؤوساً تبارك فيه الهمم
وألمسته فيك عطف الأبوة ديناً تفيض منه عليه النعم
وان الأمومة تحنو عليه وترشفه قبلات النهم
الى ان تعدى لدور الشباب وودع دور الصبا وانصرم
ونارت بأفكاره قبـــسة من القدس تكشف عنها الظلم
وأبصر ان حياة الهدى على معزل من حياة الصنم

وان الحقيقة قد ابهمت ... وان الضلال تغشى الأمم
تفرد في غاره وانزوى ... عن الناس يعبد رب الحرم
ففاجأه الوحي باسم الإلـه ... ان اقرأ عنّ اللوح ثم القلم
وبلغ رسالتك العالمين ... فأنت رسول الاله العلم
فناصرته واتبعت الهدى ... وانقذته من عظيم الغمم
ابا طالب كنت في جبين الحياة ... طبعت لروحاك ذكراً اشم
عن الحق ناضلت حتى قضيت ... وللعدل كافحت حتى احتكم
وكنت خير حصن حصين ... بـه يحتمى عند ما يقتحم
أذقت الذي بـه يبتغون ... شتاتاً وهدماً مرير السقم
وقات لأحمد سر في الحياة ... تبشر بدينك دين الامم
ولا ترتهب من ضواري الخطوب ... ففيك غدا جهراً يرض الصنم
أبا طالب قد طواك الردى ... فلف بأفق الجهاد العلم
وغامت دنا المجد آفاقهـا ... فحلت محل الضياء الظلم
وكنت بها كالسراج المنير ... يضيء عليها وبدراً اتم
ترجع فيها بلحن الإباء ... نشيداً يرق عليه النغم
فخلدت رمزاً لدنيا الكفاح ... وخلدت للمجد طوداً اشم
ابا طالب من بأفق الجهاد ... يرف لواء فيمحو الامم
ثبات وعزم به استوقدا ... فكان مثـال العلى والشمم
وروح يرف عليـه الاباء ... وتخفق في جانبيها الشيم
وقلب به تفيض العاطفات ... وتبعث من فوهتيه الهمم
رحلت وانت بأفق الحياة ... نسيم البطولة اذ يستنشم
ابا طالب اذ داهمتك المنون ... فاف لواء الندى والكرم
نعتك البطاح ومن في البطاح ... مناراً بـه تتوارى الظلم

ونكس عرش الهدى بعدما ... بقربك نال العلى والشمم

فخطبك خطب ولا كالخطوب ... يجف البيان بسه والقلم

وللقاضي الشيخ جعفر نقدي هذه القصيدة :

برق ابتسامك قد أضاء الوادي ... وحيا خدودك فيه ري الصادي

والى ان يقول :

مهما تراكمت الخطوب فإنها ... تجلى متى بأبي الوصي انادي

عبد المناف الطهر عم محمد ... الطاهر الآباء والأجداد

غيث المكارم ليث كل كريهة ... غوث المنادي بدر أفق النادي

شيخ الأباطح من بصارم عزمه ... باغ الانام لخطة الارشاد

دانت لديه المكرمات رقابها ... واليه ألقى الدهر فضل قيام

جد الائمة شيخ امة أحمد ... ربع الاماني مربع الوفاد

سيف له المجد الأثيل حمائل ... وله الفخار غدا حلي نجاد

داعي الورى للرشد في عصر به ... لا يعرف الناس به نهج رشاد

وله قريش كم رأت من معجز ... عرفوه فيه واحد الآحاد

كرضاعه خير البرية احمد ... وقبول دعوته لسقي الوادي

وبشارة الاسد الهصور بنجله ... وشفاؤه بدعا النبي الهادي

وكلامه بالوحي قبل صدوره ... وله انفجار الأرض إذ هو صادي

وبيوم مولد احمد إخباره ... عن حيدر الكرار بالميلاد

وله على الاسلام من منن غدت ... للمسلمين قلائد الأجياد

كفل النبي المصطفى خير الورى ... ورعى الحقوق له بصدق وداد

رباه طفلا واقتفاه يانعاً ... وحماه كهلا من اذى الاضداد

ولأجله عادى قريشاً بعدما ... سلكوا سبيل الغي والافساد

ورآهم متعاضدين ليقتلوا ... خير البرية سيد الامجـــاد

فسطا بعزم ناله من معشر ... شم الانوف مصالت الانجاد
وانصاع يفدي احمداً في نفسه ... والجاه والاموال والاولاد
واقام ينصره الى ان اصبحت ... تزهو شريعته بكل بلاد
قد كان يعلم انه المختار من ... رب العلى وعميد كل عماد
أفديه من فادٍ لواءً للهدى ... يحمي لأفصح ناطق بالضاد
ولقد روى عن انبياء جدوده ... فيه حديثاً واضح الاسناد
وعلى به على كل الورى ... إذ قال فيه بمطرب الانشاد
ان ابن آمنة النبي محمد ... عندي يفوق منازل الأولاد
راعيت فيه قرابة موصولة ... وحفظت فيه منازل الاجداد
ياوالد الكرار والطيار والأ ... طهار ابناء النبي الهادي
كم معجز ابصرته من احمد ... باهلت فيه معاشر الحساد
من لصق احجار وخرق صحيفة ... ونزول امطار ونطق جماد
لا فخر إلا فخرك السامي الذي ... فقئت به ابصار اهل عناد
ان المكارم لو رأت اجسادها ... عين رأتك الروح للأجساد
شكر الاله فعالك الغر التي ... فرحت بها املاك سبع شداد
لله همتك التي خضعت لها ... من خوف باسك شامخ الاطواد
لله هيبتك التي رجفت لها ... اعداء مجدك عصبة الالحاد
لله كفك كم بها من معدم ... احييت في الاصدار والايراد

وللخطيب الشيخ جعفر الهلالي هذه الابيات :

ياابا طالب وحسب القوافي ... فيك ان تزدهي علا وافتخارا
ذكرك الحلو حافل بالتفاني ... يبعث العزم في النفوس الغيارى
فلقد كنت للنبي على الكفار ... عوناً وصارماً بتارا
وبك الدين تم نشراً ولو لا ... ك لما حاز في الوجود انتصارا

ويسيف ابنك الوصي اني ... السبطين من بعدك ازدهى واستنارا

انتما في الوجود رمز التفاني ... في سبيل الحق الصراح جهارا

ايه شيخ البطحاء يابن الذين ... اتخذوا المجد في الحياة شعارا

قد قرأنا الايمان منك اعتقادا ... مذ ازحنا عن النفوس الستارا

وقرأنا فيك البطولة درساً ... مذ سبرنا التاريخ والاخبارا

كنت فرداً تصد عادية الشرك ... وسيفاً يحطم الكفارا

لم تطأطيء هاماً وسرت مجداً ... تبعث العزم في السنين انتصارا

ولقد تقطع الليل سهراناً ... لتحمي المؤيد المختارا

ذاك في الله لا في صلة الرحم ... كذب المدعي عليك وجارا

كم صغت الايمان نفحة شعر ... لذوي الشرك ترسل الانذارا

ايه عم النبي والدهر لا زال ... يرينا العجاب يبدو جهارا

ضيعت تلكم الجهود رجال ... واشاعت برميك الاخبارا

حسداً لابنك الوصي وبغضاً ... لم يقيموا إلا على علاك اعتبارا

واذا ما انثنوا لذكر ابن صخر ... ألبسوه برد الهدى اكبارا

كيف وهو الذي على الكفر ... ضلالا يستحطب الأوزارا

ذاك من قد سر بأحد وبالاحزاب ... اذ قاد جحفلا جرارا

شن حرباً على النبي عوانا ... ليبيد الاسلام والأنصارا

ومذ المصطفى دعاه الى الا ... سلام في الفتح لم يجبه اختيارا

بل حذار من الحسام وماقر حقاً ... بل لم يزل كفارا

ابا طالب وماذا عساني أن ... اوفي من حقك المعشارا

غير ان الفؤاد قد ماج و ... جداً فغدا يبعث الولا اشعارا

انا في حبك المتيم لا اخشى ... ملالا ولا اخاف العثارا

* * *

وللسيد طالب بن السيد عباس الطباطبائي هذه الابيات :

تألق اقــدامك الملهب — فجد في افقنا كوكب
فنحت لنا صفحة في الحياة — منورة للهدى تكتب
وخلدت في عـالم الخالدين — سراجا بدنيا الهدى يلهب
عشقت البطولة والمكرمات — فرحت على لحنها تطرب
وهـزت اناشيدك الخافقين — فرددها المشرق والمغرب
ألست الذي ادهش العالمين — واذهلهم مجـدك المعرب
وفجرته منبعاً للجلال — سيبقى مدى الدهر لاينضب
جلالك وهو الجلال الرفيع — رياض بها حيدر يخصب
ومجدك وهو سماء الفخار — به المرتضى كوكب ملهب
وروحك نبع يفيض الكمال — عليه يرويه إذ يسكب
علي بنى المجد والمكرمات — وأنت لتلك السجـايا اب
بحجـرك شب اليتيم — وكنت له والــداً يحدب
نشرت عليه ضلال الحنـان — ليسلو بها قلبه المتعب
وكنت اذا آلمته الحياة — وراحت به نارها تنشب
تذب رقة وانعطافاً عليه — ويغمره حبك الملهب
وتسكب في قلبه العاطفات — فيزكو ومن ريعها يعشب
ابا طالب انت اشراقة — تكنفها للعلى موكب
يشع بأفقها كوكبان — بمجديهما ينجلى الغيهب
محمد وهو بدنيا الاباه — لحون الكرامة إذ تطرب
وحيدر وهو الابي المصور — اذا ما التضى موقف مرعب
سأصمت إمادهاني الكلال — عسى الصمت عن خاطري يعرب
واخشع ان رأيت الجلال — بدنياك كالشمس لا يحجب
واسمو بأفقك افق الخلود — فروحي باسلاكه تجذب

واصغوا لأنغامك الملهبات قلبي من وقعهـا يخاب
وأهتف في نشوة وانذهال تساما بناء بها الكوكب

وللشيخ عبد الكريم طاهر الساعدي هذه الأبيات :

تغنى بك العـالم الأرفـع بأفق البطولة إذ تطلـع
ودوى صداك بأفق الخلـود نشيداً وأفكارنا مسمـع
وخلد ذكراك عمر السنين فكانت على هامها ترفع
تساميت رغم الحسود الذي يروم لقدسك.. ما يقـرع
فمنك الفضيلة اسرارهـا يفيض ومنهلهـا يترع
وروح النضال على العالمين تعيدك نجماً بها يلمع
وذكراك هبت كلطف الربيع تعطر من نشرها الأربع
ورقت تحددها العاطفات جلالا تسامى به المجمع
اشيخ الاباطح ماذا يقول اديب وماذا يصف المصقع
فقدسك اخرس بنت القريض وكانت لغيرك لا تخضع
فعاد الشعور به ذاهلا وقدساً لغيرك لا يهلع
فيا طالعاً في سماء الخلود أهل وإيمانه المطلع
وانت كنت للمصطفى حمياً يراع به الأروع
وحصناً يضم النبي اليتيم وسيفاً بكف الهدى يلمع
وبنداً يرف على المسلمين وكهفاً منيعاً لهم يجمع
فكم وقفة دون خير الورى جنان الكمي بها يقلع
نصرت النبي مذ قاومته رجال قريش بما يفزع
وقفت وأقسمت في ربعها لتنصره رغم من زعزعوا
ابا طالب سر بأفق الخلود فأنت على صرحها تسطع
فتاريخك الفذ يوحي لنا خلودك في سفره يطبع

عقود حياتك مذ لألأت ... انــار لطلعتها المجمع
وودت نجوم السما أنهـا ... عقود على جيدها ترصع
فدوى صداك بأوتاره ... ولحن الخلود له مقطع
سمواً سمواً أبا المرتضى ... له الشهب في برجها تخشع
لئن انت وسدت في بقعة ... تألق من قدسها الموضع
وذاب لرزئك قلب النبي ... وأقحل من بعدك المربع
وباتت قريش تعد النجوم ... متى يقبر البطل المقرع
لتخمد بعدك نور النبي ... ونور النبوة لا يقشع
فقبحاً لها من عقول هفت ... وليس لها في العلى مطلع
ألم يعلموا أن سيف الرسول ... بكف علي لهم مودع
ابا المكرمات الغر عذراً ... اتتك شكايتنا تفجع
فان حياة الى جنبهـا ... شقاء تشيب له الرضع
ودهراً يجور بأحكامـه ... وفي نسفه للهنا يصرع
وشعباً يئن بآلامــه ... وطوراً يطالب ما يشبع
فان راح مايطلب من حقه ... رمته الخصوم بما يقرع
فماذا الحياة على روضة ... لغيري ازاهير تقطع
وماذا البقاء على منهل ... سواي بسلسلة يتــرع
حنانيك مدّ الينا يداً ... ليكشف عن صبحنا البرقع

* ٠ *

وللشيخ صاحب المواهب هذه القصيدة :

بالله ياقاصد الأطلال في العلم ... سلمت سلم على سلمى بذي سلم
وحيي حياً حوى منها هلال دجى ... يشق نور سناه بردة الظلم
وقل لقد بقي المشتاق بعدكمو ... رهن الرزايا قرين الوجد والسقم

قد غادر الحب جسماً منه لو خطرت به الرياح شكا من شدة الألم

أتحتموا دمه الحرام فهل راعيتموه وانتم جيرة الحرم

الله ياأهل ودي بعد بعدكم براني الشوق بري السيف للقلم

كيف الوصول الى سلمى وقد نصبت منها الخيام بأطراف ضبا الخذم

ريم حمتها اسود من عشيرتها تخشاهم الاسد في الغابات والأجم

لم يكفهم ماجنت اسياف مقلتها حتى اعدوا مواضيهم لسفك دمي

ياعاذلي اكففا عني ملامكما فان سمعي عن العذال في صمم

هواي في ذلك الوجه المليح حكا هوى ابي طالب تقي سيد الامم

افديه من خير عم لابن اخ عم البرية في فضل وفي كرم

حمى النبي عن الأعداء مجتهداً في نصره بعد ما رباه في اليتم

وقام يدفع عنه كل نازلة يفديه في نفسه من كل مصطلم

وكان اول من لباه حين دعا الى اهدائه فأمسى خير مغتنم

أضحت لدين رسول الله دعوته والناس من سفه تدعو الى الصنم

وكان شيخ بني البطحا وسيدهم فصار للمصطفى الهادي من الخدم

رعى وصايا النبيين الأولى سلفوا مضافاً الى الايصال للرحم

كم مدحة مدح المختار تنبيء عن سر له في صميم القلب مكتتم

من ذا يماثله في مجده وله فضل به صار ممدوحاً بكل فم

كفاه فخراً قد اختار الإله له نسلا هم خير خلق الله كلهم

ائمة الدين أقمار الهداية انوار البسيطة منجى كل منعدم

ياماجداً اصبح المجد الأثيل به يختال فخراً بثغر منه مبتسم

ويا اخا كرم عمت فواضله كل البرية من عرب ومن عجم

لله سعيك إذ أصبحت منتصراً للمصطفى احمد في كل مزدحم

حفظته حين نحته عشيرته | وفي معاليه لم ترتب ولم تهم
حميته من اذى حساده وله | قد كنت خير اب فذ وخيرحمي
وبعت دنياً باخرى لانفاذ لها | فطاب ربحك في بيع وفي سلم
بيع ربحت به اضعاف ما قرعت | عليه أعداتك الاسنان من ندم
يهنيك سيار ذكرك في الانام غداً | يسير لا في متون الاينق الرسم
يهنيك مالك في الآفاق من شرف | للناس اظهر من نار على علم
يهنيك ان بنياك الغُر قد نصبوا | ائمة للورى من باريء النسم
كفاك فخرا بان الدين قامته | بغير نجلك لم ينهض على قدم
كم مجمع للعدى اسيافه نثرت | حمماً فعادوا بشمل غير منتظم
ذاك الهمام الذي في سيفه كشف | الكروب عن احمد في كل مصطلم
وان في جعفر الطيار من نصر المختار | فخرك لا يخفى على الامم
ومعجزات لك لا تخفى على احد | الا البصير الذي منه الفؤاد عمي
ابا الوصي استمع اشعار ذي وله | اليك من جور هذا الدهر منهزم
قد غادرته الرزايا رهن اسهمها | فجاء يرجو شفاء منك حين رمي
نفسي فداك خاصني على كبد | حرى فجسمي لا يقوى على السقم
فان وصلت فمدحي غير منقطع | وان قطعت فؤادى غير منصرم
صلى عليك اله العرش ما كتبت | علوم ولدك في الالواح بالقلم

وله ايضاً هذه الابيات :

أما هو قلبي فراسخ | فلتدن او تبعد فراسخ
ولهيب احشائي جوى | ما كان طول العمر الا بائخ
ومحاجري تهمي الدموع | فناضخ في اثر ناضخ
يامنزلا صحب الهـــوى | اتراك للهجـــران ناسخ
ألقيت فرعـــك أسودا | فلقيت اسود منه سالخ

ولربما انطوت الأفاعي في مضـــامين الشمارخ
ويل الحفيظة كم تنافح عن حشاي وكم تنافخ
ضاعت مصادرها و حالت عن موارده برازخ
فكأنها تبغي لعبد مناف مثلا فيهـا المشـايخ
شيخ الاباطح من قريش والأخاشيب الرواسخ
وسحابها الفياض بالجدو ى وذوا الايدي الرواضخ
من هاشم في ذروة لم تعلها الطير الفواتخ
فتراه فيهم قاعداً للأمر في الجلى وفاسخ
أسد أبر على اسود الغرب في الشم الشوامخ
منع النبي بمنعة قعساء وعزم منه راسخ
وحمى الهدى في مكة وأقام ما قد كان سائخ
فلو اعتدت اعداؤه لم يبق منهم للنار نافخ
ابا علي والعلى لك في رفيع المجد باذخ
تستدفع الباوى به ويغاث ملهوف وصارخ
ونوافخ كلفهـــا دلج السرى فغدت نوافخ
حملتها طيب الثنـــا ولطـائم المدح الضوامخ
فسرت الى ابن مفيض مكة اعيناً تجري نواضخ
وجدى بها الوجد المبر ح والمودات الرواسخ
فتنـــوخت وستجتدى خير المنائح والمنائخ

وللفاضل عالم هجر وبطلها الملحن الشيخ باقر أبي خمسين هـــذا التقريض الكريم :

قلوب آمنت بالواقع ، واطمأنت بالحادى ، واوكلت امرها الى الدليل الذى اراد لها الخير كما اراد لها ان تسير في شواطيء السلامة بسفين العزة

والكرامة تحت قيادة الربان القدير ، بعد ان ملت تلكم الامواج الزاخرة . وسئمت ذاك الزبد الذي لا ينفع ، وعرفت عن هذا الرهج الذي لا ينجلي الا عن غبار يعمي العين ويرين القلب .

نفوس آمنت بالمصير الذي بشر به الزمن ، واسفر عنه الدليل ، فتهلل له الافق فراح ينشره على الأودية ، وفرحت به البطاح فراحت تزفه الى السهول في ثنايا الوديان ، وحنت له الصحراء فطفقت ترسل النواة لتحقق منها نخيلا يثمر الرطب الجني وينتج الثمر الباسق ، بعد ان ملت السير وراء ذلك الطريق الشائك والجادة المتعبة .

بصائر نظرت بمنظار الفكر والمجهر الذهني الى واقع الأشياء وحقائق الغيب ، فأدركت بها ما حجب من أسرار ، وما حوته الحقب بين طياتها من اشعاعات وأنوار ، وما سينشره الكون من معارف وجليل الآثار ، فقرأت عن كثب تلكم الأسرار ، واطلعت على كل ما هنالك من وقايع وأحداث ، فوقفت على كل ما كان مرتقباً من كنوز ، واستشعرت من النوافذ كل ما كان من حكم ومآثر ، كما تحققت ما سيندك به من معاقل الجهل ، وما يتحطم على صخرته من حصون الشرك وقلاع الوثنية الكافرة .

قلوب آمنت بالخير من اجل الخير ، فتعشقته كمبدأ يجب تحمله والسير على ما يوحيه من نظم وما يحتمه من قوانين ، ترسم الطريق السهل لبني الانسان لتسير المجموعة البشرية على تلك النظم العادلة والدروس القيمة ، لتحظى بالأمان وضفاف السلامة وانتحاء سبيل الخير وطرق السعادة لتكون المجموعة الانسانية مجمعاً للمجد والعزة ، وموئلاً للمنعة والشرف .

نفوس آمنت أن لهذا الكون المترامي الأطراف المليء بالعجائب والغرائب رباً غير هذه الارباب ، وخالقاً عظيماً غير هذه الهياكل الجوفاء كما قد قرأت ان لعالم الارض مصيراً غير المصير السائد آنذاك ، وان للانسان

شأن غير الشأن الذي هو فيه يرزح ، فمن الخير اذاً ان يطاع ذلك الرب القدير في اوامره وزواجره ، ومن الهدى ايضاً أن تصبو الى ما اريد لها من المستقبل الكريم والفجر الصادق المقبل ، وان تستعد لاستعراض دنيا الحق والصدق ، فتبتعد عن كل رواسب الجاهلية ومخلفات الوثنية الأثيمة ، وعن كل ما هنالك من ظلم وجور وطغيان واباطيل .

بصائر استوحت من واقع عقولها السليمة وفطرتها المستقيمة ، فوجدت انها الأمينة على تلكم الاسرار الخفية والأنوار الالهية البهية ، كما استشعرت انها ستكون مستودعاً لما تضمره السماء وما تمخض عنه الأرض من المحتويات والمنطويات ومكنون العلم ومخزون المعارف ، اذاً المسئولية عليها وحدها ، فيجب ان تستعد تماماً الى تلقي كل ما هو خير وكل ما هو مرتقب من بوادر الرشاد والفلاح ، حتى اذا ظهر أمر الله وبدن الى العيان محمد رســول الله صلى الله عليه وآله بادرت تلكم النفوس المطمئنة وأسرعت الى اقتفاء اثر القائد الكريم ، فألقت اليه الزمام وسلمت لحضرته القيادة وآمنت به إيماناً منقطع النظير ، ما رضيت بعد ذلك الا ان تكون مناصرة مؤازرة على اداء المهمة التي هي كل الغاية من البعثة والغرض كل الغرض من النبوة والرسالة ، ليتمكن القائد من تسيير القافلة وتحريك العجلة الى شواطىء الاسلام النضرة ، مخترقة تلك الأمواج الصاخبة والزوابع المحرجة ، فاذا هي تصرخ متحدية كل العثرات والحواجز .

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
ودعوتني وعلمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم امينا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا

نعم هذه هي البصائر الطيبة ، والنفوس الكريمة الخيرة ، التي قد آمنت بالواقع ، واسلمت امرها الى القائد البصير .

انها سلسلة شيبة الحمد ومخض هاشم عمرو العلى ، الأسرة العربية العريقة التي ما عرفت غير ماة جدها ابراهيم الخليل ملة وديناً في الزمن الذي قد راجت فيه عبادة الأوثان وطغت فيه المتافات للأصنام ، فها هو ابو طالب سيد الآل والأسرة وعميدها الوحيد يمشي وراء محمد ويسير خلفه بكل حزم وثبات ، وبهتف بكل نشاط وقوة مؤيداً دين ابن اخيه ومادحاً له بما انه نبي مبعوث .

ألا ان خير الناس اماً ووالـــدا   اذا عدّ سادات البرية احمـــد
نبي إلهي والكريم باصلـــــه   واخلاقه وهو الرسول المؤيــد

نعم وايم الله إنها الغرسة التي غرسها لوي ، فعلمها كيف تقول للدهر قف ، وللتاريخ سجل ، وللكرامة والمجد أخلدا . كما عرفها كيف يجب ان تحارب الدهر في رذيلته ، وتقاومه في طغيانه وجبروتيته ، صيانة للامانـة وحفاظاً على الأسرار ، وقياماً مع الدليل الذي كانوا يرقبونه ويحسبون له ألف حساب وحساب .

فها هو ابو طالب يبعث في آل عبد المطلب روح النخوة والحماس ، ويثير في بني هاشم وشائج الرحم ، واواصر التقرب من دين السماء ، وملازمة محمد رسول الله ، ونبذ كل ما هنالك من سفاسف وخرافات تتعارض ودينه القيم ورسالته الوثيقة ، فها هو يكرر عليهم : ياقوم ان ابن اخي محمداً هو الأمين في قريش والصديق في العرب ، اطيعوا محمداً واتبعـوه تفلحوا وتفلحوا إذاً أبدا .

ثم يخص ولده علياً بالخطاب : ياعلي ألزم محمداً فانه لا يدلك الا على خير ، ولا يهديك الا سبيل الرشاد .

فرحمك الله ياعم رسول الله واعطاك من جنانه ورضوانه ما تقر به عيناك ، وسلام الله عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيا .

وتحدثت مجلة العربي بعددها الحادي عشر الصادر في شهر شوال المكرم من سنة ١٣٨٧ هجرية الموافق يناير كانون الثاني سنة ١٩٦٧ ميلادية عـــن موضوع اسلام عم النبي الزعيم ابي طالب على لسان احد كتابها الأشاوس الاستاذ حسن الامين بيروت ، وها هو المقال نصوره حرفياً وكما نقلته المجلة آنفة الذكر : لا ادري لم هذا الاصرار على تكفير ابي طالب كافل النبي وحاميه والمتفاني في سبيله ، واذا كان لبعض الماضين غاية في الاساءة الى علي بن ابي طالب وبنيه البررة فروجوا لهذه الفكرة فلا احسب اليوم انـه يوجد من يبغي الإساءة الى علي واستغلال هذا الامر ، فانا نعجب من هذا الاصرار في هذه العصور ، ان الآية التي استشهد بها السيد محمود حواس في العدد مائة وثمانية من مجلة العربي في تعليقه على ما كتبناه لم تنزل في هذا الموضوع ، والذين كان من مصلحتهم الطعن في علي بشتى وسائل الطعن هم الذين اخترعوا لنزولها هذا السبب ، كما انهم هم انفسهم الذين ارادوا حمل بعض رواة الحديث على الادعاء بأن آية « واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث » انما نزلت في علي بن ابي طالب ، وبذلوا لذلك الأموال الطائلة .

... ونحن لا نجهل ان القرآن الكريم وأن الحديث الشريف قد استغلا اسوأ استغلال لتأييد الاغراض السياسية والمنافع الدنيوية ، وان ذلك جرى في عهد الرسول لما جعله يخطب على المنبر : « لقد كثرت علي الكذابة » ، واذا كانت الكذابة قد كثرت عليه في حياته فكيف يكون الأمر بعد وفاتـــه ، وبعد تحول الاحوال واستفحال المطامع...

... إن ابا طالب الذي تحمل ما تحمل في تأييد الدعوة الاسلامية لا يمكن ان يكون غير مسلم ابداً ، ولو لم يتحمل الا الحصار في الشعب الذي فرضته قريش عليه ثلاث سنين فلاقى فيه ما لاقى مما لا يمكن ان يصبر عليـه الا

المؤمنون الصابرون ، ولقد استثنى هذا الحصار ابا لهب اخا ابي طالب لأنه لم يسلم ، وقد كان يكفي ابا طالب بقاؤه على الشرك لينجو من فضاعة الحصار وأهواله ، ولا اعتقد ان ابا طالب يستحق ان يجازى على ما قدم للاسلام والمسلمين ان يشهر به بالباطل .

وقال السيد دحلان في اسنى الطالب في صفحة ٥٩ : اخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه ان رسول الله قال : من آذى شعرة مني فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى .

وروى الطبراني والامام احمد والترمذي عن المغيرة بن شعبة عن رسول الله انه قال : لا تؤذوا الأحياء بسب الاموات :

ولا شك ان النطق بقبيح القول في حق ابي طالب والتشدق به في المجالس الخاصة او العامة وسفهاء الناس يؤذي اولاد علي رضي الله عنه الموجودين الآن ، بل يؤذي امواتهم في قبورهم ، ويؤذي النبي كذلك ، وقد قال الله تعالى : « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » وقال تعالى : « ان الذين يؤذون رسول الله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهينا » .

وهذا هو الذي كان يلحظه القائل بكفر مبغض ابي طالب ، لأنه ايذاء للنبي وايذاؤه صلى الله عليه وسلم نفاق وكفر يقتل فاعله ان لم يتب ، وعند المالكية يقتل وان تاب .

وقال دحلان في نفس الصفحة : ان قول الله تعالى : « قل لا اسئلكم عليه اجراً إلا المودة في القربى » يشمل عمه ابا طالب .

وقال ايضا في صفحة ١٧ في حديث طويل : ان ابا طالب اطلعه الله على كثير مما خص الله نبيه من الآيات والمعجزات وخوارق العادات من مبتدأ أمره وهو صغير الى منتهاه ، وباطلاعه على تلك الآيات والمعجزات

صار قلبه مشحوناً ممتلئاً وبالايمان والتصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم ايماناً قطعياً لا شك فيه ولا شبهة ، ام كيف وهو القائل :

يا شاهد الله علي فاشهـــد　　　اني على دين النبي احمد

قال ابن ابي الحديد في شرح النهج ٣ / ٣١٥ والسيد ابن فخار الموسوي في الحجة وابن شهراشوب المازندراني في كتابه متشابه القرآن في ضمن تفسير قول الله تعالى : « ولينصرن الله من ينصره » فقد أقسم الله تعالى واكد قسمه بلام التوكيد ان ينصر من نصر النبي صلى الله عليه وآله ، ولم يكن له ناصر سوى ابي طالب ، والله تعالى انما ينصر المؤمنين .

ابو طالب والمؤلفون :

لقد كثر التأليف في ابي طالب رضي الله عنه وكثر الى حد كبير ، وها نحن نذكر قسماً من ذلك خدمة للتأليف والتصنيف ، ورعاية لحقوق المؤلفين الاماثل ، واظهاراً لمآثر عم الرسول الكريم الزعيم ابي طالب العظيم ، وبياناً لما عليه هو من جليل المكانة وعلو المقام وكبير المنزلة في جميع نواحيه وكافة جهاته .

واليك قارئي الكريم بعض ما تسنى لنا ذكره من التأليف :

١ ــ « منى الطالب في ايمان ابي طالب » لأبي سعيد محمد بن احمد بن الحسين الخزاعي النيسابوري .

٢ ــ « ايمان أبي طالب » لأحمد بن القاسم ، ذكره النجاشي والحسين ابن عبد الله .

٣ ــ « البيان من خيرة الرحمان » لأبي الحسن علي بن بلال بن معاوية المهلبي الأزدي .

٤ ــ « ايمان ابي طالب » لأبي علي الكوفي احمد بن محمد بن عمار .

٥ ــ « ايمان ابي طالب » لأبي الحسين احمد بن محمد بن طرخان الكندي الجرجاني .

٦ ــ « ايمان ابي طالب » للشيخ ابي عبد الله المفيد محمد بن محمد بن النعمان البكري البغدادي المتوفى سنة اربعمائة وثلاثة عشر هجرية .

٧ ــ « ايمان ابي طالب » لأبي محمد سهل بن احمد بن عبد الله بن احمد ابن سهل الديباجي .

٨ — « منية الطالب في ايمان ابي طالب » للسيد الحسين الطباطبائي اليزدي الشهير بالواعظ المتوفى سنة الف وثلثمائة وسبعة هجرية .

٩ — « ايمان ابي طالب » للسيد ابي الفضائل احمد بن طاووس الحسين المتوفى سنة ستمائة وسبعة وسبعون هجرية .

١٠ — « مقصد الطالب في ايمان آباء النبي وعمه ابي طالب » للميرزا محمد حسين الكركاني مطبوع في بمبيء في سنة ١٣١١ هـ .

١١ — « بغية الطالب في اسلام ابي طالب » للسيد القاضي محمد عباس التستري الهندي المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ .

١٢ — « القول الواجب في إيمان ابي طالب » للشيخ محمد علي بن الميرزا جعفر الملقب بالفصيح نزيل مكة المكرمة .

١٣ — « ايمان ابي طالب » لأبي نعيم علي بن حمزة البصري التميمي اللغوي المتوفى سنة ثلثمائة وخمسة وسبعين هجرية ، ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني ونقل بعضاً من فصوله في اصابته في ترجمة ابي طالب .

١٤ — « اسنى الطالب في نجاة ابي طالب » للسيد مفتي الشافعية بمكة السيد احمد بن السيد زيني ابن احمد بن دحلان الشافعي المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ .

١٥ — « شيخ الأبطح او ابو طالب » للسيد محمد علي آل شريف الدين الموسوي العاملي والذي قد طبع في بغداد العراق سنة ١٣٤٩ هـ .

١٦ — « الشهاب الثاقب لرجم مكفر ابي طالب » للشيخ ميرزا نجم الدين العسكري .

١٧ — « مواهب الواهب في فضائل بي طالب » للقاضي الشيخ جعفر نقدي طبع في النجف الأشرف في سنة ١٣٤١ هـ طبع مكرراً .

١٨ — « الحجة على الذاهب الى تكفير ابي طالب » للسيد شمس الدين بن معد الموسوي طبع مراراً .

١٩ — « ابو طالب مؤمن قريش » للاستاذ عبد الله الخنيزي ، طبع عدة مرات وترجم الى لغات اجنبية .

٢٠ — « واقع ابي طالب المؤمن » للسيد عبد الكريم آل السيد علي خان ، بعد لم يطبع لحد الآن وهؤلاء الاعلام من اجلة العلماء والعباقرة من المفكرين والمؤلفين .

٢١ — مؤلف السيد محمد علي آل السيد علي خان ، وهو هذا المؤلف الذي بين يدي القارئ الكريم والذي اسميته (ابو طالب وبنوه) .

* * *

اما الفصول التي عقدت لعم الرسول العظيم في طيات الكتب فهي كثيرة وكثيرة جداً ، ولعلها تتجاوز حد الاحصاء وتفوق حدود الاستقصاء ، وما هذا الاهتمام من هؤلاء الاعاظم الا تكريماً لعم النبي وكافله ، وتقديراً لخدماته ومواقفه ، واعترافاً بجميله ووفير حقوقه على المسلمين كافة ، وحفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله في مربيه ومؤازره وناصره ومؤيده .

فسلام الله عليه ما ذر شارق ، وسلام الله عليه ما دامت السماوات والأرض وما بقي الليل والنهار ، ورحمة الله وبركاته .

مصادر الكتاب

شرح النهج	لأبن ابي الحديد
صحيح البخاري	
مسند مسلم	
الاصابة	لأبن حجر العسقلاني
تذكرة الخواص	لسبط ابن الجوزي
نور الابصار	للشبلنجي
الدرجات الرفيعة	للسيد علي خان
الحجة على الذاهب	للسيد ابن فخار الموسوي
العقد الفريد	لابن عبد ربه الاندلسي
تاريخ اليعقوبي	
مواهب المواهب	للقاضي النقدي
ابو طالب مؤمن قريش	للخنيزي
اسنى المطالب	للسيد زيني دحلان الشافعي
سفينة البحار	للقمي
البحار	للمجلسي
الغدير	للاميني
ذرايع البيان	للطبسي
بطل العلقمي	للشيخ عبد الواحد المظفر

مروج الذهب للمسعودي
دائرة المعارف للبستاني
مجمع البيان للطبرسي
ذخائر العقبي للطبري
الكنى والالقاب للقمي
الكشاف للزمخشري
الدر المنثور للسيوطي
اسعاف الراغبين المطبوع على هامش نور الابصار للشيخ محمد الصبان الحنفي .
ينابيع المودة للشيخ سليمان القندوزي الحنفي

فهرست الموضوعات





أَبُو طَالِب

وَبَنُوه



السيد محمد علي آل سيد علي خان

أبو طالب وبنوه

تقديم

الحجتين السيد نصر الله المستنبط
والشيخ باقر شريف القرشي

الجزء الثاني



بسم الله الرحمٰن الرحيم

تقديـــم

(١)

لم تشاهد الإنسانية في جميع فترات تأريخها دعوة خلاقة تفيض بالخير والعطاء كدعوة الرسول الأعظم ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ التي كانت من أهم الأحداث العالمية، فقد غيرت مجرىٰ التاريخ، واستهدفت تحرير الإنسان، وإعلان حقوقه، ورفع مستواه فكرياً وسياسياً واقتصادياً، وإقامة مجتمع متكامل تسوده الرفاهية والرخاء، وتعمهُ الالفة والمحبة، يجمعهم الإسلام وتضمُهم راية التوحيد. وكان هذا هو السمتُ البارز للمسلمين في الصدر الأول من حياتهم، فقد كانوا اخوان بررة، يتعاونون في السراء والضراء، قد صقلتهم أخلاق الرسول الأعظم، وهذبتهم آدابه، ونزعت ما في صدورهم من غلٍ، فلم تعد أية ثغرة في صفوفهم، وإنما كانوا جميعاً يداً على من سواهم.

(٢)

واحتضن الضعفاء والمحرومون والبؤساء المبادىء العليا والقيم الأصيلة التي أعلنها نبيّ الإسلام، فآمنوا بها إيماناً مطلقاً لأنها ضمنت لهم العزة والكرامة وساوت بينهم وبين عظماء قريش، وسادات العرب، وفي

طليعة من آمن بها من الضعفاء حليف مخزوم عمار بن ياسر وأمه سميَّة، وأبوه ياسر، وقد تعرضوا لصنوف مرهقة من العذاب والتنكيل صبها عليهم الوحوش من سادات الجاهلية كأبي جهلٍ وأبي سفيان، وغيرهما من الحاقدين على الاصلاح الاجتماعي.

(٣)

وكان من الطبيعي أن تتحد القوىٰ الجاهلية الرعناء لمناهضة النبيّ ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ ومناجزته، فقد سفّه أحلامهم، وسخر من آلهتم، وأفسد عليهم ابناءهم وعبيدهم ودمر اقتصادهم القائم على النهب والربا والاستغلال وقام بتغيير شامل لجميع مناهج حياتهم. وقد ورمت انوف زعماء القبائل القرشية وانتفخت أوداجهم، وملئت نفوسهم غيظاً وحقداً على النبيّ ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ فهبوا متضامنين لإخماد ذلك النور، واطفاء تلك الشعلة الوهاجة التي اضاءت الطريق، وأرشدت الحائر، وهدت إلى الطريق المستقيم. ولولا عناية الخالق الحكيم بدعوة الرسول ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ لأجهزت عليها تلك القوىٰ الشر وأسكتتها في مهدها.

وكان لا بد للرسول الأعظم ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ من قوة ضاربة تحميه، وتصون مبادئه وقيمه، وترد عنه كيد المعتدين الذين يتربصون به الدوائر، ويكيدون له في غلس الليلِ، وفي وضح النهار.

وكانت تلك القوة التي منحها الله تعالى لنبيه الكريم عمَّه المعظم سيد العرب وشيخ البطحاء أبو طالب، فقد تفانىٰ هذا العملاق العظيم في نشر كلمة الإسلام ورفع راية التوحيد، وقد وقف إلى جانبه سداً منيعاً يحميه من ذئاب الجاهلية ويدفع عنه غائلتهم، وقد آمن إيماناً مطلقاً برسالة الإسلام المشرقة، وهو القائل:

ولقد علمتُ بأن دين محمد ... من خير أديان البريّةِ دينا

ولما مُني النبيّ ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ بفقدهِ، وفقد السيدة أم المؤمنين خديجة سمى ذلك العام (عام الحزن)، وهاجر من مكة إلى يثرب لأنه لم تكن عنده قوة تحميه ولم يكن يأوي إلى ركن شديد... رحم الله أبا طالب فهو حامي الإسلام، وقائد مسيرته النضالية فما أعظم عائدته على الإسلام والمسلمين.

(٥)

ومما يدعو للسخريَّة والاستهزاء ما يرويه بعض المؤرخين الذين يسيرون في الخط الأموي، وما ينقله عنهم بعض المغفلين من الكتاب الذين يؤمنون بكل ما هو مدون في الكتب إن صدقاً، وإن كذباً من دون فحص ولا تمحيص، من أن أبا طالب مات ميتة جاهلية، ومعنى ذلك أنه مات على الجاهلية الرعناء التي جعلت الأصنام أرباباً لها من دون الله تعالى.

فأين جهاد أبي طالب، وتحمله للشدائد والأخطار في سبيل الإسلام، ثُم وأين حمايته للرسول ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ ودفاعه عنه، كل هذا ذهب سدى.

(٦)

وتصدىٰ بعض العلماء قديماً وحديثاً للدفاع عن أبي طالب، وإثبات إيمانه وإسلامه وزيف القائلين بخلاف ذلك، وممن ألف وأجاد وأبدع في ذلك صديقنا السيد الشريف الحجة السيد محمد علي آل السيد علي خان ــ رحمه الله ــ فقد بحث بحثاً موضوعياً وشاملاً عن شخصية أبي طالب، ودوره المشرق في حماية النبيّ ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ من بدء الدعوة الإسلامية، وفرض الحصار عليه مع النبيّ ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ وسائر المسلمين في الشِعب، وقيامه بفك الحصار، ودعوته ملك الحبشة إلى اعتناق الإسلام، كما عرض إلى الأدلة الحاسمة التي لا مجال

للشك فيها علىٰ إيمانه العميق بالإسلام، وتفانيه بالولاء للنبيّ ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ وفيما أحسب أن هذا الكتاب في طليعة الكتب التي ألفت في هذا الموضوع فأجزل الله له المزيد من الأجر في دفاعه عن جده أبي طالب وجعله من ذخائر حسناته التّي يرفعها إلى الله تعالىٰ.

(٧)

وأتحفني السيد المفضال علاء الدين نجل حجة الإسلام المغفور له السيد محمد علي آل السيد علي خان الجزء الثاني من كتاب «أبو طالب وبنوه» المخطوط وهو من تأليفه، وجعله من متممات بحث أبيه، وقد تصفحته فرأيته مجهوداً رائعاً حافلاً بصفحات مشرقة من تراجم السادة العظام من أبناء أبي طالب وهم السادة: طالب وجعفر، وعقيل، وقد أجهد السيد المؤلف نفسه في تتبع جمهرة كبيرة من المصادر التي عرضت لتراجم هؤلاء السادة الذين ساهموا مساهمة إيجابية في خدمة الإسلام، ومن المؤكد أن هذا الكتاب الكريم قد سد فراغاً في المكتبة الإسلامية، وسيجد فيه القراء المتعة في بحوثه الشيقة، شكر الله مساعي المؤلف السيد علاء الدين وبلغه أمانيه، ووفقه لكل مسعىٰ نبيل.

(٨)

وقبل أن أقفل هذا التقديم الموجز أرىٰ من الحق عليّ أن أشيد بالأسرة الكريمة التي تفرع منها السيد المؤلف نضر الله مثواه، إنها من أجلّ الأسر العلويّة فقد وهبها الله من صفاء النفس وطهارة الضمير مثل ما وهبه لآبائها العظام.

لقد تميزت هذه الأسرة الكريمة بأصولها وفروعها بسمو الأخلاق ومحاسن الصفات، وهذا هو السمت البارز الذي عرفت به من بين الأسر العريقة في المجد. . . سلمت هذه الأسرة رائدة خير إلى الناس.

النجف الأشرف **باقر شريف القرشي**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

لبني أبي طالب من المجد القديم ما لا يُسانى ويُساجل، والحسب السَنيّ ما لا يسامىٰ ويطاول فهم مقاديم القوم وصُدرة الناس بل «أشرف الخلق»[1] أحلمُ الناس صغاراً وأعلمهم كباراً وأمسّهم برسول الله رحماً، لمّا يزل آخرها متصلاً بأولها في الدنيا والآخرة.

وعلى الرغم مما خُصّوا به من الفضل وأوثروا به من الشرف فإنّ أيّاً من أبناء أبي طالب الأربعة لم ينل سهمته من أقلام المؤرخين وأهل السيرة وبخاصّة طالب وعقيل وجعفر فوجدت البعض يضربُ عنهم صفحاً ويطوي كشحاً ويقحِمّ الآخر أقلامه في سِيرَهم في غير طائل أو يسددُ بحديث غير متجاوب وربما صدرَ عن رأي غير شيء.

فمجملُ ما وصل إلينا عنهم لم يعدُ كونه صوراً متجزّئة الأجزاء يتعسر جمعها وضمّها إلىٰ بعضها حتىٰ بدت شخصياتهم في نظر الكثير غير واضحة المعالم ولئن وضح بعض من ملامحها فإنما هو يسير ومتباعد. . .

ولقد أزمعتُ الأمر ــ أخذا بميسوره تاركاً معسوره ــ فأفرعت الوسع وأعملت الفكر مجتهداً في التقصّي والتتبع فوجدتني وبعد لا أعثر على كثير مما تجزّع من تلك الصور فوصلت بينها بالقرائن الحاليّة والمقاليّة التي

(١) الجاحظ/ رسائل الجاحظ راجع ١ ــ ٢/ ص ٢٠٩.

أملتها طبيعة الكتابة بروح موضوعيّة بعيدة عن تنازع العواطف، متجردة عن دنيء الغايات نشداناً للحقيقة التأريخية الّتي ران عليها صدأ السنين وغبار الأزل وصولاً إلى خدمة تراثنا العربيّ والإسلامي والإشارة بأعلامه الخافقة.
وقد كسرتُ الكتابة على أربعة فصول.

- الفصل الأول ويتناول: بني أبي طالب (في دائرة الضوء) ـــ أول الأبناء (طالب بن أبي طالب) ـــ بين اللّتيا والّتي (في بدر).
- الفصل الثاني: عقيل بن أبي طالب ـــ بين عقيل وعليّ ـــ وجهاً لوجه (مع معاوية) ـــ بني عقيل (العقيليون).
- الفصل الثالث: جعفر بن أبي طالب ـــ في الحبشة (بخير دار مع خير جار) ـــ في مؤته (أما ظهور واما شهادة) ـــ بني جعفر (الجعفريون).
- الفصل الرابع: مبحث ميَسَّر في أصول الدين وفروعه ـــ كلام في صفات الله (تعالى) ـــ كلام في أفعال العباد. والهدف من هذا الفصل التعريف بأصل من أصول المسلمين الاعتقاديّة وهو (الإمامة) وصولاً إلى إمامة عليّ (ع) وإن استغناءه من الكلّ واحتياج الكلّ إليه دليل علىٰ أنه إمام الكلّ وقد خصصّتُ الجزء الثالث لذلك إن شاء الله.

ومن جماع هذه الفصول يكون الجزء الثاني من كتاب «أبو طالب وبنوه» وقد خرج إلى النور بعد أن صدر الجزء الأول منه عام تسعة وستين وتسعمائة وألف علىٰ عهد المغفور له الوالد ولقد اخترمته المنيّة ولمّا تتكمَّل اجزاء الكتاب كما كان أزمع في حينه فوجَدت أن من برِّ البنوّة بالأبوّة القيام علىٰ استكمال الكتاب سائلاً العلي القدير السداد والسدد مستوزعاً شكر نعمته، اللهم فثبتْ، وانِلْ والحمد الله وحده.

النجف الأشرف — علاء السيد محمد علي خان

الفصل الأول



بنو أبي طالب (في دائرة الضوء)

يطبق المؤرخون علىٰ أنَّ أبا طالب أعقبَ من الأبناء الذكور أربعة: طالباً فعقيلاً فجعفراً فعلياً وفي ذلك يقول الشاعر:

أقــام عمــاد العــلا ســامكـاً	بــأربعــةٍ كــالسنــا الثــاقــبِ
بمثــلِ (علــيّ) إلــىٰ (جعفــر)	ومثـل (عقيـلٍ) إلىٰ (طـالـبِ)
اولئــك لازمعــات الـرجــا	لِ علـىٰ راجـلٍ ثـم أو راكـبِ

كما يشير غيرُ واحدٍ منهم إلى أن بين كلٍّ واحد من الأخوة وبين أخيهِ عشر سنين وازاء ذلك لم يخفِ الجاحظ تعجبه فيقول: «إن أربعة أخوة كان بين كل واحد منهم وبين أخيه في الميلاد عشر سنين سواءً وهذا عجب»[1] وخالف الشنتريني عن هذا الرأي فقال: إن عقيلاً ولد مع أخيه عليّ (ع) توأماً وأوردَ في سياق حديثهِ عن عقيل قوله: زوحمتُ حتى في الرحمِ[2].

وجميع أبناء أبي طالب لأب وأم هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشميّة وهي أول هاشمية تزوجت هاشمياً وولدت له وأول هاشميّة ولدت خليفة ثم بعدها فاطمة الزهراء[3].

---

(١) رسائل الجاحظ/ راجع ٣ ــ ٤/ ص ١٢٢.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول/ ص ٢٢٥.

(٣) انظر: المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٢ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء السابع من ثانية اجزاء/ ص ١٦٠، ١٦٤ والأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ج ١/ ص ٥ وما بعدها وابن حزم/ جمهورة انساب ا لعرب/ ص ١٤.

ولقد خصَّ آل أبي طالب بغرائب وعجائب وفضائل لم توجد في أحد سواهم[1] منها: «أنه لم يوجد قط في أطفالهم طفلٌ يحبر، بل يزحف زحفاً لئلا ينكشف منه عن شيءٍ يسوءُه، ليكون أوفر لبهائه. وأدلّ على ما خصّوا به»[2] ومنها: «تهيأ في آل أبي طالب من الإذكار ما لم نعرفه في قديم الدهر وحديثه، ولا فيما قربَ من البلدان ولا فيما بعُد»[3] وإنك لتنحدرُ مع أعقاب الذريّة في الطالبيين مائة سنة وأربعمائة سنة فيخيلُ إليك أن هذا الزمن الطويل لم يبعد قط بين الفرع وأصله في الخصال والعادات كأنما هو بعد أيام معدودات لا بعد المئات وراء المئات من السنين ولا تلبث أن تهتف عجباً «إن هذه الصفات علويّة لا شك فيها، طبع صريح، ولسان فصيح، ومتانة في الأسر يستوي فيها الخلق والخُلق. ونخوة، لا تبالي ما يفوتها من النفع إذا هي استقامت على سنّة المروءة والاباء...»[4].

(١) الجاحظ/ رسائل الجاحظ/ مج ٣ ــ ٤/ ص ١٢٢.
(٢) نفس المصدر/ ص ١٢٤.
(٣) نفس المصدر/ ص ١٢٣.
(٤) العقاد/ أبو الشهداء/ ص ٤٦.

أول الأبناء
طالب بن أبي طالب

أول مولود يولد بين هاشميّين، وكريم بين طرفين، جمعَ المجد من أطرافهِ والشرف من حذافيره، حتى تمت أوصاله واستوفىٰ خلاله، قال الجاحظ: «أول هاشميّ هاشميِّ الأبوينِ كان في الدنيا ولد لأبي طالب»[1].

وكان طالب بن أبي طالب شاعراً[2] وقد ذكر له ابن هشام عن ابن اسحاق شعراً في وقعة الفيل منه قوله:

ألمْ تعلموا ما كان في حربِ داحسٍ ... وجيش أبي يكسوم[3] إذْ ملئوا الشِعبا
فلــولا دفــاع الله لا شــيءَ غيــره ... لأصبحتموا لا تمنعون لكم سَربا[4]

وقد أورد بعض من تعرض لذكرهِ شعراً غير ذينك البيتين، سأعرض له في غير هذا المقام إن شاء الله ومع إننا لا نمتلك الكثير عن الرجل في أولياتِ حياته لندرة المصادر التي تناولته وتحاشي الكثير من المؤرخين والمعنيين بالسير الخوض في سيرته بخلاف بقية اخوته، الا اننا لو عدنا بالذاكرة إلى ما سماه العرب بعام الممحل لاتضحت بعض ملامح تلك

---

(١) رسائل الجاحظ/ مج ٣ ــ ٤/ ص ١٢٢.
(٢) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ١/ ص ٤٣٩ والأصفهاني/ الأغاني/ ج ٢/ ص ١٨٧.
(٣) كنية ابرهة الحبشي.
(٤) السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٢٦٣.

الحياة. لقد تعرقت قريشاً بعامة وأبا طالب بخاصة المجاعة في ذلك العام الممحل المجدب وكان أبو طالب كثير العيال فيستشعرُ الرسول ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ ضائقة عمّه فلم يرَ منتدحاً عن اسداء يد العون نحوه فينبري مشيراً على عمّه العباس ــ وكان موسراً ــ بأن يخففَ عنه عن ثقلِ عيالهِ وحملِ بعضِ أثقالهِ وما أجدره ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ بالخير وهو «الاحقّ بالرفد والأولىٰ بحمل الكل في ساعة الجهد»[1] فيستجيب أبو طالب متحفظاً فيقول: اتركا لي عقيلاً واصنعا ماشئتما»[2] وقيل «عقيلاً وطالباً»[3] فأخذ رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ عليّاً وأخذ العباس جعفراً[4] ثم ذكر أنه كان أحد المحصورين في شِعب أبي طالب[5].

وكان طالب ذا أُثرة عند أبيه وحظوة ولو لم يك كذلك ما كان ليعهد إليه بوصيته ــ وهي آخر ما ندت به شفتا أبي طالب ــ في أن يشدد طالب يديهِ بغرزِ محمد ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ وينخعَ له بالطاعة ويستمر في نصرته ولو كلّفه ذلك حياته وكان مما أوصىٰ به يومئذ[6]:

ابنيّ طالب إنّ شيخك ناصحٌ	فيما يقول مسددٌ لك راتقُ
فاضرِ بسيفك من أراد مساته	ابدا وانك للمنيَّة ذائقُ
هذا رجائي فيك بعد منيتي	وأنا عليك بكل رشد واثق
فاعضد قواه يا بني وكن له	اني بجدك لا محالة لاحق
آهاً اردد حسرة لفراقهِ	اذ لم اجده وهو عالٍ باسق
اترىٰ أراهُ واللواء أمامَهُ	وعلي ابني للواء معانق

---

(١) الموسوي/ فخار بن معد/ الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب/ ص ٣٤.
(٢) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٢٦٣.
(٣) نفص المصدر/ ص ٢٦٣.
(٤) نفس المصدر/ ص ٢٦٣.
(٥) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ٦٥.
(٦) الموسوي/ فخار بن معد/ الحجة أبي طالب الذاهب إلى تكفير أبي طالب/ ص ٩٨، وعلي خان/ محمد علي/ أبي طالب وبنوه/ ج ١/ ص ٩٩.

وقد ذكر هذه الأبيات الإمام الحافظ ابن شهر اشوب[1] بزيادة بيت سابع وهو:

اتراهُ يشفع لي ويرحمُ عبرتي   هيهات اني لا محالة زاهق[2]

لقد كان محمد ـــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـــ من أبي طالب مهجته ونوط قلبه وكان بعمّهِ ممتنعاً وعزيزاً وحماه به لا يُقرب وكان أبو طالب بهِ لهجاً ما افتأ يذكره:

بني أخي ونوط القلب مني   وأبيضُ ماؤه غدق كثيرُ[3]

ولم تكن تلك الحياطة من أبي طالب حياطة رحم فحسب وإنما هي حياطة «المقرّ بنبوته والمعترف برسالته»[4] وهو إذ يستوصي به خيراً فإنما يقصدُ إلى نصرة القيم الحقّة والمبادىء السامية والمثل العليا التي جاء بها محمدٌ العظيم وليس أدلّ على ذلك من قوله: «والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديهِ إلا سعد ولو كان لنفسي مدّة، وفي أجلي تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدافعت عنه الدواهي»[5].

إن أبا طالب حين عهد إلى ابنه بما عهد لا بد وأنه كان يضع في اعتباره أمرين:

الأول: أهلية الموصى لامضاء بنود تلك الوصية وإلا لكان مثله كمثل

(١) مناقب آل أبي طالب/ ج ١/ ص ٥٦ وما بعدها.

(٢) البيت يمثل غاية التواضع منه فقد ذكر الإمام الطبرسي في الاحتجاج/ ج ١/ ص ٣٤١ بسنده عن علي (ع) قوله: «والذي بعث محمداً بالحق نبيا لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعّه الله فيهم...».

(٣) الزمخشري/ أساس البلاغة/ ص ٧، ١٠.

(٤) الحنفي/ ينابيع المودّه/ ص ١٥١ في إيراده رسالة الجاحظ التي يقول فيها: «حامي النبيّ ومعينه ومحبه أشد حباً وكفيله ومربيه والمقر بنبوته والمعترف برسالته والمنشد في مناقبه أبياتاً كثيرة وشيخ قريش أبو طالب».

(٥) الأميني/ الغدير/ ج ٧/ ص ٣٦٦ والبيلاوي/ تاريخ الهجرة النبوية وبدء الإسلام/ ص ٦٣.

من يضع الشيء في غير موضعه والأمر في غير نصابه وذلك ما لا يجوز بحال على أبي طالب الرجل الذي حلب الدهر اشطره.

الثاني: لو لم يكن علىٰ بيّنة من إيمان ابنه فكيف ترىٰ يطلب إليه نصرة من يخالفهُ في العقيدة بل مفارقته ففاقد الشيء لا يعطيه كما يقال. أما طالب من جانبهِ فإنه لم **يضق** بذلك ذرعاً ولم يتبرم بل وجد في ثقّة أبيه المطلقة هذه ما يحفزه لتجسيدها. استمع إلى صدق أحاسيسه ونبل مشاعره وهو يمتدح النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ معترفاً بفضله مشيداً برسالته مقراً بما جاء به من الحق فيقول[1]:

إذا قيل من خير هذا الورىٰ	قبيلا واكـر مهـم أسـره
أنـاق لعبـد منـافٍ أبٌ	وفضّلـه هـاشـم العـزه
لقـد حـلّ مجـد بنـي هـاشـم	مكـان النعـائـم والنشـره
وخيـر بنـي هـاشـم أحمـدٌ	رسـول الالـه علـىٰ فتـره

وقد ذكر جدنا[2] ـ قدس سره ـ البيتين الأخيرين من الأبيات المتقدمة هكذا:

وقـد حـلّ مجـد بنـي هـاشـم	مكـان النعـائـم والـزهـوه
ومحـض بنـي هـاشـم أحمـدٌ	رسـول المليـك علـى فتـره

وقال: «إن تلك الأبيات هي مما استدل بها أرباب السير على إسلامه»[3].

---

(١) انظر: ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ٧٨ والنقدي/ محمد جعفر/ مواهب الواهب في فضائل أبي طالب/ ص ١١٤.
(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٣.
(٣) نفس المصدر/ ص ٦٣.

بين اللتيا والتي (في بدر)

تبرز لنا حين نستعيد إلى الذاكرة أحداث السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة معركة بدر الكبرى كواحدة من أهم تلك الأحداث وهي: المعركة «التي قتل فيها صناديد قريش وأشرافها وأسر من أسر من زعمائهم»[1] ولقد ألجأت قريش عدداً من بني هاشم على الخروج معها إلى خطوط المواجهة الساخنة في بدر مكرهين وأن رسول الله قال لأصحابه يومئذ: «إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله»[2].

وذكر أيضاً أنه ـــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـــ دعا يومها أن ينجي الله المستضعفين من المؤمنين[3].

وكان في القوم يومئذ: طالب بن أبي طالب فقد جاهدته قريش على الخروج معها وأجالت سهمه مع سهامها كارها غير باغ ولا عاد. وقد عالن طالب قريشاً موقفه من هذه الحرب كما أنه لم يتحفظ في اظهار ميله الوجداني نحو المعسكر الإسلامي وقيادة الرسول الأعظم ـــ صلىٰ الله عليه

---

(١) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٤٠٣.

(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ١٩٨، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٨٩، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ١٨٣، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٥٠.

(٣) انظر ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ١٨٣.

وآله وسلم ــ وما تبع ذلك من مراجعة ومجاوبة بينه وبين القوم وهذا ما أشار إليه غير واحد من المؤرخين فيقول: «وكان بين طالب بن أبي طالب وبين بعض قريش محاورة»[1] يقال حاورته: راجعته الكلام[2] والمحاورة: مراجعة الكلام في المخاطبة[3].

ولم يكن الموقف المبدئي لبني هاشم عامّة وطالب بن أبي طالب على وجه الخصوص من هذه الحرب الظالمة بخافٍ على قريش وهذا ما يتضح جلياً من خلال مخاطبتهم لبني هاشم بالقول: «واللهِ لقد عرفنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا أن هواكم لمعَ محمد»[4].

فماذا يعني أن يكون هوىٰ بني هاشم مع محمد؟

أوليس يعني بالضرورة إقراراً بمصداقية النبوة ومشروعية الرسالة وإيقاناً بأن النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ على بينة من ربه وبصيرة من أمره ولعلك تلمس معي أنّ حديث النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ : «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعاً لما جئت به»[5] لا يعدون هذا المعنىٰ.

ولقد كان طالب يعلم أن قريشاً ستجرُّ علىٰ أنفسها الشر وانَّ هذه الحرب التي افتعلتها ستحملها على مركب وعر وان الدائرة ستكون فيها عليها وتكون نهايتها إلى قتل وأسر وتنكيل، وما الأبيات التي أثرت عنه

---

(١) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ١٨٧، وابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٢٧١، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٨٥، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩.

(٢) الشرتوني/ سعيد/ أقرب الموارد/ ج ١/ ص ٢٤٣.

(٣) الزمخشري/ أساس البلاغة/ ص ٢٠٥.

(٤) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٢٧١، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩.

(٥) محمد بن عبد الوهاب/ كتاب التوحيد/ ص ١٦٥ ــ ١٦٦ مطبعة الزمان/ بغداد ١٩٨٩.

يومئذ إن هي إلا نذر الهزيمة المتوقعة للمشركين وارهاصات بالفشل الذريع الذي سيلاقونه ففي ساعة العسرة تلك يشخص بصره إلى الله لائذاً، ملتجئاً، عائذاً، فيرتجز[1]:

يــا رب امــا خــرجــوا بطــالــب ... في مقنب[2] من تلكم المقانب
فاجعلهم المغلوب غير الغالب ... والرجل المسلوب غير السالب

والذي في الأغاني والطبري[3]:

يــا رب أمــا يغــزونّ طــالــب ... فــي مقنــب مــن هــذه المقــانــب
فليكن المسلوب غير السالب ... وليكـن المغلوب غير الغالـب

والذي في السيرة النبوية[4]:

لاهــمَّ أمــا يغــزون طــالــب ... فــي عصبــة مخــالــف محــارب
فــي مقنــب مــن هــذه المقــانــب ... فليكن المسلوب غير السالب
وليكن المغلوب غير الغالب

وعلى أية حال فإن هذه الأبيات تنحو منحىً واحداً في الدلالة على المعنىٰ المقصود برغم اختلاف رواياتها.

ولقد تطير القرشيون بأبيات طالب تلك وتوجسوا الشر واستشعروا الإحباط فقالوا: «إن هذا ليغلبنا فردوه»[5].

بعد الانتصار الساحق الذي تحقق للمسلمين في هذه الحرب بقيادة

---

(١) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٣٢.
(٢) المقنب بالكسر: ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل.
(٣) الأصفهاني/ ج ٤/ ص ١٨٧، محمد بن جرير/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩.
(٤) ابن هشام/ ج ١/ ص ١٧١.
(٥) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٣.

وتوجيه الرسول الأعظم ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ والهزيمة المرة التي مني بها المشركون وما وقع فيهم من القتل والأسر «أمر رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ بالقتلىٰ أن يطرحوا في القليب»[1] وأنه ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ جمع الأسارىٰ فكانوا أربعة وأربعين أسيراً ومن القتلىٰ مثل ذلك[2]. ولم يكن طالب بن أبي طالب بين القتلىٰ أو الأسرىٰ حينئذٍ. لكنني وجدت له شعراً في مدح النبيّ ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ وبكاء أصحاب القليب من قريش ولست أدري ما إذا كان طالب قد قال بعد معايشة ميدانية لأحداث تلك المعركة وما أسفرت عنه من النتائج أم بعد منصرفه منها قال طالب[3]:

ألا ان عينـي أنفـدتْ دمعَهـا سكبـا	نبكّي على كعبٍ وما أن ترىٰ كعبا
ألا ان كعبـا فـي الحـروب تخـاذلـوا	وارداهُمُ ذا الدَّهرُ واجترحوا ذنبا[4]
وعـامـر تبكـي للمسلمـات غـدوة	فياليت شِعري هل أرىٰ لهما قربا
همـا أخـواي لـن يعـدّا لِغيَّـه	تُعَـدّ ولـن يُستـام جـارهمـا غصبـا
فيـا اخـوينـا عبـد شمسٍ ونـوفـلا	فِـداً لكمـا لا تبعثـوا بيننـا حـربـا[5]

(١) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ١٩٨ ـ ٢٠١.

(٢) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٣) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٣/ ص ٢٨.

(٤) في ابن الأنباري/ ج ١/ ص ٣٧٠، روي البيت هكذا:

الا ان كعبا في الحروب تخاذلوا	فارد تهم الأيام واجترجوا دنيا

(٥) البيت أحد شواهد ابن هشام الأنصاري في قطر الندىٰ وبل الصدى/ ص ٣٠٠ إلى أنه يورده على النحو التالي:

أيـا أخـوينـا عبـد شمـس ونـوفـلا	أعيـذ كمـا بـالله أن تحـدثـا حـربـا

ولا تصبحـوا مـن بعـدِ ودٌّ والفـةٍ أحـاديـث فيها كلكـم يشتكي النكبا
فمـا أنْ جنينـا فـي قـريـش عظيمـةً سوى أن حمينا خيرَ من وطىءَ التربا
أخـا ثقّـةٍ فـي النـائبـاتِ مُـرَزَّأً كـريمـاً ثنـاه لا بخيـلاً ولا زريـا
يطيـف بـه العـافـون يغشـون بـابَـهُ يـؤمّـون بحـراً لا نـزورا ولا صـربـا
فـواللهِ لا تنفـك نفسـي حـزينـةً تَمَلْمَلُ حتىٰ تصدقوا الخزرج الضربا

ولعل القارىء يستغرب إن لم يكن يستنكر توجع الرجل وتفجعه على ما حلّ بالقوم من فناء في بدر والجانب الإنساني له انعكاسه النفسي في مثل هذه المواقف يستوي في ذلك طالب بن أبي طالب وغيره من عامّة الناس ولنا من الشواهد على مصداقية ما ذهبنا إليه: ردُّ رسول ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ علىٰ مسلمة بن سلامة بن رقش الأنصاري حين قال لرسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ: إن لقينا العجائز صُلعا كالبدن المعلّقة فنحرناها. . . وقول النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ له: يا بن أخي اولئك الملأ من قريش[١]. أو قوله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها»[٢] وما وقفة علي (ع) على طلحة يوم الحمل وقوله: «أعزز عليَّ أبا محمد أن أراك مُعفَراً تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية»[٣] ببعيدة عن ذاكرة الوعاه.

إن المتتبع لسيرة طالب بن أبي طالب يرىٰ اضطراباً كثيراً فيما يروىٰ حول مصيره بعد معركة بدر ضمن الروايات ما يؤكد رجوعه إلى مكة معَ

وقال: «هذا الشاهد عن كلام طالب بن أبي طالب أخي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن عم النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ من كلمة يمدح بها النبي صلوات الله وسلامه عليه ويبكي فيها على من قتل ببدر من قريش».

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٩١.
(٢) المبرّد/ الكامل/ ج ١/ ص ٢٤٢/ الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٧.
(٣) نفس المصدر/ ج ١/ ص ١٤٦.

مَن رجع[1] ومنها ما يشير إلى أنه لم يرجع إلى أهله أو فقد ولم يعرف له خبر[2] ثالثة تقول باختطاف الجن اياه[3] ورابعة نقول بانتحاره غرقا[4] ولعل الأولى اقربها إلى العقل وأوفقها إلى المنطق وأميلها إلى طبائع الأشياء لأن ما سواها لا يمتلك مقومات الحجيّة ازاء ما يمكن أن يوجه إليها من نقودٍ طعون فهي إلىٰ مرجمات الطعون أقرب «إن الظن لا يغني من الحق شيئاً»[5].

وكما اضطربت تلك الروايات في مصيره تضطرب هي الأخرى في إسلامهِ ولدىٰ تتبعي لسيرة الرجل فيما تيسر بين يدي من المصادر وجدت أن الكثير منها ينسب طالباً إلى الكفر وإن منشأ تلك النسبة هو الجهل بإسلامه ولنا على ذلك ملاحظتان:

الأولى: ان عدم العلم بإسلام امرىء لا يمكن أن يقوم دليلاً علىٰ القطع بكفره.

الثانية: إن عدم علم امرىءٍ لا يكون بحالٍ مانعاً عِلمَ غيره... فتأمل.

فمِن كل ما تقدم مع ملاحظة قرائن الحال والمقال التي سأعرضُ لها باقتضاب نستطيع أن نتبين حقيقة هذا الرجل فنحكم له أو عليه وإذا ما عدمنا الحكم العدل فليحكمنّ فيه وجداننا...

---

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٢٧١، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩.

(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ١٨٧، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٨٥، وابن شهر اشوب/ مناقب آل أبي طالب/ ج ١/ ص ١٦٢، والطبري/ تاريخ الرسول الملوك/ ج ٢/ ص ٤٣٩ نقلاً عن ابن الكلبي.

(٣) الجاحظ/ الحيوان/ مج٢ ـ ٧/ ص ٤٥٩، والجاحظ/ رسائل الجاحظ/ ج ٢/ ص ٣٧٣.

(٤) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٠.

(٥) النجم الآية: ٢٧.

١ ـ النزعة الإيمانية الحنيفيّة الّتي لمسناها في شعره في وقعة الفيل.

٢ ـ معالنته قريشاً البراءة من المشركين وما كان بينه وبين القوم من مرادده ثم صرفه عن ساحة الصراع في بدر.

٣ ـ مدحه رسول ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ وأنه: أشرف الورىٰ، وخير بني هاشم، ورسول الاله على فترة من الرسل.

٤ ـ هجرته إلى الشعب وحصره فيمن أُحصِر.

٥ ـ ضمانة أبي طالبٰ بعدم خذلاله وأولاده له ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ في أبيات منها[1]:

واللهِ لا أخــذل النبــي ولا يخــذلــه مــن بَنــيَّ ذوحســب

٦ ـ ما ذهبنا إليه في وصية أبي طالب لابنه من لزوم النصرة والمؤازرة والمفاداة.

٧ ـ ما روي عن أبي عبد الله (ع) من أن طالباً: كان أسلم[2].

٨ ـ ما ذكره العلامة ابن خلدون في كتابة «العبر وديوان المبتدأ والخبر» قال: «فلما هلك أبو طالب وهاجر بنوه مع رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ وحمزة كذلك ثم من بعده العباس والكثير من بني عبد المطلب وسائر بني هاشم»[3].

٩ ـ نهيه ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ عن الحاق الأذىٰ ببني هاشم في بدر ودعاؤه بنجاة المستضعفين من المؤمنين.

---

(١) ابن الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ٧٦.
(٢) الكليني/ الروضة من الكافي/ ج ٨/ ص ٣٧٥.
(٣) المغربي/ ج ٣/ ص ٣.

١٠ ـ ما رواه جابر بن عبد الله، صاحب رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ عنه فيما شاهده ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ في الليلة التي أسري به فيها إلى السماء من الأنوار الأربعة وسؤاله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ رب العزة تقدست اسماؤه عنها وجوابه جلّ وعزّ هذا عبد المطلب وهذا أبو طالب وهذا أبوك عبد الله وهذا أخوك طالب... من كلام طويل ذكره المهزمي العبدي[1] في كتابه «ديوان شيخ الأباطح أبي طالب».

ولم يشر أحد من المؤرخين ـ فيما أعلم ـ إلى وفاته زماناً أو مكاناً كما لم أعثر فيما أتيح لي من المصادر عن وجود عقب له وبذلك قطع السويدي[2] وابن عنبه[3] والنويري[4] واسقطه من عداد بطون أبي طالب.

---

(١) ابو هفان/ ص ١ وهو من الشعراء المشهورين المذكورين وشعره موجود بكل مكان ذكر ذلك ابن المعتز في طبقات الشعراء ص ١٠٤.
(٢) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب/ ص ٧١.
(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٠.
(٤) نهاية الأرب/ ج ٢/ ص ٣٦٠.

الفصـل الثاني



عقيل بن أبي طالب

أبو يزيد[1]، عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي شريف المئزر، كريم العِرق مخول معمّ، كان أبو طالب يحبه أكثر من سائر بنيه[2] ولعل السيدة الفاضلة أمه كانت تتوسم في عرينه الشهم، فكانت تهدهده وتناغيه صغيراً:

أنـــت تكـــون مـــاجـــد نبيـــل   اذا تهـــبّ شمـــأل بليـــل[3]

---

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥، وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠، ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٢.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠.

(٣) البيت من شواهد النحو في ألفية ابن مالك/ ج ١/ ص ٢٩٢، ويورد ابن عقيل في شرحه بهامشها البيت السابق مع ما قبله هكذا:

إن عقيـــلاً كـــاسمـــهِ عقيـــل   وبيبـــي الملفـــف المحمـــول

أنـــت تكـــون السيـــدَ النبيـــل   إذا تهـــب شمـــأل بليـــل

يعطي رجال الحي أو ينيل

وكما أفاد الشارح فالبيت لام عقيل بن أبي طالب تقوله وهي ترقص ابنها عقيلا. والذي صادفته في الزركلي/ ج ٥/ ص ٩ من الأعلام أن: بهاء الدين بن عقيل، وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي من أئمة النحاة من نسل عقيل بن أبي طالب (وهو شارح الألفية).

ولقد كان كذلك ماجداً ونبيلاً، وشجاعاً فارساً ذا مقول صارم ولسان عضب كم انكى به عدوه، عالماً بانساب قريش مثالبها ومآثرها والأمهات وكان الناس يأخذون ذلك عنه بمسجد المدينة وكان سريع الجواب المسكت[١].

ويحسن أن أذكر أن في قريش أربعة يتحاكم الناس اليهم في المنافرات وهم: عقيل بن أبي طالب ومخرمة وحويطب وأبو جهم[٢] ويعتبر عقيل من أشدهم عارضة واحضرهم مراجعة في القول وأبلغهم في ذلك[٣] وكان يعد المساوىء[٤] وله طنفسه كانت تطرح في مسجد النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ فيصلي عليها ويجتمع إليه الناس[٥] حتى أن أخاه علياً (ع) لم يتردد في استشارتهِ باختيار زيجة له قائلاً: «انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً»[٦] فأشار عليه بأن يتزوج أم البنين الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها[٧].

وكان عقيل بن أبي طالب هو الآخر فيمن أخرجته قريش إلى بدر كرهاً وقد أسره يومئذٍ: عبيد[٨] بن

---

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالة من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥، وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤. والجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ١٧٠.

(٢) ابن حجر/ الإصابة الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥١ وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٥، والزركلي/ الأعلام/ ج ٥/ ص ٣٩.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٥.

(٤) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥ وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤.

(٥) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٤ وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤.

(٦) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٥٧.

(٧) نفس المصدر/ ص ٣٥٧.

(٨) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٢/ ص ٣٤٣.

أوس[1] الظفري[2].

وقيل: إن علياً (ع) مرَّ به وهو أسير فأشاح بوجههِ عنه، فقال له عقيل: «واللهِ لقد رأيتني ولكن عمدا تصد عني»[3] فجاء علي (ع) إلى النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ فقال: «يا رسول الله هل لك في أبي يزيد مشدودة يداه إلىٰ عنقه بنسعهِ»[4] فانطلق معه رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ حتى وقف عليه فلما رآه عقيل قال: «يا رسول الله إن كنتم قتلتم أبا جهل فقد ظفرتم وإلا فادركوا القوم ما داموا بحدثان فرحتهم»[5] وقيل: إن النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهي به إلى المدينة: «يا عباس افد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب»[6] قال ابن أبي الحديد نقلاً عن ابن إسحاق قوله: «وكان رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ لما استشار أبا بكر وعمر وسعد بن معاد في أمر الأسارىٰ، غلظ عمر عليهم غلظة شديدة فقال: يا رسول الله أطعني فيما أُشير بهِ عليك، فإني لا آلوك نصحاً، قدمْ عمك العباس فاضرب عنقه بيدك، وقدمْ عقيل إلى علي أخيه يضرب عنقه وقدمْ كل أسيرٍ منهم إلى أقرب الناس إليه يقتله قال: فكره النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ ذلك ولم يعجبه»[7] وذكر أن النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله

(١) نفس المصدر/ ج ٢/ ص ٣٤٣، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ١٩٩.
(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ١٩٩.
(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٤.
(٤) نفس المصدر/ ص ١٥٤.
(٥) المصدر السابق نفسه/ ص ١٥٤.
(٦) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٤/ ص ٢١٠، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٦٥ باختلاف يسير.
(٧) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٢/ ص ١٨٣ والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٧٤ ــ ٤٧٥.

وسلم ـ مال إلىٰ رأي أبي بكر في الفدا والاستبقاء[1].

في سياق تفسيره للآية: ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرىٰ﴾[2] قال السيد عبد الله شُبَّر: «إنها نزلت في العباس وعقيل ونوفل»[3]. وروىٰ الإمام الحافظ بن شهر اشوب عن أبي معاوية الضرير عن الأعمش عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿هو الذي أيدك بنصره أي بقومك بأمير المؤمنين وجعفر وحمزة وعقيل[4].

وزوجة عقيل: فاطمة بنت عتبة بن ربيعة، بن عبد شمس العبشمية، أخت هند أم معاوية[5]. قال ابن حجر[6] في الإصابة بسند صحيح: «تزوج عقيل بن أبي طالب فاطمة بنت عتبة بن ربيعة» وذكر[7] أيضاً عن علي (ع) قوله: «اهدي إلى رسول ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ حُلّة استبرق فقال: اجعلها خمُرا بين الفواطم، فشققتها أربعةَ أخمرة: خماراً لفاطمة بنت رسول الله وخماراً لفاطمة بنت أسد وخماراً لفاطمة بنت حمزة ولم يذكر الرابعة [قال ابن حجر] قلت: ولعلها امرأة عقيل».

وعلى الرغم من واشجة الزوجية التي تشجُّ الزوجين إلا انها ربّما وجدت على عقيل حين يطوف بها طائف ذكرىٰ مصارع أهلها في الجاهلية فكانت تجبهه بقولها: «يا بني هاشم لا يحبكم قلبي ابداً، أين أبي، أين عمي. أين أخي كأنَّ أعناقهم أباريق فضةَ ترد آنافهم الماء قبل

---

(١) ابن حزم/ الفصل في الملل والأهواء والنحل، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ٤٧٥،

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

(٣) تفسير شبر/ ص ١٩٨.

(٤) مناقب آل أبي طالب/ ج / ص ٣٤١.

(٥) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء السابع من ثمانية أجزاء/ ص ١٦٤، ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤.

(٦) نفس المصدر/ الجزء السابع من ثمانية أجزاء/ ص ١٦٤.

(٧) نفس المصدر السابق/ الجزء السابع من ثمانية أجزاء/ ص ١٦٤.

شفاههم»[1] ويحسبك ما لم تستطع كتمانه فجرى على لسانها من إرادة العام في حين أن المقام يقتضي الخاص. وكان عقيل يرد عليها بما لم تحر معه جواباً: «إذا دخلت جهنم فخذي عن شمالك»[2].

وقيل: إن زوجته ــ موضوع الحديث ــ أتت عثمان بن عفان يوماً فشكته عقيلاً، فبعث عبد الله بن عباس ومعاوية حكمين، فقال ابن عباس: لافرّق بينهما وقال معاوية: ما كنت لافرّق بين سِمحتيٍ من قريش، فلما أتياهما وجداهما قد أغلقا بابهما واصطلحا[3].

ومن الملاحظ انّ عقيل بن أبي طالب كان له عدة زوجات بما فيهن من تسراهُنّ من الجواري. فيما سنعرض له ضمناً عند حديثنا عن بني عقيل وعن تسرّيهِ إحداهن يقول عقيل نفسه: ذكروا الجواري فالتفت إليَّ يزيد وقال: إيهِ يا عقيل فقلت:

أفاض القومُ في ذِكْرِ الجواري ... فأما الأعزبون فلن يقولوا

قال يزيد: إنك لم تبق عزباً فلما رجعت إلى منزلي إذا أنا بخادم قد أتاني ومعه جارية وفر من بيت وبدرة عشرة آلاف درهم[4].

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل قال: «تزوج عقيل بن أبي طالب فخرج علينا فقلنا له: «بالرفاء والبنين». فقال: مه لا تقولوا ذلك؛ فإن النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ نهى عن ذلك، وقال: قولوا: «بارك

---

(١) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٥، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٢، علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٤، والأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٧/ ص ٢٠١ باختلاف يسير.

(٢) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٥، والأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠١، ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٢.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٤.

(٤) الأبشيهي/ المستطرف في كل من مستظرف/ ج ١ ــ ٢/ ص ١٦١.

الله لك وبارك عليك وبارك لك فيها»»[1].

ولعقيل دار بالمدينة معروفة[2]. وأخرىٰ في مكة أورد ذكرها القطبي[3] في مورد حديثه عن دار خديجة (رض) قال: «ويستجاب الدعاء في دار خديجة أم المؤمنين (رض) وهو معروف الآن في مكة ويعرف بمولد السيدة فاطمة (رض) لأنها ولدت فيها وهي وجميع أولاد خديجة من النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ وتوفيت بها ولم يزل ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ ساكناً بها إلى أن هاجر إلى المدينة فأخذها عقيل بن أبي طالب».

قال جدنا[4]: «وكان عقيل بن أبي طالب قد باعَ دور بني هاشم المسلمين بمكة وكانت قريش تعطي من لم يسلم مال من أسلم فباع دور قومه حتى دار رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ فلما دخل رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ مكة يوم الفتح قيل له: ألا تنزل دارك يا رسول الله فقال: وهل ترك لنا عقيل من دار» وفي النبوي وابن الأثير[5] أن مولد النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ كان بالدار التي تعرف بدار ابن يوسف وأن النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ وهبها عقيل بن أبي طالب فلم تزل في يدهِ حتىٰ توفي فباعها ولده من محمد بن يوسف أخي الحجاج. كما ذكر السيد[6] في درجاته الرفيعة: أن أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، ابن عم النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ وأخاه من الرضاعة دفن عند موته في دار عقيل.

---

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٦.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠.

(٣) إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام/ ص ١٥٤.

(٤) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٤.

(٥) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٢/ ص ١٥٦. الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٢٧٠.

(٦) علي خان/ ص ١٦٦.

إن شرف بنبوته عقيل الشامخ وعز أرومته الباذخ من جهة ومماسته اليومية والتفصيلية وطبقات مجتمعه وملابسته الناس على قدر أخلاقهم واستعداده النفسي الخاص ــ كما تقدم ــ جعل من عقيل بن أبي طالب رجلاً أصيل الرأي والعقل حتى بذَّ بهما أصحابه فكان الموئل والمفزع حينما استغلق على الناس فهمه واعصوصب أمره، من ذلك ما روي عن انتداب الخليفة عمر بن الخطاب (رض) عقيلاً وآخرين معه لتدوين الدواوين بعد أن أشار الوليد بن هشام بن المغيرة على عمر بأن يفيد من تجربة ملوك الشام في هذا المجال. وفي ذلك يقول الوليد: «جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً وجندوا جنداً فدون ديواناً وجند جنداً فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من لسان قريش فقال: اكتبوا الناس على قدر منازلهم. فبدأوا ببني هاشم»[1] وروي أن عمر بن الخطاب لما وضع الديوان استشار بمن يبدأ فقالوا: «ابدأ بنفسك، قال: لا، ولكني ابدأ بالأقرب فالأقرب من رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ وقال: إنَّ رسول الله إمامنا فبرهطه نبدأ. فوالله ما أدركنا العقل في الدينا وما نرجو الثواب على عملنا إلا بمحمدٍ ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ فهو شرفنا وقومه أشرف العرب[2].

وفي إسلام عقيل بن أبي طالب أقوال: فقد قيل: إن إسلامه كان تأخر إلى عام الفتح وقيل: بعد الحديبية وإنَّ هجرته كانت في أول سنة ثمان[3] وقيل: إنَّه شهد غزوة مؤتة ولم يسمع له ذكر في الفتح وحنين وكأنه كان مريضاً[4] وأورد جدنا[5] ــ قدس سره ــ في إسلامه قولين:

---

(١) البلاذري/ فتوح البلدان/ ص ٤٣٦.
(٢) نفس المصدر/ ص ٤٧٦.
(٣) ابن حجر الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥.
(٤) نفس المصدر/ ص ٢٥٥.
(٥) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٤.

الأول: إن عقيلاً لما فدي. عاد إلى مكة ثم أقبل مسلماً مهاجراً قبل الحديبية وشهد غزاة مؤته مع أخيه جعفر (ع).

والثاني: إنه لم يعد إلى مكة بل أقام مع النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ وشهد معه المشاهد كلها، ثم يستدرك ليقول: «والأول أصح».

وروي: أن رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ قد أعطاه من خيبر مائة وأربعين وسقاً كل سنة[1]. وفي حبّ النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ لعقيل ما روىٰ غير واحد قوله صلوات الله عليه: «يا عقيل احبك حبين حباً لقرابتك وحباً لحب عمي أبي طالب إياك»[2].

كما وقع ذكره في الصحيح في مواضع[3] وأخرج النسائي وابن ماجة له حديثاً[4] وذكره الشيخ الطوسيّ[5] في رجاله في أسماء الرواة عن عليّ (ع)، وروىٰ له هشام بن محمد الكلبي عن أبيه عن أبي صالح[6] وذكره أبو عبد الرحمن السلمي[7] في سؤالاته للدارقطني في الجرح والتعديل.

وحدّث عنه سعيد بن أبي هند عن أبي مرّة مولىٰ عقيل وذكر ذلك ابن هشام[8] عن ابن إسحاق. وكذلك النجاريّ[9] بطريق آخر عن أبي مرة أيضاً

---

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ١٤.
(٢) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٦٤ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠ والقندوزي الحنفي/ ينابيع المودّة/ ص ١٥٤.
(٣) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥.
(٤) نفس المصدر/ ص ٢٥٥.
(٥) ص ٤٨.
(٦) الآلوسي/ بلوغ الأرب/ ج ٣/ ص ٤٧٥.
(٧) ص ٢٤٢.
(٨) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٥٣.
(٩) صحيح البخاري/ ج ١/ ص ٩٤.

عن عقيل، وعرض لذكره البلاذري[1] لدى حديثه عن حفائر مكة بما نصه: «وكان عقيل بن أبي طالب حفر في الجاهلية بئراً وهي في دار ابن يوسف» وورد اسمه في عداد المحصورين في شعب أبي طالب[2].

وفي تاريخ وفاة عقيل قولان:

أحدهما: انَّه توفي في خلافة يزيد قبل وقعة الحرَّة وثانيهما انَّه توفي في خلافة معاوية[3] وإلى الثاني يميل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة[4] والسيد علي خان المدني في الدرجات الرفيعة[5] وأخال رجحان الثاني أيضاً لما ذكره ابن أبي الحديد فإن استُصِحَ هذا القول فإن عقيلاً يكون قد توفيّ حينئذٍ بعد أن بلغ من السن ستا وتسعين سنة[6] أو ربما يكون قد أناف على مئة سنة[7].

ووجدت في التحقيق بهامش السيرة النبوية لابن هشام كلاماً مفاده أن عقيل بن أبي طالب سكن البصرة ومات بالشام[8] وهذا أمر لم يعنّ لي فيما بين يدي من المراجع إلا ما أورده الأبشيهيّ في مُستطرَفِه من قدومِه واسط بعد أن استقدمه الأمير يزيد بن المهلّب ولم يطل لباثه في واسط غير عشر ليالٍ[9] وابن أبي الحديد الذي ذكر أن عقيلاً خرج إلى العراق ثم إلى الشام

---

(١) فتوح البلدان/ ص ٤٣٦.
(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٤/ ص ٦٥.
(٣) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٢٥٥ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٥ والزركلي/ الأعلام/ ج ٥/ ص ٣٩.
(٤) ج ١١/ ص ٢٥٠.
(٥) ص ١٦٥.
(٦) نفس المصدر/ ص ٢٥٠.
(٧) الزركلي/ الأعلام/ ج ٥/ ص ٣٩.
(٨) ج ٣/ ص ٣.
(٩) المستطرف في كل فن مستظرف/ مج ١ ــ ٢/ ص ١٦١.

ثم عاد إلى المدينة[1] وفي (إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام) للقطبي صورة كتاب وقف قصر الواقف فيه موردَ وقفه على اكساء قبر الرسول ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ بالأستار تكريماً وتشريف مراقد الاتباع وستر مراصد الأشياع أيضاً بالأزار ومحراب قبة العباس وقبره وقبر عقيل بن أبي طالب[2].

(١) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠.

(٢) القسم الأول/ تواريخ مكة/ ص ١٧٤.

بين عقيل وعلي

كان عقيل بن أبي طالب ربيئةً لعلي ودريئة ولساناً حليفاً وعينا، وغير مراغم لعتاب ولا مفارق لِقلىٰ، لم يؤثر عاجل الدنيا على آجل والآخرة ولم يعدلُ بعلي سواه من الخلق فكم من موقف شدَّ فيه ظهر أخيه بصحيح بادرته، وكم من موطن نافح عنه فيه بجيّد نادرته وهو في هذا وذلك لم يتكعكع ولم يهَن.

استمع إليه في مجلس الخليفة عثمان بن عفان كيف أفلج الوليد[1] بن عقبة بن أبي معيط بلسان الصدق غضبا لله وللحق بعد نيل الأخير من أخيه علي (ع) قال عقيل: «إنك لتتكلم يا بن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت وأنت علجٌ من أهل صفورية»[2].

واستشرف مجلسه عند معاوية بن أبي سفيان كيف يوترُ قوسه ويرمي غرضه فلم يخطىء قصدُه ثأراً لأخيه (ع) بعد تعريض معاوية به وعندها لم يسع معاوية إلا الاذعان بالحق والتسليم للحقيقة والاعتراف: بأن محلَّ المجد من بني هاشم منوط في أبي يزيد ما تغيره الأيام والليالي[3] وهو أُربة عقدِ الأخاء ورؤية صدع الصفاء فما أن يبلغه ائتمار بعض القوم بأخيه

(١) الوليد بن عقبة بن أبي معيط: أخو عثمان لأمه وكان والياً على الكوفة.

(٢) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ١/ ص ٤٣٦.

(٣) نفس المصدر/ ج ٢/ ص ٧٥.

وخذلان أهل الكوفة له وتقاعسهم عن نصرته عقب غارة الضحاك الفهري على بعض أعماله (ع) حتى يسارع في انفاذ كتاب إليه يمحضه فيه نصحه ويمنحه مشورته وينابذ فيه عدوّه ويذمرُ نفسه على فوت الحرب، قال ابن أبي الحديد في شرح النهج/ ج ١١/ ص ٢٥٠: «وعرض نفسه وولده عليه فأعفاه ولم يكلفه حضور الحرب». وكان مما كتبه يومئذ: «فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد أبيك فعشنا معك ما عشت ومتنا معك إذا مت فوالله ما أحبُّ أن أبقىٰ في الدنيا بعدك فواقا»[١].

وكان مما أجاب به عليّ (ع) عقيلاً: «وأما ما عرضت من مسيرك إليَّ ببنيك وبني أبيك فلا حاجة لي في ذلك فأقم راشداً محموداً فوالله ما أحب أن تهلكوا معي أن هلكت ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الناس متخشعاً ولا متضرعاً انه لكما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني صبور على ريب الزمان صليب
يعزّ عليَّ أن ترى بي كآبة فيشمت عادٍ أو يساء حبيب»[٢]

وعلى الرغم من تصوير البعض لعقيل بن أبي طالب بصورة الرجل المحِك لكثرة ترداده على أخيه (ع) والإيغال في استرفاده واستزادته من العطاء ثم الانكفاء إلىٰ معاوية بن أبي سفيان فإن عقيلاً لم يترك نصح أخيه والتعصب له[٣] في حِلّه به وظعنه عنه ففي الحِلّ كان يجده خيراً

---

(١) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٠، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٥ الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٦/ ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣.

(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١١/ ص ٢٠٣ ــ ٢٠٤، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٧ وقال: وقد أورد الشريف الرّضي بعض هذا الكتاب الذي كتبه أمير المؤمنين (ع) جواباً لأخيه في نهج البلاغة إلا أن بين ما أورده ــ والقول لما يزل للسيد علي خان ــ وبين ما نقلناه اختلافاً يسيراً في العبارة.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٧.

لدينه[1] وفي ظعنه عنه كان يتركه على ما يحب الله ورسوله[2] وهو بين هذين: «قد جعل دنياه دون دينه وخشي الله على نفسه ولم تأخذه في الله لومة لائم» كما يقول عقيل[3] فمما لا جدال فيه أن علياً (ع) «كان شديد السياسة خشناً في ذات الله، لم يراقب أخاه عقيلاً في كلام جبّهه به»[4].

ان علياً (ع) كان يعطي فرضه، فإذا ما كان عطاؤه قليلاً فإنما هو لقلّةِ ما في يده وكثرته في يده عدوّهِ، ثم ان تلك الأموال التي كانت بين يديه إنما هي أموال الله لكل مسلم فيها حق ولكل ذي حاجةٍ فيها نصيب. يستوي عند علي في ذلك القريب والبعيد والقاصي والداني وليست ملكاً لابن أبي طالب طِلقاً يحتجنه فيما يحتجن، فما قيمة المال عنده إذن إن لم يُقم بِهِ حقاً ويدفع باطلاً ويرأب صدعاً. أوليس (ع) هو الذي يقول: «ما أزهد كثيراً من الناس في الخير، عجبت لرجل يجيئه أخوه[5] في حاجة فلا يرىٰ نفسه للخير أهلا، فلو كنا لا نرجو جنة، ولا نخاف ناراً، ولا ننتظر ثواباً، ولا نخشىٰ عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فانها تدلّ علىٰ سبيل النجاة»[6] لذلك فقد كان يصل أخاه بما اتسعت له كفاه واحتملَهُ ماله[7]، أفيحسبُ ذلك منه تقصيراً أم قصوراً؟

ومما روي عن عقيل بن أبي طالب: إنه قدم على عليّ (ع) الكوفة، فأنزله وأمرَ ابنه الحسنَ (ع) فكساه، فلما أمسىٰ دعا بعشائه فإذا خبز وملح وبقل، فقال عقيل: ما هو إلّا ما أرىٰ؟ قال: لا. قال: فتقضي ديني؟ قال:

---

(١) نفس المصدر/ ص ١٥٥.

(٢) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٥.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣.

(٤) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٤.

(٥) ان «الأخ» عند أمير المؤمنين علي (ع) اثنان، اما أخ في (الدين) أو نظير في (الخَلْق).

(٦) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٧/ ص ٢٧٩.

(٧) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣ من كلام لعقيل (ع): «نوصلني بما اتسعت له كفاه واحتمله ماله».

وكم دينك؟ قال: أربعون ألفاً. قال: ما هي عندي. ولكن اصبر حتى يخرج عطائي، فإنَّه أربعة آلاف فأدفعه إليك. فقال له عقيل: بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعطائك! فقال: أتأمر في أن أدفع إليك أموال المسلمين، وقد ائتمنوني عليها قال: فإنّي آت معاوية. فأذن له(١).

وعنه أيضاً، قال: «اقويت وأصابتني مخمصة شديدة، فسألته فلم تند صفاته، فجمعتُ صبياني وجئته بهم، والبؤس والضر ظاهران عليهم، فقال: ائتني عشيّة لأدفع إليك شيئاً، فجئته يقودني أحد ولدي، فأمره بالتنحي، ثم قال: ألا فدونك، فأهويت حريصاً قد غلبني الجشع أظنها صرّة ــ فوضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً، فلما قبضتها نبذتها، وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره فقال لي: ثكلتك أمك! هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا، فكيف بك وبي غدا أن سلكنا في سلاسل جهنم! ثم قرأ: ﴿إذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون﴾. ثم قال: ليس لك عندي فوق حقك الذي فرضه الله لك إلا ما ترى، فانصرف إلى أهلك»(٢).

وروي نحو ذلك مما هو كثير في مظانه من كتب التاريخ والسيرة، وليس في ذلك ما يعاب به عليٰ عليّ وهو الذي وترّ قربانه بعدانه في الله أو يعير به عقيل وقد أعوزَ وتحوّج وإنما هو عِظة بالغة لكل ذي لب ودرس خليق بأن يؤتسىٰ به في كل زمان ومكان. قال الاستاذ العلامة القرشي: لقد مثّل الإمام عليّ في عهده الفضيلة والمساواة والحق والعدالة حتّىٰ **ساوى** بين أخيه عقيل وبين غيره من طبقات الشعب، وقد ملأ (ع) التاريخ عظمة وافتخاراً بمآثره الطيبة التي هي عنوان لسلطان الحق والمساواة(٣).

لقد كان عليّ (ع) يقيس الأمور بمقياس الحق ويزنها بالقسطاس المستقيم لم يصانع ولم يلاين أحداً قَرُبَ إليه أو بعد منه والجميع علىٰ

---

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٥.

(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٣ ــ ٢٥٤.

(٣) القرشي/ حياة الحسين بن علي/ ج ١/ ص ١٩٢.

سويّة من الأمر عنده فلقد عنّف (ع) ولده الحسين ريحانة رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ وأوشك أن يحذفه بالدره لأنه (ع) أخذ مقسمه من زق عسل جاءهم من اليمن قبل غيره لضيف نزل به لولا أن يقسم على أبيه بحق عمّه جعفر وكان (ع) إذا سئل بحق جعفر سكن وقال له: ما حملك على أن أخذت منه قبل القسمة فقال (ع) إن لنا فيه حقاً قال فداك أبوك وإن كان لك فيه حق فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم أما لولا إني رأيت رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ يقبّل ثنيتك لأوجعتك ضرباً ثم دفع إلى قنبر درهما كان مصرورا في ردائه وقال: اشترِ به خير عسل تقدر عليه وجعل يبكي ويقول: اللهم اغفر للحسين فإنه لم يعلم[1].

واستعارت بنت أمير المؤمنين علي (ع) عقد لؤلؤ تتجمل به في يوم الأضحىٰ من علي بن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين (ع) فلما رآه عليها عرفه وأمرها ببرده ثم قال: ويل لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة، لكانت اذن أول هاشميّة قطعت يدها في سرقة وبخ ابن أبي رافع وتوعده بالعقوبة ان هو عاد إلى مثله[2]. قال صاحب الدرجات الرفيعة: «فهذه ابنته الجارية مجرى نفسه لم يحابها في دين الله ولا راقبها في حدود الله»[3].

وفي اختلاف عقيل إلى معاوية قولان:

الأول: باختلافه إليه في حياة أخيه واستدل القائلون بذلك بقول معاوية ــ وعقيل عنده يومئذ ــ هذا أبو يزيد، لولا علمه أني خيرله من أخيه لما أقام عندنا وتركه ومجاوبة عقيل له[4].

الثاني: بعدم عودته إلى معاوية إلا بعد وفاة أمير المؤمنين علي (ع)

---

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٥٩ وما بعدها.

(٢) البهائي/ الكشكول/ ج ٢/ ص ٢٦٧.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٧.

(٤) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥١ والجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٤.

واحتجّ بالكتاب الذي أنفذه عقيل إلى أخيه (ع) في آخر خلافته وجواب علي عليه[1].

وأظهر القولين عند ابن أبي الحديد الثاني وبه أخذ[2] كما نسب السيد الأمين[3] ــ قدس سره ــ إليه قوله: «إن معاوية وبَّخَ سعيد بن العاص على تأخره عنه في صفّين فقال سعيد: لو دعوتني لوجدتني قريباً ولكن جلست مجلس عقيل وغيره من بني هاشم ولو أرعبناك لارعبوا» وعنه[4] أيضاً: «إن عقيلاً كان بقي بأولاده في المدينة كما يدلّ قول سعيد بن العاص... وكتاب عقيل إلى أخيه الدالّ على أن عقيلاً كان بالحجاز مع أولاده عند غارة الضحاك التي كانت بعد الحكمين وأن أمير المؤمنين أمره بالإقامة بأولاده بالحجاز وعدم المجيء إلى العراق... وأن عقيلاً لم يذهب إلى معاوية في حياة أمير المؤمنين وإنما ذهب بعد موته ويدلّ على ذلك الكتاب والجواب كلام سعيد بن العاص».

أيّا كان الأمر فسواء اختلف عقيل إلى معاوية في حياة عليّ (ع) أو بعدها، فإنه ليسَ الرجل الوحيد الذي كان يطرق باب معاوية فتفتح له على مصراعيها فهناك الكثير من خيار الصحابة وصلحاء المسلمين ممن زخرت باسمائهم صفحات التاريخ فيمن وفد عليه أذكر منهم على سبيل المثال الحصَر: صعصة بن صوحان وشرّيك بن الأعور وعبد الله بن عباس والأحنف بن قيس وغيرهم، وكان لأولئك الرجال مواقف مع معاوية لما يزل الناس يتمثلونها.

ولعل الدافع الاقتصادي ــ وإن لم يكن الدافع الوحيد ــ هو أقوى الدواع التي كانت تستحثُهم نحو معاوية. فقلة الموارد الاقتصادية في

---

(١) أيضاً: ابن أبي الحديد/ ج ١١/ ص ٢٥١.
(٢) نفس المصدر/ ج ١١/ ص ٢٥١.
(٣) محسن/ أعيان الشيعة/ ج ٣/ ص ٤٩٠.
(٤) نفس المصدر/ ج ٣/ ص ٤٩٠.

الجزيرة العربية لا سيما الحجاز ووفرتها في بلاد الشام وكثرة الأموال بها واحتواء بني أميّة لها و «ذهاب تلك الأموال في جيوب عدد قليل من الناس بينما لا يحصل غيرهم على شيء»[1] كل ذلك كان يدفعهم لاستنقاذ أقواتهم من بين براثنِ سبع رحب المسرط رغيب والاجتهاد في تحصيل حقوقهم، التي قد استوثق منها بنو أمية «بالأبواب والأقفال»[2] ومن ذلك قول الأحنف لمعاوية: «إنا والله لا نلومك على ما في خزائن الله، ولكن علىٰ ما أنزله من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه»[3] وكان البعض يحاولُ معاوية مجاوزاً الحدَّ في الكذب في كثيرٍ من الأحيان وصولاً إلى مراده.

أفيكون بعد ذلك كله من الانصاف في شيء قول القائل:

فمن بسواك باعك فاغن عنه   كما استغنىٰ عليّ عن عقيل[4]

وهل يستصابُ ما نسب إلىٰ علي (ع) من القول إذ قولوه ما لم يقل: «ما زلت مظلوماً منذ كنت صغيراً، إن عقيلاً ليرمدُ فيقول: لا تذروني حتىٰ تذروا علياً، فاضطجع واذرىٰ وما بي رمد»[5] أفنسيَ اولئك الذين ذهبوا طولاً وعدموا معقولاً أن عليا (ع) يوم ولد كان لعقيل من العمر عشرون سنة فهل يتصور ذو مسكة أن إنساناً بلغ من العمر عشرين سنة يتأبّىٰ علىٰ طِبابِ علّتهِ حتى يرغّم أخاه الذي يصغره بكثير على دواءٍ له عنه غُنيه؟

وأيّاً كان الأمر فالذين كشحوا لعقيل بالعداوة لا بد وأنهم وضعوا هذا القول ونسبوه إلى عليّ كي يحطّوا من قدر عقيل ويتنقصوه كما ادعوا على أبيه وأخيه من قبل.

ومع كل ما تقدّم، فإننا لو افترضنا أنّ عقيل بن أبي طالب قد كان جاء

---

(١) ولهاوزن/ يوليوس/ الدول العربية وسقوطها/ ص ٥٣.

(٢) المبرّد/ الكامل/ ج ١/ ص ٣٨.

(٣) العاملي/ الكشكول/ ج ١/ ص ٣٦٢.

(٤) انظر الشرّبيني/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الأول/ ص ٢٢٥.

(٥) انظر تفصيل ذلك في «الشهيد مسلم بن عقيل» للمقرّم/ ص ٣٤.

بذنب واحد فإن محاسنه جاءت بألف شفيع، ولعلّ تلك المحاسن ـ لا كما توهم الجاحظ ـ هي التي كانت أطلقَ للسان الباغي والحساد فيه[1].

(١) انظر: الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٤.

وجها لوجه أمع معاوية!

ربما كنت تجنيت على عقيل فتوهمته على غير حقيقته ولو أمعنتَ في أمره لربما كنت التمست له العذر في انتجاعه معاوية فرب ملوم لا ذنب له أو: لعلَّ له عذراً وأنت تلوم فمن أَجدَبَ جنابُه انتجع ومن أقحط استرفد لكنّ عقيلاً في انتجاعه ينقذُ حقه ويُصحِرُ بما في قلبه وينكي في خصمهِ **نكايات** غليظة.

وهو وإن كان معاوية خيراً له في دنياه[1] فإنما كان يعطيه ــ كما يقول عقيل[2] ــ: مما لم يعرق فيه جبينُه ولم تكدح فيه يمينه رزقاً أجراه الله علىٰ يديه وهو المحاسب عليه لا محمودٌ ولا مشكور فيه ولم ينسَ أن يسأل الله خاتمة خير[3].

إن الذين كان يغشون مجلس معاوية لا يبعد أن يكونوا على أنماطٍ ثلاثةٍ ولكل نمطٍ خصوصياته النفسية واستعدادته الذاتية فمنهم: الهمج الرعاع الذين ينعقون بنعيق معاوية يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه ويقولون بمقولته لا يفرقون بين الحق والباطل والمفضول والفاضل والفضل

---

(١) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥١.
(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣.
(٣) نفس المصدر/ ص ١٦٣، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥١.

والنقصان والجمرة والتمرة. هو مع السلطان أطوع إليه من ظله ما دام يكفل لهم بحبوحة العيش، رغيفاً ساخناً ودراهم وكسوة ودعَة وحظوة ولو يكن طموحهم ليصل لأبعد من ذلك ولعلّ أمثل شاهد على هذا النمط هو في ذلك الرجل الذي جاء مغدّا يُهَنِّيءُ معاوية بتوليتهِ ابنه يزيداً ولياً للعهد قائلاً يا أمير المؤمنين: «إنك لو لم تولِّ هذا أمور المسلمين لأضعتَها»[1].

ومنهم: من كان علىٰ قدر من المعرفة ووفرة من القدرة على التمييز بين الأخماس والأسداس والمضرّ والنّافع والغث والسمين ولكنه يعيش حالة من التذبذب والتأرجح بين واقع الحقيقة وحقيقة الواقع فالأصفر الرنّان ملك عليه إحساسه وشعوره ورنينه صخَّ أذنيه وهيمن علىٰ مسامعه فهو في ظاهر الحال مع معاوية يتمسح بأعتابه ويمخضه ودّه لكنك ترىٰ إليه حين يخلو إلى من يثق به، يركن إلى سلامة طويته سيفاً مصلتاً ولساناً ناقماً وهو بين ذلك مغلوب علىٰ أمره. أصغ إليه وهو يسر في أذن صاحبه على عجالة ــ بعد أن نال بغيته من معاوية ــ هامساً: «إني لأعلمُ أنَّ شرَّ من خلقَ الله هذا وابنه ولكنه قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فلسنا نطمع في استخراجها إلا بما سمعت»[2] فيرد عليه صاحبه دهِشاً: «يا هذا أمسك فإن ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيهاً»[3].

أما النمط الثالث: فهم العناصر الذين يمثلون مراكز قويٍّ بحسب بنياتهم الاجتماعية وانتماءاتهم الطبقية مع توافرهم على قدر لا يستهان به من المكر والدهاء. مكنهم من مساومة معاوية وصولاً إلىٰ مطامحهم وغاياتهم، رائدهم في ذلك ولاية يولونها أو إمارة تناط بهم إدارة دفتها أو مسؤولية يرمىٰ إليهم بمقلادها ولسان حال الجميع يقول: يا حبذا الإمارة ولو علىٰ الحجارة...

---

(١) المبرد/ الكامل/ ج ١/ ص ٣٨.
(٢) نفس المصدر/ ج ١/ ص ٣٨.
(٣) نفس المصدر/ ج ١/ ص ٣٨.

وها هو واحد من اولئك يستعتب معاوية في أمور فيقول له: «ولولا مصرَ وولايتها لركبتُ النجاة منها فإني أعلمُ أن علي بن أبي طالب على الحق وأنا علىٰ ضده»[1].

وتأسيساً على ما سبق كان حضور نمط رابع أمراً لامتندح عنه ولا مصرف تملية طبيعة الواقع وتستلزمه مسئولية التكليف فلئن كان قُيّضَ لبني أميّة في غفلة من الزمن وغفوه من المسلمين وغياب الوعي وغيبوبة الضمير أن «يفلحوا في أن يحولوا إلى أنفسهم ثمرة حكم الدين»[2] فيملكوا الناس قهراً ويذلوهم كبراً ويستولوا بالباطل كذباً ومكراً تحت شعار الخلافة وأمرة المؤمنين المهتضمتين وهما أمران ليس لبني أمية فيهما إيراد ولا إصدار... وكان لا بد والحالة هذه لصوت الحق في ظل الواقع المحموم أن يصدح ليعلو ضجيج والباطل ولابد لألسنة الحقيقة أن تنطلق حليفةً بما يؤدي إلى فلح الطغاة حتىٰ يتفرى الليل عن صبحه ويسفر الحقُّ عن محضه.

لم يعهد معاوية هذا النمط من الرجال فيمن عرف من قبل وخبر، أيَداً ومروءة وعزة ونخوة وأنفة ونجدة... رجالاً لم يدالسوا ولم يجبنوا ولم يؤثروا سحق العاجل على الحلال من الآجل ولا العسل في جانب الباطل على العلقم في جانب الحق. وان علياً مع الحال المضيرة خير من معاوية مع المغيرة ولم يألوا جهداً في أمر بعرفٍ ونهي عن نكرٍ ودفاع عن فضيلة واستنقاذ حق مضيّع لا يقلل من عزائمهم في سبيل ذلك ارجاف مرجف ووعيد متوعد حتىٰ أن معاوية كان لا يملك نفسه أمام هذا النمط إلا أن يقول: «هكذا فلتكن الرجال»[3] وأمام انموذج آخر من اولئك الأفذاذ يودُّ معاوية لو أنه كان من صلبه[4].

---

(١) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٦٥.
(٢) ولهاوزن/ الدولة العربيّة وسقوطها/ ص ٥٣.
(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٧.
(٤) نفس المصدر/ ج ٢/ ص ٧٧.

ولم يكن عقيل إلا واحداً من اولئك الأماثل فلقد سدَّ بثباته وجلده وشدة عارضته علىٰ معاوية المخارج وأخذ عليه السبل بمقول الصدق الذي هو من السيف أقطع والحجة التي من السنان أنفذ، فكم من حقٍّ رصد له حتىٰ أصاب منه مِفصله ومن حقيقة قصد إليها بسهم حجته فلم يخطىء كبدَها. استمع إليه يخاطب معاوية غير هيّاب ولا وجل فيقول: «وايم الله يا معاوية لئن كانت الدنيا مهدتك مهادها وأظلتك بحذافير أهلها، ومدت عليك أطناب سلطانها، ما ذاك بالذي يزيدك مني رغبة ولا تخشعاً لرهبة»[1].

وذكر أن معاوية قال لعقيل يوماً: إنَّ علياً خافض لك قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك، فيجيب عقيل مدافعاً بقوارص الكلام عن أخيه فيقول: والله لقد أجزل علي العطيّة وأعظمَها ووصلَ القرابة وحفظها، وحسن ظنه بالله إذ ساءَ به ظنّك وحفظ أمانته وأصلحَ رعيته، إذ خنتم وأفسدتم وجرتم فاكفف لا أبالك فإنه عما تقول بمعزل[2].

ومن تمذّرِ نفس معاوية أن يطلب من عقيل في بعض الأيام أن يرقىٰ المنبر ليلعن علياً (ع) فيترقىٰ عقيل المنبر ليقول بعد حمدِ الله والثناء عليه: «أيها الناس إن معاوية أمرني أن ألعن علياً فالعنوه فعليهِ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[3] فلما نزل قال له معاوية: إنك لم تبين يا أبا يزيد من لعنت، قال عقيل: والله لا زدت حرفاً ولا نقصت آخر والكلام إلىٰ نيّة المتكلم[4]. عندها يتغيظ معاوية ويغضب لكنه غضب الخيل على

---

(١) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠١.
(٢) نفس المصدر/ ج ٣/ ص ٢٠٠، ومحمد أحمد جار المولىٰ وآخرون/ قصص العرب/ ج ١/ ص ٢١٣.
(٣) أيضاً الأندلسي/ ج ٣/ ص ٢١٦.
(٤) نفس المصدر/ ج ٣/ ص ٢١٦، والأبشيهي/ المستطرف/ مج ١ ــ ٢/ ص ٤٣، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦١.

اللجم . . .

كثيراً ما حاول معاوية أن يخطب ودَّ عقيل وأن يستميله فيغريه بالمال العظيم والمنزل الرافه والحفاوة البالغة ليستعديه بكلِّ ذلك على أخيه فلم يظفر بطائل وكانت جميع محاولاته تبوء بذريع الفشل، روي: أنَّ معاوية قال لعقيلٍ هل من حاجة فأقضيها لك، قال عقيل: نعم جارية عرضت عليَّ وأبىٰ اصحابها أن يبيعوها إلا بأربعين ألفا، فأحبَّ معاوية أن يمازحه فقال: وما تصنع بجارية قيمتها أربعون ألفاً، وأنت أعمىٰ تجتزىء بجارية قيمتها خمسون درهماً، قال عقيل: إني لأرجو أن اطأها فتلد لي غلاماً إذا أغضبته يضرب عنقك بالسيف، عند ذلك لم يسع معاوية إلا أن يضحك ويقول: مازحناك يا أبا يزيد[1]. وروي أن عقيل بن أبي طالب غدا يوماً عند معاوية وذلك بعد وفاة عليّ (ع) وصلح الحسن (ع) وكان يحيط بمعاوية جلساؤه فقال: يا أبا يزيد أخبرني عن عكسري وعسكر أخيك فقد كنت وردت عليهما قال: أخبرك مررتُ والله بعسكر أخي فإذا ليلهُ كليلِ رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ ونهاره كنهار رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ إلا أن رسول الله ليس في القوم ما رأيتُ إلا مصلياً ولا سمعت إلا قارئاً ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفرَ برسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ ليلةَ العقبة ناقته ثم أخذ يسأل معاوية عمن معه فقال: هذا عمرو بن العاس وهذا الضحاك بن قيس الفهريّ وهذا أبو موسىٰ الأشعري فطفِق عقيل يثلبهم واحداً واحداً ويذكر مناقِصَهم فلما رأىٰ معاوية أنه قد أغضب جلساءه فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من السوء فيذهب بذلك غضب جلسائه قال: يا أبا يزيد ما تقول فيَّ؟ قال: دعني من هذا قال: لتقولن قال: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة قال: قد أخبرتك، ثم قام فمضى[2].

(١) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥١.
(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ج ١٦٠ ــ ١٦١.

يحاوية معاوية جاهداً أن ينتزع من عقيل أية كلمة يستشف منها النيل من علي (ع) ويستشعر منها التعريض به وحين يشعر بالإحباط والخيبة وأن بينه وبين ما يأملُ خرط القتاد... يلجأ إلى وسيلة أخرى وهي أن يستفزّ عقيلا ولم تكن هذه بأوفر حظاً من سابقتها، من ذلك ما ذكر عن عقيل من أنه دخل على معاوية وقد كان كف بصر الأول فأجلسه معاوية علىٰ سريره ثم قال له: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال عقيل: وأنتم معشر بني أميّة تصابون في بصائركم[1].

ودخل عقيل بن أبي طالب على معاوية فقال الأخير لأصحابه: «هذا عقيل عمه أبو لهب قال له عقيل: وهذا معاوية عمته حمالة الحطب. ثم قال: يا معاوية إذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار فإنك ستجد عمي أبا لهب مفترشاً عمتك حمالّة الحطب فانظر أيهما خير الفاعل أو المفعول به»[2] إلى كثير من هذا اللون.

ومن أمثلة استفزاز معاوية عقيلاً أنه قال له يوماً: «والله إن فيكم لخصلة ما تعجبني يا بني هاشم؟ قال: وما هي؟ قال: لين فيكم، قال: لين ماذا؟ قال: هو ذاك قال: إيانا تعيّر يا معاوية أجل والله أن فينا للّيناً من غير ضعف وعزّا من غير جبروت وأما أنتم يا بني أميّة فإن لينكم غدر وعزكم كفر قال معاوية: ما كل هذا أردنا يا أبا يزيد. قال عقيل:

لذي اللبّ قبل اليوم ما تقرع العصا   ومـا علـم الإنسـان إلا ليعلمـا»[3]

(١) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠٠، والزبيدي/ تاج العروس/ ج ٣/ ص ٤٨ إلا أنه ينسب الحوار إلىٰ ابن عباس ومعاوية طبقاً لحديث لابن عباس بهذا الخصوص كما يوافقه البهائي في الكشكول/ ج ١/ ص ١٩٣ الرأي.

(٢) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠٠، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١١/ ص ٢٥٢، باختلاف يسير وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٢.

(٣) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠٠ ــ ٢٠١، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦١ ــ ١٦٢.

ودخل عتبة بن أبي سفيان على معاوية وعنده عقيل فوسع معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما فقال عقيل: من هذا الذي أجلست بيني وبينك؟ قال معاوية: أخوك وابن عمك عتبة قال: أما إنَّه إن كان أقرب إليك مني إني لأقرب لرسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ منك، ومنه، وأنتما مع رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ أرض ونحن سماء. قال عتبة: يا أبا يزيد أنت كما وصفت ورسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ فوق ما ذكرت وأمير المؤمنين عالم بحقك ولك عندنا مما تحب أكثر مما لنا عندك مما تكره[1]. ولما لم يفلح معاوية في وسيلته هذه أيضاً يلجأ إلى اغراء جلسائه بعقيل كي يعيبه ويفحمه، من ذلك مقالة الوليد بن عقبة لعقيل في مجلس معاوية: «غلبك أخوك يا أبا يزيد على الثروة قال: نعم واستبقني وإياك إلى الجنة قال: أما والله أن شدقيك لمضمونان من دم عثمان فقال وما أنت وقريش والله ما أنت فينا إلا كنفح التيس فغضب الوليد وقال والله لو أن أهل الأرض اشتركوا في قتله لأرهقوا صعوداً وأن أخاك لأشد هذه الأمة عذاباً فقال: صهْ والله إنَّا لنرغب بعبد من عبيده عن صحبة أبيك عقبة بن أبي معيط»[2].

لقد كان عقيل يفوت مرة بعد أخرىٰ على معاوية فرصه وكثيراً ما اعياهُ حتىٰ أنه كان يلجأ أحياناً إلىٰ أن يقطع علىٰ عقيل كلامه «مخافة أن يأتي بشيء يخفضه»[3] أو يعزم عليه لما يمسك فإنه لم يجلس لهذا[4].

وربما لجأ إلىٰ التهديد والوعيد أحياناً أُخر من ذلك قوله لعقيل بعد أن أمعن فيه تبكيت معاوية وافحامه: «أما والله يا ابن أبي طالب لولا أن يقال عجلَ معاوية لخرق ونكل عن جواب لتركت هامتك أخفّ على أيدي

---

(١) أيضاً/ الأندلسي/ ج ٣/ ص ٢٠٠.
(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٢.
(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٥.
(٤) نفس المصدر/ ص ٧٥.

الرجال من حولي الحنظل فأجابه عقيل:

عـذيـرك منهـم مـن يلـوم عليهـم	ومن هـو منهم في المقـالـة أظلـمُ
لعمـرك مـا أعطيهـم منـك رأفـة	ولكـن لأسبـاب وحلـوك علقـمُ
أبـى لهـم أن ينـزل الـذلّ دارهـم	بنـو حـرّة زهـر وعقـل ومسلـمٌ
وإنهـم لـم يقبلـوا الضّيـم عنـوة	إذا ما طغى الجبار كانوا همُ همُ
فدونك ما أسديت فأشدد به يداً	وخيركمُ المبسوط والشر فالزموا»[1]

وكان معاوية قد أمر له بمائة ألف درهم فرمىٰ بها عقيل بن أبي طالب ونفضَ ثوبه وقام ومضىٰ فلم يلتفت إلىٰ معاوية[2].

وروي أيضاً أن معاوية قال لعقيل: يا أبا يزيد كيف تركت علياً فقال: «تركته علىٰ ما يحبّ الله ورسوله وألفيتك علىٰ ما يكره الله ورسوله»[3] فقال معاوية: «لولا أنك زائر منتجعٌ جنابنا لرددت عليك يا أبا يزيد جواباً تألم منه»[4].

وللأسباب التي أشار إليها عقيل بن أبي طالب والتي لا تخفىٰ على معاوية أيضاً نجد: أن معاوية استعطفه بعد ذلك ولم يُبدِ له إلا المحبة وكان يحتمل له ما يجبهه بهِ يدل على ذلك ما رواه الزمخشري في ربيع الأبرار أن معاوية كتب إلى عقيل يعتذر إليه من شيء جرى بينهما: أما بعد يا بني عبد المطلّب فأنتم والله فروع قصي ولباب عبد مناف وصفوة هاشم فأين أحلامكم الراسية وعقولكم الكاسية وحفظكم الأواصر وحبكم العشائر ولكم

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣.
(٢) نفس المصدر/ ص ١٦٣.
(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٥.
(٤) نفس المصدر/ ص ٧٥.

الصفح الجميل مقرونان بشرف النبوة وعز الرسالة وقد والله ساءني ما كان جرىٰ ولن أعود لمثله إلى أن أغيب في الثرىٰ، فكتب إليه عقيل (رض): صدقت وقلت حقاً غير إني:

أرى أن لا أراك ولا تــرانــي ولست أقول سوءً في صديقي
ولكنّي أصدّ إذا جفاني

فركب إليه معاوية وناشده الصفح وأجازه مائة ألف درهم حتّىٰ رجع[1].

قال الأستاذ العقاد: وقد اجتمع من سجال بني هاشم وخصومهم في مجلس معاوية ما ينعقد به سجلٌ خاص في مأثورات الحوار في كلّ مقام... أناس من ذوي السلطان المحدث يعلمون هو أن أقدارهم مع بني هاشم وآل النبي وصفوة قريش، ويلذ لهم أن ينعموا بالسلطان وأن «يجتروا» تلك النعمة حيثما وسعهم اجترارها في حضرة وليهّم وعلىٰ مسمع من السادة الأعلين الذين غلبوا على ذلك السلطان، وأن وليّ الأمر نفسه ليحب ذلك ولكنه يعلمُ أنه مركب غير مأمون، وأن الموتورين إذا سمعوا ما يكرهون فردوه بمثلهِ فما في وسعهِ أن يواجه العالم الإسلامي كلّ يوم بشهيد من آل البيت. فسبيله أن يصطنع المخالفة لجلسائه وأن يحذرهم مغبّة اللهو بهذه الملهاة ولا أمان فيها من لسن القومِ وأنفتهم التي لم تخذلهم قطّ في مقام المناظرة والتحدي من زمن قديم. فإن أصيب جلساؤه فعليهم وزرٌ عملهم وليس لهم أن يطالبوه بالاقتصاص لهم من أمر قد اختاروه على خلاف رأيه، وان سلم اولئك الجلساء فقد شفوا صدره من اولئك الموتورين.

وتكاد القصص مع بني هاشم في مجلس معاوية تجري كلها على وتيرة واحدة: رجل من آل البيت يدعى إلى المجلس أو يأتي إليه في أمر

---

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٣ وما بعدها.

من أموره فيغرى به جليس من الحاشية يتحرش به ويستثيره فيجاب بما هو أهله، ويتغاضب معاوية على الجليس فيلومه إذا بلغ الجدال والمحال فصل المقال، وما نرى أن الملهاة كلها كانت مدبّرة لكي تنتهي إلى خاتمة أخطر من هذه الخاتمة. وماذا عليهم إذا استطال الموتورون بالمقال وهم يستطيلون بالسلطان؟[1].

فلماذا يكون عقيل ـ وعقيل وحده ـ مظنَّة شبهة وموضع ريبة ومحل همزٍ ولمزٍ.

قد علمت أن بين زوج عقيل بن أبي طالب وأم معاوية بن أبي سفيان رحماً ماسّه وذلك هو السبب الذي يعزوه ابن الأثير في سيره إلى معاوية[2] هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن عقيلاً هو من ذؤابة هاشم فنسبه من الشمس أسطع، وشرفه من هام الثريا أرفع، وفي ذلك يقول الجاحظ: «وله بعدُ لسانه ونسبه واربه وجوابه، فلما فضل نظراءه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه بها أطول»[3].

فالذي يكون بهذه المنزلة الرفيعة مع رصانة الرأي وأصالة العقل ليس من المنطق في شيء أن تحول بينه وبين اداء رسالته حدود الجغرافيا كما لا ينبغي أن ينتظر لاجتيازها تصريحاً بذلك، من هنا كان وجوده في مجلس معاوية بمنبر للتوعية والتوجيه أشبه فلم يدع نهزة إلا واختلسها في أمر بمعروف ونهي عن منكر ودحض لشبهة وكشف لزيف ولا فرصة إلا افترصها في تأكيده للشرعيّة بقاطع الدليل ودامغ الحجة بعد أن اشتبهت علىٰ الناس الأمور واضطربت المقاييس وألبس الحق لبوس الباطل ومسخت الحقائق أمام الأعين ولقد كان يرهص بما كان يخشىٰ منه معاوية ويحاذر ولعل من مصاديق ذلك الارهاص قوله لمعاوية:

---

(١) العقاد/ معاوية/ ص ٩٠ وما بعدها.
(٢) أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤.
(٣) البيان والتبيين/ ص ٣٧٤.

اصبـر لحـرب أنـت جـانيهـا لا بـد أن تصلـىٰ بحـاميهـا[1]

وكان عقيل بن أبي طالب في كلِّ ذلك يستنير ويسترشد بمقولةِ أخيهِ أمير المؤمنين (ع): «فمن أمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر أرغم أنف المنافق ومن صدق في المواطن فقد قضىٰ الذي عليه، ومن شنىء الفاسقين، فقد غضب للهِ ومن غضب للهِ غضب اللهُ له»[2]. ولعلّ الإمام الشافعي (رض) لم يبعد عن هذا المعنىٰ حيث يقول: «من صدق في أخوة أخيه قبل عمله وغفر زلله»[3]. والذي كان يغدقه معاوية عليه من الأموال إنما هو بعض حقه والذي فضلَ عليهِ أكثر مما خرج منه[4].

من جميع ما تقدم تخلصُ إلى أنَّ عقيل بن أبي طالب شخصيّة واسعة الأبعاد، متعددة المواهب، فسيحة الأوصاف المتغايرة، مما لو اجتمعت في واحد من الناس لكونت مجالاً لاجتماع الضدين وهما كاجتماع النقيضين من حيث الاستحالة وعدم المعقولية وهو في كل ذلك «لا يقوم له أحد»[5] فعادوه وقالوا فيه بالباطل ونسبوه فيه إلى الحمق، واختلقوا عليه أحاديث مزورة»[6] «وسمعت ذلك العامة منهم فلا تزال تسمع الرجل يقول: قد سمعت الرجل يحمقه حتى ألف بعض الأعداء فيه الأحاديث. فمنها قولهم: ثلاثة حمقاء كانوا أخوة ثلاثة عقلاء والأمُّ واحدة: علي وعقيل، وأمهما فاطمة بنت أسد بن هاشم، وأمهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص»[7] فكيف يوائم ذلك ما يؤكد عن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب حيث يقول مفتخراً بخاليه علي

---

(١) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٧٥.
(٢) القالي/ الأمالي/ ج ٢/ ص ١٧١.
(٣) الصبان/ إسعاف الراغبين/ ص ٢٤٠.
(٤) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ١٥٢.
(٥) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ١٧٠.
(٦) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٦٤، الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٣.
(٧) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٣٧٣.

وعقيل:

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ومن هاشم أمي لخيرِ قبيل
فمن ذا الذي يبأىٰ عليَّ بخالهِ وخالي عليٌّ ذو الندىٰ وعقيل[1]

وما أبينَ قدامة بن موسىٰ بن عمر بن قدامة بن مظعون القائل:

وخالي بغاة الخير تعلم أنه جدير بقول الحقِّ لا يتوعر
وجدي عليٌّ ذو التقىٰ وابن امهِ عقيل وخالي ذو الجناحين جعفرُ
فنحن ولاة الخير في كل موطنٍ إذا ما ونىٰ عنه رجال وقصّروا[2]

وما أمتن قول أبي الحسن التهامي في ممدوحه:

يدعو النبي من الجدود وحيدراً ومن العمومةِ جعفراً وعقيلاً
نسب ترىٰ عنوانه في وجههِ لا شبهة فيه ولا تأويلاً[3]

أجل فلقد كان عقيل للخير موئلاً وللشمم رمزاً وللملهوف غوثاً وللندىٰ كفاً حتى انَّ معاوية بن أبي سفيان كان يقول: «إذا لم يكن الهاشميّ جواداً لم يشبه قومه»[4].

قال المدائني: «أرادَ أن تجودَ بنو هاشم بأموالها فتفتقر إلى ما في يديه»[5].

---

(١) نفس المصدر/ ص ٣٧٤ وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٠.
(٢) نفس المصدر/ ص ٣٧٤.
(٣) الشربيني/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الرابع/ المجلد الثاني/ ص ٥٤٠ وما بعدها.
(٤) الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٥٨٧.
(٥) نفس المصدر/ ص ٥٨٧.

بنو عقيل (العقيليون)

بنو عقيل[1] ويقال لهم العقيليون[2] من اشراف آل أبي طالب، قال الجاحظ: «وآل أبي طالب أشرفُ الخلقِ»[3] واسم الشريف كان يُطلق علىٰ كل من كان من أهل البيت (ع) سواءَ كان حسنياً أم حسينياً أم جعفرياً أم عقيلياً، وذكر ذلك الشيخ الصبان[4] في كتابه المطبوع بهامش كتاب نور الأبصار للشيخ سيد الشبلنجيّ. وآل عقيل بن أبي طالب: ممن تحرم عليهم الصدقة[5] وعلى الرغم مما عمله السيف فيهم فإنهم أنمىٰ عدداً وأطيب ولداً شأنهم شأن آل أبي طالب فهم بقية السيف كما قال أمير المؤمنين علي (ع)[6] «ومما يستدل به على صدق قوله: ما عمل السيف في آل الزبير وآل أبي طالب وما أكثرَ من عددهم»[7] فلقد قتل يوم الطف من آل أبي طالب سوىٰ ما يختلف في أمره اثنان وعشرون رجلاً[8] أما من استشهد من

---

(١) النويري/ نهاية الأرب/ ج ٢/ ص ٣٦، الزركلي/ الأعلام/ ج ٥/ ص ٣٩.
(٢) نفس المصدر/ ج ٢/ ص ٣٦، الصبان/ إسعاف الراغبين/ ص ١٢٠.
(٣) رسائل الجاحظ/ ج ١/ ص ٢٠٩.
(٤) إسعاف الراغبين/ ص ١٢٠.
(٥) الشبلنجّي/ نور الأبصار/ ص ١١٠، والنووي/ رياض الصالحين/ ص ١٦٦.
(٦) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ١/ ص ٦٦.
(٧) نفس المصدر/ ج ١/ ص ٦٦.
(٨) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦١.

آل عقيل فقد ذكر المؤرخون وأهل السير منهم[1]:

جعفر بن عقيل بن أبي طالب[2] ــــ عبد الله بن عقيل بن أبي طالب[3] (الأكبر)[4] ــــ عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب[5] ــــ محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب[6] ــــ محمد بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب[7] ــــ عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب[8] ــــ .

فأما جعفر بن عقيل فأمه: أمّ الثغر[9] بنت عامر بنت الهضاب العامري من بني كلاب[10]؛ ويقا: أمه (الخوصاء) بنت الثغرية[11]. وهي أم

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٤ ــ ٣٠٣، والأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٤/ ص ١٧١، والأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦١، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٥.
(٢) البلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٠٠، والأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦١، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٢، والكوفي، ابن اعثم، الفتوح، مج ٥ ــ ٦، ص ١٢٦.
(٣) البلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٤، والأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦١ وابن الأثير/ الكامل في التأريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٣.
(٤) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦١.
(٥) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩، والأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦١، والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٤، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٣، والكوفي، أبن اعثم، الفتوح، مج ٥ ــ ٦، ص ١٢٦.
(٦) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦٢، والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٤، ابن الأثير/ ج ٣/ ص ٣٠٣.
(٧) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦١.
(٨) نفس المصدر/ ص ٦١، والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٤، والمسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٩١، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٣، والكوفي، ابن أعثم، الفتوح، مج ٥ ــ ٦، ص ١٢٦.
(٩) في ابن الأبتر/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٢ «ابنة الشقر بن الهضاب».
(١٠) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦١.
(١١) نفس المصدر/ ص ٦١.

البنين[1] وأما عبد الله بن عقيل وعبد الرحمن بن عقيل ومحمد بن أبي سيعد بن عقيل ومحمد بن مسلم بن عقيل فأمهاتهم أمهات أولاد[2] أما عبد الله بن مسلم بن عقيل فأمه رقية ابنة علي بن أبي طالب[3].

وعلىٰ من ذكر أن جعفر بن محمد بن عقيل كان قد قتل مع عبد الله بن مسلم بن عقيل أو يوم الحرّة يعقِّبُ أبو الفرج[4] فيقول: «وما رأيت في كتب الأنساب لمحمد بن عقيل ابناً يسمىٰ جعفراً».

وقال[5] أيضاً: «وذكر محمد بن حمزة عن عقيل بن عبد الله بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: أن علي بن عقيل، و«أمه أم ولد قتل يومئذ».

وقد ذكر العلاّمة المحقق الشيخ محمد حرز الدين في كتابة الجليل الموسوم بـ (مراقد المعارف» ولدين لمسلم بن عقيل أحدهما محمد والثاني ابراهيم الشهيدان وقال: وغير خفي أن هذه الشهرة قد مضىٰ عليها قرون وقرون حتىٰ وصلت إلينا ولم يتنكر لها أحد من مشاهير علماء الإماميّة ومن يعتمد عليه في التاريخ والآثار من علمائنا المحققين، ومرقدهما بالضواحي الغربية لمدينة المسيب الواقعة على ضفة الفرات هذا على المشهور المعروف كما نقل عن الشيخ الصدوق في أماليه قصة مُثل الغلامين بعد أسرهما[6]. ووجدت في كتاب الفتوح للكوفي ما يؤكد استشهاد ثلاثة من آل عقيل مع الحسين (ع) بالطف وهمَ عبد الله بن مسلم بن عقيل[7]

---

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٢.
(٢) نفس المصدر/ ج ٣/ ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣، الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦١.
(٣) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٣٠٣.
(٤) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦١.
(٥) الأصفهاني/ أبو الفرج/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦١.
(٦) ج ١/ ص ١٦٩ ــ ١٧٠.
(٧) قال الكوفي في الفتوح، مج ٥ ــ ٦، ص ١٢٦: كان أول من خرج إلى القتال من اخوان الحسين وبني عمه وهو يقول:

وجعفر بن عقيل بن أبي طالب[١] وعبد الرحمٰن بن عقيل بن أبي طالب[٢].

وفي عدد من استشهد من آل عقيل بن أبي طالب اضطراب.

فعند ابن عبد ربه الأندلسي[٣] أنهم خمسة ويعزز رأيه ببيتين ينسبهما لبنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين (ع) ومن أصيب معه:

عين أبكُ بعبرة وعويلِ　　واندبي إن ندبتِ آل الرسول
ستة كلهم لصلبِ عليٍ　　قد أبيدوا وخمسة لعقيلِ

كما يشاركه السيد علي خان الرأي في درجاته الرفيعة[٤].

وفي البلاذري[٥] ستة وسبعة على روايتين، فستة على ما نسبه البلاذري للمغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو يرثي قتلىٰ الطف:

اضحكني الدهر وأبكاني　　والدهر ذو صرف وألوان

اليوم القىٰ مسلماً وهو أبي　　وفتيه ماتوا على دين النبي
ليسوا كقوم عرفوا بالكذب　　لكن خيار وكرام النسب
من هاشم السادات أهل الحسب

(١) في المصدر نفسه، ص ١٢٦، يذكر الكوفي خروجه من بعد عبد الله إلى القتال وهو يقول:

أنا الغلام الأبطحي الطالب　　من معشر في هاشم وغالب
ونحن حقاً سادة الذوائب　　هذا حسين سيد الاطائب

(٢) وفي المصدر السابق نفسه، ص ١٢٦ يذكر الكوفي أيضاً خروجه من بعد أخيه وهو يرتجز:

أبي عقيل فاعرفوا مكاني　　من هاشم وهاشم أخواني
كهول صدق سادة القران　　هذا حسين شامخ البنيان

(٣) العقد الفريد/ ج ٤/ ص ١٧١.

(٤) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/ ص ١٦٥.

(٥) أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

يا لهف نفسي وهي النفس لا تنفك من همّ وأحزان
على أناس قتلوا تسعة بالطف أمسوا رهن أكنان
وستة ما أن أرىٰ مثلهم بني عقيل خير فرسان

وسبعة علىٰ ما نسبه البلاذري من بيتي بنت عقيل بن أبي طالب المتقدمين إلىٰ سراقة البارقي الشاعر بشيء من الاختلاف.

عين ابكي بعبرة وعويل واندبي إن ندبتِ آل الرسول
خمسة منهم لصلب علي قد أبيدوا وسبعة لعقيل[1]

ولعل الشاعر ضمَّ مسلم بن عقيل إلى قافلة شهداء الطف رغم استشهاده (ع) بالكوفة فتم عنده العدد على النحو المذكور.

لقد بذل بنو عقيل النصرة لابن عمّهم الحسين (ع) وأغنوا عنه الغناء الحسنَ في الطف واستبسلوا للموت دونه وجعلوا من أجسادهم متاريس في سبيله حتىٰ مازجت دماؤهم دمه وعانقت أشواقهم أديم الطف الطهور فالهمت كلَّ ذرة منه الحياة ومنحتها الخلود فكانوا بحقٍ معاني المجد الأثير الحفيد بكل معاني السمو والعظمة والاباء وعلى الرغم من أذن الحسين (ع) لبني عقيل بالانصراف عن ساحة المعركة بقوله: «يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم، قالوا: سبحان الله فما يقول الناس، يقولون: تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرمِ معهم بسهم ولم نطعن معهم برمحٍ ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما

---

(١) يتفق الأستاذ عباس محمود العقاد والبلاذري في نسبة البيتين إلى الشاعر سراقة البارقي لكنه يورد البيتين هكذا:

عين جودي بعبرة وعويل وأندبي ما ندبتِ آل الرسول
سبعة منهم لصلب علي قد أبيدوا وسبعة لعقيل

انظر في ذلك: «أبو الشهداء الحسين بن علي» ص ١٥٩.

صنعوا، لا واللهِ ما نفعل ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتىٰ نرد موردك فقبّح الله العيش بعدك»[1].

ولم يكن هؤلاءِ الفتية الأطيبون الأكارم هم كلَّ ما لعقيل من الأبناء، فكتب الأنساب مزدانه بلوامح الأسماء من ابناء عقيل لصلبه غير الذين ذكرت ففي ابن حزم[2] منهم: مسلم بن عقيل ــ عليّ ــ حمزة ــ سعيد ــ أبو سعيد[3] ــ عيسىٰ ــ عثمان ــ يزيد: به كان يكنىٰ ــ محمد ــ وفي البلاذري[4]: عون في الأبناء أيضاً: ولم يختلف المعنيون بالأنساب في أنَّ العقب لعقيل بن أبي طالب إنما هو من ولده محمد[5] فلمحمدٍ هذا من العقب:

---

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٢٨٥، والشيخ المفيد/ الارشاد/ ص ٢١٢.

(٢) جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩.

(٣) لأبي سعيد هذا حكاية طريفة أوردها ابن عبد ربه في العقد الفريد/ ج ٣/ ص ٢٠٥، وما بعدها قال: دخل الحسن (ع) على معاوية وعنده ابن الزبير فلما جلس الحسن قال معاوية: يا أبا محمد أيهما كان أكبر عليّ أم الزبير؟ قال: فقال: ما أقرب ما بينهما، علي كان أسنّ من الزبير رحم الله علياً فقال ابن الزبير: رحم الله الزبير، فتبسم الحسن، فقال أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب: دع عنك علياً والزبير، إن علياً دعا إلى أمر فاتبع وكان فيه رأساً ودعا الزبير إلى أمر كان فيه الرأسُ امرأة، فلما تراءت الفئتان والتقىٰ الجمعان نكص الزبير على عقبيه وأدبر منهما منهزماً قبل أن يظهر الحق فيأخذه أو يدحض الباطل فيتركه، فأدركه من مثل بعض اعضائه فضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه. ومضىٰ علي قدماً كعادته مع ابن عمه ونبيه ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ فرحم الله عليّاً ولا رحمَ الزبير، فقال ابن الزبير: أما واللّهِ لو أن غيرك تكلم بهذا يا أبا سعيد لَعَلم، قال: إن الذي تعرض به يرغبُ عنك وأخبرتْ عائشة (رض) بمقالتهما فمرَّ أبو سعيد بفنائها فنادته: يا أحول يا خبيث. أنت القائل لابن اختي كذا وكذا. فالتفت أبو سعيد فلم يرَ شيئاً فقال: الشيطان ليراك من حيث لا تراه فضحكت عائشة وقالت: لله أبوك ما أخبث لسانك.

(٤) أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٤.

(٥) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩، وابن عتبة/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٢، علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٥.

أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب:

الفقيه، المحدث، الجليل، الثقة، وأمه: زينب بنت عليّ بن أبي طالب (ع)[1] وعبد الله هذا «جزم الترمذي في جامعه بصدقه ووثاقته لذا خرّج حديثه كما احتج به أحمد بن حنبل وإسحاق والحميدي والبخاري وأبو داود وابنِ ماجه القزويني كما عن (تهذيب التهذيب) ج ٦/ ص ١٥ وعده الشيخ الطّوسي من رجال الإمام الصادق (ع) وأصحابه، وكفاهُ فضلاً وتقدماً؛ توفي بعد سنة ١٤٠ هـ»[2].

وأعقب عبد الله من رجلينِ محمدا. ومن ولد عبد الله بن محمد بن عقيل أيضاً: النسابة المشهور الحسين بن قمن بن محمد بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، كان أعلم الناس بالنسب»[3].

عبد الرحمن بن محمد بن عقيل بن أبي طالب:

الرجل الصالح، كان يشبه النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ في صورته أمّهُ زينب بنت علي بن أبي طالب (ع)[4] الصغرىٰ كما في عمدة الطالب/ ص ٣٢ تمييزاً عن زينب الكبرى بنت علي (ع) التي كانت تحت عبد الله بن جعفر.

---

(١) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩، وابن عنبة/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٢.
(٢) محقق العمدة/ ص ٧٢.
(٣) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٩.
(٤) نفس المصدر/ ص ٦٩.

القاسم:

في العمدة[١]: بن عبد الله بن محمد بن عقيل وفي الجمهرة[٢]: ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الفقيه المذكور، كانَ يشبهُ أيضاً في صورته بالنبي ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ[٣] وكان أعقبَ ثم انقرض[٤].

وبالحرىٰ فلأن العقيليين من الكثرة والعدد ما ملأ. بطون الكتب وهم أينما قروّا وأنىٰ استقروا صدرة الناس فما تجد في شرقي المعمورة وغربيّها مكاناً إلا ولهم فيه حسن حضور وشرف مرتبة مقرونين بكريم النسب وفي المضان من كتب الأنساب متفتحٌ لمن أراد المزيد من الاطلاع.

(١) ابن عنبة/ ص ٣٢.
(٢) ابن حزم/ ص ٦٩.
(٣) نفس المصدر/ ص ٦٩.
(٤) ابن عنبة/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٢.

الفصل الثالث



جعفر بن أبي طالب

أبو عبد الله[1]، أبو المساكين[2]، ذو الجناحين الطيار[3] في الجنة، الرّفيق النجيب[4] الأنصح للهِ في طاعة الله ورسوله والأنصح لرسول الله في طاعة الله والأصبر علىٰ البلاء والأذىٰ في مواطن الخوف[5] ممن هُدوا إلى

(١) ابن عنبة/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٥ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨، وحرز الدين/ محمد/ مراقد المعارف/ ج ١/ ص ٢٢٤ ط ١، الآداب/ النجف/ ١٩٦٩.

(٢) الأصفهاني/ أبو الفرج/ مقاتل الطالبيين/ ص ٣، وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٢، وابن عنبة/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٥.

(٣) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٢/ ص ١٥١، والجاحظ/ الحيوان/ مج ٤ ــ ٧/ ص ٤٦٤ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٩.

(٤) في المسند من حديث علي رفعه: أعطيت رفقاء نجباء فذكره منهم، ذكر ذلك ابن حجر في الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٩.

(٥) في مكاتبة بين علي (ع) ومعاوية قال علي: «وأيم الله ما رأيتُ ولا سمعت بأحد كان أنصحَ للهِ في طاعة الله ورسولِه ولا انصح لرسول اللهِ في طاعة الله ولا أصبر على البلاء والأذىٰ في مواطن الحقوق من هؤلاء النفر من أهل بيته الذين قتلوا في طاعة الله: عبيدة بن الحارث يوم بدر وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وجعفر وزيد يوم مؤته» ذكر ذلك الأندلسي/ ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ج ٤/ ص ١٣٨.

الطيب من القول[1] يسعىٰ نورهم بين أيديهم يضيء علىٰ الصراط[2]. شبيه رسول لله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ خَلقاً وخُلقاً[3] وله مثل عقل أخيه علي (ع) ومثل عقل عمه حمزة مع المساواة بالبيان والخلق[4].

وكان خير الناس للمساكين[5]. وكان يقول لأبيه أبي طالب: يا أبتِ إني لأستحي أن أطعم طعاماً وجيراني لا يقدرون علىٰ مثلهِ، فكان أبوه يقول: إني لأرجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب[6].

قال أبو هريرة: ما وددت أحداً ولدتني أمُّه إلا أم جعفر بن أبي طالب تبعتهُ ذات يوم وأنا جائع فلما بلغ باب داره التفت فرآني، فقال لي أدخل فدخلت ففكر حيناً فما وجد في بيته إلا نحيا كان فيهِ سمن فأنزله من الرف فشقه بين أيدينا فجعلنا نلعقُ ما كان فيه من السمن وهو يقول:

ما كلّف الله نفساً فوق طاقتها ... ولا تجودُ يـدٌ إلا بمـا تجـدُ[7]

وعنه أيضاً أنه قال: «إن كنت لألصقُ بطني بالحصباء من الجوع، وإن

---

(١) أبو عبد الله (ع) في قوله الله تعالىٰ: ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ قال: ذلك حمزة وجعفر وعبيدة وأبو ذر والمقداد وعماد، ذكر ذلك ابن شهرآشوب، الإمام الحافظ في مناقب آل أبي طالب/ ج ٢/ ص ٢٩٢.

(٢) تفسير مقاتل عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾: لا يعذب علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفر نورهم يسعىٰ يضيء على السراط. ذكر ذلك: ابن شهر آشوف في مناقب آل أبي طالب/ ج ٢/ ص ٩، وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤١.

(٣) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨، والأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٢/ ص ١٢٨ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٣.

(٤) الجاحظ/ الحيوان/ مج ٤ ــ ٧/ ص ٤٦٤.

(٥) انظر: ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨، وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٢.

(٦) الأبشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، مج ١ ــ ٢/ ص ١٣٦، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٩.

(٧) الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ١/ ص ١٢٨.

كنت لاستقرئ الرجل الآية، وهي معي، كي ينقلب بي، فيطعمني، وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلبُ بنا فيطعمنا ما في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكّة التي ليس فيها شيء، فنشقّها، نلعق ما فيها»[1] وقد ذكر له من الافتخار وبالسخاء قوله (ع)[2]:

يا ليت للناس رسماً في وجوههمُ ... تبين أخلاقهم فيه إذا اجتمعوا

وليت رزقَ أناس مثلُ نائلهم ... قوتاً بقوتٍ وتوسيعاً إذا اتسعوا

وليت ذا الفحش لاقىٰ فاحشاً أبداً ... وذا التحكم أهلَ الحلم فارتدعوا

وليت مَن يمنع المعروف يحرمُهُ ... حتى يذوقَ أناسٌ مثل ما صنعوا

فلا غربة والحالُ هذه أن يسميه رسول الله أبا المساكين[3].

ولقد كان جعفر بن أبي طالب (ع) في طليعة المبارزين ومقدمة المسارعين المصدقين برسالة ابن عمهِ النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ والذائدين عنها فقد كان أسلم «بعد إسلام أخيهِ عليّ بقليل»[4] فكان ذا القبلتين والهجرتين والبيعتين.

روي عن صادقِ آل البيت[5] (ع) أن رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ، كان يصلي وعليٌ معه إذا مرّ أبو طالب وجعفر معه، فقال أبو طالب لجعفر: صِلْ جناح ابن عمك فلما أحسَّ رسول الله ــ صلىٰ الله عليه

---

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٢.
(٢) الأصبهاني/ محمد بن داود، الزهرة/ ج ٢/ ص ٦٥٣.
(٣) انظر: ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٢.
(٤) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٠.
(٥) انظر: علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٩ وابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب/ ج ١/ ص ٢٠١ بزيادة بيت قبل الأخير وهو:
اجعلهما عرضة العدىٰ وإذا ... اترك ميتاً نما إلى حسبي
وابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٠ دون ذكر الأبيات.

وآله وسلم ــ تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

إن علياً وجعفراً ثقتي عند مُلم الزمانِ والكربِ
والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسبِ
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي من بينهم وأبي

وتلك أول صلاة جماعة كانت ذلك اليوم في الإسلام[1].

روي عن أبي جعفر الباقر (ع) قال: «أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ إني أشكر لجعفر بن أبي طالب (ع) أربع خصال فدعاه النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ فأخبره فقال: لولا أن الله تبارك وتعالىٰ أخبرك ما أخبرتك. ما شربت خمراً قط لأني لو شربتها زال عقلي، وما كذبت قط لأن الكذب ينقص المروة، وما زنيت قطّ لأني خفت إني إذا عملت عُمِل بي وما عبدتُ صنماً قط لأني علمت أنه لا يضر ولا ينفع فضرب النبيُّ ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ علىٰ عاتقه وقال: حق للهِ تعالىٰ أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنة»[2]. وروي عن علي بن يونس المدني قال: «كنت مع مالك فإذا سفيان بن عيينة بالباب يستأذن قال مالك: رجل صاحب شيبة أدخلوه فدخل فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردوا عليه السلام ثم قال: «السلام سلامان خاصّ وعام ثم قال: السلام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته قال مالك: وعليك السلام يا أبا محمد ورحمة الله وبركاته، فصافحه مالك، ثم قال يا أبا محمد لولا أنها بدعة لعانقناك فقال سفيان بن عيينة: عانق خير منك ومنا النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ فقال مالك: جعفراً! قال نعم قال: ذاك حديث خاص يا أبا محمد ليس

---

(١) انظر: ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧١، وابن شهر اشوب/ مناقب آل أبي طالب/ ج ١/ ص ٣٠١، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٩.
(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٠.

بعام قال سفيان: ما يعم جعفراً يعمّنا إذا كنّا صالحين وما يخصّه يخصّنا. . .»[1].

حين رأىٰ النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ اشتداد البلاء علىٰ أصحابه وتصعيد قريش عدوانها علىٰ المستضعفين من المسلمين بالأذىٰ النفسي والجسدي كي يفتنوهم عن دينهم ولما لم يستطع صلوات الله عليه أن يمنعهم مما هم فيه. أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة لأن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد[2] وكان الملك عصرئذٍ النجاشي وكان ذا دينٍ في النصرانية[3]. ولعل معرفة الرسول ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ واطلاعه على أحوال الأحباش وخصوصيات ملكهم تأتي في سياق العلاقات العامة لقريش «التي اشتهرت بالتجارة وعرفت بها وذاع صيتها بين القبائل وتمكنت رجالها بفضل ذكائهم وحذقهم بأسلوب التعامل مع الدول الكبرىٰ في ذلك الوقت لا سيما الحبشة وتكوين علاقات طيبة معها»[4] وكانت أرض الحبشة متجراً ووجهاً لقريش[5].

خرج المسلمون امتثالاً لما أشار عليهم به رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ مهاجرين إلىٰ أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى اللهِ بدينهم وتتابعوا حتىٰ اجتمعوا بها وكانت تلك أول هجرة كانت في الإسلام.

لكن المغفور له الوالد[6] يرى غير هذا الرأي وفي نفسه منه وقفة، فالهجرة في نظره ليست هجرة انهزامية وإنما هي ذات طابع تبشيري بحت

---

(١) نفس المصدر/ ص ٧٠ وما بعدها.

(٢) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٤٤.

(٣) نفس المصدر/ ج ١/ ص ٤٣.

(٤) انظر: علي جواد الدكتور/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ ج ٤/ ص ١٩ بيروت ١٩٧٠.

(٥) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ٩/ ص ٥٥.

(٦) في مخطوطة عن جعفر بن أبي طالب (ع).

ليكون المهاجرون رسلاً وسفراء للدعوة الإسلامية في الحبشة لتوسم النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ فيها وفي عاهلها الخير وأنها ــ الحبشة أرض خصبة تصلُح لهذه الغريسة التي أينعت فكان من ثمرها أن اعتنق النجاشي الإسلام وهو أمرٌ كانت قريس تستفدحه ولو لم يكن كذلك ما سارعت إلى إرسال بعثة مضادّة جنّدت لها اثنين من رجالها داهيين جليدين وحملتهما الهدايا للنجاشي وبطارقته كي يردّ المهاجرين عليهم، ثم إذا كان ذلك يصحُّ للمستضعفين من المسلمين فهل يصح لجعفر بن أبي طالب بعد أن تعرف أن محمداً ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ لم تتسق دعوته ولم يستقم أمره في مكة إلا «بمكانه من الله ومن عمِّهِ أبي طالب»[1]. أفلا تطرَّد حياطة أبي طالب لتشمل ولده وفلذة كبده ثم أين عليّ الكرار (ع) المعتصم واللياذ في الملمات والمؤمل المرجى عند نزول المهمّات، افتراه يقصر عن توفير الحماية لأخيه ومما يجدر بنا ذكره أن اولئك المهاجرين كان منهم من هاجر بنفسه حسب ومنهم من كان اصطحب أهله معه. وكان جعفر بن أبي طالب (ع) ممن اصطحب امرأته معه في هجرته وهي أسماء بنت عميس بن النعمان[2] بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم[3] الخثعميّة[4] الجرشية أكرم الناس أحماء[5] وقد ولدت له جميع أولاده قال ابن هشام: «كان جميع من لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين سوىٰ ابنائها الذين خرجوا بها معهم صغاراً وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يشك فيه»[6] وفي ابن الأثير أنهم تمام اثنين وثمانين فقط[7].

---

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٤٤.

(٢) الذي في الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ١١ «اسماء بنت عميس بن معدّ بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة».

(٣) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٤٤.

(٤) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٣.

(٥) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ١١ وقال: «جرش من اليمن».

(٦) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٣.

(٧) ابن الأثير/ الكامل في تاريخ / ج ٢/ ص ٥٣.

في الحبشة

بعد الظلم والقهر والتضييق في مكة بلغ المهاجرون مأمنهم في أرض الحبشة فحطّوا عصا الترحال فيها وأنزلوا حاجتهم علىٰ كريم لا يضام جاره، ولا ينتهك ذماره يحسن الصُحبة، ويحفظ الجوار ويكرم المثوىٰ فأصابوا في كنفهِ داراً وقراراً آمنين على دينهم وادعين لا ينالهم أذى ولا يسمعون شيئاً يكرهونه... لا يشغلهم شاغل إلا مفارقة الديار والأحبة...

لكن الحال لم يدم على صفوه دونما مكدّر فلقد هال قريشاً أن يستجمَّ المسلمون أنفسَهُم ويلتقطوا أنفاسَهم وعظمَ على اعداء الله أن ينالَ المسلمون ما نالوا من الدعةِ والحظوة **فاتمروا** بينهم أن يبعثوا منْ قريش رجلين جلدين إلى النجاشي وبطارقته وحملتهما من الهدايا مما خفَّ وغلا عساهما يستزلان النجاشي عن موقفه ليردهم عليهم ويخرجهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها.

فانتدبت قريش لهذه المهمة، عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل[1].

---

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٧، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٥٤ الذي يورد اسم الأول منهم هكذا: عبد الله بن أبي أميّة. وتقول إدارة التحقيق بهامش الكامل: الذي في سيرة ابن هشام وهو الصواب أنه عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي.

حين يطرق سمع سيد مكة وشيخ قريش خبر إيفاد الرجلين إلى النجاشي يبيت متوفزا يغالبُ همومه، فصدور القوم تنفث بالعداوة، لقد خشي رضي الله عنه أن ينفخوا عند النجاشي في البوق بما يوغر صدره على المسلمين فيسارع إلى إنفاذ أبيات من الشعر يحضه فيها على حسن جوارهم والدفع عنهم. نظم أبو طالب:

ألا ليتَ شِعري كيف في النأي جعفرٌ   وعمرو واعداء العدوّ الأقاربُ

وهل نال أفعال النجاشي جعفراً   وأصحابه أو عاقَ ذلكَ شاغِبُ

تعلّمْ، أبيتَ اللعنَ، أنك ماجدٌ   كريمٌ فلا يشقى لديك المجانبُ

تعلّم بأن الله زادك بسطةً   واسباب خير كلّها بك لازبُ

وأنك فيضٌ ذو سجالٍ غزيرةٍ   ينال الأعادي نفعها والأقارب[1]

وصل مبعوثا قريش إلى الحبشة محملّين هدايا مما يستطرف من متاع مكة واجتمعا فور وصولهما ببطارقة النجاشي أولاً فأخبرا كلّ بطريق بالسبب الذي بعثتهما قريش من أجلِهِ ولم يتركا بطريقاً إلا وأهديا إليه هديّة ثم استأذنا على الملك فأذن لهما واستجلسهُما ثم قدمّا بين يديه الهدايا الخاصة به فتقبلها منهما وبعد أن قرَّ منهما القرار عالناه بما عالنا البطارقة من قبل قائلين: «أيها الملك، إنَّه قد ضوىٰ إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحنُ ولا أنت»[2] من كلام طويل غيلُهُ علىٰ مظانة.

---

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٧.

(٢) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٨، وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٥٤.

كان الملك يلقي إلى الرجلين سمعه وما أن انتهيا حتى استشاط النجاشي غضباً وقال: «لا ها الله، إذن لا أسلمّهم إليهما، ولا يُكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فاسألهم عما يقول هذانِ في أمرهم»[1] . ولم يكن أبغضَ إلى الرجلينِ من أن يسمع النجاشي كلام المهاجرين[2].

دعا النجاشي بالمهاجرين فاحضروا ليقف على حقيقة أمرهم**وياالاساقفة** فنشروا مصاحفهم حوله، فطفِق يلقي اسئلته على المهاجرين.

النجاشي: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟

جعفر بن أبي طالب[3]: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منا الضعيف، فكنا علىٰ ذلك، حتىٰ بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأَداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات،

---

(١) نفس المصدر/ ص ٣٥٨ وأيضاً ابن الأثير/ ص ٥٤.

(٢) نفس المصدر/ ص ٣٥٩، وابن الأثير/ ص ٥٤ مع اختلاف يسير. وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧١ وما بعدها.

(٣) قالت الإدارة بهامش ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٥٣ ما نصّه: «وكان هو قائد المهاجرين في هذه الهجرة ومنه تعلم اهتمام الدين الإسلامي بالقيادة والإمارة لتوحيد الكلمة» وقال صاحب الدرجات الرفيعة/ ص ٧١: «وكانت هجرته (رض) إلى الحبشة في السنة الرابعة من النبوة وكان هو المتكلّم عند النجاشيّ من المسلمين المهاجرين إلىٰ الحبشة لما جمع بينهم وبين عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص».

أمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك بهِ شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام... فصدقناه وآمنا به، واتبعناهُ علىٰ ما جاء بهِ من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قوما، فعذبونا ومنعونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالىٰ، وأن نستحلّ ما كنا نستحِلُّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، فخرجنا إلى بلادك، واخترناك علىٰ من سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

جعفر بن أبي طالب: يقرأ صدراً من «كهيعص».

يبكي النجاشي حتى اخضلّت لحيتُه، والأساقفة يبكون حتىٰ اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم جعفر بن أبي طالب، يكفكفُ النجاشيّ دموعه ويقول: إنَّ هذا والذي جاءَ بِهِ عيسىٰ ليخرجَ من مشكاة واحدة ثم يلتفت محدّقاً إلى الرجلينِ قائلاً: انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون.

قال فيليب حتي في تاريخ العرب «مطوّل»: ويبدو الاختلاف واضحاً بين العهدين الجاهلي والإسلامي في تلك الكلمات التي نسبها الرواة إلى جعفر بن أبي طالب مع النجاشي[1].

لمّا خرج الرجلانِ مهينينِ من مجلس الملك داخلَ عمرو بن العاص الغضب فأسرَّ في نفسه أمراً ولم يبده لصاحبه وتوعد أنْ يأتي النجاشي في اليوم التالي عنهم بما يستأصلُ بِهِ خضراءَهُم ثم غدا على النجاشي فقال له ابن العاص: أيها الملك! إنهم يقولون في عيسىٰ بنِ مريم قولاً عظيماً، فسلهم عما يقولون فيه، فأحضِر المهاجرون ثانية ليُسألوا في شأن ما نسبه ابن العاص إليهم من القول في ابن البتول بما لا يجوز.

النجاشي: ما تقولون في عيسىٰ بن مريم؟

---

(١) فيليب حتى/ ج ١/ ص ١٦٧.

جعفر بن أبي طالب: نقول في عيسىٰ ما جاءنا به نبينا ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

يضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فيأخذ منها عوداً، ثم يلتفت إلى جعفر ويقول: والله ما عدا عيسىٰ بن مريم ما قلتَ هذا العود.

ولم يرق الأمر لبطارقة النجاشي فأنشأوا يتنافرون[١] حوله فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم[٢] بأرضي من سبكم غرم[٣].

---

(١) النخرة: الأنف والنخير: صوت بالأنف تقول منه: نخرَ ينخِر (بالكسر) نخيراً وينُخر (بالضمّ) لغة.

(٢) وردت في بعض المصادر (سيوم) والسيوم الآمنون كذا في الدرجات الرفيعة/ ص ٧٤.

(٣) انظر: ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ١/ ص ٣٥٩، وما بعدها ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ١/ ص ٥٤ وما بعدها وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٤ وما بعدها.

بخير دار مع خير جار

ثمَّ أمرَ النجاشي برد هدايا قريش على الرّجلين وقال: ما أخذ الله الرشوة مني حتى أخذتها منكم ولا أطاع الناسَ في حتى أطيعهم فيكم... فخرجا من عنده ملكّزين يجرّانِ خطاهما...

ومن المفارقات التي حصلت لجعفر بن أبي طالب بأرض الحبشة ما ذكره جدنا السيد علي خان[1] مروياً عن الصادق جعفر بن محمد (ع) قوله: لقد كاد عمرو بن العاص عمنا جعفر بأرض الحبشة عند النجاشي وعند كثير من رعيته بأنواع من الكيد ردّها الله تعالىٰ بلطفه فلما نبا معوله عن صفاته هيأ له سمّا قدمه إليه في الطعام. فأرسل تعالىٰ هِرّاً كفا تلك الصحفة، وقد مدّ نحوه ثم مات لوقته وقد أكل منها فتبين لجعفر (ع) كيده وغائله فلم يعدها عنده وما زال ابن الجزار عدوّا لنا أهل البيت.

وذكر أيضاً أن النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ سأل جعفراً عن أغرب ما شاهده في الحبشة فقال: يا رسول الله بينا أنا أمشي في أزقتِها إذا سوداء على رأسها مكتل فيهِ بر فصدها رجل على دابته فوقع مكتلُها وأقبلت تجمعه من التراب وهو تقول: ويل للظالم من الديّان يوم الدين ويل للظالم من المظلوم يوم القيامة ويل للظالم إذا وضع الكرسي للفصل يوم القيامة

---

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٥.

فقال النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ لا يقدّس الله أمّة لا يؤخذ لضعيفها من قويّها حقه غير متعتع[1].

بقي المسلمون بالحبشة بخير دارٍ مع خير جار عزيزي الجانب موفوري الكرامة مجللين بنعم الله التي كان إسلام النجاشي على يد جعفر بن أبي طالب احداها وقيل إنَّ النجاشي أرسل ابنه في ستين من الحبشة إلى النبيّ فغرقوا في البحر[2]. بينما يؤكد السيد محمود علي البلاوي سلامة وصولهم واكرام النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ لهم وقال: وفد وفدُ النجاشي فقام النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه: نحن نكفيك قال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب أن اكافئهم ثم استطرد السيد البلاوي فقال: إن الوفد الحبشي النصراني سمع النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ يقرأ سورة «يس» فدخل الإيمان في قلوبهم وبكوا من خشية الله وأسلموا لله رب العالمين[3]. وإكراماً من جانب النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ فقد أرسل إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت مهاجرة مات زوجها عبيد الله بن جحش في الحبشة فخطبها إليه فأجابت وزوجها وأصدقها النجاشي أربعمائة دينار فلما سمع أبو سفيان تزويج رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ أم حبيبة قال: ذاك الفحل لا يقدع أنفه[4].

ويعود حليف الندىٰ جعفر بن أبي طالب إلى المدينة يقدم رفاق هجرته عودة الظافر المنتصر يتحفّىٰ به رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ ويتلقاه بالترحيب والتسليم وافق مقدمه (ع) يوم فتح خيبر فالتزمه رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ وطفق يقبل بين عينيه ويقول: «ما

---

(١) نفس المصدر/ ص ٧١.
(٢) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٤٥.
(٣) تاريخ الهجرة النبوية/ ص ٨٩ دار القلم/ بيروت ١٩٨٥.
(٤) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٤٥ والجاحظ/ رسائل الجاحظ/ مج ١ ــ ٢/ ص ٢٠٢.

أدري ما بأيهما أنا أشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر»[1].

روىٰ جدنا عن جابر قال: «لما قدم جعفر من أرض الحبشة تلقاه رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ فلما نظر جعفر إلى رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ خجِل قال: مشىٰ علىٰ رجل واحدة أعظاماً منه لرسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ فقبل رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ بين عينيه واعطاه وامرأته اسماء من غنائم خيبر»[2].

ثم يلتفت جعفر بن أبي طالب ليجد أخا يرقبه بشوق ويتطلع إليه بلهفة ليس هو من أخوة النسب، وإنما هو من اخوة الولاء... ذلكم معاذ بن جبل فلقد اعتقد رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ أخا بني سلمة أخا في الله لجعفر بن أبي طالب ـ يوم كان جعفر غائباً بأرض الحبشة ـ فيمن آخىٰ صلوات عليهم بينهم من المهاجرين والأنصار.

---

(١) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٢.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٦٩ وما بعدها.

في مؤته

في شهر جمادى الأولى لسنة ثمانٍ من الهجرة النبوية الشريفة نهدَ القوم عدوهم... حتىٰ إذا كانوا بتخوم البلقاء دون دمشق، انحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤته، فالتقىٰ عندها الجيشان جيش المسلمين الذي كان تعداد أفراده لا يتجاوز ثلاثة آلاف وجيش الروم الذي بلغ المائتي ألف بما انظم إليهم من العرب[1]. ومع أن العدد والعدة والمدد كان في جانب جيش الروم بقيادة هرقل فإن جيش المسلمين قد أدخل الرعب في صفوف العدو الكافر حتى قبل الشروع بالقتال.

وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت بجيش رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ مقبلاً قد قالت لقومها تنذرهم: أنذركم قوماً خزراً ينظرون شزراً ويقودون الخيل تترىٰ، ويهرقون دماً عكراً. فأخذوا بقولها واعتزلوا[2].

وكان عبد الله بن رواحة يقول: «ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا

(1) انظر: الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٧، ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ١٦ وما بعدها وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٥٩، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٥.

(2) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٤، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٤١ ــ ٤٢.

كثرة، ما نقابلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به»[1].

وكان رسول الله قد استعمل على جيش المسلمين زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحه على الناس[2].

فقال جعفر بن أبي طالب: ما كنت أرهب يا رسول الله أن تستعملَ عليّ زيد فقال: امض فإنك لا تدري أيّ ذلك خير فبكىٰ الناس[3].

قال ابن أبي الحديد: اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان الأمير الأول. وانكرت الشيعة ذلك وقالوا: كان جعفر بن أبي طالب الأمير الأول، فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قتل فعبد الله بن رواحة وقد وجدت في الأشعار ـ والقول لما يزل لابن أبي الحديد ـ التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم[4]. وعلى أي حال فإن ترتيب الرسول الأعظم ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ للأمرة في قيادة وإدارة العمليات الحربية على النحو المتقدم لا يعتبر قدحاً في كفاءة جعفر بن أبي طالب فليس فيهم من يماثله أو يفاضله ويساميه أو يساجله لقول رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ «خير الناس حمزة وجعفر وعلي»[5] وقوله: «الناس من شجر شتّىٰ وأنا وجعفر من شجرة واحدة[6]

---

(١) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ١٧ وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ٢٥٩ باختلاف يسير.

(٢) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ١/ ص ١٥٨، وابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ١٥ والأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٦، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٦١، والطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٣٦.

(٣) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٥٨، الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٤١ الذي أورد كلمة (أذهب) بدلاً من (أرهب) في عبارة ابن الأثير.

(٤) شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٦٢.

(٥) الأصفهاني/ مقاتل الطالبين/ ص ٩ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٢.

(٦) نفس المصدر/ ص ١٠ وأيضاً: ابن أبي الحديد/ ج ٧٢ باختلاف يسير.

ويشهد لسموه وتفرده أبو هريرة فيقول: «ما احتذىٰ النعال ولا ركب المطايا ولا وطيءَ التراب بعد رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ أفضل من جعفر بن أبي طالب»[1] ونوَّهَ به معاوية بن أبي سفيان في مقام المفاضلة بين الأكرم من الناس يوم سأل معاوية جلساءه: من أكرم الناس أباً وأمّاً، وجدّا وجدّة، وعمّاً وعمّة، وخالاً وخاله؟ فقالوا: أنت أعلم. فأخذ بيد الحسن بن عليّ وقال: هذا أبوه عليّ بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت رسول الله، وجدّه رسول الله، وجدته خديجة زوجة رسول الله، وعمّه جعفر، وعمته هالة بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن رسول الله وخالته زينب بنت رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ[2].

---

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨، وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٧٣ باختلاف يسير.

(٢) ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ج ٥/ ص ٣١٣.

إحدى الحسنيين
أما ظهور وإما شهادة

إستعرت أوار الحرب والتحم الفريقان في قتالٍ ضارٍ واستمر القتل في صفوف العدو وتناشدَ المسلمون بإحدى الحسنين، إما ظهور وإما شهادة فاقتحم زيد بن حارثة الصفوف رابط الجأش قوي العزيمة فقاتل قتالاً شديداً ولواء رسول الله بيده حتى شاط في رماح القوم شهيداً ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فقاتل بها ثابت القدم ثبت الجنان وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردٌ شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليَّ إذ لاقيتها ضرابها[1]

حتى إذا الحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها كي لا يفيد العدو منها فكان جعفر (ع) أول رجل من المسلمين عقرَ في الإسلام[2]. وتحت مشتبك الرماح وبين سنابك الخيل ووسط مثار النقع أجلب القوم

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٠ وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٥٩.
(٢) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٢٠، وابن الأثير أيضاً/ ج ٢/ ص ١٦٠ والأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٧.

على جعفر فأثخنوه بالجراح.

قال ابن هشام: إن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل (ع) فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء[1]. وذكر ابن أبي الحديد عن الواقدي قوله: إنَّه وجد في بدن جعفر (ع) اثنتان وسبعون ضربة وطعنة بالسيوف والرماح[2] ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين[3] وعن ابن عمر قال: كنت في تلك الغزوة فالتمسنا جعفراً فوجدناه في القتلىٰ فعددنا بين منكبيه تسعين ضربة بين طعنة رمح وضربة سيف[4].

فلما رأى عبد الله بن رواحة استشهاد رفيقيه أخذ الراية وتقدم بها على فرسه وهو يرتجز:

يـا نفـس إلّا تقتلـي تمـوتـي	هـذا حمـام المـوت قـد صُليت
ومـا تمنيـتِ فقـد أعطيـت	أن تفعلـي فعلهمـا هـديـت[5]

تقاتل ببطولة وبسالة فائقتين حتى استشهد(ره).

ذكر أبو الفرج في مقاتله[6] عن عبد الرحمن بن سمرة قال: بعثني خالد بن الوليد بشيراً إلى النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ يوم مؤته فلما

---

(١) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٢٠.
(٢) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٦٧.
(٣) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٠، والسيد علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٥ وأضاف: ان أحد نصفيه وقع في كرم هناك فوجد فيه بضع وثلاثون جرحاً.
(٤) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٥ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨ باختلاف يسير.
(٥) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢١ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ١٩ ــ ٢٠.
(٦) مقاتل الطالبيين/ ص ٧ وما بعدها.

دخلت المسجد فجئني رسول الله قائلاً: على رسلك يا عبد الرحمن أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل زيد فقتل، فرحم الله زيداً، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فقاتل جعفر فقتل، فرحم الله جعفراً. ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل عبد الله بن رواحة فقتل فرحم الله عبد الله قال: فبكىٰ أصحاب رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ وهم حوله ـ فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ما لنا لا نبكي وقد ذهب خيارنا، وأشرافنا وأهل الفضل منا فقال: لا تبكوا فإنما مثل أمتي كمثل حديقة قام عليها صاحبُها فأصلحَ رواكيها وهيأ مساكبها وحلقَ سعفها فأطعمت عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً فلعلّ آخرها طعماً أن يكون أجودها قنواناً، وأطولها شمراخاً. والذي بعثني بالحق ليجدنَّ ابن مريم في أمتي خلفاً من حواريه.

جدير أن أذكر أن النبيّ ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ كان يحاط علماً بتفاصيل المعركة وتتابع أحداثها أولاً بأول عن طريق السماء فلما أن جاءهَ نعي جعفر (ع) من السماء في ساعته صعدَ المنبر وأمر فنودي بالناس الصلاة جامعة فأخبر المسلمين بمجريات الأحداث وما انتهت إليه المعركة من النتائج[١] وتلك واحدة من معجزاته صلوات الله عليه.

استهلت شؤون النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ «حتى قطرت لحيته»[٢] وعرف الناس الحزن في وجهه فلقد عزّ عليه مصرع ابن عمّه وحبيبه جعفر ورفيقه زيد فقال وهو يغالب معه: «اخواي ومؤنساي ومحدثاي»[٣] حدث ابن إسحاق عن اسماء بنت عميس قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليَّ رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ وقد دبغت أربعين منا، وعجنت عجيني، وغسلت بنيَّ ودهنتهم ونظفتهم قالت قال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وآلم وسلم ـ: ائتيني ببني جعفر؟

---

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٦٠.
(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٦.
(٣) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٢٠.

قالت: فأتيته بهم، فتشممهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله: بأبي أنت وأمي، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، أصيبوا هذا اليوم. قالت: فقمت أصيح، واجتمعت إلي النساء، وخرج رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ إلى أهله، فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم شغلوا بأمر صاحبهم[1]. وهوأول ما عمل في دين الإسلام[2].

وفي رواية أخرىٰ قالت اسماء بنت عميس: فقمت أصيح واجتمع إلي النساء فجعل رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ يقول: يا اسماء لا تقولي هجرا، ولا تضربي صدراً ثم خرج عني حتى رحل على فاطمة (ع) وهي تقول: ابن عماه فقال ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ على مثل جعفر فلتبك الباكية[3].

قال ابن الأثير: فلما رجع الجيش من مؤته ودنا من المدينة لقيهم رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ والمسلمون فأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه[4].

وعن يحيىٰ بن أبي يعلى قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: أنا أحفظ حين دخل النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ على أمي فنعىٰ إليها أبي ناظر فدنا يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهرقان بالدمع ثم قال ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ: يا اسماء أأبشرك قالت: بلىٰ بأبي وأمي قال ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ فإن الله تعالى جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة،

---

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٢/ ص ٢٢ وابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٦١.
(٢) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٦١.
(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٦.
(٤) الكامل في التاريخ/ ج ٢/ ص ١٦١، الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٤٢.

قالت بأبي وأمي فاعلم الناس بذلك فقام رسول الله وأخذ بيدي يمسح رأسي حتىٰ رقى المنبر وأجلسني أمامه على الدرجة السفلىٰ وان الحزن ليعرف عليه فتكلم. فقال: إن المرء كثير بأخيه وابن عمه إلا ان جعفراً قد استشهد وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة ثم نزل ودخل بيته وأدخلني وأمر بطعام فصنع له وأرسل إلى أخي فتغدينا عنده غداءً طيباً وأقمنا عنده ثلاثة أيام ندور في بيوتِ نسائه ثم رجعنا إلى بيتنا[١].

قال ابن حجر: أرى النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ جعفراً ملكاً ذا جناحين مضرجين بالدماء[٢]. وروى عن ابن عباس (رض) قال: بينما رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ جالس واسماء بنت عميس قريبة منه إذ قال يا اسماء هذا جعفر بن أبي طالب قد مرّ مع جبرئيل وميكائيل فردّي عليه السلام وفيه وقد عوضه الله من يديهِ جناحين يطير بهما حيث يشاء[٣]. قال الجاحظ: «ولم يخرجه ذلك من أن نراه في الجنة»[٤] وفي سنّهِ عند استشهاده خلاف ففي ابن هشام أنه ابن ثلاث وثلاثين سنة[٥]. وفي الإصابة أنه استوفىٰ أربعين سنة وزاد عليها علىٰ الصحيح[٦]. وذكر الأصفهاني عن عبد الله بن جعفر أنه استشهد وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين ومضىٰ يقول: وهذا عندي شبيه بالوهم. لأنه قتل في سنةِ ثمان من الهجرة، وبين ذلك الوقت وبين مبعث رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ إحدى وعشرون سنة. وهو أسن من أخيه أمير المؤمنين علي عليه السلام بعشر سنين وكان لعلي حين أسلم سنون مختلف في عددها فالكثير يقول كانت خمس عشرة والمقل سبع سنين وكان إسلامه في السنة التي

---

(١) السيد علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٦ ــ ٧٧.
(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٩.
(٣) نفس المصدر/ ص ٢٤٩.
(٤) الجاحظ/ الحيوان/ ج ٤ ــ ٧/ ص ٤٦٤.
(٥) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٠.
(٦) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الأول من ثمانية أجزاء/ ص ٢٤٨.

بعث فيها رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ لا خلاف في ذلك. وعلى أيّ الروايات قيس أمره علم أنه عند مقتله كان قد تجاوز هذا المقدار من السنين[1].

وكان جعفر بن أبي طالب أحد خمسة كانوا يشبّهون بالنبيّ ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ وهم: الحسن بن علي بن أبي طالب وقثم بن العباس، وأبو سفيان بن الحرث، والسائب بن عبيد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكان ابن سيد الناس جمعهم في بيتين من الشعر فقال:

لخمسة شبه المختار من مضر ... يا حسن ما خوّلوا من شبهه الحسنِ
لجعفر وابن عم المصطفىٰ قثم ... وسائب وأبي سفيان والحسنِ[2]

وروىٰ السيد مؤلف الدرجات الرفيعة عن الزمخشري في ربيع الأبرار قال: «وكان الرجل يرىٰ جعفراً يقول: السلام عليك يا رسول الله يظنه إيّاه فيقول: لست برسولِ الله أنا جعفر»[3].

وكان لاستشهاده (ع) من الوقع ما انقضت له جوانح المسلمين وتركَ في قلوبهم جروحاً ليس من اليسير اندمالها وفاضت عواطف بعضهم علىٰ لسانه شعراً.

قال كعب بن مالك[4]:

وكأنما بين الجوانح والحشا ... مما تأوبني شهاب مدخل
وجداً على النفر الذين تتابعوا ... يوماً بمؤته اسندوا لم ينُقلوا
صلىٰ الإله عليهم من فتيةٍ ... وسقىٰ عظامهم الغمام المسبل

---

(١) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٨.
(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٦.
(٣) نفس المصدر/ ص ٧٠.
(٤) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٣٧ والأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٩ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٦٣.

صبروا بمؤته للإله نفوسهم عند الحمام حفيظة أن ينكلوا
إذ يهتدون بجعفر ولوائهِ قدام أولهم ونعم الأول
حتى تفرقت الصفوف وجعفر حيث التقى وعث الصفوف مجدل
فتغير القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تأفل

وقال حسان بن ثابت[1]:

فلا يبعدن الله قتلىً تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفرُ
أغر كضوء البدر من آل هاشم أبي إذا سيم الظلامة محسَرُ
فطاعنَ حتى مالَ غير موسد بمعترك فيه القنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه جنان وملتف الحدائقِ أخضر
وكنّا نرىٰ في جعفرٍ من محمدٍ وفاءً وأمراً حازماً حين يأمر
فما زال في الإسلام من آل هاشم دعائم عزٍ لا يزلن ومفخرُ
هم جبل الإسلام والناس حولهم رضام إلى طورٍ يروق ويقهر
بهاليلُ منهم جعفر وابن: امّهِ علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم عقيل وماء الحور من حيث يُعصر

وقال حسان أيضاً[2]:

ولقد بكيتُ وعزّمُهلك جعفر حِبّ النبي على البرية كُلّها
ولقد جزعتُ وقلت حين نعيت لي من للجلاد لدىٰ العقاب وظلّها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر خير البريّة كلها وأجلها
رزءاً وأكرمِها جميعاً محتدا وأعزها متظلِماً وأزلّها
بالعرف غير محمد لا مثله حيّ من أحياء البرية كلها

---

(١) ابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٦ وابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٦٢ ـ ٦٣.
(٢) نفس المصدر/ ج ٤/ ص ٢٨.

ولابنِ عبدون من قصيدة ضمّنها ذكر من اباده الحدثان قوله[1]:

الـدهـر يفجـع بعـد العيـن بـالأثـرِ فمـا البكـاءُ علىٰ الأشبـاح والصـور
مـا لليـالـي أقـالَ الله عثـرتنـا مـن الليـالـي وخـانتهـا يـدُ الغيـرِ

إلى أن يقول:

ومـزقـت جعفـراً بـالبيض واختلسـت مـن غيلـه حمـزة الظـلام للجـزر
وليتهـا أذ فـدت عمـراً بخـارجـة فـدت علياً بمـن شـاءت مـن البشـر

«لا يزالُ قبر جعفر الطيار قائماً عند مؤتة، ويقال إنَّ النصارىٰ أيضاً يبجلون قبره كما يبجلُه المسلمون. وابتنىٰ المسجد القائم هناك الملك المعظم عيسىٰ الأيوبي»[2].

وعن قبر جعفر (ع) ذكر الشيخ المحقق محمد حرز الدين: أنه مشيد وعليه قبة قديمة وله حرم وإلىٰ جنبه مسجد نقلاً عن بعض الزائرين العراقيين لمرقده في الأردن في امارة الشريف عبد الله بن الشريف حسين بن الشريف علي الحسني، شرفاء مكة وأضاف فضيلة المؤلف فقال: حدثني المتتبع السيد عبد الرزاق المقرم ــ رحمه الله ــ عن قبر الطيار وبقاء جسده الطاهر. قال السيد المقرم: حدثني الشريف الجليل الأديب السيد عبد الجبار الوردي الكاظمي في يوم السبت ١٠ جمادى الأولىٰ سنة ١٣٨٦ وهو في دمشق الشام، أن الشريف عبد الله من أهل عمّان والمحامي بالمحكمة الشرعيّة، حدثه في قرية (أريحا) سنة ١٣٨٣ هـ أنه في سنة ١٩٤٢ ذهب الشريف عبد الله ابن الشريف الملك حسين جد الملك

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ القسم الثاني من مج ٢/ ص ٧٢٠.
(٢) الشنتاوي وآخرون/ دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)/ ج ٦/ ص ٤٧٢.

الحسين بن طلال وكان الشريف عبد الله أميراً في (عمّان) لتعمير قبر جعفر الطيار في (مؤته) فلما وصلوا إلى القبر وجدوه مهدوماً فنزل الشريف عبد الله المحامي في المحكمة الشرعية إلى القبر وحده بأمر الشريف الأمير عبد الله فرأى بدن «جعفر الطيار» بهيئته وبثيابه وعليه الدم طريّاً والسيف في عنقه إذ لم يتغير من بدنه شيء، فكأنه ميت من يومِه وكان الشريف المحامي يحلف بالإيمان المغلظة مِراراً أنه وجده كذلك. فعمر الأمير عبد الله بن الملك حسين القبر وبنىٰ المسجد الذي عليهِ الآن وبهذه المناسبة نظم السيد عبد الجبار الوردي بيتينِ في حق جعفر ذي الجناحين:

وشهيد بأرض مؤته حيّ   جعفر والشهيد ليسَ يموتُ
هو باقٍ قد ضمّه كل قلبٍ   حيث ما ضمَّ جعفراً تابوتُ[1]

وإذا ما استصبنا ما ذكر في دائرة المعارف ومراقد المعارف فإن ابن عنبه يرى أن جعفراً وزيداً وعبد الله كانوا دفنوا في قبر واحد وعُمّي القبر[2].

رحم الله جعفراً وأجزل له الثواب فلقد كان (ع) لسان ابن عمه النبي ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ وسفيره الصادق الحجة، الواضح المحجة، ويده القوية الضاربة التي جلت الكرب عن رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ والمسلمين في مواطن كثيرة نكل فيها الأبطال وولىٰ فيها الفرسان الأدبار وكان محمد ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ به كثيراً وكانت أبصار المسلمين تشخص إليه في مدلهمات الخطوب وأعناقهم تشرئب نحوه في ساعات المحن والأرزاء فحري بالتاريخ أن يدخله من أوسع أبوابه ويخلده في أنصع صحائفه.

بنو جعفر بن أبي طالب، ويقال لهم الجعفريون[3] بطن من بطون آل أبي طالب وهم ثلاث أفخاذ: بنو علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب،

---

(١) مراقد المعارف/ ج ١/ ص ٢٢٧ وما بعدها.
(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٦.
(٣) النويري/ نهاية الأرب/ ج ٢/ ص ٣٦٠.

وبنو إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وبنو إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[1] والعقب من جعفر بن أبي طالب (ع) إنما هو في ولده عبد الله الأكبر الجواد وليس له عقب الا منه قاله صاحب العمدة[2].

(1) نفس المصدر/ ص ٣٦٠.
(2) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٩.

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

قطب السخاء[1]، ابو جعفر[2]، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي ابن ذي الجناحين أحد أجواد الحجاز الثلاثة[3] ورابع أجواد بني هاشم[4] وهو أول مولودٍ ولد للمسلمين المهاجرين في الحبشة وتيمناً باسمه الكريم فقد سمىٰ النجاشيُّ (عاهل الحبشة) ولداً له عبد الله فأرضعته اسماء حتىٰ فطمته[5] وقد أدرك عبد الله بن جعفر النبيّ ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ وروىٰ عنه[6] قال جعفر بن محمد (ع): بايع رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وهم صغار ولم يبايع قطّ صغير الآ هم[7].

وعند منصرف الناس من مؤته وقفولهم إلى المدينة لقيهم الصبيان يشتدون والرسول مقبل على القوم علىٰ دابة، فقال ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر، فأتي بعبد الله فأخذه

---

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء ص ٤٨.
(٢) نفس المصدر/ ص ٤٨ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٨.
(٣) ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ج ٤/ ص ١٧٠.
(٤) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨.
(٥) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٨.
(٦) نفس المصدر/ ص ٤٨ والأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٤.
(٧) ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ج ٤/ ص ١٧٠.

وحمله بين يديه[1].

روىٰ عبد الله بن جعفر فقال: مسحَ رسول ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ علىٰ رأسي وقال: اللهم اخلف جعفراً في ولدهِ وعنه أيضاً قال: كنا نلعب فمرَّ بنا ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ علىٰ دابّة فحملني أمامه[2] وقد ذكر غير واحد من الرواة: أن النبيّ ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ مرَّ بعبد الله بن جعفر وهو يصنع شيئاً من طين من لعب الصبيان فقال: ما تصنعُ بهذا؟ قال: أبيعه، قال: ما تصنع بثمنه؟ قال: أشتري به رطباً فآكله. فقال النبيّ: اللهم بارك له في صفقة يمينه. فكان يقال: ما اشترىٰ شيئاً الاّ ربحَ فيه[3].

لقد تهيأ لعبد الله من الحسب السنيّ والمجد القديم ما حق له أن يتبذّخ به ومن الأدب والأرب ما كان به قَمينا ولله دَرّ واصفه حيث يقول: «ريحانة طيبٌ ريحُها، ليّن مسُّها، قليل على المسلمين ضرها»[4] ولا غرو في ذلك فإن من شابَهَ محمداً ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ في خلقهِ وخُلقِه كان أجدر بأنْ يجمعَ اللَّهُ فيهِ الحسنىٰ وأن يعَلىٰ في المكارم ولا بدع فيمن كان ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ وليّهُ في الدنيا والآخرة أن تثنىٰ بهِ الخناصِرُ وأن تكون له معاظِم واجبة المراعاة[5] وكان عمر بن

(١) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٤٢ وابن هشام/ السيرة النبوية/ ج ٤/ ص ٢٤.
(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٨.
(٣) نفس المصدر/ ص ٤٨ والأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٤ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٩ مع اختلاف يسير.
(٤) الآلوسي/ بلوغ الأرب/ ج ٣/ ص ١٦٧ من كلام لربيع بن ضبيع الفزاري الذي ذكر أنه عاش مائتي سنة في فترة عيسى (ع) وعشرين ومائة في الجاهلية وستين في الإسلام.
(٥) إشارة إلى حديث النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ: «وأما عبد الله فيشبه خَلقي وخُلقي وفيه: أنا وليهُّم في الدنيا والآخرة» يراجع: ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٨ وابن عنبة/ عمدة الطالب في أنساب آل

الخطاب (رض) إذا رأى عبد الله بن جعفر، قال: السلام عليك يا بن ذي الجناحين[١]. ومما أثر عن عبد الله بن جعفر قوله: «كنت إذا سألت عليّاً شيئاً فمنعني، وقلت له: بحق جعفر الا اعطاني»[٢].

كان عبد الله بن جعفر من اولئك الأقطاب الذين لا يقايَضَ بهم أحد... عزة قعساء وهمة علماء وفروسيّة ثابتة ومقول فصيح ولعمري تلك في بني الطيار صفات لازمة «وهي صفات علوية لا شك فيها»[٣] ولنا من الدلائل المتناصرة على أن ابن جعفر من تلك الصفات على أحسنِ مَوفِر فقد كان أحد امراء عليّ (ع) يوم صفين[٤] والناطق بلسانه اثر محنةِ التحكيم مخبراً عن جلية الأمر مبيناً حقيقة الحال وملزماً الخصومَ الحجة وكان مما قال: «أيها الناس. هذا أمر كان النظر فيه لعليّ. والرضا فيه إلى غيره، جئتم بأبي موسىٰ فقلتم قد رضينا هذا فارض به، وايم الله ما أصلحا بما فعلا الشام ولا أفسدا العراق، ولا أماتا حقَّ علي، ولا أحييا باطل معاوية، ولا يذهب العقل قلّةُ رأي، ولا نفخة شيطان، وإنا لعليّ اليوم كما كنا أمس عليه»[٥] وكان له شرف منازلة الباطل وهو يناضل عن أمير المؤمنين (ع) وينافح عن حقه المضيّع في «معركة الجمل»[٦] بل يرىٰ السيد المحقق بهامش العمدة أن علياً (ع) عقد له يوم الجمل على عشرة الآف، ولازم عمّه علياً فأفاد منه علماً وتبصُّراً في دقائق الأمور، وحظي بعده بإمامية الحسن والحسين وكم مرّة استماله معاوية فما وجد الا رجلاً صلب الإيمان عارفاً

أبي طالب/ ص ٣٧.

(١) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ١/ ص ٣٤٤.

(٢) نفس المصدر/ ص ٣٤٤.

(٣) العقاد/ أبو الشهداء/ ص ٤٦.

(٤) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثلاثة أجزاء/ ص ٤٩، الجاحظ/ البخلاء/ تعليقات وشروح/ ص ٣٥٧.

(٥) القرشي/ حياة الحسن بن علي/ ج ١/ ص ٣٦٧.

(٦) انظر المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٨.

بالحق مائلاً عن سفاسف الملحدين فكثرت فيه القالة وتوسع اتباعُ الهوىٰ في الحط من قدره بأحاديث لا نصيب لها من الحقيقة[1].

لقد كان عبد الله بن جعفر حريصاً علىٰ حياة عليّ (ع) حرصه على الإسلام ومُثُلِه وأن افتقاده يعني نقضه وتقويضها من هنا تدرك مدى التياع قلبه وانقضاض جوانحهِ وتنكّد عيشه يوم قام النعيُّ بمصرعهِ (ع) بسيف خلاصة الاثم ابن ملجم، قال عبد الله بن جعفر مخاطباً الحسن بن علي (ع): «يا أبا محمد ارفعه اليّ أشفِ نفسي منه»[2] ولا أخالك تصاب بالدهش ازاء موقفه ذاك إذا ما استعدت إلى ذاكرتك مقولة علي (ع) في صفين بعد التحكيم: «ولقد هممتُ بالاقدام علىٰ القوم فنظرتُ إلىٰ هذين قد ابتدراني ــ يعني الحسن والحسين ــ ونظرت إلىٰ هذين قد استقدماني ــ يعني ــ عبد الله بن جعفر ومحمد بن علي ــ فعلمتُ أن هذين إن هلكا انقطع نسل رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ من هذه الأمة وكرهت ذلك وأشفقت علىٰ هذين أن يهلكا»[3].

وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (ع) مع سموّ منزلته وأصالةِ عقله وشرفه لا يقطع في أمر دون استشارة الحسين (ع) والاستئناس برأيه والتزام جانبه. فقد ذكر أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بـ(المبرد): «أن معاوية كتب إلىٰ مروان بن الحكم وهو والي المدينة: أما بعد: فإن أمير المؤمنين أحبّ أن يردَّ الالفة ويسلَّ السخيمة فإذا وصل إليك كتابي فاخطب إلىٰ عبد الله بن جعفر ابنته ام كلثوم علىٰ يزيد بن أمير المؤمنين وارغب له في الصداق، فتوجه مروان إلىٰ عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في ردِّ الالفة من صلاح ذات البين واجتماع الدعوة، فقال عبد الله: إن خالها الحسين بينبع وليس ممن يفتات عليه بأمر فانظرني

(١) هامش عمدة الطالب/ ص ٣٧ بقلم السيد المحقق.
(٢) المبرد/ الكامل/ ج ٣/ ص ١٠٩.
(٣) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ١٥٧.

إلىٰ أن يقدم، وكانت أمُّها زينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله بن جعفر فقام من عنده فدخل علىٰ [أم كلثوم] فقال: يا بنيه ان ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب احق بك ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلتكِ البغيبغات»[1] وأضاف المبرد: إن هذه الضيعة لما تزل في يدي بني عبد الله بن جعفر من ناحية ام كلثوم يتوارثونها[2].

وروي: أن عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولىٰ رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ تنازعا إلى معاوية بن أبي سفيان في أرض فقال عمرو لأسامة: كأنك تنكرني فقال له أسامة: ما يسرني نسبك بولائي فقام مروان بن الحكم فجلس إلىٰ جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس إلىٰ جانب أسامة فقام سعيد بن العاص فجلس إلىٰ جانب مروان فقام الحسين فجلس إلىٰ جانب الحسن وقام عبد الله بن عامر فجلس إلىٰ جانب سعيد فقام عبد الله بن جعفر فجلس إلىٰ جانب الحسين وقام عبد الرحمن بن الحكم فجلس إلىٰ جانب ابن عامر فقام عبد الله بن العباس فجلس إلىٰ جانب ابن جعفر فلما رأىٰ ذلك معاوية قال: لا تعجلوا إن كنت شاهداً إذ اقطعها رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ أسامة فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين وأقبل الأمويون عليه فقالوا: الا كنت اصلحت بيننا قال: دعوني، فواللهِ ما ذكرت عيونهم تحت المغافر يوم صِفّين الا لبس علىٰ عقلي[3].

إن من دلائل أدب عبد الله وسمّو خلقه أنه كان إذا ما خاطب الحسنين عليهما السلام فدّاهُما بأبويه ــ وهما من هما ــ فيقول: بأبي أنتما

(١) الكامل/ ج ٣/ ص ١١٥.
(٢) نفس المصدر/ ص ١١٥.
(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٥٥.

وأمي[1]. ويعمرك هل كان ذلك على نحو المحاباة والمصانعة؟ أم ترى هي حقيقة العارف بقدرهما والمذعن بحقهما؟

إن عند عبد الله بن جعفر مصداق ذلك فحين بلغه مصرعُ ابنيهِ مع الحسين في واقعة الطف دخل عليه بعض مواليه يُعزونه فقال مولىً له: «هذا ما لقيناه من الحسين فحذَفهُ ابن جعفر بنعلِه وقال: يا ابن اللخناء أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لاحببتُ أن لا افارقه حتىٰ اقتل معه واللهِ انه لمما يسخي بنفسي عنهما ويهوّن عليّ المصاب بهما انهما اصيبا مع أخي وابن عمّي مواسيين له صابرين معه ثم قال: إن لم تكن آست الحسين يدي فقد آساه ولدي»[2] فضارَ هذا وفاءً لذاك.

أما ما ذكر من أمره مع يزيد بعد وفاة معاوية ومضاعفة يزيد العطاء لابن جعفر إثر كلام جرىٰ بينهما والاعتراض عليه فهو عند ابن أبي الحديد: «ساقط، لأن ذلك إنْ صحَّ لم يُعَدّ جوداً ولا جائزة ولا صلة رحم، هؤلاء قوم كان يخافهم علىٰ ملكه، ويعرف حقهم فيه، وموقعهم من قلوب الأمة، فكان يدبّر في ذلك تدبيرا، ويريع أمورا، ويصانع عن دولته وملكه»[3].

ولم يبعد ابن أبي الحديد ـ فيما أظن ـ عن الحقيقة فيما ذكر فبين يزيد وعبد الله بن جعفر مضاغنة عظيمة ومؤاحنة قديمة يروي جانباً منها صاحب الدرجات الرفيعة فيقول: دخل عبد الله بن جعفر علىٰ معاوية بن أبي سفيان وعنده ابنه يزيد فجعل يزيد يعرّض بعبد الله وينسبه إلى الاسراف فقال عبد الله: إني لأرفع نفسي عن جوابك ولو صاحب السرير يكلّمني لأجبته فقال له معاوية: كأنك تظن أنك أشرف منه قال: اي واللهِ ومنك ومن أبيك ومن جدك فقال معاوية: ما كنت أظنّ إن في عصر حرب بن أميّة أشرف منه، فقال عبد الله: بلىٰ إن أشرف من حرب من أكفأ عليه اناءه وأجاره

(١) المبرد/ الكامل/ ج ١/ ص ٩٦.
(٢) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ ج ٣/ ص ٧٠٠ وما بعدها.
(٣) شرح نهج البلاغة/ ج ١٥/ ص ٢٥١ وما بعدها.

بردائهِ فقال معاوية: صدقت يا أبا جعفر[1].

وتنقص عمرو بن العاص عبد الله بن جعفر عند معاوية وكان جماعة من بني هاشم حاضري المجلس فقال: أتاكم رجل خذول للسلف متعارف بالسرف... فغضب عبد الله بن الحرث بن عبد المطلب وقال: كذبت يا عمرو ليس عبد الله كما ذكرت ولكنه للهِ ذكور، ولبلائهِ شكور، وعن الخنا نفور، مهذب، ماجد، كريم، حليم، ان ابتدا أصاب وإن سئل أجاب غير حصرٍ ولا هيّاب كالهزبر الضرغام والسيف الصمصام[2].

ولقد جاء الجاحظ بمراهم الكلام في مقام الدفاع عن ابن ذي الجناحين قال: وهل كان انفاق عبد الله المالَ إلا في طلب الذكر والتماس الشكر؟ وهل قال أحد ان انفاقه كان في الخمور والقمار وفي الفسولة والفجور؟ وهل كان إلا فيما تسمونه جوداً وتعدونه كرماً[3] وبعمرك هل كان حديث الأربعاء[4] عن ابن جعفر حديث وعاية ورعاية أم حديث سماع ورواية.

لقد عيَّبَ البعضُ عبد الله بن جعفر فقالوا: رجل بذرٌ سَرِف... ونسوا أن أملأ الناس بالعيوب العيّاب. وقال عبد الله بن جعفر: ان اللهَ قد عودني أن يتفضّلَ عليَّ وعودته ان اتفضل علىٰ عبادهِ فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني[5]. وتخوف البعض الفقر عليه فكان جوابه:

لستُ أخشى قِلّة العدمِ ... ما اتقيتُ الله في كرمي
كلما انفقتُ يخلفه ... ليَ رب واسعُ النِعَمِ[6]

---

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٧٣.
(٢) نفس المصدر/ ص ١٧٢.
(٣) البخلاء/ ص ١٧٦.
(٤) د. حسين/ طه/ حديث الأربعاء/ ج ١/ ص ٢٣٥ وما بعدها.
(٥) ابن عبد ربّه/ العقد الفريد/ ج ١/ ص ١٢٣ والمبرد الكامل/ ج ١/ ص ٩٦ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٩.
(٦) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٧٧ وما بعدها وعلي

لقد كان ابن جعفر فياضاً بالعطاء لو ملكَ الدنيا لَفيَّحَهَا في يومٍ واحد وهو في ذلك لا يخافُ فقراً أو خصاصة ولايخشىٰ غائلتهما. فمما يروى: أن يزيد بن معاوية وجَّهَ إلىٰ عبد الله بن جعفر مالاً جليلاً هديّة ففرقه في أهل المدينة ولم يدخل منزله منه شيئاً وفي ذلك يقول عبد الله بن قيس بن الرقيات:

وما كنت الا كالأغر ابن جعفرٍ   رأىٰ المال لا يبقىٰ فأبقىٰ له ذِكرا[1]

وكقول الشماخ بن ضرار الثعلبي:

انك يا ابن جعفر نعم الفتىٰ   ونعم مأوىٰ طارق إذا أتىٰ
وجار ضيفٍ طرق الحي سرىٰ   صادف ناراً وحديثاً يُشتهىٰ
ان الحديث طرف من القِرىٰ[2]

وكان كثير النوال جزيل العطية كريماً نفاحاً.... قال الأصفهاني: بلغني أن أعرابياً وقف على مروان بن الحكم أيام الموسم بالمدينة فسأله فقال: يا أعرابي، ما عندنا ما نصلك؛ ولكن عليك بابن جعفر، فأتىٰ الأعرابيّ باب عبد الله بن جعفر فإذا ثقله قد سار نحو مكة، وراحلته بالباب عليها متاعه وسيف معلّق، فخرجَ عبد الله من داره وانشأ الأعرابي يقول:

أبو جعفر من أهل بيت نبوة   صلاتهم للمسلمين طهور
أبا جعفر إنَّ الحجيج ترحّلوا   وليس لرحلي فاعلمنَّ بعير
أبا جعفر ضنَّ الأمير بمالهِ   وأنت علىٰ ما في يديك أمير
وأنت امرؤ من هاشم في صميمها   إليك يصير المجد حيث تصير

فقال عبد الله بن جعفر: يا أعرابي، سار الثقل فدونك الراحلة بما

خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤.
(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٩.
(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٧.

عليها، وإياك أن تخدع عن السيف فاني اخذته بألفِ دينار. فانشأ الأعرابيّ يقول:

حباني عبد الله، نفسي فداؤه ... بأعيس موّارٍ سباط مشافره
وابيض من ماء الحديد كأنّه ... شهاب بدا والليل داج عساكره
وكل امرىءٍ يرجو نوال ابن جعفر ... سيجري له باليمن والبشر طائره
فيا خير خلقِ الله نفساً ووالدا ... واكرمه للجار حين يجاوره
سأثني بما أوليتني يا ابن جعفرٍ ... وما شاكر عرفاً كمن هو كافره[1]

ومدح نصيب بن رياح عبد الله بن جعفر فأمر له بمالٍ كثير وكسوة شريفة ورواحل موقرة بُرا وتمرا فقيل لعبد الله: أتفعلُ هذا بمثل هذا العبد الأسود فقال عبد الله: أما لأن كان عبدُ إنني لحر وإن كان أسود إن ثناءَه لأبيض وإنما أخذ مالاً يفنىٰ وثياباً تبلىٰ ورواحل تُنضى وأعطىٰ مديحاً يروىٰ وثناءً يبقىٰ[2].

ووفد شاعر على عبد الله بن جعفر فأنشده:

رأيت أبا جعفر في المنام ... كساني من الخزّ درّاعة
شكوت إلىٰ صاحبي أمرها ... فقال ستؤتىٰ بها الساعة
سيكسوها الماجد الجعفريّ ... ومن كفه الدهر نفاعة
ومن قال للجود لا تعدني ... فقال لك السمع والطاعة

فقال عبد الله لغلامه: ادفع إليه دراعتي الخزّ ثم قال له: كيف لو ترىٰ جبتي المنسوجة بالذهب التي اشتريتها بثلثمائة دينار! فقال له الشاعر: بأبي دعني اغفى اغفاء أخرىٰ فلعلّي أرى هذه الجبة في المنام، فضحك عبد الله منه وقال: يا غلام ادفع إليه جُبّتي الوشي[3]. وكان أهل المدينة يدّانون

---

(١) الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٥ وما بعدها وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨١.
(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٩.
(٣) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٦ وما بعدها وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨١.

بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاء ابن جعفر[1]. وروى المدائني عن أبي زكريا العجلاني قال: قال مخرمة بن نوفل: بنو هاشم أكمل سخاءً من بني أميّة. وقال جبير بن مطعم: بنو أميّة اسخى فقال مخرمة: امتحن ذلك ونمتحنه. فأتىٰ جبير سعيد بن العاصي وابن عامر ومروان فسألهم فأعطاه كلٌّ واحد منهم عشرة آلاف، وأتىٰ مخرمة الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر فأعطاه كل واحد منهم مائة ألف درهم فردَّها مخرمة وقال: إنما أردت امتحانكم[2]! وقصد رجل عبد الله بن جعفر بسكّرٍ قدم به من المدينة فكسد عليه فاشتراه منه وانهبه الناس فلما رأىٰ الرجل ذلك قال لعبد الله: أتأذن لي أن انهبَ معهم جعلت فداك قال: بلىٰ فانهبْ فجعل ينهب مع الناس وعبد الله يضحك[3].

وقيل إنّ أعرابياً باع راحلة من عبد الله بن جعفر، ثم غدا عليه فاقتضىٰ ثمنها، فأمر له به، ثم عاوده ثلاثاً، وهو في كلّ مرّةٍ يقتضي ثمنها فقال فيه:

لا خير في المجتدىٰ في الحين تسأله ... فاستمطروا من قريش خير مختدع
تخالُ فيه اذا حاورته بلهاً ... من جوده وهو وافي العقلِ والورعِ[4]

ومن غريب ما يحكىٰ من جوده أن عبد الرحمن بن أبي عمارة وهو من نساك الحجاز دخل على نخاسٍ يعرض قياناً له، فتعلّق بواحدة منهن فشهر بذكرها حتىٰ مشىٰ إليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه أن قال:

يلومني فيك أقوام بمالهم ... فما أبالي أطار اللوم أم وقعا

(١) نفس المصدر/ ص ٢١٧.
(٢) البلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٥.
(٣) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٨ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٧٠.
(٤) نفس المصدر/ ص ٢١٨ وما بعدها.

فانتهىٰ خبره إلى عبد الله بن جعفر فلم يكن له همّ غيره فحج فبعث إلى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين ألف درهم وأمر قيّمة جواريه أن تزينها وتطيبها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال: مالي لا أرىٰ ابن أبي عمارة فاخبر الشيخ فأتاه مسلّماً فلما أراد أن ينهض استجلسه ثم قال: ما فعل حبُّ فلانه؟ قال: في اللحم والدم والمخ والعصب، قال: أتعرفها لو رأيتها قال: لو أدخلت الجنّة ما أنكرها فأمر بها عبد الله أن تخرج إليه وقال: انما اشتريتها لك والله ما دنوت منها فشأنك بها مباركاً لك فيها فلما ولّى قال: يا غلام احمل معه مائة ألف درهم ينعم معها فبكى عبد الرحمن فرحاً وقال: يا أهل البيت لقد خصّكم الله بشرف ما خصّ به أحداً قبلكم من صلب آدم (ع) فلتهنكم هذه النعمة وبورك لكم فيها[1].

وخرج عبد الله بن جعفر إلىٰ ضيعة له فنزل علىٰ نخيلِ قوم فيه غلام أسود يقوم عليها فأتى الغلام بقوته ثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا من الغلام فرمىٰ إليه بقرص فأكله ثم رمىٰ إليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر إليه فقال: يا غلام كمْ قوتك كل يوم. قال: ما رأيت، قال: فلم آثرت هذا الكلب قال: ما هي بأرض كلاب وأنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أرده قال: فما أنت اليوم صانع قال: أطوي يومي هذا. فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء، إن هذا لأسخىٰ منّي فاشترىٰ الغلام والنخيل فاعتق الغلام ووهبَ له النخيل ثم ارتحل.

وأنشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر:

إن الصنيعة لا تكون صنيعةً ... حتّىٰ تصيب بها طريق المصنع

فقال: هذا رجلٌ يريد أن يبخل الناس بل أمطر المعروف مطراً فإن صادف موضعاً كان الذي قصدت وإلا كنت أحق به[2].

---

(١) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٦٩ وما بعدها.

(٢) نفس المصدر/ ص ١٧٠.

لقد شرّف الله تعالىٰ عبد الله بن جعفر بالكرامة وجللهُ بالحرمة وحباه الوجاهة فكان الملجأ واللياذ للمتحوّج والخائف قال المبرّد. إن عبد الله بن قيس الرقيات كان منقطعاً إلىٰ مصعب بن الزبير وكان كثير المدح له وكان يقاتل معه وله فيه أشعارٌ كثيرة، فلما قتل مصعب كان عبد الملك عازماً علىٰ قتل عبد الله بن قيس فهرب فلحقَ بعبد الله بن جعفر فشفع فيه إلى عبد الملك فشفعه في أن ترك دمه فقال: ويدخل إليك فتسمع منه فأبىٰ فلم يزل به حتىٰ أجابه ففي ذلك يقول لعبد الله بن جعفر:

أتيناك نثني بالذي أنت أهله ... عليك كما أثنىٰ على الأرض جارها
تقدتُ بي الشهباء نحو ابن جعفر ... سواء عليها ليلها ونهارها
تزور فتىٰ قد يعلمُ الناسُ أنه ... تجودُ له كف قليلٌ غرارها
فوالله لولا أن تزور ابن جعفر ... لكان قليلاً في دمشق قرارها[1]

إلى كثير من ذلك مما يجاوز حدود الحصر كنّا تركناه خشية الاطالة، ولعل خير ما نختم به هذا الموضوع ما أنشده الخليفة هارون الرشيد لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال الرشيد: للهِ دَرُّ عبد اللهِ بن جعفر فلقد نطق بالحكمة حيث يقول:

يا أيّها الزاجري عن شيمتي سفها ... عمدا عصيت فقال الزاجرُ الناهي
اقصِرْ فانك من قومٍ ارومتهم ... في اللؤم فافخر بهم إن شئتَ أو باهي
يزيّن الشعر افواهاً اذا نطقت ... بالشعر يوماً وقد يزري بأفواهِ
قد يرزق المرءُ لا من فضل حيلتهِ ... ويصرف الرزق عن ذي الحيلةِ الداهي
لقد عجبت لقوم لا أصول لهم ... أثروا وليسَ وإن أثروا بأشباهِ
ما نالني من غنىٰ يوماً ولا عدم ... الا وقولي عليهِ الحمدُ لِلّهِ[2]

قال يعقوب بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس قلت: «ومن الذي

(١) الكامل/ ج ٢/ ص ١٩٤.
(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤.

بلغت به المقدرة أن يسامى بتلك أو يدانيه قال: لعلهُ من بني أبيك وأمك»[1].

وفي مرض عبد الله بن جعفر الذي توفي فيه توارد عليه الزائرون عارفو فضله ومقدرو قدرهِ وصنائع احسانه وكان منهم أعرابي أتاه وهو محموم فأنشأ يقول:

كم لوعة لندى وكم قلق | للجود والمكرمات من قلقك؟
البسك الله منه عافية | في نومك المعترى وفي أرقك
أخرجَ من جسمك السقام كما | اخرج ذم الفعال من عنقك

فأمر له بألف دينار[2]. وهذا أسير معروفه وعتيق كرمه عبد الله بن قيس الرقيات ينعى إليه خبر توعك عبد الله فيقول[3]:

قد أتانا بما كرهنا أبو | اللسلاسِ كانت بنفسه الأوجاع
قال: يشكو الصداعُ وهو ثقيل | بك لا بَالذي ذكرت الصداعُ

قال أبو الفرج: «فراح يوماً إلى الجمعة وهو يقول: اللهم انك عودتني عادةً جريتُ عليها، فإن كان ذلك قد انقضىٰ فاقبضني إليك، فتوفي في الجمعة الأخرىٰ»[4] وقيل إنَّه لما حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فأوصىٰ إليه ــ وفي ولده من هو أسن منه ــ وقال له: إني لم أزل اؤملك لها. فلما توفي احتال معاوية بدين أبيهِ وخرج فطلب فيه حتىٰ قضاه، وقسم أموال أبيه بين ولده، ولم يستأثر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما[5].

---

(١) نفس المصدر/ ص ١٨٤.
(٢) الخطيب البغدادي/ أحمد بن علي/ تأريخ بغداد/ ج ٦/ ص ٣٨١ ــ ٣٨٢ دار الكتاب العربي/ بيروت. لبنان.
(٣) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢٢١.
(٤) نفس المصدر/ ج ١٢/ ص ٢١٩.
(٥) نفس المصدر السابق/ ج ١٢/ ص ٢١٩ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٩ باختلاف يسير.

واختلف في سنة وفاته وعمره، فقيل: توفي وهو ابن سبعين سنة في خلافة عبد الملك بن مروان وهو الذي صلّى عليه[1]. وفي الإصابة عن الواقدي أنه توفي سنة سبع وثمانين وله تسعون سنة[2]، وقيل مات بالابواء سنة تسعين وصلىٰ عليه سليمان بن عبد الملك بن مروان وله تسعون سنة[3]. وقيل غير ذلك.

ولما توفي عبد الله بن جعفر شهده أهل المدينة كلّهم، فما تنظر إلىٰ ذي حجا إلا رأيته مستعبراً قد أظهر الهلع والجزع[4]. فلما فرغوا من دفنه وقف عمرو بن عثمان على شفير قبره فقال: «رحمك الله يا ابن جعفر! إن كنت لرحمك لواصلا، ولأهل الشر لمبغضا ولأهل الريبة لقاليا، ولقد كنت فيما بيني وبينك كما قال الأعشى:

رعَيت الذي قد كانَ بيني وبينكم ... من الود حتى غيبتك المقابرُ

فرحمك الله! يوم ولدت ويوم كنت رجلاً ويوم مت ويوم تبعث حيا! والله لئن كانت هاشم أصيبت بك لقد غم قريشاً كلها هلكك، فما أظن أن يرىٰ بعدك مثلك».

ووقف عمرو بن سعيد عند قبره ورثاه فقال: لا إله إلا الله الذي يرث الأرض ومن عليها وإليه ترجعون، ما كان أحلى العيش بك يا ابن جعفر! وما أسمج ما أصبح بعدها! والله لو كانت عيني دامعة على أحد لدمعت عليك، كان والله حديثك غير مشوب بكذب، وودّك غير ممزوج بكدر[5].

---

(١) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢١٩.
(٢) ابن حجر/ الجزء الثالث من ثمانية أجزاء/ ص ٤٨.
(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٣.
(٤) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٣١٩ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٣.
(٥) الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج ١٢ ص ٢٢٠ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٣.

وقال عبد الله بن قيس الرقيات:

بـــات قلبـــي تشفُّـــه الأوجـــاعُ ... مـــن همـــوم تجنّهـــا الأضـــلاعُ

مـــن حـــديـــث سمعتـــه منعَ النـــو ... مَ فقلبـــي ممـــا سمعـــت يُـــراع

إذ أتـــانـــا بمـــا كـــرهنـــا أبـــو ... اللســلاس، كـانـت بنفسـه الأوجـاع

ابـــن اسمـــاء لا ابـــالـــك تنعـــىٰ ... إنـــه غيـــر هـــالـــك نفـــاع

هـاشمياً بكفـهِ مـن سجـال المجـد ... سجـــلٌ يهـــون فيـــهِ القُبـــاع

نشـــر النـــاس كـــل ذلـــك منـــه ... شيمـة المجـد ليـس فيـهِ خِـداع

لـــم أجـــد بعـــدك الا خـــلاّء الا ... كثمـــادٍ بـــه قـــذىً أو نِقـــاع

بيتـــه مـــن بيـــوت عبـــد منـــافٍ ... مـــدَّ أطنـــابـــه المكـــان اليفـــاع

منتهـــىٰ الحمـــد والنبـــوة والمجـــد ... إذا قصّـــرَ اللئـــام الـــوضـــاع

فستـأتيـك مِـدحـة مـن كـريـمٍ ... نـالـه مـن نـدىٰ سجـالـك بـاع[1]

وأما عقب جعفر بن أبي طالب (ع) ففي ولده عبد الله الأكبر الجواد وحده وليس له عقب إلا منه، قاله صاحب العمدة[2] فولد عبد الله عشرين من الأبناء الذكور وقيل أربعة وعشرين[3] نذكر منهم:

عليّ بن عبد الله بن جعفر الزينبيّ[4] وفيه الكثرة والعدد[5] أمه زينب بنت علي بن أبي طالب (ع) وأمها فاطمة بنت رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ـ[6] ويقال لبني عليّ الزينبيون[7] وعلي بن عبد الله هذا سيد فقيه

---

(١) نفس المصدر/ ج ١٢/ ص ٢٢١.

(٢) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٩.

(٣) نفس المصدر/ ص ٣٨ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٣.

(٤) نفس المصدر/ ص ٣٨ وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٥) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٦) نفس المصدر/ ص ٦٨ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨.

(٧) النويري/ نهاية الأرب/ ج ٢/ ص ٣٦٠.

عالم يصلح للرياسة والإمامة[1].

ومعاوية بن عبد الله بن جعفر وصيّ أبيه والأثير لديه وإنما سمي بمعاوية لأن أباه يوم بشر بولادته كان في مجلس معاوية بن أبي سفيان فطلب معاوية منه ذلك وبذل له مئة ألف درهم[2] وقيل ألف ألف[3] وبعد أن قبض عبد الله المال أعطاه لمن بشره بالوليد[4] وإسحاق العرضي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[5].

وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر الزاهد[6] كان من ثقات التابعين[7] من أصحاب الإمام جعفر الصادق (ع)[8] قال السيد المحقق بهامش العمدة/ ص ٧٩ قتل إسماعيل سنة ١٤٥ هـ وقد قارب التسعين وأضاف أن ابن حجر ذكره في التقريب.

وعون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[9] وبدا لي أن لعبد الله ولدين بهذا الاسم أحدهما (الأكبر) والثاني (الأصغر).

وأما الأكبر فقد قيل: انه مات في حياة

---

(١) الجاحظ/ رسائل الجاحظ/ مج ٣ ــ ٤/ ص ١٢١.
(٢) الأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢٢٢ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨.
(٣) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨.
(٤) نفس المصدر/ ص ٣٨ والأصفهاني/ الأغاني/ ج ١٢/ ص ٢٢٢.
(٥) نفس المصدر/ ص ٣٨ قال: العريضي، وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨ والنويري/ نهاية الأرب/ ج ٢/ ص ٣٦٠ قال: «العرض: موضع بالمدينة».
(٦) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨.
(٧) هامش العمدة/ ص ٣٩ السيد المحقق.
(٨) الطوسي/ رجال الطوسي/ ص ١٤٧.
(٩) المسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٩١، والأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦٠ وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨، والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٣، وابن أعثم/ الفتوح/ مج ٥ ــ ٦/ ص ١٢٧.

أبيه[1]. وقيل إنه استشهد مع الحسين (ع) بالطف[2]. وقيل إن الذي استشهد مع الحسين بن علي (ع) إنما هو عون الأصغر[3]. وإلى الأخير يذهب ابن أعثم الكوفي في فتوحه كما نسب إليه عند خروجه (ع) إلى ساحة المعركة البيتين من الرجز:

ان تنكروني فأنا ابنُ جعفرِ   شهيد صدقٍ في الجنان الزهر
يطير فيها بجناح أخضرِ   كفا بهذا شرفاً من مشعر[4]

وإياه عنىٰ سليمان بن قتة بمرثيته:

واندبي إن بكيت عوناً أخاهُ   ليس فيما ينوبهم بخذول
فلعمري لقد اصيب ذوي القر   بىٰ فبكي على المصاب الطويل[5]

لكن أبا الفرج الأصفهاني يؤكد في مقاتله استشهاد عون الأصغر يوم (الحرة) كما لم يغفل ذكر قاتله[6]. وأم عون هي زينب العقيلة بنت علي بن أبي طالب (ع) وأمها فاطمة بنت رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ[7].

ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[8]. واستشهد مع

(1) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.
(2) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦٨.
(3) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.
(4) الفتوح/ مج ٥ ــ ٦/ ص ١٢٧.
(5) مقاتل الطابيين/ ص ٦٠.
(6) نفس المصدر/ ص ٨٣.
(7) نفس المصدر/ ص ٦٠.
(8) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ج ٢/ ص ٩١ والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٣. وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨، والكوفي/ ابن أعثم/ الفتوح/ مج ٥ ــ ٦/ ص ١٢٧ والأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ طبعة أخرى/ ص ٦٠.

الحسين (ع) بالطف أيضاً[1]. وأورد له ابن أعثم الكوفي في فتوحه أرجوزة عند خروجه إلى المعركة:

نشكو إلى اللهِ من العدوانِ ... فعال قوم في الردى عميان
قد بدلوا معالم الفرقان ... ومحكم التنزيل والتبيان
وأظهروا الكفر مع الطغيان[2]

وكان (ع) معنياً هو الآخر بمرثية الشاعر سليمان بن قتة بقوله:

وسمي النبي غودرَ فيهم ... قد علوه بصارمٍ مصقول
فإذا ما بكيت عيني فجودي ... بدموع تسيل كل مسيل[3]

نوه الجاحظ به في رسائله فقال: «سيد فقيه عابد يصلح للرياسة والإمامة»[4]. وأم محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب هي الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف بن ربيعة بن عثمان بن ربيعة[5]. وعبيد الله بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأمه الخوصاء بنت حفصة، استشهد هو الآخر مع الحسين (ع) بالطف وذكر ذلك الأصفهاني في مقاتله عن يحيىٰ بن الحسن العلوي فيما حدثه به أحمد بن سعيد عنه[6]. وحسين بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب استشهد مع الحسين (ع) بالطف ذكر ذلك ابن حزم في

---

(١) الكوفي/ ابن أعثم/ الفتوح/ مج ٥ ـ ٦/ ص ١٢٧ والأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦٠ والمسعودي/ مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٩١ والبلاذري/ أنساب الأشراف/ ج ٣/ ص ٢٢٣، وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.
(٢) الفتوح/ مج ٥ ـ ٦/ ص ١٢٧.
(٣) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦٠.
(٤) رسائل الجاحظ/ مج ٣ ـ ٤/ ص ١٢١.
(٥) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ٦٠.
(٦) المصدر نفسه/ ص ٦١ وابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨ لكن دون أن يتعرض لذكر استشهاده.

جمهرته[1].

وذكر ابن حزم ابناء آخرين لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب هم:

جعفر ـ عياض ـ أبو بكر[2] ـ يحيىٰ ـ صالح ـ موسىٰ ـ هارون ـ يزيد ـ ولا عقب لواحد منهم[3]. قال أبو نصر البخاري في (سر السلسلة العلوية): «كل جعفري في الدنيا فمن ولد عبد الله بن جعفر إذ لم يصح لجعفر عقب إلاّ من عبد الله بن جعفر، والذين ينتسبون إلىٰ عون ومحمد ابني جعفر لا يصح نسبهم أصلاً، والذين ينتسبون إلى عبد الله الجواد بن جعفر من غير أولاد معاوية بن عبد الله وعليّ بن عبد الله وإسحاق بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الله هؤلاء الأربعة فلا يصح لهم نسب ولا أعرف منتسباً إلى غيرهم»[4].

وسأقصر التنويه بأحد أحفاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من ولده معاوية وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، من شجعان الطالبيين ورؤسائهم وشعرائهم يكنى أبا معاوية وأمه اسماء وهي أم عون بنت العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وزوجته فاطمة بنت الحسن بن الحسن أنجبت له الحسن وصالحاً ويزيد. وكان عبد الله قد ظهر بالكوفة سنة خمس أوسبع وعشرين ومائة ودعا الناس إلى بيعته علىٰ الرضا من آل محمد فاجتمع عليه نفرٌ من أهل الكوفة فبايعوه وعظم أمره واتسعت مقدرته وملك الجبل بأسره، وكان أبو جعفر المنصور الدوانيقي عامله علىٰ (ابذج) واستعمل اخاه الحسن بن معاوية على (اصطخر)، وأخاه يزيد علىٰ (شيراز) وأخاه علياً علىٰ (كرمان) وأقام هو بأصبهان فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غلب عليها حتى ولي مروان بن محمد (الحمار)

---

(١) جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.
(٢) ذكر في الجمهرة/ ج ٦٨ والمقاتل/ ص ٨٢ أن أبا بكر قتل بالحرّة.
(٣) جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.
(٤) هامش عمدة الطالب/ ص ٥٧ بقلم السيد المحقق.

فوجه إليه عامر بن ضبارة في عسكر كثيف فخرج إلى أبي مسلم المروزي طامعاً في نصرته فأوقع عليه الحيل حتى أخذه وحبسه بهراة ولم يزل محبوساً حتى قتل سنة تسع وعشرين ومائة، وقبره بهراة وفيه يقول أبو مالك الخزاعي:

تنكرت الدنيا خلاف ابن جعفر علـيٍّ وولـىٰ طيبُها ونَعِيمُها

وعلىٰ الرغم مما ذكر عنه من الفظاظة والغِلاظة فإنه كان من ظرفاء بني هاشم وأدبائهم المجيدين في منظوم القول ومنثوره وكان خطيباً لسناً وكان الناس يقولون: ابن الطيار اخطبُ الناس.

ومن ظريف القول ما رواه الأصفهاني في أغانيهِ عن طفولة معاوية بن عبد الله بن جعفر، إن كثير عزة الشاعر كان يمرُّ بمعاوية وهو في المكتب فيكبُ عليه ويقبله ويقول: أنت من الأنبياء الصغار ورب الكعبة.

ولمعاوية من الشعر ما سار في الآفاق منه قوله:

لسنا وإن كرمت اوائلنا يوماً علىٰ الأحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعلُ مثل ما فعلوا

وله أيضاً:

وأنت اخي ما لم تكن لي حاجة فإن عرضت ايقنتُ أن لا اخاليا
فلا زال ما بيني وبينك بعدما بلوتك في الحاجات الا تماديا
كلانا غني عن اخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

وله:

الا ننزعِ القلبَ عن جهله وعما تؤنب من أجله
فيبدل بعد الصبا حكمة ويقصر ذو العذلِ عن عذله
فلا تركبن الصنيع الذي تلوم أخاك علـى مثله
ولا يعجبنك قول امرىء يخالف ما قال في فعله
ولا تتبع الطرف ما لا ينال ولكن سل الله من فضله

وكـم مـن مقـلّ ينـال الغنـىٰ ويحمـد فـي رزقـه كلّـه

وله في الاعتذار والاستعطاف نثراً:

«أما بعد فآتاك الله حفظ الوصية، ومنحك نصيحة الرعيّة، والهمك عدل القضية، فإنك مستودع ودائع، ومولىٰ صنائع، فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك، فالودائع عارية، والصنائع مرعية. وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها. ولا بمبلوغ مداها. فنبه للتفكير قلبك، واتقِ الله ربك...»[1].

محمد بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي أخو عبد الله وعون[2] في الأصفهاني لا تعرف له كنية[3] وفي ابن حجر عن الواقدي انه كان يكنىٰ أبا القاسم[4] وقيل أنه أول من سمي محمداً في الإسلام من المهاجرين[5] وكانت ولادته بأرض الحبشة[6] وأمه اسماء بنت عميس الخثعمية ــ كما مر ــ.

وقد روي أن رسول الله ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ قال لما

---

(١) اعتمدت في هذه الترجمة المراجع الآتية:
المبرد/ الكامل/ ج ١/ ص ١١٠، الأندلسي/ العقد الفريد/ ج ٢/ ص ٣٩، ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨، ص ٤٢، الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ١١١ وما بعدها، وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٨، الجاحظ/ البيان والتبيين/ ص ٥٧، الجاحظ/ الحيوان/ مج ١ ــ ٢/ ص ٥٨٦، قدامة بن جعفر/ نقد الشعر/ ص ١٤٧، البهائي/ الكشكول/ ج ٢/ ص ١٥. الأصفهاني/ الأغاني/ ج ٩/ ص ١٨.
(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢.
(٣) مقاتل الطالبيين/ ج ١١.
(٤) الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢.
(٥) ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٦.
(٦) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢ عند الدارقطني.

استشهد جعفر بن أبي طالب: ادعو لي بني أخي فجيء بنا كأنا أفراخ فقال: ادعوا لي الحلاق فأمر فحلقَ رؤسنا ثم قال: أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب وأما عون فشبيه خلقي وخلقي.. إلى آخر الحديث[1] وقد مرَّ نظير هذا في ثنايا الحديث عند ذكرنا لذي الجناحين وابنه أبي جعفر وفي الطبري أن علياً (ع) ندبه ومحمد بن أبي بكر رسولين إلى الكوفة وعليها أبو موسى الأشعري يستصرخ أصحابها ويستنصرهم[2].

وقد ذكر الشيباني قال: لما نزل محمد بن أبي بكر مصر، وصيّر إليه معاوية: ابن خليج الكندي تفرق عن محمد من كان معه فتغيب فدَلَ عليه فأخذه وضرب عنقه وبعث برأسه إلى معاوية. فكان أول رأس طيف به في الإسلام وكان محمد بن جعفر بن أبي طالب معه فاستجار بأخواله من خثعم فغيبوه وكان سيد خثعم يومئذ رجلاً في ظهره بزخ من كسر اصابه فكان إذا مشىٰ ظنّ الجاهل أنه يتبختر في مشيته فذكر لمعاوية أنه عنده. فقال له: أسلمْ إلينا هذا الرجل. فقال: ابن اختنا لجأ إلينا لحقن دمه. فدعه عنك قال: واللهِ لا آتيك بهِ.

قال: كذبت واللهِ لتأتيني به إنك ما علمت لأوره قال: أجل. إني لأوره حين أقاتلك على ابن عمك لتحقن دمه. وأقدم ابن عمي دونه تسفك دمه. فسكت عنه معاوية وخلّى بينه وبينه[3] وأورد ابن حجر عن المزرباني في معجم الشعراء قوله نحو ذلك[4].

وقيل إن محمد بن جعفر (ع) كان تشرّفَ بمصاهرة عليّ أمير

---

(١) نفس المصدر/ ص ٤٤ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٦.

(٢) الطبري/ تاريخ الرسل والملوك/ ج ٣/ ص ٣٩٣.

(٣) الأندلسي/ ابن عبد ربه/ العقد الفريد/ ج ١/ ص ٨٣.

(٤) الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢.

المؤمنين (ع) على ابنته ام كلثوم[1] وفي مكان استشهاده كما في ولادته خلاف. فقيل انه استشهد بتستر[2] وقيل بالطف[3] وقيل بصفين[4]. وذكر أبو الفرج بطرقه عن الضحاك بن عثمان قال: خرج عبيد الله بن عمر بن الخطاب في كتيبة يقال لها الخضراء. وكان بازائه محمد بن جعفر بن أبي طالب معه راية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) التي تسمىٰ الجموح. وكانا في عشرة آلاف. فاقتتلوا قتالاً شديداً.

قال: فلقد ألقىٰ الله عز وجل عليهم الصبر، ورفع عنهم النصر. فصاح عبيد الله متىٰ متىٰ هذا الحذر؟ أبرز حتىٰ اناجزك. فبرز له محمد فتطاعنا حتى انكسرت رماحهما. ثم تضاربا حتى انكسر سيف محمد. ونشب سيف عبيد الله بن عمر في الدرقة فتعانقا وعضَّ كل واحد منهما أنف صاحبه فوقعا عن فرسيهما. وحمل اصحابهما عليهما فقتل بعضهم بعضاً حتى صار عليهما مثل التل العظيم من القتلىٰ وغلب علي (ع) على المعركة فأزال أهل الشام عنهما. ووقف عليهما فقال: اكشفوا هؤلاء القتلىٰ عن ابن أخي فجعلوا يجرّون القتلىٰ عنهما حتىٰ كشفوهما فإذا هما متعانقان. فقال عليّ (ع) أما واللهِ لعن غير حب تعانقتما[5]. قال أبو الفرج: هذه رواية الضحاك بن عثمان. وما أعلم أحداً من أهل السيرة ذكر أن محمد بن جعفر قتيل عبيد الله بن عمر. ولا سمعت لمحمد في كتاب أحد منهم ذكر

---

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢: فضلاً عن الواقدي والمرزباني، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٥ نقلاً عن ابن عبد البر في الاستيعاب والقاضي نور الله في المجالس.

(٢) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢ نقلاً عن الواقدي والمرزباني، وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٥ نقلاً عن ابن عبد البر في الاستيعاب والقاضي نور الله في المجالس.

(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٥.

(٤) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٥٢ نقلاً عن الدارقطني في كتاب الأخوة والمرزباني في معجم الشعراء.

(٥) الأصفهاني/ مقاتل الطالبيين/ ص ١١ ــ ١٢.

مقتله[1]. وازاء التضارب في الأقوال والاضطراب في الروايات وما نتج عنها من لبس ابهام، يقول السيد صاحب الدرجات: كان لجعفر بن أبي طالب ابنان يسمىٰ كل منهما محمداً أحدهما الأكبر ولا خلاف أنه قتل مع عمه أمير المؤمنين (ع) بصفين وهو الذي كان زوج أم كلثوم والثاني محمد الأصغر وهو الذي قيل إنّه قتل بالطف أو بششتر قال صاحب العمدة يقال إنه ما أدرك الحلم فقر أن صاحب الترجمة إنما هو محمد الأكبر وخفي على القاضي نور الله ذلك فظنَّ إنما هو محمد واحد فاستصوب أنه قتل بشوشتر قال: إنه تشرف بمصاهرة أمير المؤمنين (ع) وقد علمت أن أحدهما غير الآخر. بقي أن صاحب العمدة قال: خلفَ على أم كلثوم عون بن جعفر بن أبي طالب ثم بعده أخوه محمد فإن أراد بمحمدٍ هذا محمد الأكبر فهو قد قتل بصفين قبل عون كما ذكره هو بنفسه في العمدة فكيف خلفه عليها بعده وإن أراد محمد الأصغر فقد قتل هو وعون معاً بالطف أو بغيره على الخلاف في ذلك أن يكون عون طلقها فتزوجها بعده أحد المحمدين لكن عبارته لا تعطي ذلك والله أعلم[2].

وكان السيد صاحب الدرجات الرفيعة وصاحب العمدة قد أشارا في معرض حديثهما عن سيرة جعفر بن أبي طالب (ع) إلى أنه كان أعقب من الولد ثمانية ذكور. وقد ذكراهم بالاسماء وهم: عبد الله ــ وعون ــ ومحمد الأكبر ــ ومحمد الأصغر ــ وحميد ــ وحسين ــ وعبد الله الأصغر ــ وعبد الله الأكبر ــ[3] وهذا يعني رجحان رأي السيد علىٰ ما هواه.

---

(١) نفس المصدر/ ص ١٣.
(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٥ ــ ١٨٦.
(٣) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ٧٩ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٦.

وعن عقب محمد الأكبر ـ موضوع بحثنا ـ يقول صاحب العمدة إنه انقرض، ودرج الخمسة الأُخر أعني أولاد جعفر ما عدا عبد الله الأكبر[1].

(١) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٧.

عــون

عون بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي ابن عم النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ ولد بأرض الحبشة وقدم به أبوه في غزوة خيبر[1] وقد مرّ ذكر حديث النبي ــ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ــ فيه وفي أخوته فيما تقدم. وكان يشبه أباه جعفراً خَلقاً وخُلقاً وأمه أم أخوته جميعاً وهي اسماء بنت عميس الخثعمية. وكان قد تزوّج من أم كلثوم بنت أمير المؤمنين علي (ع) ثم من بعده اخوه محمد قاله صاحب العمدة[2]. واختلف في أي ولدي جعفر محمد وعون كان اسن فأما عبد الله فكان أسن منهما[3]. قال صاحبا العمدة والدرجات أن عوناً استشهد مع ابن عمه الحسين (ع) يوم الطف[4]. وقيل إنَّه استشهد بتستر وذلك في خلافة عمر بن الخطاب[5] وولد عون بن جعفر بن أبي طالب شهيد الطف ابنا اسمه مساور له ذيل لم يطل وانقرض

---

(١) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٤٤ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤.

(٢) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤.

(٣) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٤٤ ــ ٤٥.

(٤) علي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤ وابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ص ٣٦.

(٥) ابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٤٥ نقلاً عن (أبو عمر) ابن الأثير/ أسد الغابة/ ج ٤/ ص ١٤.

عقبه[1]. أما ابن حزم فيقول: إن لعون عقباً غير مشهور؛ وقد قيل إن موسىٰ بن معاوية الصمادحي، راوية وكيع بن الجراح، من ولده، وانه موسىٰ بن معاوية بن أحمد بن عون بن معاوية بن عون بن جعفر، وقيل: عون بن عبد الله بن جعفر[2]. بينا يرىٰ ابن الأثير إن عوناً لم يعقب[3].

---

(١) ابن عنبه/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ ج ٣٧ وعلي خان/ الدرجات الرفيعة/ ص ١٨٤ وابن حجر/ الإصابة/ الجزء الخامس من ثمانية أجزاء/ ص ٤٥ قال: «وماله عقب».

(٢) الأندلسي/ جمهرة أنساب العرب/ ص ٦٨.

(٣) أسد الغابة/ ج ٤/ ص ٣١٤.

فهرست المصادر المعتمدة في تأليف الكتاب

القرآن الكريم.

١ ــ ابن أبي الحديد/ عز الدين/ عبد الحميد/ شرح نهج البلاغة/ الطبعة الأولى دار احياء الكتب العربية/ القاهرة ١٩٥٩.

٢ ــ ابن الأثير/ عز الدين/ أسد الغابة/ دار الشعب/ القاهرة ١٩٧٠.

٣ ــ ابن الأثير/ عز الدين/ الكامل في التاريخ/ الطبعة الثانية/ دار الكتاب العربي/ بيروت ١٩٦٧.

٤ ــ ابن حجر/ شهاب الدين/ أبو الفضل/ أحمد بن علي بن محمد/ الإصابة/ المطبعة الشرقية/ القاهرة ١٩٠٧.

٥ ــ ابن خلدون/ عبد الرحمن المغربيّ/ كتاب السير وديوان المبتدأ والخبر.

٦ ــ ابن شهرآشوب/ رشيد الدين/ أبو عبد الله/ محمد بن علي/ مناقب آل أبي طالب/ المطبعة الحيدرية/ النجف ١٩٥٦.

٧ ــ ابن عقيل/ بهاء الدين/ عبد الله بن عقيل/ شرح ألفية بن مالك/

الطبعة الرابعة عشرة/ القاهرة ١٩٦٥.

٨ ــ ابن عنبه/ جمال الدين أحمد/ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب/ دار الأندلس/ النجف ١٩٨٨.

٩ ــ ابن المعتز/ عبد الله/ طبقات الشعراء/ الطبعة الرابعة/ دار المعارف/ القاهرة ١٩٨١.

١٠ ــ ابن هشام/ السيرة النبوية/ مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة ١٩٣٦.

١١ ــ ابن هشام/ قطر الندىٰ وبل الصدىٰ.

١٢ ــ الأبشيهيّ/ شهاب الدين/ محمد بن أحمد/ المستطرف في كل فن مستظرف/ دار الفكر.

١٣ ــ الأصفهاني/ أبو الفرج/ علي بن الحسين/ الأغاني/ دار الفكر/ بيروت.

١٤ ــ الأصفهاني/ أبو الفرج/ علي بن الحسين/ مقاتل الطالبيين/ دار احياء علوم الدين/ بيروت.

١٥ ــ الأصفهاني/ أبو الفرج/ علي بن الحسين/ مقاتل الطالبيين/ الطبعة الثانية/ المطبعة الحيدرية/ النجف ١٩٦٥.

١٦ ــ الأصفهاني/ محمد بن داود/ الزهرة/ تحقيق د. إبراهيم السامرائي/ د. نوري حمودي القيسي/ الأردن.

١٧ ــ الألوسي/ محمود شكري/ بلوغ الأرب/ المكتبة الأهلية، مصر.

١٨ ــ الأمين العاملي/ محسن/ أعيان الشيعة/ الطبعة الثانية/ مطبعة الاتقان/ دمشق ١٩٤٧.

١٩ ــ الأميني/ عبد الحسين/ الغدير/ الطبعة الثالثة/ دار الكتاب

العربي/ بيروت ١٩٦٧ .

٢٠ ـ الأنباري/ أبو بكر محمد بن القاسم/ الزاهر في معاني كلمات الناس/ الطبعة الثانية/ دار الشؤون الثقافية/ العامة/ بغداد ١٩٦١ .

٢١ ـ الأندلسي/ ابن حزم/ علي بن أحمد/ جمهرة أنساب العرب/ الطبعة الخامسة/ دار المعارف القاهرة/ ١٩٦٢ .

٢٢ ـ الأندلسي/ ابن عبد ربه/ شهاب الدين/ العقد الفريد/ القاهرة/ ١٩٥٣ .

٢٣ ـ الأندلسي/ ابن عبد ربه/ شهاب الدين أحمد/ العقد الفريد/ الطبعة الأولىٰ/ مكتبة هلال/ بيروت ١٩٨٦ .

٢٤ ـ البخاري/ أبو عبد الله/ محمد بن إسماعيل/ صحيح البخاري/ دار الفكر/ بغداد ١٩٨٦ .

٢٥ ـ البيلاوي/ محمود علي/ تاريخ الهجرة النبوية وبدء الإسلام/ الطبعة الأولى/ دار القلم/ بيروت ١٩٨٥ .

٢٦ ـ البلاذري/ أبو الحسن/ أحمد بن يحيى/ أنساب الاشراف/ الطبعة الأولىٰ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت ١٩٧٧ .

٢٧ ـ البلاذري/ أبو الحسن/ أحمد بن يحيى/ فتوح البلدان/ مطبعة السعادة/ القاهرة ١٩٥٩ .

٢٨ ـ الخطيب البغدادي/ أبو بكر/ أحمد بن علي/ تاريخ بغداد/ دار الكتاب العربي/ بيروت .

٢٩ ـ الجاحظ/ أبو عثمان/ عمرو بن بحر/ الحيوان/ شركة الكتاب اللبناني/ بيروت ١٩٦٨ .

٣٠ ـ الجاحظ/ أبو عثمان/ عمرو بن بحر/ البخلاء/ الطبعة

الأولىٰ/ دار الكتاب المصري/ القاهرة ١٩٤٨.

٣١ ــ الجاحظ/ أبو عثمان/ عمرو بن بحر/ البيان والتبيين/ شركة الكتاب اللبناني/ بيروت ١٩٦٨.

٣٢ ــ الجاحظ/ أبو عثمان/ عمرو بن بحر/ رسائل الجاحظ/ الطبعة الأولىٰ/ القاهرة ١٩٧٩.

٣٣ ــ الديلمي/ أبو محمد/ الحسن بن أبي الحسن بن محمد/ إرشاد القلوب/ دار القلم/ بيروت ١٣٨١ هـ.

٣٤ ــ الزبيدي/ محمد مرتضى/ تاج العروس/ دار صادر/ بيروت ١٩٦٦.

٣٥ ــ الزركلي/ خير الدين/ الأعلام/ الطبعة الثالثة/ بيروت ١٩٦٩.

٣٦ ــ الزركلي/ خير الدين/ الأعلام/ الطبعة السادسة/ دار العلم للملايين ١٩٨٤.

٣٧ ــ الزمخشري/ محمود بن عمر/ أساس البلاغة/ دار مطابع الشعب/ القاهرة ١٩٦٥.

٣٨ ــ الرازي/ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر/ مختار الصحاح/ دار الرسالة/ الكويت ١٩٨٣.

٣٩ ــ السويدي/ محمد أمين/ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب/ المكتبة التجارية الكبرى/ القاهرة.

٤٠ ــ الشرنوبي الحوري/ سعيد/ أقرب الموارد.

٤١ ــ الشربيني/ أبو الحسن/ علي بن بسام/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ الطبعة الأولى/ دار الثقافة/ بيروت ١٩٧٩.

٤٢ ــ الشناوي/ أحمد/ دائرة المعارف الإسلامية/ الترجمة العربية/ ١٩٣٣.

٤٣ ــ الصبان/ محمد/ إسعاف الراغبين/ المطبوع على هامش نور الأبصار/ الطبعة السابعة/ القاهرة ١٩٦٥.

٤٤ ــ الطبرسي/ أبو منصور/ أحمد بن علي بن أبي طالب/ الاحتجاج/ مطبعة النعمان/ النجف ١٩٦٦.

٤٥ ــ الطبري/ محمد بن جرير/ تاريخ الرسل والملوك/ دار المعارف/ القاهرة ١٩٦٨.

٤٦ ــ الطوسي/ أبو جعفر/ محمد بن الحسن/ رجال الطوسي/ الطبعة الأولىٰ/ المطبعة الحيدرية/ النجف/ ١٩٦١.

٤٧ ــ الظاهري/ ابن حزم/ علي بن أحمد/ الفصل في الملل والأهواء والنحل/ دار الندوة الجديدة/ بيروت.

٤٨ ــ العقاد/ عباس محمود/ أبو الشهداء/ الطبعة الثانية/ دار الكتاب العربي/ بيروت ١٩٦٦.

٤٩ ــ العقاد/ عباس محمود/ معاوية/ دار الكلتاب العربي/ بيروت ١٩٦٦.

٥٠ ــ القالي البغدادي/ أبو علي/ إسماعيل بن القاسم/ الأمالي/ دار الفكر.

٥١ ــ القرشي/ باقر شريف/ حياة الحسن بن علي/ مطبعة النجف/ ١٩٥٦.

٥٢ ــ القطبي/ عبد الكريم بن محب الدين/ إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام/ الطبعة الأولىٰ/ دار الرفاعي/ الرياض ١٩٨٣.

٥٣ ــ القزويني الحنفي/ سليمان بن إبراهيم/ ينابيع المودة/ الطبعة الثانية/ النجف ١٣٨٥ هـ.

٥٤ ــ الكليني/ محمد بن يعقوب/ الروضة من الكافي/ المكتبة الحيدرية.

٥٥ ــ الكوفي/ ابن أعثم/ أحمد/ الفتوح/ الطبعة الأولىٰ/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٨٦.

٥٦ ــ المبرد/ أبو العباس/ محمد بن يزيد/ الكامل/ مطبعة محمد علي صبيح/ القاهرة ١٣٤٧ هـ.

٥٧ ــ المسعودي/ أبو الحسن/ تاريخ مروج الذهب/ المطبعة البهية المصرية/ القاهرة ١٣٦٦ هـ.

٥٨ ــ المظفر/ محمد حسن/ دلائل الصدق/ المطبعة الحيدرية/ النجف ١٩٥٣.

٥٩ ــ المفيد/ محمد بن محمد بن النعمان/ الإرشاد/ ١٣٦٤ هـ.

٦٠ ــ المقرم/ عبد الرزاق/ الشهيد مسلم بن عقيل/ النجف ١٣٦٩ هـ.

٦١ ــ النقدي/ محمد جعفر/ مواهب الواهب في فضائل آل أبي طالب/ المطبعة المرتضوية/ النجف ١٣٤١ هـ.

٦٢ ــ النويري/ شهاب الدين/ أحمد بن عبد الوهاب/ نهاية الأرب/ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر/ القاهرة.

٦٣ ــ المهزمي العبدي/ أبو هفان/ عبد الله بن محمد/ ديوان شيخ الاباطح أبي طالب/ المطبعة المرتضوية/ النجف ١٣٥٦ هـ.

٦٤ ــ حرز الدين/ محمد/ مراقد المعارف/ مطبعة الآداب/ النجف ١٩٧١.

٦٥ ــ جميل إبراهيم حبيب/ القول الجازم/ دار الكتب العلمية/

بغداد/ ١٩٨٧.

٦٦ ــ جواد علي الدكتور/ المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ بيروت ١٩٧٠.

٦٧ ــ سليمان / سؤلات أبي عبد الرحمن السلمي للدارقطني في الجرح والتعديل/ دار العلوم/ الرياض ١٩٨٨.

٦٨ ــ شبرّ/ عبد الله/ تفسير شبرّ/ الطبعة الثانية/ القاهرة ١٩٦٦.

٦٩ ــ شمس الدين/ أبو علي/ فخار بن معد/ الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب/ المطبعة العلوية/ النجف ١٣٥١ هـ.

٧٠ ــ سيد مؤمن / الشبلخي/ نور الأبصار/ الطبعة السابعة/ القاهرة ١٩٦٠.

٧١ ــ طه حسين/ حديث الأربعاء/ مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة ١٩٣٧.

٧٢ ــ علي خان/ صدر الدين/ الدرجات الرفيعة/ المطبعة الحيدرية/ النجف ١٩٦٢.

٧٣ ــ علي خان/ محمد علي/ أبو طالب وبنوه/ الطبعة الأولىٰ/ مطبعة الآداب/ النجف ١٩٦٩.

٧٤ ــ علي خان/ محمد علي/ تقريرات على الكفاية (مخطوطة).

٧٥ ــ فيليب حتّى/ تأريخ العرب «مطول»/ دار الكشاف/ بيروت ١٩٦٥.

٧٦ ــ قدامة بن جعفر/ نقد الشعر/ الطبعة الثالثة/ مكتبة الخانجي/ القاهرة ١٩٧٩.

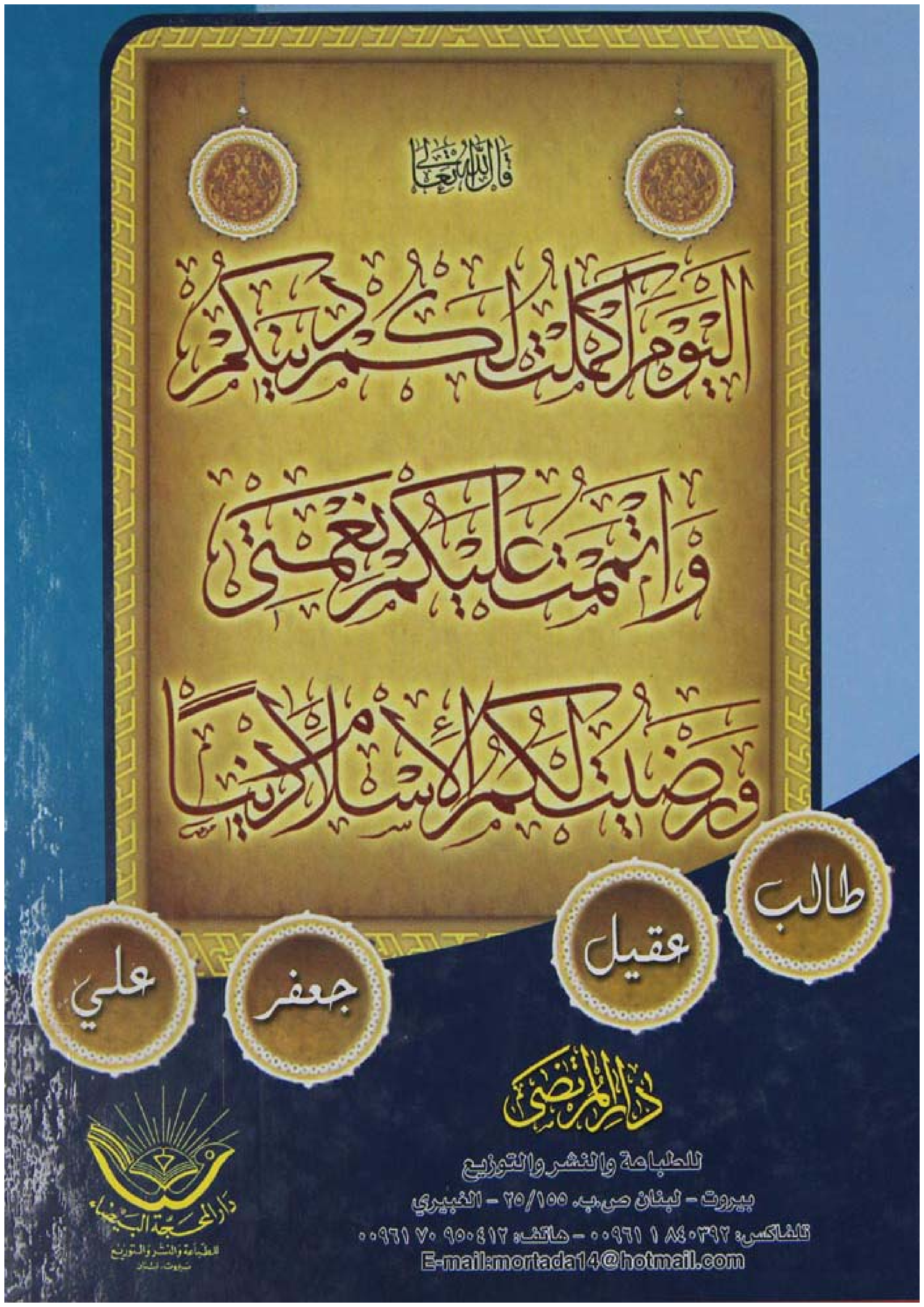
٧٧ ــ محمد أحمد جاد المولىٰ وآخرون/ قصص العرب/ دار الجيل/ بيروت ١٩٨٨.



فهرس القسم الثاني

تاليف
علاء السيد علي خان




قال الله تعالى
اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الإسلام دينا
طالب
عقيل
جعفر
علي
دار المرتضى
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان ص.ب. ٢٥/١٥٥ - الغبيري
تلفاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٨٤٠٣٩٢ - هاتف: ٠٠٩٦١ ٧٠ ٩٥٠٤١٢
E-mail:mortada14@hotmail.com
دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع